بسم الله الرحمن الرحيم

تنشيط الأذهان

في أصول

تفسير القرآن

المؤلف

للشيخ أبي زكريا عبد السلام الرستمي

الناشر

الجامعة العربية

إشاعة التوحيد والسنة

بدھ بیر - پشاور



اعجاز احمد عارفی
034145959115

تنشيط الاذهان
فى اصول تفسير القرآن

المؤلف

الشيخ العلامة ابو زكريا السيد **عبد السلام** بن عبد الرؤف حفظه الله ورعاه

مدير الجامعة العربية لاشاعة ال حيد والسنة السنية على منهاج

السلف الصالحين بدبير شارع كوهات بشاور باكستان

ومدير الجامعة تعليم القرآن رستم - منطقة مردان باكستان.

وأمير جمعية اشاعة التوحيد والسنة.

الناشر

الجامعة العربية

لاشاعة التوحيد والسنة السنية

على منهاج السلف الصالحين

بدبير شارع كوهات بشاور باكستان

ایوب مکتبہ و اسلامی کیسٹ اینڈ سی، ڈی مرکز

پشت قصہ خوانی بازار 2550749: فون

اسم الكتاب .... تنشيط الأذهان فى
اصول تفسير القرآن
المؤلف .... الشيخ العلامة السيد ابو زكريا
عبد السلام حفظه اللّٰه ورعاه
العدد .... الف نسخة
السعر .... (   ) روبية
عام الطباعة .... ١٢/رجب المرجب ١٤٢٥هـ
الراقم .... ابو سلمان : حضرت محمد غفر له
الجامعة تعليم القرآن والسنة كنج
بشاور

الناشر

الجامعة العربية
لاشاعة التوحيد والسنة السنية
على منهاج السلف الصالحين
سيفن بده بير شارع كوهات بشاور باكستان

****

هاتف : ٢٣١٤٩٩ - ٢٣١٥٧٥ - ٢٤٦٣٧٢.

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له، وأشهد أن لا إله الا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. صلى الله تعالىٰ على محمد المصطفىٰ والمنتقى والمجتبىٰ، وعلى آله وأصحابه وأتباعه وأزواجه وأعوانه وأنصاره أجمعين إلى يوم القيامة آمين.

أما بعد : فإن القرآن الكريم وإن كان جامعاً لجميع العلوم محتوياً على الفنون وجميع الأصول والفروع، ولكن مرجع الكل إلىٰ علم التوحيد الذى هو خلاصة وحى جميع الأنبياءِ والمرسلين، وصفوة جميع الكتب السماوية، ومبنى جميع الأحكام والأعمال والأخلاق.

فنحن بصدد تفصيل التوحيد بلسان القرآن المجيد فلا بد لفهمه من أصول وقواعد ليتيسر تحصيله وعلمه، ويسهل فهم التوحيد بالتفصيل.

وسابقاً منى كتب المشائخ العظام والعلماء الكرام رسائل وكتباً كثيرة فى هذا الشان لا اعدو عدوهم ولا أخطو خطوهم، لأنهم جبال العلم وأعلامه.

ولا أقول : إن كتابى هذا يغنى عن كتبهم ولكن يكون خلاصة لكتبهم ومجملاً لمفصلهم ومجموعاً لمشتتهم. فيكون فى هذا المجموع إيجاز غيرمخل، واختصار غير ممل.

والشرط علىّ أن أبين كل أمر ومقصد فى الكتاب بألفاظ القرآن. وقليلاًما تجد أذكر عبارات الثقات من العلماءِ.

وهذا الكتاب فى الواقع أول جزء من التبيان الذى طبعت حصة منه فى

تفسير أم القرآن. وأريد بتوفيق الله تعالى إتمامه. فلذا سميت هذا الجزء بمقدمة التبيان في أصول فهم القرآن وفي تقريب التوحيد إلى الأذهان. وبفضله تعالىٰ اتممناه وسميناه بتفسير أحسن الكلام بلغة البشتو.

اللهم اجعله لنا ذخراً وأجراً وللمستفيدين من الإخوان والخلان بغية وبشرى.

اعلم أن هذا الجزء مشتمل على مقدمة وثلثة مقاصد وتتمة.

أما المقدمة : ففيها مباحث خمسة.

البحث الأول:

بيان عظمة فهم القرآن وشرافته بألفاظ القرآن الكريم :

الآيات الكريمة في إثبات هذا المقصد كثيرة لا يسعها هذا المختصر، و لكن أكتفي بذكر بعضها لعله يكون كافياً. وهكذا في كل باب من هذا الكتاب.

فأذكر مما ينبه على عظمة فهم القرآن سبعة أمور من القرآن الكريم.

١ - **الأول** : انه خير كثير : قال الله تعالى : يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤتى الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً (سورة البقرة آيت : ٢٦٩).

الحكمة ما هي ؟

فيها أقوال عديدة ترجع إلى أصل واحد وهو فهم القرآن الكريم. قال الإمام الراغب في المفردات : المراد من الحكمة إما العلم وإما فعل الصواب، يروى عن مقاتل أنه قال : تفسير الحكمة في القرآن على أربعة اوجه :

(١) - احدها : مواعظ القرآن. قال تعالى في البقرة : وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به (البقرة : ٢٣١) يعني مواعظ القرآن.

(٢) - وثانيها الفهم والعلم. قال تعالى : ولقد آتينا لقمان الحكمة (لقمان : ١٤) أي : الفهم والعلم.

(٣) – وثالثها: الحكمة بمعنى النبوة. قال تعالى: فقد آتينا آل إبراهيم الكتب والحكمة (النساء: ٥٤) أي: النبوة.

(٤) – ورابعها: القرآن بما فيه من عجائب الأسرار. قال تعالى: أدع إلىٰ سبيل ربك بالحكمة (النساء: ١٢٥).

وجميع هذه الوجوه عند التحقيق ترجع إلى العلم وأما الحكمة بمعنى فعل الصواب فقيل في حدها: إنها التخلق بأخلاق الله بقدر الطاقة البشرية. انتهى بالإختصار (٧/٦٧).

وقال ابن الجوزي في زاد المسير (١/٣٢٤):

في المراد بالحكمة أحد عشر قولاً:

احدها: أنها القرآن، قاله ابن مسعود ومجاهد ومقاتل في آخرين.

والثاني: معرفة ناسخ القرآن ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه ومقدمه ومؤخره، ونحو ذلك رواه على بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما.

والثالث: النبوة، رواه أبو صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما.

والرابع: الفهم في القرآن، قاله أبو العالية وقتادة وابراهيم.

والخامس: العلم والفقه رواه الليث عن مجاهد.

والسادس: الإصابة في القول. رواه ابن أبي نجيح عن مجاهد.

والسابع: الورع في دين الله. قاله الحسن.

والثامن: خشية الله. قاله الربيع بن أنس.

والتاسع: العقل في الدين. قاله ابن زيد.

والعاشر: الفهم، قاله شريك.

والحادي عشر: العلم والعمل، لايسمى الرجل حكيماً إلا إذا جمعهما قاله ابن قتيبة، انتهى. وأبو حيان ذكر أكثر منها في تفسيره، كما ذكرنا في تفسير أحسن الكلام.

أقول : إن بعد التدبر ترجع هذه الأقوال إلى فهم القرآن وعلمه. فالعبارات شتى والمرام واحد. فدلت الآية على أن الفهم فى القرآن خير كثير.

٢ – الثانى : من الأمور السبعة : أنه سبب الصراط المستقيم.

قال تعالى : وهذا صراط ربك مستقيماً أى القرآن الكريم صراط مستقيم يستقيم بصاحبه إلى جناب ربه تعالى ومرضاته ففهمه وعلمه سببه ووسيلته. وللوسائل حكم المقاصد.

٣ – و الثالث : أن هذا سبب رحمة الله الخاصة.

ووجدان رحمته الخاصة هو فوز فى الحقيقة. قال الله تعالى : وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون (الأعراف : ٢٠٤) فالإستماع – وهو قصد السماع للفهم – والإنصات جعلا سببين لتحصيل رحمة الله تعالى. ولهذا النص امر بعض أهل الفقه والإجتهاد بوجوب استماع المأموم لقراءة الإمام فاتحة أو غيرها، ولا ينافى القراءة خلف الإمام، فافهم ولتفصيل هذه المسألة مواضع مناسبة.

وصرح أهل العلم بأنه يكره أن يقرأ القرآن جملة واحدة (أى جهراً) لتفويت واجب الإستماع. ولقد رأينا المبتدعين القارئين بالأجرة وشبهها والخاتمين يجتمعون لقرائة أجزاء القرآن ويجهرون كلهم . يقرؤن بعضها ويتركون بعضها. فوا أسفا عليهم ! غفلوا عن هذا النص وسدوا عليهم باب رحمة الله تعالى .

٤ – والرابع : أنه سبب الفرح الحقيقى :

قال الله تعالى : قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون (يونس : ٥٨).

واعلم : أن الفضل الإسلام، والرحمة : القرآن. رواه ابن أبى طلحة عن ابن عباس، وهو اختيار ابن قتيبة. وقيل : إن فضل الله القرآن، ورحمته أن جعلهم

من أهل القرآن. ورواه العوفى عن ابن عباس . وفيه أقوال أخر، نقلها ابن الجوزى فى زاد المسير.

فالحاصل : أن القرآن وعلمه سبب الفرح. والفرح الإطمينان الكلى وعدم المبالاة بالدنيا وأهلها. والفرح صفة القلب والمرح صفة الأقدام.

٥ – والخامس : أنه سبب الألفة والمحبة وزوال العداوة :

قال الله تعالى : واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداءً فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً .

(آل عمران : ١٠٣).

المراد بحبل الله هو القرآن. رواه شقيق عن ابن مسعود، وبه قال قتادة والضحاك والسدى. وكذا روى عن على. فذكر فى هذه الآية الفائدة الدنيوية بقوله : إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم. والفائدة الأخروية بقول : وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها.

٦ – والسادس : أنه سبب نزول البركات الإلهية :

قال الله تعالى : ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم (المائدة : ٦٦).

والمراد بما أنزل اليهم هو القرآن. والإقامة بالكتب : العمل بما فيها كما قال ابن عباس. والعمل مبنى على العلم والفهم. والأكل من فوق وتحت هو الغيث وكثرة النبات. أو الثمار على الأشجار والفواكه المبثوثة على الأرض. أو المراد به التوسعة.

قال ابن الجوزى : وقد أعلم الله بهذا أن التقوى المذكورة فى الآية السابقة – وهو علم القرآن والعمل به – سبب فى توسعة الرزق كما قال الله تعالى : لفتحنا عليهم بركات من السماءِ والأرض (الاعراف : ٩٦). وقال : ويرزقه من حيث لا يحتسب (الطلاق : ٣)

وقد جربناه فوجدناه صدقاً.

٧ - والسابع : أن هذا سبب الذكرىٰ الذى منتهاه مرضاة الله تعالى.

قال الله تعالى: إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد (ق : ٣٧).

ثم اعلم : أن الأمور المذكورة التى سنذكرها فى بيان حكمة نزول القرآن كلها تدل على عظمة فهم القرآن أيضاً. فلا تحصر فى هذه السبعة المذكورة.

******

البحث الثانى : فى آداب القرآن الممدة فى الفهم

إعلم : أن الأدب (١) اجتماع خصال الخير فى العبد. (٢) وقيل : استعمال الخلق الجميل. وأقوال العلماءِ و الفضلاءِ فى اهتمام الأدب كثيرة.

١ - قال يحيى بن معاذ : إذا ترك العارف أدبه مع معروفه فقد هلك مع الهالكين.

٢ - وقال أبو على : ترك الأدب يوجب الطرد، فمن أساء الأدب على البساط رد إلى الباب. ومن أساء الأدب على الباب رد إلى سياسة الدواب.

٣ - وقال ابن المبارك : نحن إلى قليل من الأدب أحوج منا إلى كثير من العلم.

٤ - وقال سهل : من قهر نفسه بالأدب فهو يعبد الله باخلاص.

٥ - وقال ذو النون : إذا خرج المريد عن استعمال الأدب فانه يرجع من حيث جاء.

ثم إن للأدب أنواعاً وأفراداً كثيرة متفاوتة بتفاوت من يجب معه الأدب. ونحن الآن بصدد بيان الآداب مع القرآن من الآيات القرآنية فقط. نكتفى منها بذكر خمسة :

الاول : الإستماع للقرآن : قال الله تعالى :

وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون.
(الأعراف : ٢٠٤).

والثاني : التفكر والتدبر فيه وعدم الاصتمام والعمى عنه :

قال الله تعالى فى مدح عباده الخاصة : والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعمياناً (الفرقان : ٧٣) ونفى الخرور الخاص المقيد كناية عن التفكر.

والثالث : إلقاء السمع مع شهادة القلب وهو التوجه الكامل :

قال الله تعالى : إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد (ق : ٣٧) ولذا قال الزركشى فى البرهان (١/٢٥٥) : تكره قرائة القرآن بلاتدبر. وعليه حمل حديث عبد الله بن عمرو عن النبى صلى الله عليه وسلم : (لم يفقه من قرأ القرآن فى أقل من ثلث) رواه الترمذى وابوداود والدارمى. وهو قول ابن مسعود لمن اخبره أنه يقوم بالقرآن فى ليلة (أهذّاً كهذّ الشعر ؟) والهذّ هوا لسرعة لغةً.

وكذلك قوله عليه السلام فى صفة الخوارج (يقرؤن القرآن لا يجاوز تراقيهم ولا حناجرهم) ذمهم باحكام لفظه وترك التفهم لمعانيه.

وذكر المحدث الدارمى بسنده (أن الفقيه حق الفقيه من لم يقنط الناس من رحمة الله ولم يرخص لهم فى معاصى الله ولم يؤمنهم من عذاب الله ولم يدع القرآن رغبة عنه إلىٰ غيره. إنه لا خير فى عبادة لا علم فيها، ولاعلم لا فهم فيه، ولا قرائة لاتدبر فيها) (١/٧٦).

والرابع : عدم مس القرآن بغير طهارة :

قال الله تعالى : ﴿ لايمسه إلا المطهرون ﴾ (الواقعة : ٧٩).

وفى هذه الآية أقوال للمفسرين. الضمير إما راجع إلى القرآن أو راجع إلى الكتاب المكنون. فعلى الثانى هذا الكلام خبر والملائكة هم المطهرون.

وهـذا قـول ابـن عبـاس وعـكرمة ومجاهد وسعيد بن جبير. وعلى الأول ففى المطهرين أربعة أقوال:

احـدهـا: أنهـم الـمطهـرون مـن الأحداث. وهو قول الجمهور. فالخبر بـمعنى الإنشاءِ. أى النهى ويؤيد هذا بما روى مالك فى الموطأ عن عبد الله بـن أبـى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم أن فى الكتاب الذى كتبه رسول الله صلى الله عليه و سلم لعمرو بن حزم أن لايمس القرآن إلا طاهر.

قـال ابـن كثير فى تفسيره: وقد روى هذا الحديث موصولاً عن كثير من الـصـحـابة وهـو صـحـيـح بـمـجـمـوع طرقه، وكذا يؤيد بما روى مسلم فى صـحـيـحـه عـن ابـن عـمـر أن رسـول الله صلى الله عليه وسلم نهى أن يسافر بالقرآن إلى أرض العدو مخافة أن يناله العدو.

وثـانيها: المطهرون من الشرك. أى الموحدون. والمراد من المس العلم والفهم. أى: لا يعلمه إلا الموحدون.

كذا فى معالم التنزيل للفراءِ عن أبى الفضل.

وثالثها: المطهرون من الذنوب والخطايا. قاله الربيع بن أنس.

ورابعها: أنه لا يجد طعمه ونفعه إلا لمن آمن به. حكاه الفراء.

ذكره ابن الجوزى فى تفسيره.

والخامس من الآداب:

الإجتناب من التكبر ولواحقه التى هى الموانع عن فهم القرآن.

قـال الله تعالى: ساصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الأرض بغير الحق الآية (الاعراف: ١٤٦).

قال قتادة: أمنعهم عن فهم الآيات.

والتـكبـر اسـم جـامـع لـجـميع الموانع التى ذكرها السيوطى فى الإتقان والزركشى فى البرهان (٢/١٨٠).

قال الزركشى : واعلم أنه لا يحصل للناظر فهم معانى الوحى حقيقة ولا يظهر له أسرار العلم من غيب المعرفة وفى قلبه (١) بدعة (٢) او إصرار على ذنب (٣) او فى قلبه كبر (٥) او هوى او (٥) حب الدنيا (٦) او يكون غير متحقق الإيمان (٧) او ضعيف التحقيق (٨) او يكون معتمداً على قول مفسر ليس عنده علم إلا بالظاهر من المعانى (٩) او يكون راجعاً إلى معقوله.

فهذه هى الموانع الداخلة فى معنى التكبر.

قال سفيان الثورى : لا يجتمع فهم القرآن والإشتغال بالحطام فى قلب مؤمن أبداً.

قال ذو النون المصرى : أبى الله عز وجل إلا أن يحرم قلوب البطالين مكنون حكمة القرآن.

وقال الحسن البصرى : علم القرآن ذكر لا يعلمه إلا الذكور من الرجال (برهان : ١/٦).

وقال الرومى فى مثنويته :

از خدا خواهيم توفيق ادب　　　بے ادب محروم شد از فضل رب

بے ادب تنها نه خود رادشت بد　　　بلكه آتش درهمه آفاق زد.

هذه الآداب كانت متعلقة بفهم القرآن الكريم.

وأما الآداب المتعلقة بنفس القرآن الكريم فكثيرة لابد من الإمتثال والاتصاف بها.

الأول : المنع عن توسد القرآن.

الثانى : الأخذ باليمين، بل كل كتاب دينى يؤخذ باليمين، كما قال الملا على القارى فى المرقاة ص (٣٥٥).

الثالث : تحريم مد الرجل اليه.

الرابع : منع وضع الشئ فوقه.

الخامس : استدباره من غير مبالاة.

السادس : التخطى عليه.

السابع : رميه من بعيد.

الثامن : تصغير الفاظه بحيث لا تقرأ. (ذكرها ابن حجر).

التاسع : أن لا يتركه منثوراً من غير قرائة.

العاشر : أن لا يضعه على الأرض.

الحادى عشر : أن لا يعتمد عليه (ذكرها القرطبى فى مقدمة التفسير) وجمع الإمام النووى الآداب لحملة القرآن سماه التبيان.

وفى ابى داود : أن النبى صلى اللّٰه عليه وسلم تأدب مع التوراة بأن نزع الوسادة من تحته ووضع التوراة عليها.

******

البحث الثالث : فى تعريف القرآن وأسمائه

إعلم : أنه لا بد للبصيرة فى علم أو كتاب من معرفة أمور ثلثة (١) معرفة حقيقته (٢) ومعرفة غايته وحكمته (٣) ومعرفة موضوعه.

فنذكر هذه الأمور الثلثة للقرآن من الآيات.

فالقرآن كلام اللّٰه وكتاب عربى أنزله اللّٰه تعالى إلىٰ محمد صلى اللّٰه عليه وسلم بوحى جلى، وهو المنقول إلينا نقلاً متواتراً المكتوب فى المصاحف.

وبين القرآن الكريم هذه المعرفة فى مواضع مختلفة.

قال تعالى : كتاب أنزل إليك (الأعراف : ٢)

تنزيلاً ممن خلق الأرض والسموات العلىٰ (طه : ٤)

وأنزلنا إليك الكتاب بالحق (المائدة : ٤٨).

وقال اللّٰه تعالى : فى صحف مكرمة مرفوعة مطهرة بأيدى سفرة كرام بررة (عبس : ١٣). يتلو صحفاً مطهرة فيها كتب قيمة (البينة : ٢)

وقال تعالى : فانه نزله على قلبك باذن الله (البقرة : ٩٧)

نـزل بـه الـروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربى مبين (الشعراء : ١٩٥) إنه لقول رسول كريم ذى قوة عند ذى العرش مكين مطاع ثم أمين (التكوير : ٢١)

قل نزله روح القدس من ربك بالحق (النحل : ١٠٢).

وهـو غير مخلوق. وذكر اللالكائى تفصيل هذه المسئلة فى كتابه (شرح أصـول إعتـقـاد أهـل السـنة والـجماعة من (٢١٦/١) الى (٣٦٩/١) وذكر الأدلة على أنه غير مخلوق.

منهـا : قـولـه عـليه السلام : (أول ما خلق الله القلم) أن الكلام قبل القلم فعلم أنه غير مخلوق.

ومنهـا : قـوله تعالى : ألا له الخلق والأمر . عطف الأمر وهو الكلام على الخلق والعطف يقتضى المغايرة فعلم أن الكلام غير مخلوق.

ومنهـا : قـولـه تـعالى : مانفدت كلمات الله . والمخلوق ينفد فعلم أن كلمات الله غير مخلوق.

ومنهـا : قال رضى الله عنه يوم الصفين : ما حكمت مخلوقاً بل حكمت القرآن وما رد عليه أحد.

ومنهـا : أنه قال عمرو بن دينار : أدركت تسعة من الصحابة يقولون : من قال القرآن مخلوق فهو كافر. وذكر اجماع التابعين على هذه المسألة. وكذا فى اجتماع الجيوش الاسلامية للشيخ ابن القيم رحمه الله ص (٢٢٢).

واعلم : أن مـعـرفة الـقـرآن الـكـريـم بمعرفة أسمائه الوصفية الواردة فى القرآن.

فـالأسـمـاء الـمـذكـورة لـلقرآن فى القرآن ذكر الإمام الرازى منها اثنين لثين. ولقد صنف فى ذلك الحرالي جزء وانهىٰ أساميه إلى نيف وتسعين.

وقال القاضي ابو المعالي عزيز الدين عبد الملك رحمه الله :

اعلم أن الله سمى القرآن بخمسة وخمسين اسما وأنا أذكرها صاعدة الى خمسة وسبعين.

١ - الكتاب : قال الله تعالى : ذلك الكتاب لاريب فيه (البقرة : ٢) وذكر لفظ الكتاب في القرآن مائتان وثلثون مرة.

٢ - والقرآن : قال تعالى : إنه لقرآن كريم (الواقعة : ٧٧) وذكر لفظ القرآن معرفة ثماني وخمسون مرة، ونكرة خمس عشرة مرة.

٣ - والكلام : قال الله تعالى : حتى يسمع كلام الله (التوبة : ٦) وذكر لفظ الكلام أربع مرات.

٤ - والنور : قال تعالى : وأنزلنا إليكم نوراً مبيناً (النساء : ١٧٢) وذكر لفظ النور في صفة القرآن (١٢) مرة.

٥ - والهدى : قال تعالى : هدى للمتقين (البقرة : ٢)
وسماه هدى (٣٢) مرة.

٦ - ورحمة : قال الله تعالى : ورحمة للمحسنين (لقمان : ٣)
وسماه رحمة (٢١) مرة.

٧ - وفرقان : قال الله تعالى : تبارك الذى نزل الفرقان على عبده (الفرقان : ١) وسماه فرقاناً ثلث مرات.

٨ - وشفاء. قال الله تعالى : وننزل من القرآن ما هو شفاء
(الإسراء : ٨٢) وسماه شفاءً ثلاث مرات.

٩ - وموعظة. قال تعالى : قد جاء تكم موعظة من ربكم
(يونس : ٥٧) وسماه موعظة ٦ مرات.

١٠ - وكريم. قال تعالى : إنه لقرآن كريم.
(الواقعة : ٧٧) وسماه كريما مرة واحدة.

١١ – وذكر. قال تعالى : هذا ذكر مبارك أنزلناه (الأنبياء : ٥٠) وسماه ذكراً (٤٩) مرة.

١٢ – وعليّ. قال تعالى : وإنه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم (الزخرف : ٤) وسماه علياً مرة واحدة.

١٣ – وحكمة قال تعالى : حكمة بالغة (القمر : ٥) وسماه حكمة (١٥) مرة.

١٤ – وحكيم : قال تعالى : تلك آيات الكتاب الحكيم (لقمان : ١) وسماه به أربع مرات.

١٥ – ومهيمن : قال تعالى : مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه (المائدة : ٤٨) وسماه به مرة واحدة.

١٦ – ومبارك : قال تعالى : كتاب أنزلناه إليك مبارك (ص : ٢٩) وسماه مباركاً (٤) مرات.

١٧ – وحبل الله : قال تعالى : واعتصموا بحبل الله جميعاً (آل عمران : ١٠٣) وذكره مرة واحدة.

١٨ – والصراط المستقيم : قال تعالى : وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه (الأنعام : ١٥٣) وسماه بهذا (١٩) مرة.

١٩ – والقيم : قال تعالى : قيماً لينذر باسا شديداً . (الكهف : ١/٢) وسماه به مرة واحدة.

٢٠ – والفصل : قال تعالى : إنه لقول فصل (الطارق : ١٣) وهو مرة واحدة.

٢١ – والنبأ العظيم : قال تعالى : عم يتسائلون عن النبأ العظيم (النبأ : ١/٢) وذكره مرتين.

٢٢ – وأحسن الحديث : قال تعالى : الله نزل أحسن الحديث كتاباً

(الزمر : ٢٣) ذكره مرة واحدة وسماه (أحسن) ثلث مرات.

٢٣ - والتنزيل: قال تعالى: وإنه لتنزيل رب العالمين

(الشعراء: ١٩٢) وذكره بهذا الوصف (١٤) مرة.

٢٤ - والروح: قال تعالى: وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا

(الشورى: ٥٢) وسماه به (٥) مرات.

٢٥ - ووحى: قال تعالى: إنما أنذركم بالوحى.

(الأنبياء: ٤٥) وسماه بالوحى مرتين.

٢٦ - والمثانى: قال تعالى: كتابا متشابهاً مثانى.

(الزمر: ٢٣) وسماه به مرتين.

٢٧ - وعربى: قال تعالى: إنا أنزلناه قرآنا عربياً (يوسف: ٣) عن ابن عباس غير مخلوق (برهان) وسماه بهذا الإسم ١١ مرة.

٢٨ - والقول: قال تعالى: ولقد وصلنا لهم القول.

(القصص: ٥١) وسماه بهذا (٩) مرات.

٢٩ - والبصائر: قال تعالى: هذا بصائر للناس.

(الجاثية: ٢٠) وسماه به مرة واحدة.

٣٠ - والبيان: قال تعالى: هذا بيان للناس (آل عمران: ١٣٨)

وسماه به مرة واحدة

٣١ - والعلم: قال تعالى: من بعد ما جائك من العلم.

(البقرة: ١٤٥) وسماه به (١٤) مرة.

٣٢ - والحق: قال تعالى: إن هذا لهو القصص الحق.

(آل عمران: ٦٢) وسماه بالحق ٦٣ مرة.

٣٣ - والعجب: قال تعالى: قرآنا عجباً يهدى إلى الرشد.

(الجن: ١/٢) وسماه به مرة.

٣٤ - وتذكرة : قال تعالى : وإنه لتذكرة.
(المدثر : ٥٤) سماه به ٧ مرات.
٣٥ - وذكرى : قال تعالى : إن هو إلا ذكرى للعالمين .
(الأنعام : ٩٠) وسماه به ١٣ مرة.
٣٦ - والعروة الوثقىٰ : قال تعالى : فقد استمسك بالعروة الوثقىٰ (لقمان : ٢٢) وذكره مرتين.
٣٧ - والمتشابه : قال تعالى : كتابا متشابهاً.
(الزمر : ٢٣) وذكره مرة واحدة.
٣٨ - والصدق : قال تعالى : والذى جاء بالصدق (الزمر : ٣٣) أى بالقرآن وسماه به ٣ مرات.
٣٩ - وعدل : قال تعالى : وتمت كلمة ربك صدقا وعدلاً .
(الأنعام : ١١٥) وسماه به ٤ مرات.
٤٠ - والإيمان : قال تعالى : إنا سمعنا منادياً ينادى للإيمان.
(آل عمران : ١٩٣) فالمراد بالمنادى الرسول. والإيمان هو القرآن. وذكر هذا مرة.
٤١ - والمنادى : كما فى الآية المتقدمة إذا كان المراد بالمنادى القرآن وبالإيمان التوحيد. وهذا ايضاً مذكور مرة.
٤٢ - وأمر : قال تعالى : ذلك أمر الله (الطلاق : ٥)
والأمر بهذا المعنى ذكره ٤ مرات.
٤٣ - وبشرىٰ : قال تعالى : هدى وبشرىٰ.
(النحل : ٢) وسماه به ٥ مرات.
٤٤ - والمجيد : قال تعالى : بل هو قرآن مجيد.
(البروج : ٢١) ووصفه بهذا مرتين.

٤٥ – والزبور : قال تعالى : ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر (الأنبياء : ١٠٥) عن سعيد بن جبير : إن الزبور القرآن. والذكر التوراة والإنجيل.

وبهذا المعنى ذكر مرة واحدة.

والزبور بمعنى المكتوب (وإنه لفى زبر الأولين) الشعراء.

٤٦ – والمبين : قال تعالى : تلك آيات الكتاب المبين (يوسف : ١ – ٢) وذكر هذا الوصف ١٨ مرة.

٤٧ – وبشير : قال تعالى : بشيراً و نذيراً (حم السجدة : ٤).

٤٨ – ونذير كما فى الآية المتقدمة.

وبهذا المعنى ذكر كلاهما مرة مرة.

٤٩ – وعزيز : قال تعالى : وإنه لكتاب عزيز (حم السجدة : ٤١).

وذكره بهذا المعنى مرة واحدة.

٥٠ – وبلاغ : قال تعالى : هذا بلاغ للناس (إبراهيم : ٥٢).

وسماه بهذا مرتين.

٥١ – وقصص : قال تعالى : أحسن القصص.

(يوسف : ٣) وسماه بهذا ٣ مرات.

٥٢ – وآيات بينات : قال تعالى : بل هو آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم (عنكبوت : ٤٩) وسماه بهذا سبع مرات.

٥٣ – والحكم : قال تعالى : وكذلك أنزلنا حكماً عربياً.

(الرعد : ٣٧) وسماه به ٣ مرات.

٥٤ – وسبيل الله : قال تعالى : ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله (الأنعام : ١٥٢) وسماه بهذا ٤٠ مرة.

٥٥ – وكلمة : قال تعالى : وتمت كلمة ربك (الأنعام : ١١٥) وسماه بهذا مرتين.

٥٦ - وكلمات الله : قال تعالى : لا مبدل لكلمات الله (الأنعام : ١١٥) وسماه بهذا ست مرات.

٥٧ - والحديث : قال تعالى : فعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفاً. (الكهف : ٦) وسماه به سبع مرات.

٥٨ - وفضل الله : قال تعالى : قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا (يونس : ٥٧) وسماه به ١٣ مرة.

وأربعة أسامٍ فى آية واحدة : قال تعالى :

٥٩ - فى صحف ٦٠ - مكرمة ٦١ - مرفوعة ٦٢ - مطهره (عبس : ١٣، ١٤) ذكرها مرة واحدة إلا لفظ صحف ومطهرة فإنهما ذكرا مرتين.

٦٣ - وبرهان : قال تعالى : يا أيها الناس قد جائكم برهان من ربكم (النساء : ١٧٤) وذكر هذا مرة.

٦٤ - وبينة : قال تعالى : قد جائتكم بينة من ر بكم (الأنعام : ١٥٧).

٦٥ - ومفصل : قال تعالى : وهو الذى بأنزل إليكم الكتاب مفصلاً (الأنعام : ١١٤) و ذكر مرة واحدة.

٦٦ - ونعمة الله : قال تعالى : فأصبحتم بنعمته إخواناً.

(آل عمران: ١٠٣) وذكرها بهذا المعنى ٦ مرات.

٦٧ - والكوثر : قال تعالى : إنا أعطيناك الكوثر (الكوثر : ١)

وذكره مرة واحدة.

٦٨ - والميزان : قال تعالى : الله الذى أنزل الكتاب بالحق والميزان (الشورى : ١١٧) وسماه به مرة واحدة.

٦٩ - والحجة البالغة : قال تعالى : فلله الحجة البالغة.

(الأنعام : ١٤٩) وسماه به مرة واحدة.

٧٠ - والتبيان : قال تعالى : ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شئ.

(النحل : ٨٩) وذكره مرة واحدة.

٧١ – والنجوم. قال تعالى : فلا أقسم بمواقع النجوم (الواقعة : ٧٥) ذكره مرة واحدة.

٧٢ – والنجم. قال تعالى : والنجم إذا هوىٰ.

(النجم : ١) ذكره مرة واحدة.

٧٣ – ومصدق : قال تعالى : وآمنوا بما أنزلت مصدقاً لما معكم.

(البقرة : ٤٢) و سماه به ١٠ مرات.

٧٤ – والعظيم : قال تعالي : ولقد آتيناك سبعا من المثانى و القرآن العظيم (الحجر : ٨٧) وسماه به ثلث مرات.

٧٥ – والمنزل : قال تعالى : والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق (الأنعام : ١١٤) ذكره مرة واحدة.

وقد ذكر المفسرون فى موضع كل لفظ منها وجه التسمية.

فقد علم أن هذه الأسماء تهدى إلى معرفة المسمىٰ وشرافته وفضيلته لأن كثرة الأسماءِ تدل على شرافة المسمىٰ.

******

المبحث الرابع : فى بيان حكمة نزول القرآن الكريم

إنزال القرأن الكريم من فعل الله الحكيم وفعل الحكيم لا يخلو عن الحكمة. وحِكَم أفعال الله تعالى يضيق عن إحاطتها نطاق البشر. ولكن أذكر بعضها مما ذكر فى القرآن الكريم.

١ – أنزل للهداية خصوصاً وعموماً : قال الله تعالى : هدى للمتقين (البقرة : ٢) هدى للناس (البقرة : ١٨٥) .

وذكر هذه الحكمة فى القرآن (٣٢) مرة.

٢ – وللشفاء.

٣ - وللرحمة.

٤ - وللموعظة : قال الله تعالى : يا أيها الناس قد جائتكم موعظة من ربكم وشفاء لمافى الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين (يونس : ٥٧).

وعدد ذكر هذه الثلثة مر فى ذكر الأسماءِ.

وذكر هذه الفائدة خمس مرات.

٥ - وللإنذار : قال الله تعالى : قيما لينذر باسا شديداً من لدنه (الكهف : ٢).

٦ - وللبشارة : قال تعالى : ويبشر الذين يعلمون الصالحات أن لهم أجراً حسناً (الكهف : ٢) وذكر هذه الحكمة تسع مرات.

٧ - وللبلاغ : قال تعالى : هذا بلاغ للناس (ابراهيم : ٥٢)

ومر ذكر عدده.

٨ - وللتدبر : قال تعالى : كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته (ص : ٢٩) وذكر هذه الحكمة مرة.

ووبخ الذين تركوا تدبر القرآن ثلث مرات (١) أفلا يتدبرون القرآن (النساء : ٨٢) (٢) محمد : ٢٤) (٣) أفلم يدبروا القول (المؤمنون : ٦٨).

٩ - وللتذكرة ، والتذكر ، والذكرىٰ : قال تعالى : وليتذكر أولوا الباب (ص : ٢٩) تذكرة لمن يخشىٰ (طه : ٣).

إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب (ق : ٣٧).

وذكر هذه الفائدة ٣١ مرة.

١٠ - وللإخراج من الظلمات الى النور : قال الله تعالى : كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور (ابراهيم : ١)

هو الذى ينزل على عبده آيات بينات ليخرجكم من الظلمات إلى النور (الحديد : ٩).

١١ - ولتبيان مافيه الإختلاف : قال الله تعالى : وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم (النحل : ٤٤) وقال تعالى : وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذى اختلفوا فيه (النحل : ٦٤).

فالقرآن لتشريح مسألة التوحيد والبعث وغيرهما مما اختلف فيه المنكرون. فالقرآن لدفع الإختلاف والإفتراق، لا لإنشاءِ التفرق، كما يزعم المنكرون الجاهلون عن القرآن.

البحث الخامس : فى بيان موضوع القرآن الكريم

وقد يعبر عنه بالدعوىٰ والعنوان والترجمة. قال الزركشى فى البرهان : قال الحافظ ابو طاهر السلفى : سمعت أبا مكرم النحوى ببغداد، وسئل : كل كتاب له ترجمة، فما ترجمة كتاب الله ؟ فقال : هذا بلاغ للناس ولينذروا به الآية (ابراهيم : ٥٢).

فأقول : إن موضوع القرآن إنما هو التوحيد. لأن فيه حفظ جوانب التوحيد من كل وجهٍ، ورد جميع أنواع الكفر والشرك المضادة للتوحيد والشواهد عليه هذه الآيات :

١ - قال الله تعالى : اتبع ما أوحى إليك من ربك لا إله إلا هو (الأنعام : ١٠٦).

فكلمة لا إله الا هو بدل أو بيان للفظ (ما).

٢ - وقال الله تعالى : كتٰب أحكمت آيته ثم فصلت من لدن حكيم خبير ان لا تعبدوا إلا الله (هود : ١، ٢).

قال الفراء : المعنى فصلت آياته بأن لا تعبدوا إلا الله.

وقال مقاتل : المراد بالعبادة التوحيد.

كذا قال ابن الجوزى فى زاد المسير.

٣ - وقال تعالى : فان لم يستجيبوا لكم فاعلموا أنما أنزل بعلم الله وأن

لا إلـه إلا هـو (هـود : ١٤) فـ (أن) إما معطوف على (إنما) أو معطوف على (عـلم الله) أى أيقنوا أنما أنزل بالتوحيد وخلع الأنداد والشركاءِ، فهو مقصود التنزيل.

٤ - وقـال تـعـالـى : هـذا بـلاغ لـلناس ولينذروا به وليعلموا أنما هو إله واحد (ابراهيم : ٥٢) أى القرآن أنزل للعلم بالتوحيد.

فالتوحيد هو المقصود بالذات.

وقد شهد به العلماء الراسخون فى كتبهم :

قـال شيـخ الإسـلام ابن القيم رحمه الله : بل نقول قولاً كلياً : إن كل آية فـى الـقـرآن فهـى متضمنة للتوحيد، شاهدة به ،داعية إليه. فإن القرآن (١) إما خبـر عـن الله وأسـمائه وصفاته وأفعاله فهو التوحيد العلمى الخبرى (٢) وإما دعـوة إلى عبادته وحده لا شريك له وخلع كل ما يعبد من دونه فهو التوحيد الإرادى الـطلبى (٣) وإما أمر ونهى وإلزام بطاعته فهى نهيه وأمره فهى حقوق التـوحيـد ومكملاته. (٤) وإما خبر عن كرامة الله لأهل توحيده وطاعته، وما فعل بهم فى الدنيا وما يكرمهم به فى الآخرة فهو جزاء توحيده. (٥) وإما خبر عـن أهل الشرك وما فعل بهم فى الدنيا من النكال وما يحل بهم فى العقبىٰ من الـعـذاب، فهو خبر عن من خرج عن حكم التوحيد. فالقرآن كله فى التوحيد وحقوقه وجزائه وفى شان الشرك وأهله وجزائهم.

(مدارج السالكين : ٣/٤٥٠).

وكـذا قـال مـلا عـلـى الـقارى فى شرحه للفقه الأكبر : فالقرآن كله فى التـوحيـد وحـقـوق أهـله وثنائهم وفى شان ذم الشرك وعقوق أهله وجزائهم (١٠/١) وقال أيضاً : إن القرآن ما أنزل إلا لتقرير التوحيد

(المرقاة : ٢/١٦٨).

ثم اعلم : أن المقاصد ثلثة أنواع : النوع الأول : يتعلق بكل القرآن من

حيث المجموع. والنوع الثانى: يتعلق بكل سورة على حدة. والنوع الثالث: يتعلق بالآيات الفذة. وبعد المقاصد الثلثة تتمة.

النوع الأول: من المقاصد الثلاثة ما يتعلق بمجموع القرآن.

إعلم: أن فى القرآن ست مهمات وأصولاً بها استكمال الدين وكل منها ممد للآخر: التوحيد، وصدق الرسول، وصدق القرآن، والإيمان بالآخرة، والجهاد، والإنفاق فى سبيل الله. والقرآن الكريم بين هذه الأمور بوجوه مختلفة من البيان والتوضيح، فلا بد لنا أن نذكر تفصيلها من القرآن الكريم وكيفية بيانها.

******

الأصل الأول: التوحيد

فلا بد من معرفته أولاً، ومعرفة ضده ثانياً.

فالتوحيد كما في شرح المقاصد: اعتقاد عدم الشريك في الألوهية وخواصها (٦٤/٢).

وقال ابن القيم رحمه الله: التوحيد إثبات صفات الكمال لله وتنزيهه من أضدادها وعبادته وحده لاشريك له هذا هو التوحيد في الشرع.

وله معان مخالفة للشرع منها: توحيد الفلاسفة انكار ماهية الله الزائدة على وجوده تعالى وإنكار الصفات الزائدة على الوجود.

ومنها: توحيد الجهمية إنكار صفة الله تعالى بالعلو و الفوقية على العرش، ووجهه ويده مثلاً.

و منها: توحيد القدرية إعتقاد أن كسب العباد ليس من خلق الله بل من خلق العبد. ومنها: توحيد الصوفية القائلين بوحدة الوجود وهم أهل الإتحاد والحلول ليس عندهم وجودان بل وجود المخلوق وجود الخالق لا غير.

ومنها: توحيد الجهلة في كل زمان: الإقرار بخالقيته تعالىٰ فقط مع تجويزهم الإشراك بعقيدة الوسيلة.

ثم اعلم: أن مادة لفظ التوحيد ثابتة بالقرآن كما قال الله تعالى: وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده. وآيات أخر.

وبالأحاديث الكثيرة. ففي مسلم (٣٧/١) من وحد الله وكفر بما يعبد من دونه وكذا كبر الله وحده. وفي مسلم (بني الاسلام على خمس. وأن يوحد الله) (٣٢/١) وكذا في مسند احمد (١١٢/٤) ولفظ التوحيد في سنن الترمذي (٢٣٣/١) وابوداود (٣٥٦/١) و في مسند أحمد (١٨٢/٢)

أقر بالتوحيد. وفى ابن ماجه لفظ التوحيد (٢/١٩٩) وغيرها كثيرة.

وأقول : هو الإعتقاد بأن الله تعالى موجود لا شريك له فى ذاته ولا فى صفاته ولا فى حقوقه المختصة به تعالى. فالمنكر عن وجود الله تعالى هو الملحد الدهرى الكافر، وكل دليل للتوحيد المذكور فى القرآن الكريم أو الموجود فى العقول السليمة هو دليل وجوده تعالى.

ولتفصيل تلك الدلائل ودفع إشكالات الملحدين لا بد من مطالعة كتابنا المسمىٰ بـ (سيرة الإزم عن دسيسة سوشلزم) أى الشيوعية.

ومنكر التوحيد فى الذات أو الصفات أو الخواص مشرك كافر.

فلذا نذكر ثانياً تفصيل بيان الشرك الذى هو ضد التوحيد. لأن الأشياء تعرف بأضدادها.

فالشرك فى اللغة بمعنى (حصه دارى) وإعطاء النصيب والحصة. وهو فى القرآن بهذا المعنى ذكر خمس مرات.

قال تعالى : فان كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء فى الثلث (النساء : ١٢). وقال تعالى : وإن يكن ميتة فهم فيه شركاء (الأنعام : ١٣٩).

وقال تعالى : وأشركه فى أمرى [طه : ٣٢].

وقال تعالى : هل لكم مما ملكت أيمانكم من شركاء فيما رزقناكم فأنتم فيه سواء [الروم : ٢٨].

وقال تعالى : ضرب الله مثلاً رجلاً فيه شركاء متشاكسون [الزمر : ٢٩].

ففى هذه المواضع : الشركة بالمعنى اللغوى.

والشرك اصطلاحاً الذى ذمه الله تعالى فى القرآن (١٦١) مائة وإحدىٰ وستين مرة. وذكر فى تقبيحه أموراً أربعة. قال تعالى : إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء، ومن يشرك بالله فقد افترىٰ إثماً عظيماً [النساء : ٤٨].

وقـال الله تـعـالـى : ومـن يشـرك بـالله فـقـد ضل ضلالاً بعيداً [النساء : ١١٦]. الآية الأولـى : فيهـا رد عـلـى شـرك الأحبـار والعلماء السوء والرهبان السـوء فـإنهم يشركون ويسندون تجويزه إلى الله تعالى وآياته افتراءً عليه فلذا ذكر لفظ الافتراءِ هناك.

والآية الثانية : فيها رد شرك العوام الذين هم كالأنعام.

وقـال تـعالى : إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار [المائدة : ٧٢].

وقـال تـعـالـى : ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماءِ فتخطفه الطير أو تهوى به الريح فى مكان سحقيق [الحج : ٣١].

فـى هـذه الآية شبـه الإيـمـان والتـوحيـد بـالسـماءِ وشبه تارك التوحيد و الـمـعـرض عـنه بالساقط منه إلى أسفل السافلين. والشياطين الجنية والإنسية بـالـطـير لأن الشـيـاطيـن تـؤزه عـلـى الشرك أزاً. فلكل شيطان له مزعة من دينه وقـلـبـه، كـمـا أن لـكل طير فرعة من لحم الميتة وأعضائها. والريح هواه الذى يحمله على القاءِ نفسه فى مهواة الإلحاد والضلال.

فـالـمعرض عن التوحيد إما ميتة الشرك نجس تخطف دينه وعرضه وماله شيـاطيـن الأحبـار والـرهبان، وإما ملحد دهرى اشتراكى أو شيوعى منكر عن وجود الموجود الحقيقى والمعبود الحق.

فهذا الشرك المذموم ما هو ؟

نذكر مفهومه ومصداقه من أهل العلم بالقرآن.

قـال الإمـام مـحـمـد الراغب الأصفهانى المتوفى سنة (٥٠٢ هـ) : شرك الإنســان فـى الـديـن ضـربان : احدهما : الشرك العظيم وهو اثبات شريك لله تـعـالـى. يـقـال : أشرك فلان بالله ذلك أعظم كفر. والثاني : الشرك الصغير. وهو مراعاة غير الله معه فى بعض الأمور وهو الرياء والنفاق

(المفردات ص : ٣٦٠).

وقال الإمام شاه ولي الله الدهلوي : حقيقة الشرك أن يعتقد إنسان في بعض المعظمين من الناس : أن الآثار العجيبة الصادرة منه إنما صدرت لكونه متصفاً بصفة من صفات الكمال مما لم يعهد في جنس الإنسان بل يختص بالواجب جل مجده، لا يوجد في غيره إلا أن يخلع هو خلقه الألوهية على غيره أو يفني غيره في ذاته ويبقىٰ بذاته أو غير ذلك مما يظنه هذا المعتقد من أنواع الخرافات فيتذلل عنده أقصى التذلل ويعامل معه معاملة العباد مع الله تعالى (حجة الله البالغة : ٩٨).

وقال في الفوز الكبير ص (٣) : والشرك أن يثبت لغير الله سبحانه وتعالىٰ شيئاً من صفاته المختصة به... انتهى.

وقال التفتازاني في شرحه على العقائد النسفية ص (٥٦) : الإشراك هو إثبات الشريك في الألوهية بمعنى وجوب الوجوب كما للمجوس أو بمعنى مستحق العبادة كما لعبدة الأصنام.

وفي موضح القرآن للشاه عبد القادر الدهلوي ما تعريبه : أن الشرك أن يعتقد الصفة المختصة به تعالى في غيره كأن يعتقد أنه عالم الغيب ويعلم كل شئ، وهو فعال لما يريد. أو هو مالك النفع والضرر، أو يعظمه بتعظيم الله تعالىٰ، كأن يسجد له أو يدعوه في الحوائج معتقداً أنه مختار لها (تحت تفسير البقرة : ٢٢١).

فهذه العبارات مما يوضح حقيقة الشرك.

******

بحث أقسام الشرك

إعلم : أن الشرك في التفصيل له أنواع كثيرة،لأن الإشراك بالله تعالىٰ في كل صفة مختصة به تعالى نوع من الشرك، وكذا الإشراك في كل حق من

حقوقه تعالى نوع مستقل والصفات والحقوق الإلهية كثيرة، فالأنواع للشرك بحنبها كثيرة لكنها فى الأصل ترجع إلى نوعين شرك اعتقادى وشرك فعلى.

والأول على أربعة أقسام:

الشرك فى الربوبية. الشرك فى الألوهية. الشرك فى الأسماءِ والصفات. الشرك فى التشريع.

ثم إن الشرك فى القدرة والتصرف من أنواع الشرك فى الربوبية. والشرك فى العلم من أنواع الشرك فى الصفات. والشرك فى العبادة والدعاءِ من أنواع الشرك فى الألوهية. والشرك الفعلى أعنى فى التحليل والتحريم - من أنواع الشرك فى التشريع. فتقسيم الشرك الى الشرك فى العلم والشرك فى التصرف والشرك فى الدعاءِ والشرك فى العبادة اصطلاح خاص بمشائخنا الكرام، ولا مشاحة فى الإصطلاح.

فنذكر هذه الأقسام بالنهج الذى ساقه القرآن الكريم على سبيل النفى عن غير الله والإثبات له تعالى.

البحث الأول: فى الشرك فى العلم

فالشرك فى العلم: هو ان يعتقد أن غيره تعالى يعلم الغيب ويعلم جميع ما كان وما يكون مثل علمه تعالىٰ. والمراد بالغيب ما لايدرك بالحس ولا بالعقل ولا بالوحى، وهو الغيب الحقيقى وهو العلم بلا سبب.

فاثبات العلم لله تعالىٰ فى مواضع كثيرة:

١ - قال ألم أقل لكم إنى أعلم غيب السموات والأرض و أعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون (البقرة: ٣٣).

٢ - يعلم سركم وجهركم ويعلم ما تكسبون (الأنعام: ٣).

٣ - وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو (الأنعام: ٥٩).

٤ - وما تكون فى شأن وما تتلو منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا

كنا عليكم شهوداً اذ تفضيون فيه وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماءِ ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا فى كتاب مبين (يونس : ٦١).

٥ - ألا إنهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه ألا حين يستغشون ثيابهم يعلم ما يسرون وما يعلنون إنه عليم بذات الصدور (هود : ٥).

٦ - وما من دابة فى الأرض إلا على اللّٰه رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها (هود : ٦).

٧ - ولله غيب السموات والأرض (هود : ١٢٣).

٨ - اللّٰه يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام وما تزداد وكل شئ عنده بمقدار عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال، سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف باليل وسارب بالنهار (رعد : ١٠٨).

٩ - ربنا إنك تعلم ما نخفى وما نعلن وما يخفى على اللّٰه من شئ فى الأرض ولا فى السماءِ (ابراهيم : ٣٨).

١٠ - ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين. (الحجر : ٢٤).

١١ - واللّٰه يعلم ما تسرون وما تعلنون (النحل : ١١٩).

١٢ - لاجرم أن اللّٰه يعلم ما يسرون وما يعلنون (النحل : ٢٣).

١٣ - ولله غيب السموات والأرض (النحل : ٧٧).

١٤ - ربكم أعلم بما فى نفوسكم (اسراء : ٢٥).

١٥ - وربك اعلم بمن فى السموات والأرض (اسراء : ٥٥).

١٦ - قل اللّٰه أعلم بما لبثوا له غيب السموات والأرض أبصر به وأسمع مالهم من دونه من ولى ولا يشرك فى حكمه أحداً (الكهف : ٢٦).

١٧ - قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد

كلمات ربى ولو جئنا بمثله مدداً (الكهف : ١٠٩).

١٨ - لقد أحصاهم وعدهم عداً (مريم : ٩٤).

١٩ - وإن تجهر بالقول فانه يعلم السر وأخفى (طه : ٧).

٢٠ - قال علمها عند ربى فى كتاب لا يضل ربى ولا ينسى (طه : ٥٢).

٢١ - إنما الهكم الله الذى لاإله الا هو وسع كل شئ علماً.
(طه : ٩٨).

٢٢ - يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علماً.
(طه : ١١٠).

٢٣ - إنه يعلم الجهر من القول ويعلم ما تكتمون (الأنبياء : ١١٠).

٢٤ - قال ربى يعلم القول فى السماءِ والأرض وهو السميع العليم
(الأنبياء)

٢٥ - ألم تعلم أن الله يعلم مافى السموات والأرض (الحج : ٧٠).

٢٦ - وما كنا عن الخلق غافلين (المؤمنون : ١٧).

٢٧ - نحن أعلم بما يصفون (المؤمنون : ٩٥).

٢٨ - قد يعلم ما أنتم عليه ويوم يرجعون إليه فينبئهم بما عملوا والله
بكل شئ عليم (النور : ٦٤).

٢٩ - قل أنزله الذى يعلم السر فى السموات والأرض (الفرقان : ٦).

٣٠ - قال ربى يعلم بما تعملون (الشعراء : ١٨٨).

٣١ - وإن ربك ليعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون (النمل : ٧٣).

٣٢ - وما من غائبة فى السماءِ والأرض إلا فى كتاب مبين
(النمل : ٤٥).

٣٣ - وربك يعلم ما تكن صدورهم و ما يعلنون (القصص : ٦٩).

٣٤ - إن الله يعلم ما تدعون من دونه من شئ (العنكبوت : ٤٢).

٣٥ - إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما فى الأرحام وما تدرى نفس ماذا تكسب غداً وماتدرى نفس بأى أرض تموت إن الله عليم خبير (لقمان : ٣٤).

٣٦ - ذلك عالم الغيب والشهادة العزيز الرحيم (آلم سجدة : ٦).

٣٧ - إن الله كان بما تعملون خبيراً (الأحزاب : ٢).

٣٨ - وكان الله بكل شئ عليماً (الاحزاب : ٤٠).

٣٩ - والله يعلم ما فى قلوبكم وكان الله عليماً حليماً (الاحزاب : ٥١).

٤٠ - يعلم ما يلج فى الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماءِ وما يعرج فيها (سبأ : ٢).

٤١ - عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة فى السموات ولا فى الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا فى كتاب مبين (سبأ : ٣).

٤٢ - إن الله عالم غيب السموات والارض إنه عليم بذات الصدرو (فاطر : ٣٨).

٤٣ - وهو بكل خلق عليم (يس : ٧٩).

٤٤ - وهو أعلم بما يفعلون (الزمر : ٧٠).

٤٥ - ربنا وسعت كل شئ رحمة وعلماً (حم مؤمن : ٧).

٤٦ - يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور (حم مؤمن : ١٩).

٤٧ - إليه يرد علم الساعة وما تخرج من ثمرات من أكمامها وما تحمل من انثى ولاتضع الا بعلمه (حم سجدة : ٤٧).

٤٨ - انه عليم بذات الصدور (حم شورىٰ : ٢٩).

٤٩ - وعند علم الساعة واليه ترجعون (حم زخرف : ٨٥).

٥٠ - هو أعلم بما تفيضون فيه كفى به شهيداً بينى وبينكم

(حم أحقاف : ٨).

٥١ – قل إنما العلم عند الله (الاحقاف : ٢٣).

٥٢ – والله يعلم أسرارهم (محمد : ٢٦).

٥٣ – والله يعلم أعمالكم (محمد : ٣).

٥٤ – وكان الله بكل شئ عليماً (الفتح : ٢٦).

٥٥ – إن الله يعلم غيب السموات والارض والله بصير بم تعملون (الحجرات : ١٨).

٥٦ – قد علمنا ما تنقص الأرض منهم (ق : ٤).

٥٧ – ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد (ق : ١٦).

٥٨ – إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بمن اهتدى (النجم : ٣٠).

٥٩ – يعلم ما يلج فى الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماءِ وما يعرج فيها وهو معكم اينما كنتم والله بما تعلمون بصير (الحديد : ٤).

٦٠ – ألم تر أن الله يعلم مافى السموات وما فى الارض ما يكون من نجوىٰ ثلثة إلا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا اكثر الا وهومعهم اينما كانوا (المجادلة : ٧).

٦١ – عالم الغيب والشهادة (الحشر : ٢٢).

٦٢ – وأنا اعلم بما أخفيتم وما أعلنتم (الممتحنة : ١).

٦٣ – يعلم ما فى السموات والارض ويعلم ما تسرون وما تعلنون والله عليم بذات الصدور (التغابن : ٤).

٦٥ – وأسروا قولكم أو اجهروا به انه عليم بذات الصدور الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير (الملك : ١٣، ١٤).

٦٦ – ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين (القلم : ٧).

٦٧ – عالم الغيب (الجن : ٢٦).

٦٨ – انه يعلم الجهر وما يخفى (الأعلىٰ : ٧).

٦٩ – ان الله لا يخفى عليه شئ فى الارض ولا فى السماءِ (آل عمران : ٥).

٧٠ – قل إن تخفوا ما فى صدوركم أو تبدوه يعلمه الله ويعلم ما فى السموات وما فى الأرض (آل عمران : ٢٩

٧١ – والله بكل شئ عليم (النساء : ١٧٧).

٧٢ – لتعلموا أن الله يعلم ما فى السموات وما فى الارض إن الله بكل شئ عليم (المائدة : ٩٧).

هذا انتخاب آيات فيها ذكر علم الله تعالى. ولا حصر فيها بل الآيات فى هذا الباب كثيرة بل اثبات صفة العلم لله تعالى بلفظ عالم، وعليم، وأعلم، وعلام متعدد الورود فى القرآن. فلفظ (العالم) بالاضافة إلى الغيب فى صفة الله تعالى ذكر ثلاث عشرة مرة.

ولفظ (عليم) فى صفة الله تعالى ورد مائة وستا وخمسين مرة.

ولفظ (أعلم) فى وصف الله تعالى ذكر ثمانى وأربعين مرة.

ولفظ (علّام) ورد فى صفة الله تعالى أربع مرات. وكذا توصيفه بوصف الخبر والشهيد والسميع والبصير يقرب إلىٰ هذا.

* * * * * *

بحث نفى الغيب عن غيره تعالى:

ورد هذا النفى بعنوانات مختلفة (١) عن الملائكة (٢) والأنبياءِ (٣) وعن الجن (٤) وعن كل معبود من دون الله (٥) وعن جميع الخلق عموماً.

أما عن الملائكة : فقال تعالى : سبحنك لاعلم لنا إلا ماعلمتنا انك انت العليم الحكيم (البقرة : ٣٢).

وأما عن الأنبياءِ فقال تعالى :

١ – وكنت عليهم شهيداً مادمت فيهم فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شئ شهيد (المائدة : ١١٧).

٢ – يوم يجمع الله الرسل فيقول : ماذا أجبتم قالوا : لا علم لنا انت العلام الغيوب (المائدة : ١٠٩).

٣ – قل لا أقول لكم عندى خزائن الله ولا أعلم الغيب (الأنعام : ٥٠).

٤ – يسئلونك عن الساعة أيان مرسٰها قل انما علمها عند ربى.
(الأعراف : ١٨٧)

٥ – ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء
(الاعراف : ١٨٨).

٦ – وممن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم (التوبة : ١٠١).

٧ – ولا أقول لكم عندى خزائن الله ولا اعلم الغيب (هود : ٣١).

٨ – ولا تقولن لشئ انى فاعل ذلك غداً الا ان يشاء الله
(الكهف : ٢٣).

٩ – ما كان لى من علم بالملأ الاعلىٰ اذ يختصمون (ص : ٦٩).

١٠ – احطت بما لم تحط به (النمل : ٢٢).

١١ – فلا تسألن ما ليس لك به علم (هود : ٤٦).

١٢ – وما أدرى ما يفعل بى ولا بكم (الأحقاف : ٩).

١٣ – قل إن أدرى أقريب ما توعدون أم يجعل له ربى أمداً .
(الجن : ٢٥).

١٤ - إن أدرى أقريب أم بعيد ما توعدون (الأنبياء : ١٠٩).

وأما عن الجن فقال تعالى :

١ - فلما تبينت الجن أن لن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا فى العذاب المهين (سبأ : ١٤).

٢ - وأنا لا ندرى أشرّ أريد بمن فى الأرض أم اراد بهم رشداً (الجن : ١٠).

وأما عن كل معبود من دون الله فقال تعالى :

١ - فكفىٰ بالله شهيداً بيننا وبينكم أن كنا عن عبادتكم لغافلين . (يونس : ٢٩).

٢ - إن تدعوهم لايسمعوا دعائكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير (فاطر : ١٤).

٣ - ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون واذا حشر الناس كانوا لهم أعداءً وكانوا بعبادتهم كافرين (الأحقاف :٥، ٦).

٤ - وما يشعرون أيان يبعثون (النحل : ٢١).

وأما على سبيل العموم عن جميع الخلق فقال تعالى :

١ - قل لا يعلم من فى السموات و الارض الغيب الا الله ومايشعرون أيان يبعثون (النمل : ٦٥).

٢ - عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا (الجن : ٢٦)

٣ - وما يعلم جنود ربك الا هو (المدثر : ٣١).

٤ - وما تدرى نفس ماذا تكسب غداً وما تدرى نفس بأى أرض تموت (لقمان : ٣٤).

تنبيه : إعلم أن فى إثبات العلم لله تعالىٰ ونفيه عن غير الله تعالى

إطلاقات أربعة :

❁ علـم الغيب : أى العلم بلا سبب. كما فى قوله تعالى : قل لا يعلم من فى السموات والارض الغيب الا الله (النمل : ٦٥).

❁ وعـلـم مفاتيح الغيب. كما فى قوله تعالى : ﴿ وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو (الأنعام : ٥٩) ومفاتح الغيب خمسة كما فى قوله تعالىٰ ﴿ ان الله عنـده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم مافى الأرحام وما تدرى نفس ماذا تكسب غداً وما تدرى نفس بأى أرض تموت (لقمان : ٣٤).

❁ والعلم الكلى : أى علم جميع الجزئيات وأجزائها كما فى قوله تعالى: ويعـلـم مـا فـى البر والبحر وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة فى ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس الا فى كتاب مبين (الأنعام : ٥٩).

وكما فى قوله تعالى : وهو بكل شئ عليم (البقرة : ٢٩)

❁ الـعـلـم المحيط : أى الشامل لكل زمان ومكان وغيرهما من الأزل إلى الأبـد : كـمـا فـى قـوله تعالى : وأن الله أحاط بكل شئ علماً (الطلاق : ١٢) وأحاط بما لديهم وأحصى كل شئ عدداً (الجن : ٢٨).

إعـلم : أن هذه الآيات بينات فى مسألة العلم الخاص بالله تعالى. ونذكر فيهـا بـعـض الأحـاديـث الـصـحيحة وأقوال العلماءِ والفقهاءِ تشريحاً وتنويراً وتنشيطاً وتأييداً.

الاحاديث :

الحديث الأول : عـن ابـن عبـاس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صـلـى الله عـليه وسلم : (.. سيجاء برجال من أمتى فيؤخذ بهم ذات الشمال فـأقـول : يـارب أصـحـابى فيقول : إنك لاتدرى ما أحدثوا بعدك (البخارى : ٩٦٦/٢) ومسلم : ٣٨٤/٢).

وكـذا عن ابن مسعود وحذيفة وأنس أبى سعيد الخدرى وسهل بن سعد

رضى الله عنهم بلفظ : (إنك لاتدرى ما أحدثوا بعدك).

وفى رواية أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنهما :

(يارب منى ومن أمتى ! فيقال : هل شعرت ما عملوا بعدك ؟).

وفى رواية عائشة رضى الله عنها : (إنك لا تدرى ما عملوا بعدك).

وفى رواية أبى هريرة رضى الله عنه :

(إنك لا علم لك بما أحدثوا بعدك).

هذه الروايات متفق عليها إلا رواية أبى هريرة فانه تفرد بتخريجه البخارى (٢/٩٧٤) ورواية عائشة فانه تفرد بها مسلم (٢/٢٤٩).

وقال الإمام النووى فى شرحه لمسلم : (المراد به المنافقون والمرتدون .. إن المراد به أصحاب المعاصى و الكبائر الذين ماتوا على التوحيد، وأصحاب البدع الذين لم يخرجوا ببدعتهم عن الإسلام) (١/١٢٢).

وقال العلامة العينى فى شرحه للبخارى : (هم الذين ارتدوا على عهد أبى بكر رضى الله عنه فقاتلهم ابو بكر رضى الله عنه حتى قتلوا وماتوا على الكفر (عمدة القارى : ٢٣/١٠٧).

أقول : ههنا حديثان : الأول ماليس فيه ذكر الحوض كما ذكرنا هذه الرواية سابقاً فهو فى حق المرتدين. والثانى : فيه ذكر الحوض وفيه : فسحقاً سحقاً لمن غيّر بعدى، فهو فى شان المبتدعين عقيدةً وعملاً وقولاً. فافهم !

ففى هذه الرواية شهادة صريحة بأن النبى صلى الله عليه وسلم لا يعلم الغيب إلى يوم القيامة ولا ارتداد المرتدين، ولا ابتداع المبتدعين المبدلين المغيرين لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين ارتدوا وأحدثوا البدع فى الدين بعد وفات النبى صلى الله عليه وسلم.

والحديث الثانى :

عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه و

سلم : (إن الناس يصعقون فأكون أول من يفيق، فاذا موسى باطش بجانب العرش فلا أدرى أكان فيمن صعق فأفاق قبلى أو كان ممن يستثنى الله تعالىٰ (البخارى : ١/٤٨٤) ومسلم (٢/٢٦٧).

ومثله عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه متفق عليه.

والحديث الثالث :

عن أنس رضى الله عنه (فى حديث الشفاعة) فاستاذن على ربى فيؤذن لى ويلهمنى محامد أحمده به لا تحضرنى الآن... الحديث) البخارى ٢ ومسلم (١/١١٠).

ففى هذه الأحاديث الثلثة رد صريح على من يقول - من أهل البدع - : أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يكن يعلم الغيب أولاً، ثم أوتى فى آخر النبوة، لأن هذه الأحاديث تدل علىٰ أنه لا يعلم الغيب حتى فى يوم البعث والحشر.

والحديث الرابع :

عن أم سلمة - رضى الله عنها - قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إنما أنا بشر وإنه يأتينى الخصم فلعل بعضاً أن يكون أبلغ من بعض فأقضى له بذلك وأحسب أنه صادق فمن قضيت له بحق مسلم فإنما هى قطعة من النار فليأخذها اوليدعها (البخارى : ٢/١٠٦٥) مسلم (٢/٧٤).

قال العلامة ابن حجر : أى كواحد من البشر فى عدم علم الغيب (فتح البارى : ١٢/٢٨٥). وقال ايضا : أتى به رداً على من زعم ان من كان رسولاً فانه يعلم كل غيب حتى لا يخفى عليه المظلوم (فتح البارى : ١٣/١٤٧).

قال العلامة العينى : أى كواحد منكم ولا أعلم الغيب وبواطن الأمور كما هو مقتضى الحالة البشرية (عمدة القارى : ٢٤/١٦٦).

والحديث الخامس :

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن أسود رجلاً أو امرأة كان يكون في المسجد يقم المسجد فمات ولم يعلم النبي بموته ... (وفي آخره) قال فدلوني على قبره. قال: فأتى قبره فصلى عليه.

(البخاري: ١٧٨/١) مسلم (٣٠٩/١).

والأحاديث في هذا الباب كثيرة جداً حتى أورد الشيخ غلام الله خان (راو البندي) رحمه الله في كتاب التوحيد له خمسين حديثاً وعددت أنا في كتاب مشكاة المصابيح (١٢٠) حديثاً.

أقوال العلماءِ:

قالت عائشة رضي الله عنها: (من حدثك انه يعلم الغيب فقد كذب وهو يقول: لا يعلم الغيب الا الله (البخاري: ١٠٩٨/٢).

وقال الشافعي رحمه الله: إن الله تعالى استأثر بعلمه الغيب (كتاب الأم: ٢٠٢/٢).

وقال الخفاجي في شرح الشفاء: فانه لا يعلم جميع المغيبات إلا الله تعالىٰ (نسيم الرياض: ٢٦٥/٤).

وقال حسن بن منصور قاضي خان الحنفي: رجل تزوج امرأة بغير شهود فقال الرجل للمرأة: خدائي را وپيغمبر راگواه كرديم (أي الله ورسوله شاهدان) قالوا: يكون كفراً، لأنه اعتقد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلم الغيب وهو ما كان يعلم الغيب حين كان في الاحياءِ فكيف بعد الموت؟ (فتاوى قاضي خان: ٥٧٦/٣).

وكذا في خلاصة الفتاوى لطاهر بن عبد الرشيد الحنفي (٣٨٥/٤) البحر الرائق لابن نجيم (٨٨/٣) وعالمگيرية (٢٨٣/٢).

وقال في البزازية (٣٢٦/٦) على هامش العالمگيرية والبحر الرائق (١٢٤/٥) ومجموعة الفتاوى (٥/٣) من قال: إن أرواح المشائخ حاضرة

تعلم يكفر.

وفى المرقاة (٣/١٠٠) : الكفر على اعتقاد أنه عالم الغيب.

وقال الملاعلى السلطان القارى وذكر الحنفية تصريحاً بالتكفير باعتقاد أن النبى صلى الله عليه وسلم يعلم الغيب (شرح الفقه الأكبر : ١٣٧).

وقال الشامى : إن دعوىٰ علم الغيب معارضة لنص القرآن فيكفر بها. (رد المحتار : ٣/٢٩٧).

وقال العلامة الآلوسى فى تفسير سورة لقمان : والذى ينبغى أن يعلم أن كل غيب لا يعلمه إلا الله عز وجل. وليس المغيبات محصورة بهذا الخمس (روح المعانى : ٢١/١١٢) وقال : فى الآية رد على ما ينسب لبعض الأولياءِ علم كل شئ من الكليات والجزئيات (روح المعانى : ١٠/٢٦).

والتفصيل أزيد من هذا كتبنا فى تفسير أم القرآن المسمىٰ بالتبيان.

******

المبحث الثانى : فى الشرك فى التصرف

والتصرف اسم جامع لجميع صفات الملكية والملوكية والخلق والأمر والتدبير والقدرة والربوبية والإحياءِ والإمامة وغيرها.

فاعتقاد أن غيره تعالى يملك النفع والضر ويتصرف فى جميع الأمور من غير حاجة إلىٰ الأسباب شرك فى التصرف.

وههنا أيضاً عنوانان :

١ - إثبات هذا التصرف لله تعالىٰ.

٢ - ونفيه عن غيره تعالى:

أما إثبات التصرف لله تعالىٰ : فله عبارات كلية أربع :

١ - حرف اللام التى تدل على المِلك والمُلك.

٢ - ولفظ مالك ومليك.

٣ - ولفظ مُلك وملكوت.

٤ - ولفظ الحكم.

أما العبارة الأولى : فقد ذكرت سبعا وثلاثين مرة.

١ - قال الله تعالى : قل لله المشرق والمغرب (البقرة : ١٤٢)

٢ - انا لله وانا اليه راجعون (البقرة : ١٥٦)

٣ - لله ما فى السموات وما فى الارض (البقرة : ٢٨٤)

٤ - ولله ما فى السموات وما فى الارض (آل عمران : ١٠٩)

٥ - وكذا فى آل عمران (١٢٩)

٦ - ولله ميراث السموات والارض (آل عمران : ١٨٠)

٧ - ولله ملك السموات والارض (آل عمران : ١٨٩)

٨ - ولله ما فى السموات وما فى الارض (النساء : ١٧١)

٩ - وكذا فى (١٣١) ١٠ - (١٣٢) ١١ - و (١٧٠)

١٢ - له ما فى الارض (النساء : ١٧١)

١٣ - ولله ملك السموات والارض (المائدة : ١٧)

١٤ - وكذا فى (١٨)

١٥ - وكذا فى (١٢٠)

١٦ - قل لمن ما فى السموات والارض قل لله (الأنعام : ١٢)

١٧ - قل ان صلاتى ونسكى ومحياى مماتى لله رب العالمين (الأنعام : ١٦٢)

١٨ - ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده (الأعراف : ١٢٨)

١٩ - الا ان لله ما فى السموات والارض (يونس : ٥٥)

٢٠ - وكذا فى (٦٦)

٢١ - الله الذى له مافى السموات والارض (ابراهيم : ٢)

٢٢ – ولله ملك السموات والارض (النور : ٤٢)

٢٣ – الا ان لله ما فى السموات والارض (النور : ٦٤)

٢٤ – لله الأمر من قبل ومن بعد (الروم : ٤)

٢٥ – لله ما فى السموات والارض (لقمان : ٢٧)

٢٦ – لمن الملك اليوم لله الواحد القهار (غافر : ١٦)

٢٧ – لله ملك السموات والارض يخلق ما يشاء (الشورى : ٤٩

٢٨ – صراط الله الذى له ما فى السموات وما فى الارض (الشورى : ٥٢)

٢٩ – ولله ملك السموات والارض (الجاثية : ٢٧)

٣٠ – ولله جنود السموات والارض (الفتح : ٤)

٣١ – وكذا فى (٧)

٣٢ – لله ملك السموات والارض (الفتح : ١٤)

٣٣ – فلله الآخرة والأولى (النجم : ٢٥)

٣٤ – ولله ما فى السموات ومافى الارض (النجم : ٣١)

٣٥ – له ملك السموات والارض (الحديد : ٥)

٣٦ – ولله خزائن السموات والارض (المنافقون : ٧)

٣٧ – وله ما سكن فى الليل والنهار وهو السميع العليم (الأنعام : ١٣)

وأما العبارة الثانية فكما قال تعالى :

١ – مالك يوم الدين (الفاتحة : ٤)

٢ – قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء (آل عمران : ٢٦)

٣ – عند مليك مقتدر (القمر : ٥٥)

وأما لفظ الملك كما فى قوله تعالى :

١ – ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض (البقرة : ١٠٧)

٢ - مالك الملك تؤتى الملك من تشاء (آل عمران : ٢٦)

٣ - ولله ملك السموات والارض (آل عمران : ١٨٩)

٤ - ولله ملك السموات والارض و ما بينهما (المائدة : ١٧)

٥ - و كذا فى (١٨) ٦ - و كذا فى (٤٠)

٧ - وكذا فى (١٢٠)

٨ - وله الملك يوم ينفخ فى الصور (الأنعام : ٧٣)

٩ - الذى له ملك السموات والأرض (الأعراف : ١٥٨)

١٠ - ان الله له ملك السموات والارض (التوبة : ١١٦)

١١ - الملك يومئذ لله (الحج : ٥٦)

١٢ - ولله ملك السموات والارض (النور : ٤٢)

١٣ - الذى له ملك السموات والارض (الفرقان : ٢)

١٤ - الملك يومئذ الحق للرحمن (الفرقان : ٢٦)

١٥ - ذلكم الله ربكم له الملك (الفاطر : ١٣)

١٦ - ذلكم الله ربكم له الملك (الزمر : ٢)

١٧ - قل لله الشفاعة جميعاً له ملك السموات والارض (الزمر : ٤٤)

١٨ - لله ملك السموات والارض يخلق ما يشاء (الشورى : ٤٩)

١٩ - و تبارك الذى له ملك السموات والارض وما بينهما (الزخرف : ٨٥)

٢٠ - ولله ملك السموات والارض (الجاثية : ٢٧)

٢١ - ولله ملك السموات والارض (الفتح : ١٤)

٢٢ - له ملك السموات والارض يحيى ويميت وهو على كل شئ قدير (الحديد : ٢)

٢٣ - له ملك السموات والارض وإلى الله ترجع الأمور (الحديد : ٥)

٢٤ – له الملك وله الحمد (التغابن : ١)

٢٥ – تبارك الذى بيده الملك وهو على كل شئ قدير (الملك : ١)

٢٦ – الذى له ملك السموات والارض والله على كل شئ شهيد (البروج : ٩)

وأما للفظ الملكوت فقال الله تعالى :

١ – قل من بيده ملكوت كل شئ وهو يجير و لا يجار عليه (المؤمنون : ٨٨)

٢ – فسبحان الذى بيده ملكوت كل شئ وإليه ترجعون (يس : ٨٣)

وأما تعبير الحكم لله ومثله فكما قال تعالى :

١ – إن الحكم إلا لله (يوسف : ٤٠)

٢ – وكذا فى يوسف (٦٧)

٣ – وله الحكم وإليه ترجعون (القصص : ٧٠)

٤ – وكذا فى (٨٨)

٥ – فالحكم لله العلى الكبير (غافر : ١٢)

٦ – والله يحكم لا معقب لحكمه (الرعد : ٤١)

٧ – والله خير الحاكمين (الأعراف : ٨٧)

٨ – وكذا فى يونس (١٠٩)

٩ – وكذا فى يوسف (٨٠)

١٠ – وانت احكم الحاكمين (هود : ٤٥)

١١ – أليس الله بأحكم الحاكمين (تين : ٨)

هذه العبارات الكلية الأربع تدل على معنى التصرف والإختيار والقدرة.

وأما العبارات الأخر من الخلق والقدرة وغيرهما ففى القرآن كثير الورود.

وأما نفي الملك والتصرف عن غير الله بالآيات ففيها ثلثة عناوين :

١ – النفي على سبيل الخصوص عن النبي صلى الله عليه و سلم.

٢ – والنفي على سبيل العموم عن كل معبود من دون الله تعالىٰ.

٣ – والنفي على وجه الأعمية عن جميع الخلق.

فالأول : قال تعالى :

١ – قال رب اني لا املك الا نفسي وأخي (المائدة : ٢٥)

٢ – ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئاً (المائدة : ٤١)

٣ – قل لا املك لنفسي نفعاً ولا ضراً الا ما شاء الله (الأعراف : ١٨٨)

٤ – قل لا املك لنفسي ضرا ولا نفعا الا ما شاء الله (يونس : ٤٩)

٥ – قل لا املك لكم ضرا ولا رشداً (الجن : ٢١)

٦ – وما أملك لك من الله من شئ (الممتحنة : ٤)

والثاني : قال تعالى :

١ – قل أفاتخذتم من دونه أولياء لا يملكون لأنفسهم نفعا ولاضراً (الرعد : ١٦) ٢ – قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلاً (الإسراء : ٥٦)

٣ – ولايملكون لأنفسهم ضرا و لا نفعاً ولايملكون موتا ولا حياتاً ولا نشوراً (الفرقان : ٣)

٤ – ويعبدون من دون الله ما لاينفعهم ولا يضرهم (الفرقان : ٥٥)

٥ – قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لايملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض ومالهم فيها من شرك وماله منهم من ظهير (سبأ : ٢٢)

٦ – قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره او ارادني برحمة هل هن ممسكات رحمته (الزمر: ٣٨)

٧ - أفلا يرون أن لايرجع اليهم قولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعاً (طه : ٨٩)

٨ - ولايملك الذين يدعون من دونه الشفاعة (الزخرف : ٨٦)

٩ - والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير (فاطر : ١٣)

١٠ - ان الذين تعبدون من دون الله لايملكون لكم رزقاً (عنكبوت : ١٧)

١١ - قل أولو كانوا لايملكون شيئاً ولا يعقلون (الزمر : ٤٣)

والثالث : كما قال الله تعالى :

١ - قل فمن يملك من الله شيئاً إن اراد ان يهلك المسيح بن مريم وأمه ومن في الارض جميعاً (المائدة : ١٧)

٢ - وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يمسسك بخير فهو على كل شئ قدير (الأنعام : ١٧)

٣ - وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله (يونس : ١٠٧)

٤ - ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده (فاطر : ٢)

٥ - قل من ذا الذى يعصمكم من الله ان أراد بكم سوء او أراد بكم رحمة ولا يجدون من دون الله وليا ولا نصيراً (الأحزاب : ١٧)

٦ - يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً والأمر يومئذ لله (الإنفطار : ١٩)

٧ - قل فمن يملك لكم من الله شيئاً ان اراد بكم ضرا او اراد بكم نفعاً (الفتح : ١١)

وقد يذكر لفظ الإغناء في نفي التصرف عن غير الله كما ورد تسع مرات عموماً وخصوصاً. قال تعالى :

١ – فما أغنت عنهم آلهتهم التى يدعون من دون الله من شئ لما جاء أمر ربك (هود : ١٠١)

٢ – وما أغنى عنكم من الله من شئ ان الحكم الا لله (يوسف : ٦٧)

٣ – ان يردنى الرحمن بضر لا تغن عنى شفاعتهم شيئاً ولا هم ينقذون (يس : ٢٣)

٤ – وكم من ملك فى السموات لا تغنى شفاعتهم شيئاً الا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى (النجم : ٢٦)

٥ – إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئاً (الجاثية : ١٩)

٦ – ماكان يغنى عنهم من الله من شئ (يوسف : ٦٨)

٧ – لم تعبد ما لايسمع ولا يبصر ولا يغنى عنك شيئاً (مريم : ٤٢)

٨ – يوم لا يغنى مولى عن مولى شيئاً ولا هم ينصرون (دخان : ٤١)

٩ – ولا يغنى عنهم ما كسبوا شيئاً ولا ما اتخذوا من دون الله أولياء (الجاثية : ١٠)

وقد يذكر نفى الخلق عن غير الله تعالى.

و هذا فى القرآن خمس عشرة مرةً :

١ – قال الله تعالى : هذا خلق الله فأرونى ماذا خلقوا من دونه (لقمان : ١١)

٢ – أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم (الرعد : ١٦)

٣ – أرونى ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك فى السموات (فاطر : ٤٠)

٤ – قل ارأيتم ما تدعون من دون الله أرونى ماذا خلقوا من الارض (الاحقاف : ٣)

٥ – أم خلقوا السموات والارض بل لا يوقنون (الطور : ٣٦)
٦ – أيشركون ما لا يخلق شيئاً وهم يخلقون (الأعراف : ١٩١)
٧ – أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون (النحل : ١٧)
٨ – ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له (الحج : ٧٣)
٩ – والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون (النحل : ٢٠)
١٠ – واتخذوا من دونه آلهة لايخلقون شيئاً وهم يخلقون (الفرقان : ٣)
١١ – قل هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده (يونس : ٣٤)
١٢ – أمن يبدأ الخلق ثم يعيده (النمل : ٦٤)
١٣ – هل من خالق غير الله يرزقكم من السماءِ والارض (فاطر : ٣)
١٤ – أم خلقوا من غير شئ أم هم الخالقون (الطور : ٣٥)
١٥ – أفرأيتم ما تمنون أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون (الواقعة : ٥٩)

وذكر نفى الأمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفى التصرف عنه كما قال تعالى : ليس لك من الأمر شئ أو يتوب عليهم أو يعذبهم (آل عمران :١٢٨).

والأحاديث فى نفى التصرف عن غير الله كثيرة :

الأول : عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : لما نزلت : وانذر عشيرتك الأقربين دعا النبى صلى الله عليه وسلم قريشاً فاجتمعوا (ففى المتفق عليه) قال : يا معشر قريش ! اشتروا أنفسكم لاأغنى عنكم من الله شيئاً، ويا بنى عبد مناف لا أغنى عنكم من الله شيئاً يا عباس بن عبد المطلب ! لا أغنى عنك من الله شيئاً ويا فاطمة بنت محمد ! سلينى ماشئت من مالى لا أغنى عنك من

الله شيئاً). وفى رواية لمسلم (يا فاطمة انقذى نفسك من النار، فإنى لا أملك لكم من الله شيئاً غير أن لكم رحما سأبلها ببلالها)

كذا فى مشكوة المصابيح ص (٤٦٠).

والثانى : عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : كنت خلف النبى صلى الله عليه وسلم يوماً فقال : يا غلام ! إحفظ الله يحفظك إحفظ الله تجده تجاهك وإذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله. واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشئ لم ينفعوك الا بشئ قد كتبه الله لك ولو اجتمعوا على أن يضروك بشئ لم يضروك الا بشئ قد كتبه الله عليك. رفعت الأقلام وجفت الصحف.

(رواه أحمد والترمذى، كذا فى مشكوة المصابيح : ٤٥٣)

والثالث : عن عبد العزيز الشامى عن أبيه وكانت له صحبة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من لم يحمد الله على ما عمل من عمل صالح وحمد نفسه قل شكره وحبط عمله ومن زعم أن الله جعل للعباد من الأمر شيئاً فقد كفر بما أنزل الله على أنبيائه لقوله تعالى : (ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين) تفسير ابن جرير الطبرى : (١٤٧/٨).

والرابع : عن عائشة رضى الله عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يقسم بين نسائه فيعدل فيقول : (اللهم هذا قسمى فى ما أملك فلا تلمنى فيما تملك ولا أملك) رواه الترمذى وابوداود والنسائى وابن ماجه والدارمى. كذا فى مشكوة المصابيح : ٢٧٩/٢).

والخامس : عن عابس بن ربيعة قال : رأيت عمر رضى الله عنه يقبل الحجر ويقول : إنى لأعلم أنك حجر ما تنفع ولاتضر ولولا أنى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل ما قبلتك (متفق عليه)

كذا فى مشكوة المصابيح : ٢٤٦/١).

والسادس : عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ما أعطيكم ولا أمنعكم أنا قاسم أضع حيث أمرت (البخارى. المشكاة : ٣٢٥).

والسابع : عن عائشة رضى الله عنها قالت : جاء أعرابى إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : أتقبلون الصبيان فما نقبلهم فقال النبى صلى الله عليه وسلم : (إذا ملك لك ان نزع الله من قبلك الرحمة .

(متفق عليه مشكوة : ٤٢١).

الثامن : عن عبد الله بن حوالة قال : بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لنغنم على أقدامنا فرجعنا فلم نغنم شيئاً وعرف الجهد فى وجوهنا فقام فينا فقال : اللهم لاتكلهم إلىّ فأضعف عنهم ولا تكلهم إلىٰ أنفسهم فيعجزوا عنها ولا تكلهم إلى الناس فيستأثروا عليهم ... الحديث) رواه أبوداود والحاكم فى المستدرك. مشكاة المصابيح : ٤٧٠)

أقوال العلماءِ فى نفى التصرف عن غير الله تعالى :

قال الإمام ابن قيم الجوزية :

فأعظم جنود الله الملائكة ولفظ الملك يشعر بأنه رسول منفذ لأمر غيره فليس لهم من الأمر شئ بل الأمر كله لله وهم يدبرون الأمر ويقسمونه بأمر الله وإذنه (الجواب الكافى ص (١٧٤).

وقال الإمام ابن الجوزى : وطائفة أى من الروافض يقال لها المفوضة يقولون : إن الله تعالى خلق محمداً ثم فوض خلق العالم إليه .

(تلبيس ابليس : ٩٥)

وقال الشيخ عبد القادر الجيلانى : أما المفوضة فهم القائلون أن الله فوض تدبير الخلق إلى الائمة وأن الله تعالى أقدر النبى صلى الله عليه وسلم على الخلق للعالم وتدبيره. وكذلك قالوا فى حق على رضى الله عنه .

(غنية الطالبين : ١/٨٨)

وقال : تيقن أنه لاضار ولا نافع ولامعطى ولامانع إلا هو

(الفتح الربانى ص : ٧)

وفى موضع آخر : الخير كله بيده والحكمة والمنع بيده. والغنى والفقر بيده والعز والذل بيده ما لاحد معه شئ (ص : ١٢).

وفى موضع آخر (أما تعلم أنه لا معطى ولا مانع ولا ضار ولا نافع ولا مؤخر ولا مقدم إلا الله عز وجل ص (٢٣)

وفى موضع آخر : أيش ينفعونك ليس بأيديهم ضرر ولا نفع ولا عطاء ولا منع لافرق بينهم وبين سائر الجمادات فيما يرجع إلى الضرر والنفع (٣٤) وكذا فى (٤، ٥٢، ٦١، ٦٧، ١٠٧، ١١٢، ١٢١، ١٦٥).

وقال الإمام محمد بن أحمد بن عبد الهادى (فلا لمسيح ولا لغيره من البشر ولا أحد من الخلق يملك لأحد من الخلق ضراً ولا نفعاً بل ولا لنفسه وإن كان أفضل الخلق (الصارم المنكى ص : ١٣٢).

وقال ابن عابدين الشامى (فى بيان وجوه تحريم النذر لغير الله) : ومنها: أن المنذور له ميت والميت لا يملك. ومنها : أنه إن ظن أن الميت يتصرف فى الأمور دون الله واعتقاده ذلك كفر (رد المختار للشامى ص : ١٢٨/٢).

وقال الآلوسى فى تفسير سورة الزمر حيث لايميزون ولا يتصرفون كما أن الموتى كذلك (روح المعانى : ٢٤/٧) وكذا فى تفسير مدارك.

******

والبحث الثالث : فى رد الشرك فى الدعاء

الدعاء لغة : النداء مطلقاً كما فى قوله تعالى : كمثل الذى ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداءً (البقرة : ١٧١) ثم ادعهن يأتينك سعياً (البقرة : ٢٦٠).

وقد يستعمل بمعنى الحث على قصد الشئ والدعوة إليه كما فى قوله

تعالى : رب السجن أحب إلى مما يدعوننى إليه (يوسف : ٣٣) والله يدعو إلى دار السلام (يونس : ٢٥) يا قوم مالى أدعوكم إلى النجاة وتدعوننى إلى النار (غافر : ٤١)

واصطلاحاً : سوال الله تعالى والإستعانة والإستغاثة به فى الشدائد وإنجاح الحوائج وكشف المشكلات معتقداً بأنه مالك للنفع والضر بلا حاجة إلى سبب:

فالشرك فى الدعاء أن يدعو غير الله تعالى ويتسعين ويستغيث ويسأله الإجابة وإنجاح الحوائج وكشف الحوائج والمشكلات باعتقاد الألوهية وأن ذلك الغير مالك للنفع والضر بلا سبب ظاهرى.

فنذكر فى المسألة آيات وأحاديث وأقوال العلماءِ :

فالقرآن الكريم ذكر الدعاء والإستعانة بالله اثباتاً وترغيباً ونفاه عن جميع الخلق.

أما إثبات الدعاءِ لله والسؤال منه ففيه عنوانان :

١ - الترغيب فى دعائه تعالى. ٢ - والأمر بدعائه تعالىٰ.

أما الترغيب فله طرق مختلفة :

١ - قد ينسب إلى الأنبياءِ عليهم السلام خصوصاً وعموماً بأنهم كانوا يدعونه تعالى :

١ - كما قال الله تعالى فى شان نوح عليه السلام فدعا ربه أنى مغلوب فانتصر (قمر : ١٠) وفى شان ابراهيم عليه السلام : واعتزلكم وما تدعون من دون الله وأدعو ربى عيسى أن لا أكون بدعاءِ ربى شقياً (مريم : ٤٨)

وفى شان موسى عليه السلام : فدعا ربه أن هؤلاء قوم مجرمون (دخان : ٢٢) وفى شان زكريا عليه السلام : هنالك دعا زكريا ربه (آل عمران : ٣٨) وفى شان يونس عليه السلام : فنادى فى الظلمات أن لا إله إلا

أنت سبحانك إني كنت من الظالمين (الأنبياء : ٨٧)

وفي شان محمد صلى الله عليه وسلم : قل إنما أدعو ربي ولا أشرك به أحداً (الجن : ٢٠) وفي شان جميع الأنبياء عليهم السلام : انهم كانوا يسارعون في الخيرات و يدعوننا رغبا ورهباً و كانوا لنا خاشعين (الأنبياء : ٩٠).

وقد ينسب الدعاء إلى العباد الصالحين بانهم كانوا يدعونه تعالى في كل الحوائج قال الله تعالى : تتجافىٰ جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعاً (السجدة : ١٦) وقال تعالى : ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه (الأنعام : ٥٢).

والطريق الآخر للترغيب قال تعالى : واذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان (البقرة : ١٨٦) والطريق الآخر قال تعالى : أيا ما تدعو فله الأسماء الحسنى (الإسراء : ١١٠) الطريق الآخر قال تعالى : إنا كنا من قبل ندعوه إنه هو البر الرحيم (الطور : ٢٨).

وأما الأمر بالدعاءِ فورد تسع مرات :

١ - قال تعالى : أدعو ربكم تضرعاً وخفية إنه لا يحب المعتدين (الأعراف : ٥٥).

٢ - ولله الأسماء الحسنىٰ فادعوه بها (الأعراف : ١٨٠).

٣ - وادعوه مخلصين له الدين (الأعراف : ٢٩).

٤ - وادعوه خوفاً وطمعاً (الاعراف : ٥٦).

٦.٥ - قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمٰن أياما تدعو فله الأسماء الحسنى (الإسراء : ١١٠) .

٧ - فادعوا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون (حم مؤمن : ١٤).

٨ – وقال ربكم ادعونى استجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين (حم مؤمن : ٦٠).

٩ – فادعوه مخلصين له الدين (حم مؤمن : ٦٥).

وأما إثبات السؤال فقال تعالى :

١ – يسئله من فى السموات والأرض كل يوم هو فى شأن (الرحمن : ٢٩).

٢ – ثم استوى على العرش الرحمن فاسئل به خبيراً (الفرقان : ٥٩).

وأما اثبات الاستعانة : فقال تعالى :

إياك نعبد وإياك نستعين (الفاتحة : ٥) قال موسى لقومه : استعينوا بالله واصبروا (الأعراف :١٢٨) فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون (يوسف : ١٨) قال رب احكم بالحق وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون (الأنبياء : ١١٢).

وأما نفى الدعاءِ عن غير الله.

ففيه عنوانات مختلفة والأحكام متفرعة على دعاءِ غير الله تعالى.

العنوان الأول : أنه ارتداد.

قال تعالى : قل اندعو من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا ونرد على أعقابنا بعد اذ هدانا الله (الأنعام : ٧١).

والعنوان الثانى : إنه كفر.

قال تعالى : وما دعاء الكافرين إلا فى ضلال (الرعد : ١٤)

ومن يدع مع الله إلهاً آخر لا برهان له به فانما حسابه عند ربه انه لا يفلح الكافرون (المؤمنون : ١١٧).

والعنوان الثالث : أنه شرك.

قال تعالىٰ : إن تدعوهم لايسمعوا دعائكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم

ويوم القيامة يكفرون بشرككم (فاطر : ١٤) قل إنما ادعو ربي ولا اشرك به أحداً (الجن : ٢٥).

والعنوان الرابع : أنه ظلم.

قال تعالى : ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فان فعلت فانك إذا من الظالمين (يونس : ١٠٦).

والعنوان الخامس : إنه ضلال بعيد.

قال تعالى : يدعو من دون الله ما لايضره وما لا ينفعه ذلك هو الضلال البعيد (الحج : ١٢) ومن اضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون (الاحقاف : ٥).

والعنوان السادس : إنه منهي عنه.

قال تعالى : وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً (الجن : ١٨) ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فان فعلت فإنك اذا من الظالمين (يونس : ١٠٦) فلا تدع مع الله إلها أخر فتكون من المعذبين (الشعراء : ٢١٣) ولا تدع مع الله إلها آخر لا اله الا هو (القصص : ٨٨) قل اني نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله (الأنعام : ٥٦).

والعنوان السابع : إن جزائه جهنم.

قال تعالى : وقال ربكم ادعوني استجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين (غافر : ٦٠).

والعنوان الثامن : إنه شطط.

قال تعالى : لن ندعو من دونه إلها لقد قلنا إذاً شططاً (الكهف : ١٤).

والعنوان التاسع : نفي موجبات الدعاءِ من غير الله عموماً.

١ - قال الله تعالى : أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الارض (النمل : ٦٢).

٢ - سواء عليكم ادعوتموهم أم أنتم صامتون (الأعراف : ١٩٣).

٣ - والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم (الأعراف : ١٩٧).

٤ - إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له (الحج : ٧٣).

٥ - والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير (الفاطر : ١٣).

٦ - قل أرأيتم ما تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الأرض (الاحقاف : ٤).

٧ - قل أرأيتم شركائكم الذين تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الأرض (فاطر : ٤٠).

٨ - قل أفرأيتم ماتدعون من دون الله إن أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره (الزمر : ٣٨).

٩ - إن تدعوهم لا يسمعوا دعائكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم (فاطر : ١٤).

١٠ - ومن يدع مع الله إلها آخر لا برهان له به فانما حسابه عند ربه (المؤمنون : ١١٧).

١١ - والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشئ (الرعد : ١٤).

١٢ - والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون (النحل : ٢٠).

١٣ - وأن ما يدعون من دونه الباطل (الحج : ٦٢).

١٤ - ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه الباطل (لقمان : ٣٠).

١٥ - والله يقضى بالحق والذين يدعون من دونه لا يقضون بشئ (غافر : ٢٠).

١٦ – ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة (الزخرف : ٨٦).

١٧ – قل ادعو الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلاً (الاسراء : ٥٦).

١٨ – قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة فى السموات ولا فى الارض ومالهم فيهما من شرك وماله منهم من ظهير (سبأ : ٢٢).

١٩ – إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم (الأعراف : ١٩٤).

٢٠ – وهم عن دعائهم غافلون وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداءً وكانوا بعبادتهم كافرين (الاحقاف : ٦).

٢١ – لا جرم أنما تدعوننى إليه ليس له دعوة فى الدنيا ولا فى الآخرة (غافر : ٤٣).

٢٢ – حتى إذا جائتهم رسلنا يتوفونهم قالوا : اينما كنتم تدعون من دون الله (الأعراف : ٣٧).

٢٣ – فما أغنت عنهم آلهتهم التى يدعون من دون الله من شئ (هود : ١٠١).

٢٤ – يدعون من دون الله مالا يضره ومالا ينفعه (الحج : ١٢)

٢٥ – يدعو لمن ضره أقرب من نفعه لبئس المولىٰ ولبئس العشير (الحج : ١٣).

والعنوان العاشر : الزجر بدعاءِ غير الله تعالى بطرق مختلفة :

قال تعالى : أتدعون بعلاً و تذرون أحسن الخالقين (صٰفّٰت : ١٢٥).

وأكثر زواجر القرآن فى هذا الشان بأنهم كانوا يدعون الله تعالى فى الضر الشديد فاذا كشفه الله فينسبون كشف الضر إلى آلهتهم ومعبوديهم

ويـنسـون الله تـعالى. كما قال تعالى : دعوا الله مخلصين له الدين لئن أنجيتنا مـن هـذه لـنـكـونـن من الشاكرين فلما أنجاهم اذا هم يبغون في الأرض بغير الحق (يونس : ٢٢، ٢٣).

وإذا مسكـم الـضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه فلما نجّكم إلى البر أعـرضتم (الإسراء : ٦٨). وإذا مس الإنسان ضر دعا ربه منيبا إليه ثم اذا خوله نعمة منه نسي ما كان يدعو اليه من قبل (الزمر : ٨) ومثل هذه كثير.

أما الأحاديث :

١ – **فمنها** : مـا روى عـن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه قال : قـال رجل يا رسول الله ! أي الذنب أكبر عند الله ؟ قال : أن تدعو لله نداً وهو خلقك .. الحديث) متفق عليه – مشكاة : ١٧/١) .

٢ – **ومنها** : مـا روى عـن مـعاذ بن جبل رضي الله عنه قال : أخذ بيدي رسـول الله صـلـى الله عـلـيـه وسـلـم فقال : إني لأحبك يا معاذ ! فقلت : وأنا أحبك يـارسـول الله ! قـال : فـلا تـدع أن تقول في دبر كل صلاة : رب أعني عـلـى ذكـرك وشـكـرك وحسن عبـادتك) رواه احـمـد وأبو داود والنسائي. مشكوٰة : ٨٨/١).

٣ – **و منها** : ما روى عن عائشة رضي الله عنها قالت : رأيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو بالموت وعنده قدح فيه ماء وهو يدخل يده في القدح ثم يـمسـح وجهه ثم يقول: اللهم أعني على منكرات الموت أو سكرات الموت (رواه الترمذي وابن ماجه. مشكوة : ١٣٦).

٤ – **ومنها** : مـا روى عـن أبـي جرى جابر بن سليم (في حديث طويل) قـلـت : أنـت رسـول الله ؟ فـقال : أنا رسول الله الذي إن أصابك ضر فدعوته كشـفه عنك وإن اصابك عام سنة فدعوته أنبتها لك، وإذا كنت بأرض قفر أو فـلاة فـضـلـت راحلتك فدعوته ردها عليك) الحديث رواه أبو داود والترمذي

حديث السلام وكذا فى المشكاة (١٦٩).

٥ – **ومنها** : ماروى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : كنت خلف رسول الله صلى الله عليه و سلم يوماً فقال : احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك وإذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله... الحديث) رواه احمد والترمذى كذا فى المشكاة (٤٥٣).

٦ – **ومنها** : ماروى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفى كل خير. إحرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تفجر) الحديث رواه مسلم (٤٥٢/١.

والأحاديث فى هذا الباب مما لا تحصى لأن كل حديث فيه ذكر الدعاء من الله تعالىٰ يدل على هذا.

وأما أقوال العلماءِ :

قال المفسر الآلوسى فى تفسير سورة الحج : اشارة الى ذم الغافلين فى أولياءِ الله تعالى حيث يستغيثون بهم فى الشدة غافلين عن الله تعالى (ثم قال) قاتلهم الله ما أجهلهم وأكثر افترائهم ! و كل ذلك باطل لا أصل له من الكتاب والسنة وكلام سلف الأمة. وقد أفسد هؤلاءِ على الناس دينهم وصاروا ضحكة لأهل الأديان المنسوخة من اليهود والنصارى وكذا لأهل النحل والدهرية نسأل الله تعالى العفو والعافية (روح المعانى : ٢١٢/١٧)

وقال أيضاً فى تفسير سورة النحل : ما أعظمها آية فى النعى على من يستغيث بغير الله تعالى من الجمادات والأموات ويطلب منه ما لا يستطيع جلبه لنفسه أو دفعه عنها (إلى أن قال) فالطريق المامون عند كل رشيد قصر الإستغاثة والإستعانة على الله تعالىٰ فهو سبحانه الحى القادر العالم بمصالح عباده. فإياك والإنتظام فى سلك الذين يرجون النفع من غيره تعالىٰ

(روح المعانى : ١٤/١٦٠).

وقال أيضاً فى سورة يونس : وأنت خبير بأن الناس اليوم إذا اعتراهم أمر خطير وخطب جسيم فى بر او بحر دعوا من لايضر ولا ينفع ولا يرى ولا يسمع فمنهم من يدعو الخضر والإلياس ومنهم من ينادى أبا الخميس والعباس ومنهم من يستغيث بأحد الأئمة ومنهم من يضرع الى شيخ من مشائخ الأمة ولا ترى فيهم أحدا يخص مولاه بتضرعه ودعائه ولا يكاد يمر ببال أنه لو دعا الله وحده ينجو من هاتيك الأهوال فبالله تعالى عليك قل لى أى الفريقين من هذه الحيثية أهدى سبيلاً ! وأىّ الداعين أقوم قيلاً ! وإلى الله المشتكى من زمان عصفت فيه ريح الجهالة وتلاطمت أمواج الضلالة وخرقت سفينة الشريعة واتخذت الإستغاثة بغير الله للنجاة ذريعة وتعذر على العارفين الأمر بالمعروف وحالت دون النهى عن المنكر صنوف الحتوف.

(روح المعانى : ١١/٩٨).

وقال الحافظ إبن قيم الجوزية : وصلاح القلب وفلاحه فى عبادة الله تعالى والإستعانة به وهلاكه وشقائه وضرره العاجل والآجل فى عبادة المخلوق والإستعانة به (إغاثة اللهفان : ١/٥٢).

وقال الشاه ولى الله الدهلوى : ومنها (أى من أقسام الشرك) أنهم كانوا يستعينون بغير الله فى حوائجهم من شفاءِ المريض وغناءِ الفقير وينذرون لهم ويتوقعون إنجاح مقاصدهم بتلك النذور ويتلون أسمائهم رجاء بركتها فأوجب الله تعالىٰ عليهم أن يقولوا فى صلواتهم إياك نعبد وإياك نستعين. وقال تعالى : فلا تدعوا مع الله أحداً. وليس المراد من الدعاءِ العبادة كما قاله بعض المفسرين، بل هو الإستعانة لقوله تعالى : بل إياه تدعون فيكشف ما تدعون (حجة الله البالغة : ١/٤٩).

وقال الشيخ عبد القادر الجيلانى : اطلبوا حوائجكم من الحق عز وجل

لا من خلقه (الفتح الرباني : ٣٨) وقال أيضاً : استغث به إليه هو الغنى و الخلق كلهم فقراء (٨٨) وقال أيضاً : سلوه و لا تسألوا غيره، إستعينوا به و لا تستعينوا بغيره، توكلوا عليه و لا توكلوا على غيره (١١٠).

وقال العلامة محمد طاهر الفتنى : ومنهم من قصد بزيارة قبور الأنبياءِ والصلحاءِ أن يصلى عند قبورهم ويدعو عند ها ويسألهم الحوائج وهذا لا يجوز عند أحد من علماءِ المسلمين، فان العبادة وطلب الحوائج والاستعانة حق الله وحده (مجمع البحار : ٧٣/٢).

وقد ذكرنا أزيد من هذا التفصيل فى تفسير إياك نستعين من تفسير أم القرآن باللغة العربية التبيان ولطائف القرآن.

******

والبحث الرابع : فى رد الشرك فى العبادة

تشريح العبادة لغة وشرعاً وأنواعاً وأفراداً قد ذكرنا فى تفسير إياك نعبد فى تفسير أم القرآن. ونذكر ههنا العبادة إثباتاً لله ونفياً عن غير الله بالآيات والأحاديث.

أما الآيات فى إثبات العبادة لله تعالى فلها عنوانات مختلفة :

العنوان الأول : الإثبات بالفعل المضارع :

١ – قال الله تعالى : ولكن اعبد الله الذى يتوفكم (يونس : ١٠٤).

٢ – وقال تعالى : قل إنى أمرت أن أعبد الله مخلصاً له الدين (الزمر : ١١).

٣ – ومالى لا أعبد الذى فطرنى وإليه ترجعون (يس : ٢٢).

٤ – قالوا نعبد إلهك وإله آبائك ابراهيم واسمعيل واسحق (البقرة : ١٣٣).

٥ – وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون (الذاريات : ٥٦)

٦ - يعبدوننى لا يشركون بى شيئاً (النور : ٥٥).

العنوان الثانى بالأمر : وله تعبيران ١ - الأول : صيغة الأمر وهى فى القرآن ستة وثلثون مرة ٢ - والثانى : أن العبادة لله مامور بها.

٧ - قال الله تعالى : قال انما أمرت أن اعبد الله ولاأشرك به (الرعد : ٣٦)

٨ - انما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذى حرمها (النمل : ٩١).

٩ - قل إنى أمرت أن أعبد الله مخلصاً له الدين (الزمر : ١١).

١٠ - وما أمروا الا ليعبدوا إلها واحدا (التوبة : ٣١).

١١ - وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين (البينة : ٥).

العنوان الثالث : الترغيب.

١٢ - قال الله تعالى : واشكروا الله إن كنتم إياه تعبدون (البقرة : ١٧٢)

١٣ - واسجدوا لله الذى خلقهن إن كنتم إياه تعبدون (فصلت : ٣٧).

العنوان الرابع بتسمية الأنبياءِ والملائكة والأولياءِ عباداً إشارة أن العبادة أشرف المراتب.

١ - قال تعالى فى شان عيسى عليه السلام قال : إنى عبد الله آتانى الكتاب وجعلنى نبياً (مريم : ٣٠).

٢ - وفى سليمان : و وهبنا لداؤد سليمان نعم العبد انه أواب (ص : ٣٠)

٣ - وفى نوح : ذرية من حملنا مع نوح انه كان عبداً شكوراً (اسراء : ٣)

٤ - وفى أيوب : انا وجدناه صابراً نعم العبد انه أواب (ص : ٤٤)

٥ - وفى خضر : فوجدا عبداً من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا (الكهف : ٦٥)

٦ - وفى محمد صلى الله عليه وسلم : سبحان الذى أسرى بعبده ليلاً

من المسجد الحرام (الاسراء : ١)

٧ - وفى داود : اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داوٌد ذا الأيد (ص : ١٧)

٨ - وفى زكريا : رحمة ربك عبده زكريا (مريم : ١)

٩ - وفى لوط : كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين (التحريم : ١٠).

١٠ - وفى ابراهيم : انه من عبادنا المؤمنين (صفت : ١١١)

١١ - ١٢ - وفى موسى وهارون : إنهما من عبادنا المؤمنين (صافات : ١٢٢)

١٣ - وفى إلياس : انه من عبادنا المؤمنين صفت : ١٣٢)

١٤ - وفى اسحق ويعقوب : واذكر عبادنا ابراهيم واسحق ويعقوب أولى الأيدى والأبصار (ص : ٤٥).

والملائكة عباد : قال تعالى : وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً (الزخرف : ١٩).

والأولياء عباد : قال تعالى : واذا سألك عبادى عنى فانى قريب (البقرة : ١٨٦)

قل لعبادى الذين آمنوا يقيموا الصلاة (ابراهيم : ٣١).

وتسمية عامة الإنس عباد الله أيضاً تدل على ثبوت العبودية لله تعالى وهى فى القرآن كثيرة.

والعنوان الخامس : التعميم باعتبار المخاطبين :

١ - قال تعالى : يأيها الناس اعبدوا ربكم (البقرة : ٢١).

٢ - واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً (النساء : ٣٦).

٣ - وأن اعبدونى هذا صراط مستقيم (يس : ٦١).

والعنوان السادس : التعميم باعتبار الرسل :

١ – قال تعالى : ولقد بعثنا فى كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت (النحل : ٣٦).

٢ – وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى اليه انه لا اله الا أنا فاعبدون (الأنبياء : ٢٥).

والعنوان السابع : خطاب كل نبى لقومه :

١ – قال تعالى : نوح : ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره (الأعراف : ٥٩).

٢ – هود : وإلى عاد أخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره (الأعراف : ٦٥).

٣ – صالح : وإلى ثمود أخاهم صالحاً قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره (الأعراف : ٧٣).

٤ – شعيب : والى مدين أخاهم شعيباً قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره (الاعراف : ٨٥)

٥ – ابراهيم : وابراهيم اذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه (العنكبوت : ١٦)

٦ – عيسى : وقال المسيح يا بنى اسرائيل اعبدوا الله ربى وربكم (المائدة : ٧٢).

وأما نفى العبادة عن غير الله تعالى فى الآيات.

فله عناوين شتى :

العنوان الأول : مجرد النفى سلبا ونهياً كما قال الله تعالى :

١ – لا أعبد ما تعبدون ولا أنتم عابدون ما اعبد ولا أنا عابد ما عبدتم (الكافرون : ٤)

٢ – قل إنى نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله (الأنعام : ٥٦)

٣ – ان كنتم فى شك من دينى فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله (يونس : ١٠٤)

٤ – قل انى نهيت أن اعبد الذين تدعون من دون الله (غافر : ٦٦)

٥ – واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا اجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون (الزخرف : ٤٥).

والعنوان الثانى : النفى مع الإثبات :

٦ – قال تعالى : أن لا تعبدوا الا الله اننى لكم منه نذير وبشير (هود : ٢).

٧ – ان لا تعبدوا الا الله انى اخاف عليكم عذاب يوم اليم (هود : ٢٦)

٨ – ان الحكم الا لله أمر أن لا تعبدوا الا اياه (يوسف : ٤٠).

٩ – وقضى ربك ان لا تعبدوا الا اياه (الاسراء : ٢٣).

١٠ – اذ جائتهم الرسل من بين ايديهم و من خلفهم ان لا تعبدوا الا الله (فصلت : ١٤).

١١ – وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه الا تعبدوا الا الله (الاحقاف : ٢١)

١٢ – واذ اخذنا ميثاق بنى اسرائيل لا تعبدون الا الله (البقرة : ٨٣).

١٣ – قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم الا تعبدوا الا الله (آل عمران : ٧٠).

والعنوان الثالث : البرائة عن كل معبود سوى الله تعالى :

١٤ – قال تعالى : واذ قال ابراهيم لابيه وقومه اننى براء مما تعبدون (الزخرف : ٢٦).

١٥ – اذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله (الممتحنة : ٤).

١٦ – قل يا أيها الكافرون لا اعبد ما تعبدون ولا انتم عابدون ما اعبد

ولا انا عابد ما عبدتم ولا انتم عابدون ما اعبد لكم دينكم ولى دين (الكافرون).

١٧ - واذ اعتزلتموهم وما يعبدون من دون الله فأووا الى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته (الكهف : ١٦) فلما اعتزلمتوهم وما يعبدون من دون الله (مريم : ٤٨.

والعنوان الرابع : عدم موجب العبادة مع الزجر أى لا موجب ولاسبب لعبادة غير الله.

١٧ - قال تعالى : اذ قال لابيه يا أبت لم تعبد ما لايسمع ولا يبصر ولا يغنى عنك شيئاً (مريم : ٤٢)

١٨ - قل اتعبدون من دون الله مالا يملك ضرا ولا نفعاً (المائدة : ٧٦)

١٩ - ما تعبدون من دونه الا اسماء سميتموها انتم وآبائكم (يوسف: ٤٠).

٢٠ - قال أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم ولا يضركم (الأنبياء : ٦٦).

٢١ - انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم انتم لها واردون (الأنبياء : ٩٨).

٢٢ - قل أفرأيتم ما كنتم تعبدون انتم وآبائكم الأقدمون (الشعراء : ٧٥، ٧٦).

٢٣ - ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقاً (العنكبوت : ١٧).

٢٤ - قال اتعبدون ما تنحتون (صٰفّٰت : ٩٥)

٢٥ - ويعبدون من دون الله ما لايضرهم ولا ينفعهم (يونس : ١٨).

٢٦ - ما يعبدون الا كما يعبد آبائهم من قبل (هود : ١٠٩)

٢٧ - ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقاً (النحل : ٧٣).
٢٨ - ويعبدون من دون الله مالم ينزل به سلطاناً (الحج : ٧١).
٢٩ - ويعبدون من دون الله مالا ينفعهم ولا يضرهم (الفرقان : ٥٥).

والعنوان الخامس :

ذكر معبودي المشركين مفعولاً لفعل العبادة بوصف لايليق لكونه معبوداً.

١ - قال تعالى : وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت (المائدة : ٦٠).

٢ - يا أبت لا تعبد الشيطان إن الشيطان كان للرحمن عصياً (مريم : ٤٤).

٣ - ألم اعهد اليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين (يس : ٦٠)

٤ - انما تعبدون من دون الله أوثاناً وتخلقون افكا (عنكبوت : ١٧).

٥ - واجنبني وبني ان نعبد الأصنام (ابراهيم : ٣٥)

٦ - سبحانك انت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن اكثرهم بهم مؤمنون (سبأ : ٤١).

والعنوان السادس : قباحات عبادة غير الله تعالى :

الأولى : إنه شرك :

قال تعالى : ولايشرك بعبادة ربه أحداً (الكهف : ١١٠).

وقال الذين اشركوا لوشاء الله ما عبدنا من دونه من شئ (النحل : ٣٥).

الثانية : إنه جهل : قال تعالى : أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون (الزمر : ٦٤).

الثالثة : إنه كفر. قال تعالى : وصدها ماكانت تعبد من دون الله إنها

كانت من قوم كافرين (النمل : ٤٣).

الرابعة : إنه سبب العذاب. قال تعالى : لاتعبدوا الا الله إنى اخاف عليكم عذاب يوم اليم (هود : ٢٦).

الخامسة : إنه عدم العقل. قال تعالى : أف لكم و لما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون (الأنبياء : ٦٧).

السادسة : إنه إفك. قال تعالى : تعبدون من دون الله أوثاناً وتخلقون إفكاً (العنكبوت : ١٧).

السابعة : إنه ظلم. قال تعالى : احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله (صٰفّٰت : ٢٢).

الثامنة : إنه سبب دخول جهنم أبداً.

قال تعالى : إن الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين (غافر : ٦٠)

ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم اليه جميعاً (النساء : ١٧٢).

والعنوان السابع : فوائد التوحيد فى العبادة :

الفائدة الأولى : إنه شكر الله تعالىٰ. قال تعالى : واشكروا لله إن كنتم إياه تعبدون (البقرة : ١٧٢).

واشكروا نعمة الله ان كنتم إياه تعبدون (النحل : ١١٤).

الثانية : إنه سبب الإستخلاف فى الأرض وتمكين الدين وتبديل الخوف أمناً.

قال تعالى : وعد الله الذين آمنوا منكم و عملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً يعبدوننى لايشركون بى شيئاً

(النور : ٥٥).

الثالثة : إنه سبب البشارة من الله تعالىٰ.

قال تعالى : والذين اجتنبوا الطاغات أن يعبدوها وأنابوا الى الله لهم البشرى فبشر عبادى (الزمر : ١٧).

الرابعة : إنه سبب التقوى.

قال تعالى : ياأيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون (البقرة : ٢١).

الخامسة : إنه سبب الفلاح.

قال تعالى : يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون (الحج : ٧٧).

السادسة : إنه سبب مغفرة الذنوب والمتاع الحسن.

قال تعالى : اعبدوا الله واتقوه وأطيعون يغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم الى اجل مسمى (نوح : ٤).

السابعة : إنه صراط مستقيم .

قال تعالى : ان الله ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم

(آل عمران : ٥١).

الثامنة : خير كامل. قال تعالى : وابراهيم اذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون (العنكبوت : ١٦).

وأما الأحاديث :

فمنها : ماروى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : أتى أعرابى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : دلنى على عمل اذا عملته دخلت الجنة. قال تعبد الله ولا تشرك به شيئاً وتقيم الصلاة المكتوبة وتؤدى الزكاة المفروضة وتصوم رمضان. قال : والذى نفسى بيده لاأزيد على هذا شيئاً ولا أنقص منه. فلما

ولي قال النبي صلى الله عليه وسلم : من سره أن ينظر الى رجل من أهل الجنة فلينظر الى هذا (متفق عليه كذا في المشكاة : ١/١٢).

ومنها : ما روى عن معاذ قال : كنت ردف النبي صلى الله عليه وسلم على حمار ليس بيني وبينه إلا مؤخرة الرحل فقال : يا معاذ ! هل تدرى ما حق الله على عباده وما حق العباد على الله ؟ قلت : الله ورسوله أعلم. قال : فإن حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً. وحق العباد على الله أن لا يعذب من لايشرك به شيئاً. قلت : يا رسول الله ! أفلا أبشر به الناس ؟ قال : لا تبشرهم فيتكلوا (متفق عليه كذا في المشكاة : ١/١٤).

ومنها : عن معاذ قال : قلت : يارسول الله ! أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني عن النار. قال : لقد سألت عن أمر عظيم وإنه ليسير على من يسره الله تعالى عليه. تعبد الله ولا تشرك به شيئاً وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت.... الحديث

(رواه أحمد والترمذي وابن ماجه كذا في المشكاة (٢/١٤).

ومنها : ماروى عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله يقول : ابن آدم ! تفرغ لعبادتي املأ صدرك غنىً وأسد فقرك وإن لا تفعل ملأت يدك شغلاً ولن أسد فقرك (رواه احمد وابن ماجه كذا في المشكوٰة : ٢/٤٤٠).

٭٭٭٭٭

بحث الشرك الفعلي

ويسمى بالعملي أيضاً. ونعني به الشرك في التحريمات والنذور.

ولما كان المقصود الأصلي منه الأكل وهو عمل خاص فلذا سمي بالفعلي والعملي وهذا اصطلاح خاص ولا مشاحة فيه.

وهو على قسمين : الأول : التحريم لغير الله أو لعباد الله. والثاني : النذر

لغير الله.

بحث التحريم لغير الله

هو أن يعتقد تحريم ما أحله الله من المطاعم والمشارب ونحوهما خوفاً من غير الله وتقرباً إليه. وليس المراد به تحريم ما أحله الله وتحليل ما حرمه الله مطلقاً. وهذا وإن كان كفراً ولكن مبناه الجحود والعناد، لا الإعتقاد والخوف فلسنا نشتغل به.

وذكر الرد على تحريم غير الله في سور كثيرة و آيات شتى نتلوها :

١ - يا أيها الناس كلوا مما في الارض حلالاً طيباً ولا تتبعوا خطوات الشيطن إنه لكم عدو مبين (البقرة : ١٦٨).

٢ - يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبٰت ما رزقناكم واشكروا لله إن كنتم اياه تعبدون (البقرة : ١٧٢).

٣ - يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود أحلت لكم بهيمة الأنعام إلا ما يتلىٰ عليكم (المائدة : ١) والمراد في هاتين الآيتين ما حرموا على أنفسهم من البحائر والسوائب والوصائل وما أشبه ذلك مما لم أحرمه عليكم. كما قال ابن جرير والفراء البغوي وغيرهما.

٤ - يا أيها الذين آمنوا لاتحرموا طيبٰت ما أحل الله لكم (المائدة : ٨٧).

٥ - وكلوا مما رزقكم الله حلالاً طيباً (المائدة : ٨٨).

٦ - ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام (المائدة : ١٠٣).

قال الإمام البخاري بسنده عن سعيد بن المسيب قال : البحيرة التي يمنع درها للطواغيت فلا يحلبها أحد من الناس والسائبة التي كانوا يسيبونها لآلهتهم لا يحمل عليها شئ. قال : وقال ابوهريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : رأيت عمرو بن عامر الخزاعي يجر قصبه في النار

كان أول من سيّب السوائب.

والوصيلة الناقة البكر تبكر في أول نتاج الإبل ثم تثنى بعد بأنثى وكانوا يسيبونها لطواغيتهم ان وصلت احديهما بالأخرى ليس بينهما ذكر.

والحام فحل الإبل يضرب الضراب المعدود فاذا قضى ضرابه ودعوه للطواغيت واعفوه من الحمل فلم يحمل عليه شئ وسموه الحام (البخاري: ٢/٦٦٥).

وقال الراغب الإصفهاني: البحيرة ماكانوا يجعلونه بالناقة اذا ولدت عشرة البطن شقوا أذنها فيسيبونها فلا تركب ولا تحمل عليها شئ (المفردات: ٣٦).

والسائبة التي تسيّب في المرعى فلا ترد عن حوض ولا علف وذلك اذا ولدت خمسة أبطن (المفردات: ٢٤٦).

والوصيلة ان أحدهم اذا ولدت له شاته ذكراً وأنثى قالوا: وصلت أخاها فلا يذبحون أخاها من أجلها (المفردات: ٥٤٧).

والحام: هو الفحل اذا ضرب عشرة أبطن كان يقال: حمى ظهره فلا يركب (المفردات: ١٣٢).

٧ - فكلوا مما ذكر اسم الله عليه ان كنتم بآياته مؤمنين (الأنعام: ١١٨).

٨ - وما لكم أن لا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه (الأنعام: ١١٩).

٩ - وقالوا هذه أنعام وحرث حجر لا يطعمها إلا من نشاء بزعمهم وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها افتراء عليه سيجزيهم بما كانوا يفترون (الأنعام: ١٣٨).

١٠ - وقالوا ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا وإن يكن ميتة فهم فيه شركاء سيجزيهم وصفهم إنه حكيم عليم

(الأنعام : ١٣٩).

١١ - قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق (الأعراف : ٣٢)

١٢ - قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراماً وحلالاً (يونس : ٥٩).

١٣ - فكلوا مما رزقكم الله حلالاً طيباً (النحل : ١١٤).

١٤ - وأحلت لكم الأنعام إلا ما يتلىٰ عليكم فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور (الحج :٣).

فعلم أن للرد على هذا النوع من الشرك عنوانين.

الأول : الرد على سبيل الخصوص أى الصور المخصوصة كما مر فى المائدة (١) و (١٠٣) أنعام (١٣٨) (١٣٩) والأعراف (٣٢) والحج (٣٠).

والثانى : الرد على سبيل العموم كما فى بواقى المواضع المذكورة سابقاً.

وحكم هذا الشئ فى الشرع أن يعتقد حله بشرط أن لا يختلط معه اعتقاد النذر والتقرب إلى غير الله. وذكر الله تعالى فى تحليل هذا النوع أربعة عنوانات : أحلت، كلوا، لا تحرموا، ما جعل كلها تدل على حكم تحليل ما حرموا على أنفسهم.

وأما حكم هذا الفعل والإعتقاد فقال تعالى : إنه شرك.

١ - قال تعالى : وإن الشياطين ليوحون إلى اوليائهم ليجادلوكم وان اطعتموهم انكم لمشركون (الأنعام : ١٢١).

٢ - اتخذوا احبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح بن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا الهاً واحدا لا اله الا هو سبحنه عما يشركون (التوبة : ٣١).

وكذا حكم عليه بأنه افتراء على الله تعالى. قال الله تعالى : وقالوا هذه أنعام وحرث حجر لا يطعمها الا من نشاء وأنعام حرمت ظهورها وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها افتراء عليه سيجزيهم بما كانوا يفترون
(الأنعام : ١٣٨).

أقوال العلماءِ في هذا الباب :

قال الإمام الشاه ولى الله : ومنها (أى من أنواع الشرك) أنهم كانوا يسيبون السوائب والبحائر تقرباً إلى شركائهم فقال الله تعالى : ما جعل الله من بحيرة الآية (حجة الله البالغة : ١/٤٩).

وقال المولى عبد الحى اللكنوى فى فتاواه (تعريبه) وحكمه أن مسلماً لو ذبحه باسمه تعالى باذن مالك الحيوان يحل. ولو ذبحه بلا إذن مالكه يحرم لتعلق حق الغير لا لتحريمهم (مجموعة الفتاوى : ٣/١٠٤).

وقال المفسر ابن جرير الطبرى بسنده عن زيد بن أسلم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنى لأعرف أول من سيب السوائب وأول من غير عهد ابراهيم قالوا : من هو ؟ يا رسول الله ! قال : عمرو بن لحى أخو بنى كعب، لقد رأيته يجر قصبه فى النار يؤذى ريحه أهل النار. وإنى لأعرف أول من بحر البحائر قالوا : من هو يارسول الله ! قال : رجل من بنى مدلج كانت له ناقتان فجدع آذانهما وحرم ألبانهما ثم شرب ألبانهما بعد ذلك فلقد رأيته فى النار هو وهما يعضانه بأفواههما ويخبطانه باخفافهما.

(إلى أن قال :) وهذه أمور كانت فى الجاهلية فأبطلها الإسلام فلا نعرف قوماً يعملون بها اليوم فاذا كان كذلك وكان ما كانت الجاهلية به لاتوصل الى عمله اذ لم يكن له فى الإسلام اليوم أثر ولا فى الشرك نعرفه إلا بخبر وكانت الأخبار مماكانوا يفعلون من ذلك مختلفة الاختلاف الذى ذكرنا. فالصواب مِن القول فى ذلك أن يقال : أما معانى هذه الأسماءِ فما بينا فى

ابتداءِ القول فی تأویل هذه الآیة. وأما کیفیة عمل القوم فی ذلك فما لاعلم لنا به وقد وردت الأخبار بوصف علمهم ذلك علی ما قد حکینا وغیر ضائر الجهل بذلك اذا کان المراد من علمه المحتاج الیه موصلاً إلی حقیقته وهو أن القوم کانوا محرمین من أنعامهم علی أنفسهم مالم یحرمه اللّٰه اتباعاً منهم خطوات الشیطان فوبخهم اللّٰه بذلك وأخبرهم أن کل ذلك حلال فالحرام من کل شيء عندنا ما حرمه اللّٰه ورسوله صلی اللّٰه علیه وسلم بنص او دلیل والحلال منه ما أحله اللّٰه ورسوله کذلك انتهی (تفسیر ابن جریر : ٧/ ٦٠).

أقول : إن التحریمات المذکورة من البحیرة والسائبة وإن لم یکن موجودة فی زماننا هذا ولکن أمثلة تحریم غیر اللّٰه فی هذا الوقت الظلمانی کثیرة جداً، کما أنهم حرموا الصید فی الأشجار القائمة عند قبر الشیخ وحرموا قطع تلك الأشجار بل حرموا الصید المائی أیضاً فی بعض الأماکن المنسوبة إلی المشائخ والأولیاءِ باعتقاد أن تحلیل هذه المحرمات سبب لوصول الضرر و الاعتراءِ بالسوءِ من الآلهة وغیرها فی الرسوم المروجة أیضاً کثیر، یحرمون بعض ألوان الثیاب علی أنفسهم باعتقاد الضرر فیها.

فوا أسفا علی هؤلاءِ المشرکین الذین اتبعوا آثار المشرکین السابقین وحذوا حذوهم شبراً بشبر، وذراعاً بذراع. بل تجاوزوا عنهم فی هذه الأمور الشرکیة. وأکثر الناس بل العلماء عنها غافلون وهم فی مشاغلهم منهمکون إنا للّٰه وإنا إلیه راجعون.

بحث التحریم للّٰه تعالی

وفی مقابلة تحریم غیر اللّٰه الذی هو الشرك تحریم اللّٰه الذی هو التوحید ومعناه هنا ما حرمه اللّٰه تعالی فی مکان خاص أو حالة خاصة مما أحل فی غیرهما.

ولیس هذا إلا محرمات الحرم أو الإحرام. ولیس المراد ما حرمه اللّٰه

مطلقاً فى كل الأوقات كما مرمنا وجه هذا الإختصاص.

فذكر الله تعالى من تحريماته الخاصة فى آيات مختلفة.

١ - أحلت لكم بهيمة الأنعام إلا ما يتلى عليكم غير محلى الصيد وأنتم حرم المائدة : ١).

فتحريم الصيد حالة الإحرام تحريم إلهى.

٢ - يا أيها الذين آمنوا ليبلونكم الله بشئ من الصيد تناله أيديكم ورماحكم (المائدة : ٩٤).

٣ - يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم (المائدة : ٩٥).

٤ - وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرماً (المائدة : ٩٦).

وأما علة هذا التحريم فذكرها اجمالاً فى قوله تعالى : إن الله يحكم ما يريد (المائدة : ١). وتفصيلاً فى قوله تعالى : يا أيها الذين آمنوا ليبلونكم الله بشئ من الصيد تناله أيديكم ورماحكم ليعلم الله من يخافه بالغيب فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم (المائدة : ٩٤).

بحث النذر لغير الله تعالى

هو أن يسمى شيئاً من الأموال أو الحرث أو الأنعام أو العبادات باسم غير الله تقرباً اليه ومعتقداً بأنه مالك النفع والضرر وعالم الغيب والشهادة ويعتقد بوفاءِ هذا النذر حصول النفع والخير والبركة من المعبود من دون الله ويخاف وقت عدم الوفاءِ من أن يعتريه بسوء وضر.

وقد رد القرآن على هذا النوع فى مواضع كثيرة بعنوانات مختلفة.

العنوان الأول : إنه حرام.

١ - قال تعالى : إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله البقرة : ١٧٣).

٢ - حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به و

المنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع إلا ما ذكيتم وما ذبح على النصب (المائدة : ٣).

٣ – قل لا أجد فيما أوحي الى محرما على طاعم يطعمه إلا ان يكون ميتة اودماً مسفوحاً اولحم خنزير فانه رجس او فسقاً أهل لغير الله به (الأنعام : ١٤٥).

٤ – إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به (النحل : ١١٥) وكلمة ما أهل لغير الله به تشمل :

١ – ما ذبح باسم غير الله كما كان فى عرف مشركى العرب. وذكره أكثر المفسرين مصداقاً لهذا العرف لا تخصيصاً كما زعمه بعض الجهلة.

٢ – وما ذبح لغير الله أى لتقرب غير الله تقرباً شرعياً هى العبادة. أى كان منذوراً لغير الله تعالى، ثم ذبحه وإن كان باسم الله تعالى.

كما ذكره الإمام الرازى والنيسابورى.

وفى الحديث أيضاً : لعن الله من ذبح لغير الله كما سيأتى إن شاء الله تعالى.

وكل شئ من الدراهم والنقود والشمع والزيت والغلاف والأعلام التى سمى بنذر غير الله بأنه منذور لفلان الشيخ وصاحب القبر كما ذكره المفسر الشاه عبد العزيز الدهلوىؒ فى تفسيره (فتح العزيز) وصاحب مواهب الرحمن وصاحب بيان القرآن والماجدى وغيرهم : فهو أيضاً حرام كما سيأتى إن شاء الله تعالى فى أقوال العلماءِ وكل كلمة شركية تكلم بها متكلم من النذر لغير الله تعالى كما ذكره الشيخ حسين على الألوانى البنجابى فى تفسيره الإملائى المسمى بـ (بلغة الحيران).

والعنوان الثانى : إنه من إعمال المشركين كما قال الله تعالى :

١ – وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيباً فقالوا هذا لله بزعمهم

وهذا لشركائنا (الأنعام : ١٣٧).

٢ - ويجعلون لما لا يعلمون نصيباً مما رزقناهم (النحل : ٥٦).

٣ - وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركائهم ليردوهم وليلبسوا عليهم دينهم (الأنعام : ١٣٨).

والعنوان الثالث : إنه فسق.

١ - قال تعالى : ذلكم فسق اليوم يئس الذين كفروا من دينكم (المائدة : ٣).

٢ - أو فسقاً أهل لغير الله به (الأنعام : ١٤٧).

والعنوان الرابع : إنه سوء حكم.

قال تعالى : فما كان لشركائهم فلا يصل إلى الله وما كان لله فهو يصل إلى شركائهم ساء ما يحكمون (الأنعام : ١٣٧).

والعنوان الخامس : إنه افتراء على الله تعالى.

قال تعالى : تالله لتسألن عما كنتم تفترون (النحل : ٥٦).

٢ - ولو شاء الله ما فعلوه فذرهم وما يفترون (الأنعام : ١٣٨).

والعنوان السادس : إنه زور.

قال تعالى : فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور (الحج : ٣٠).

بحث النذر لله تعالى

وفى مضادة النذر لغير الله تعالى (الذى هو شرك) النذر لله تعالى (الذى هو التوحيد) وله عنوانات ثلثة :

الأول : الترغيب فيه.

١ - قال تعالى : رب إنى نذرت لك ما فى بطنى محرراً فتقبل منى (آل عمران ٣٥).

٢ - فقولي إني نذرت للرحمن صوماً (مريم : ٢٦).

إعلم : أن النذر لله تعالىٰ عمل الصالحين و الصالحات.

٣ - وما أنفقتم من نفقة أو نذرتم من نذر فان الله يعلمه (البقرة : ٢٧٠).

٤ - يوفون بالنذر ويخافون يوماً كان شره مستطيراً (دهر : ٧).

العنوان الثاني : بيان حكمه.

١ - قال تعالى : يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام ولا الهدى و لا القلائد (المائدة : ٢).

فعدم التحليل عدم هتك حرمته و اعزازه.

٢ - ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم (الحج : ٢٩).

العنوان الثالث : بيان حكمته.

قال تعالى : جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للناس و الشهر الحرام والهدى والقلائد ذلك لتعلموا أن الله يعلم ما في السموات وما في الارض وأن الله بكل شئ عليم (المائدة : ٩٧).

الأحاديث في منع النذر لغير الله تعالى وما يشبهه.

١ - عن عمران بن حصين رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا وفاء لنذر في معصية الله، ولا فيما لا يملك العبد (رواه مسلم).

وفي رواية : لانذر في معصية الله تعالى (المشكاة : ٢/٢٩٧).

فلفظ المعصية يشمل النذر لغير الله فإنه معصية.

٢ - عن ثابت بن ضحاك رضى الله عنه قال : نذر رجل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينحر ابلاً ببوانة فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد ؟ قالوا : لا، قال : فهل كان فيها عيد من أعيادهم ؟ قالوا :

لا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أوف بنذرك، فانه لا وفاء لنذر فى معصية ولا فيما لا يملك ابن آدم).

رواه ابوداود، المشكاة : ٢/٢٩٨).

فالحديث يدل على أن النذر وان كان لله لكن لايجوز تخصيصه وأداؤه فى موضع الشرك . فكيف يجوز باسم غير الله تعالى ؟

٣ - عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنه لقى زيد بن عمرو بن نفيل باسفل بلدح وذاك قبل أن ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم الوحى فقدم إليه (وفى رواية : إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم) سفرة فيها لحم فأبى أن يأكل منها. ثم قال : إنى لا آكل مما تذبحون على أنصابكم ولا نأكل إلا مما ذكر اسم الله عليه)

رواه البخارى فى باب ما ذبح على النصب والأصنام (٢/٨٢٧).

٤ - مثل الحديث السابق مع الزيادة فيه وهى : أن زيد بن عمرو بن نفيل كان يعيب على قريش ذبائحهم ويقول : الشاة خلقها الله تعالى، وأنزل لها من السماءِ ماءً، وأنبت لها من الأرض ثم تذبحونها على اسم غير الله انكاراً لذلك وإعظاماً له (البخارى : ١/٥٤٠).

٥ - وعن طارق بن شهاب رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : دخل الجنة رجل فى ذباب ودخل النار رجل فى ذباب. قالوا : كيف يارسول الله ! قال : مر رجلان على قوم لهم صنم لا يجوزه أحد حتى يقرب إليه شيئاً. فقالوا : لأحدهما : قرّب ! قال : ما عندى شئ أقربه. قال : ولو ذباباً. فقرب ذباباً فخلوا سبيله فدخل النار. فقالوا : للآخر : قرب قال : ماكنت لأقرب لأحد من دون الله تعالى فضربوا عنقه. فدخل الجنة) رواه ابو بكر بن أبى شيبة فى المصنف (١٢/٣٥٨) واحمد فى زهده (٢٢) والخطيب فى الكفاية (١٨٥) وكذا فى الدر النضيد للشوكانى (١٤) وحلية الأولياء

(١/٢٠٣) والبيهقي في شعب الإيمان (٥/٤٥٨).

٦ - وعن أبي الطفيل رضي الله عنه قال: سئل علي هل خصكم رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيء؟ فقال: ما خصنا بشيء لم يعم به الناس إلا ما في قراب سيفي هذا. فاخرج صحيفة فيها: لعن الله من ذبح لغير الله ولعن من سرق منار الأرض. وفي رواية: من غير منار الأرض. ولعن من لعن والده ولعن الله من آوى محدثاً) رواه مسلم. المشكاة: ٢/٣٥٧).

أقوال العلماء في أن النذر لغير الله شرك وحرام

وهي كثيرة ذكرت بعضها في تفسير أم القرآن. نذكر بعضها ههنا:

١ - قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

وأما النذر للموتى من الأنبياء والمشائخ وغيرهم أو لقبورهم أو للمقيمين عند قبورهم فهو نذر شرك ومعصية الله تعالى، سواء كان النذر نفقة أو ذهباً أو غير ذلك وهو شبيه لمن ينذر لكنائس الرهبان وبيوت الأصنام.

(مجموع رسائل شرح دعاء ذي النون وغيره للشيخ: ٨٦).

٢ - وقال شيخ الإسلام ابن قيم رحمه الله:

ومن أنواعه (أي الشرك): النذر لغير الله تعالى فانه شرك وهو أعظم من الحلف بغير الله. فإذا كان من حلف لغير الله قد أشرك فكيف بمن نذر لغير الله مع أن في السنن من حديث عقبة بن عامر عن النبي صلى الله عليه وسلم: النذر حلف.

(كتاب مجموعة الأقاويل نقل فيه عن شرح المنازل للشيخ: ٢٢).

٣ - وقال الشيخ محمد بن علي الشوكاني رحمه الله بعد نقل قول الحنفية والشافعية: وتأمل ما أفاده من حكاية الإجماع على بطلان النذر المذكور (أي النذر لغير الله تعالى) وإنه كفر مع ذلك الإعتقاد.

(الدر النضيد: ١٦٢).

٤ - وقال العلامة زيد الدين ابن نجيم :

قال الشيخ قاسم فى شرح الدرر : وأما النذر الذى ينذره أكثر العوام على ماهو مشاهد كأن يكون لإنسان غائب أو مريض أوله حاجة ضرورية فيأتى بعض الصلحاءِ (أى قبره) فيجعل ستره على رأسه فيقول : يا سيدى فلان إن رد غائبى أو عوفى مريضى أوقضيت حاجتى فلك من الذهب كذا، أو من الفضة كذا، أو من الطعام كذا، أو من الماءِ كذا، أو من الشمع كذا، أو من الزيت كذا : فهذا النذر باطل بالإجماع لوجوه : منها : أنه نذر مخلوق والنذر للمخلوق لا يجوز، لأنه عبادة والعبادة لاتكون للمخلوق. ومنها : أن المنذور له ميت والميت لا يملك. ومنها : أنه ظن أن الميت يتصرف فى الأمور دون الله تعالى واعتقاد ذلك كفر (إلى أن قال) للإجماع على حرمة النذر للمخلوق ولا ينعقد ولا تشتغل الذمة به ولأنه حرام وسحت (ثم قال :) فإذا علمت هذا فما يؤخذ من الدراهم والشمع والزيت وغيرها وينقل الى ضرائح الأولياءِ تقرباً اليهم : فحرام باجماع المسلمين.

(البحر الرائق : ٢/٢٩٨) ورد المحتار للشامى (٢/١٢٨) وكذا فى الفتاوى العزيزية (١/٣٣) والمكتوبات للامام الربانى (٣/٧١) مكتوب : ٤١. والجنة لاصحاب السنة (٧).

ثم اعلم أن منشأ الشرك الفعلى انما هو الشرك فى البركات.

وهذا من أنواع الشرك فى الربوبية لكن لم يرد فى القرآن على سبيل النفى عن غير الله صراحةً.

فلا بد هنا من تفصيل هذه المسألة فنقول أولاً : معنى البركة لغة واصطلاحاً.

أما لغةً : فهو الثبوت واللزوم، يقال : برك البعير أى ألقى ركبه وثبت وابتركوا فى الحرب أى ثبتوا ولازموا موضع الحرب وسمى محبس الماء

بركة اذا ثبت الماء فيه إلى مدة.

وأما اصطلاحاً: فقال العلامة الآلوسي ناقلاً عن الإمام الرازي: إن البركة لها تفسيران. أحدهما: البقاء والثبات. والثاني: كثرة الآثار الفاضلة. فان حملته على الأول فالثابت الدائم هو الله تعالى. وإن حملته على الثاني فكل الخيرات والكمالات من الله تعالى. فهذا الثناء لا يليق إلا بحضرته جل وعلا. واختار الزجاج أنه من البركة بمعنى الكثرة من كل خير ولم يجئ منه مضارع ولا أمر ولا اسم فاعل مثلاً روح المعاني: ١٣٩/٨) وكذا في التفسير الكبير (١١٨/١٤).

وقال الإمام الراغب الأصفهاني: البركة ثبوت الخير الإلهي في الشيء. ولما كان الخير الإلهي يصدر من حيث لايحس وعلى وجه لايحصى ولا يحصر قيل لكل ما يشاهد منه زيادة غير محسوسة هو مبارك وفيه بركة (المفردات: ٤٣).

ومادة البركة مذكورة في القرآن ثنتين وثلثين مرة.

وهذا الذكر على طريقين:

١ - طريق النسبة من حيث الفاعلية إلى الله تعالى.

٢ - وطريق النسبة إلى ما سوى الله بالظرفية أو المفعولية فقط.

أما الطريق الأول فله عنوانات أربعة:

العنوان الأول:

بصيغة الماضي المعلوم من باب المفاعلة وهي سبع مرات.

١ - قال الله تعالى: وجعل فيها رواسي من فوقها و بارك فيها وقدر فيها أقواتها (فصلت: ١٠).

٢ - وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التي باركنا فيها (الأعراف: ١٣٧).

٣ - سبحان الذى أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله (الإسراء : ١).

٤ - ونجيناه ولوطاً إلى الأرض التى باركنا فيها للعالمين (الأنبياء : ٧١).

٥ - تجرى بأمره إلى الارض التى باركنا فيها (الأنبياء : ٨١).

٦ - وجعلنا بينهم وبين القرى التى باركنا فيها قرى ظاهرة (سبأ : ١٨).

٧ - وباركنا عليه وعلى اسحق (صٓفٰت : ١١٣).

العنوان الثانى :

بصيغة الماضى المعلوم من باب التفاعل وهى تسع مرات :

١ - قال الله تعالى : ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين (الأعراف : ٥٤).

٢ - ثم أنشاناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين (المؤمنون : ١٤).

٣ - تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً (الفرقان : ١).

٤ - تبارك الذى ان شاء جعل لك خيرا من ذلك (الفرقان : ١٠).

٥ - تبارك الذى جعل فى السماءِ بروجاً (الفرقان : ٦١).

٦ - ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين (غافر : ٦٤).

٧ - وتبارك الذى له ملك السموات والأرض وما بينهما (الزخرف : ٨٥).

٨ - تبارك اسم ربك ذى الجلال والاكرام (الرحمن : ٧٨).

٩ - تبارك الذى بيده الملك وهو على كل شئ قدير الملك : ١).

والعنوان الثالث : صدور البركات منه تعالى.

١ - قال تعالى : لفتحنا عليهم بركات من السماءِ (الأعراف : ٩٦).

٢ - اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك (هود : ٤٨).

والعنوان الرابع : الإضافة إلى الله تعالى.

قال تعالى : رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد . (هود : ٧٣).

وأما الطريق الثاني : أى النسبة إلى ما سوى الله :

فقد ذكر الله أحد عشر من أجناس ما سوى الله تعالى، بأن الله تعالى بارك فيهم وجعله مباركاً وهم محتاجون فى البركة إلى الله تعالى.

١ - **القرآن مبارك**، يعنى جعله سبباً للبركات الدنيوية والأخروية.

قال تعالى فى أربعة مواضع :

١ - وهذا كتاب انزلناه مبارك مصدق الذى بين يديه (الأنعام : ٩٢).

٢ - وهذا كتاب انزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون (الأنعام : ١٥٥).

٣ - هذا ذكر مبارك أنزلناه أفأنتم له منكرون (الأنبياء : ٥٠).

٤ - كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته (ص : ٢٩).

٢ - **بيت الله مبارك**. قال تعالى :

١ - إن اول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركاً وهدى للعالمين (آل عمران : ٩٦

٣ - ومن الأنبياء ابراهيم واسحق وموسى وعيسى موصوفون بالبركة.

١ - قال تعالى : وباركنا عليه وعلى اسحق (صٰفّٰت : ١١٣).

٢ - فلما جائها نودى أن بورك من فى النار ومن حولها (النمل : ٨).

بناء على أن المراد بمن فى النار موسى عليه السلام الذى كان فى طلب النار.

٣ - وجعلنى مباركاً أين ما كنت وأوصانى بالصلاة والزكاة مادمت حياً

(مريم : ٣١).

٤ – **والنزول والمنزل المبارك.**

قال تعالى : وقل رب انزلني منزلاً مباركاً وأنت خير المنزلين (المؤمنون : ٢٩.

٥ – **ماء السماءِ مبارك** . قال تعالى :

ونزلنا من السماءِ ماء مباركاً فانبتنا به جنات وحب الحصيد (ق : ٩)

٦ – **والشجرة مباركة.** قال تعالى : يوقد من شجرة مباركة زيتونة (النور : ٣٥).

٧ – **والتحية مباركة** . قال تعالى : فسلموا على أنفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة (النور : ٦١).

٨ – **والبقعة مباركة.** قال تعالى : فلما أتاها نودى من شاطئ الوادى الأيمن فى البقعة المباركة (القصص : ٣٠).

٩ – **والليلة مباركة.** قال تعالى : إنا انزلناه فى ليلة مباركة انا كنا منذرين (الدخان : ٣).

١٠ – **والأرض المقدسة مباركة.** قال تعالى :

١ – وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعون مشارق الأرض ومغاربها التى باركنا فيها (الأعراف : ١٣٧).

٢ – الى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا (الاسراء : ١).

٣ – ونجيناه ولوطاً الى الارض التى باركنا فيها للعالمين (الأنبياء : ٧١).

٤ – تجرى بأمره الى الارض التى باركنا فيها (الأنبياء : ٨١).

٥ – وجعلنا بينهم وبين القرى التى باركنا فيها قرى ظاهرة (سبأ : ١٨).

١١ - **والرواسى مباركة. قال تعالى :**

وجعل فيها رواسى من فوقها وبارك فيها (فصلت : ١٠).

فهذه آيات بينات تدل على أن البركة من الله تعالى لا شريك له فى ذلك والمخلوق محتاج الى الله تعالى فى تحصيل البركات ليس فى أيديهم اعطاء البركة فى شئ.

الأحاديث فى هذا الشان :

وفيها نسبة صدور البركة إلى الله تعالى وكذا احتياج المخلوق فى حصول البركات إلى الله تعالى.

١ - عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : كنا نعد الآيات بركة وأنتم تعدونها تخويفاً كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفر فقل الماء فقال : اطلبوا فضلة من ماء فجاؤا باناء فيه ماء قليل فادخل يده فى الإناءِ ثم قال : حى على الطهور المبارك والبركة من الله تعالى .

(رواه البخارى. المشكاة : ٥٣٨).

٢ - حديث الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم وفيه : اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم إنك حميد مجيد (متفق عليه إلا أن مسلماً لم يذكر (على ابراهيم) فى موضعين. المشكاة : ٨٦).

٣ - عن عبد الله بن بسر قال : نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبى فقربنا اليه طعاماً ووطبة فأكل منها ثم أتى بتمر، فكان يأكله يلقى النوى بين اصبعيه ويجمع السبابة والوسطىٰ (وفى رواية) فجعل يلقى النوى على ظهر اصبعيه السبابة والوسطى ثم أتى بشراب فشربه فقال أبى وأخذ بلجام دابته ادع الله لنا. فقال : اللهم بارك لهم فيما رزقتهم واغفر لهم وارحمهم

(رواه مسلم. المشكاة : ٢١٣).

٤ - عن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا رفأ الإنسان اذا تزوج قال : بارك الله لك وبارك عليكما وجمع بينكما فى خير.

(رواه أحمد والترمذى. المشكاة : ٢١٥).

٥ - عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : اذا تزوج احدكم امرأة أو اشترى خادما فليقل : اللهم انى اسألك خيرها وخير ما جبلتها عليه وأعوذ بك من شرها وشر ما جبلتها عليه. واذا اشترى بعيراً فليأخذ بذروة سنامه وليقل مثل ذلك. وفى رواية فى المرأة والخادم ثم ليأخذ بناصيتها وليدع بالبركة .

(رواه أبوداود وابن ماجه. المشكاة :٢١٥).

٦ - وعن أبى هريرة قال : كان الناس اذا رأوا أول الثمرة جاؤا به الى النبى صلى الله عليه وسلم فاذا اخذه قال :اللهم بارك لنا فى ثمرنا وبارك لنا فى مدينتنا وبارك فى صاعنا وبارك لنا فى مدنا .

(رواه مسلم. المشكاة : ٢٣٩).

٧ - وعن أنس عن النبى صلى الله عليه و سلم قال : اللهم اجعل بالمدينة ضعفى ماجعلت بمكة من البركة (متفق عليه، المشكاة : ٢٤٠).

٨ - عن زهرة بن معبد أنه كان يخرج به جده عبد الله بن هشام إلى السوق فيشترى الطعام فيلقاه ابن عمر وابن الزبير فيقولان له اشركنا فان النبى صلى الله عليه وسلم قد دعا لك بالبركة فيشتركهم. فربما أصاب الراحلة كما هى فيبعث بها إلى المنزل وكان عبد الله بن هشام ذهبت به أمه إلى النبى صلى الله عليه وسلم فمسح رأسه ودعا له بالبركة.

(رواه البخارى. المشكاة : ٢٥٤).

٩ - عن أنس أن النبى صلى الله عليه وسلم رأى على عبد الرحمن بن عوف اثر صفرة فقال : ما هذا ؟ قال : إنى تزوجت امرأة على وزن نواة من

ذهب قال : بارك الله لك أولم ولو بشاة (متفق عليه. المشكاة : ٢٧٨).

١٠ - وعن صخر بن وداعة الغامدى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم بارك لأمتى فى بكورها .

(رواه الترمذى وابوداود. المشكاة : ٣٣٩).

١١ - حديث أنس فى كثرة الطعام حديث طويل وفيه : ثم أخذ ما بقى فجمعه ثم دعا فيه بالبركة. فعاد كما كان فقال : دونكم هذا .

(رواه مسلم. المشكاة : ٥٣٧).

واعلم : أن إضافة البركة إلى المخلوق باعتبار كونه مفعولاً أو ظرفاً تجوز كما ورد فى الأحاديث النبوية.

منها : ما روى عن سلمان رضى الله عنه قال : قرأت فى التوراة أن بركة الطعام الوضوء بعده فذكرت ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بركة الطعام الوضوء قبله والوضوء بعده (رواه ابوداود والترمذى. مشكوة : ٣٦٦).

ومنها : ماروى فى قصة الدجال ثم يقال للأرض انبتى ثمرتك وردى بركتك (رواه مسلم. مشكوة : ٤٧٤).

ومنها : ماروى فى حديث نزول آية التيمم فقال أسيد بن حضير : ماهى بأول بركتكم يا آل أبى بكر. وفى رواية : لقد بارك الله للناس فيكم يا آل أبى بكر ما أنتم الا بركة لهم (رواه البخارى : ٢/٦٦٣).

ولكن لا ينبغى أن يذكر بركة المخلوق مع بركة الله تعالى لشبهة الإشراك. ولذا قال الشيخ ابن قيم الجوزية فى ذكر الألفاظ الشركية أنا متوكل على الله وعليك وأنا فى حسب الله وحسبك. ومالى الاالله وأنت. وهذا من الله ومنك. وهذا من بركات الله وبركاتك .

(الجواب الكافى : ١١٤).

وكذا لا ينبغى أن يتوسل فى الدعاءِ بلفظ بركة فلان لوجهين.

الأول: أن الدعاء عبادة ومبنى العبادات على النقل والإتباع دون الإختراع والإبتداع كما قال القاضى ابن أبى العز الحنفى فى شرح العقيدة الطحاوية والدعاء من أفضل العبادات والعبادات مبناها على السنة والإتباع لا على الهوىٰ والإبتداع (٢/٢٦٢).

فلفظ بركة فلان فى الأدعية لم ينقل عن السلف الصالحين.

والوجه الثانى: أن فى بركة فلان إما إضافة إلى الفاعل أو المفعول والأول شرك لما أن البركة لا تكون إلا من اللّٰه تعالىٰ. والثانى عمل مهمل مبتدع لأن بركة فلان أى الآثار والفوائد المودعة فيه من اللّٰه تعالىٰ إنما هى أعماله وعواقبه الحسنة ولم يعهد التوسل فى الشرع بعمل الغير ولا ثوابه وجزائه.

* * * * * *

بحث أصناف المشركين

إعلم : أن المشركين باعتبار أنواع معبوديهم أصناف شتى لأن منهم من يعبد الشجر ومن يعبد الحجر ومن يعبد الماء ومن يعبد النار ومن يعبد الشمس والقمر والنجوم سيما القطب الشمالي ومن يعبد القبور ومن يعبد الأوثان والأصنام ومن يعبد الحيوانات مثل البقر والعجل والحية وغيرها ومن يعبد شجر تلسى ونهر گنگا مثل أهل الهند ومن يعبد العلويين ومن يعبد الجنات وغيرهم.

ولكن من ذكر منهم في القرآن غالباً أربعة أصناف :

١ - المشركون بالكواكب. ٢ - والمشركون بالملائكة ٣ - والمشركون بالعباد من الإنس ٤ - والمشركون بالجن.

النوع الأول : المشركون بالكواكب

من هم ؟ وكيف حال معبوديهم ؟ وكيف طريق عبادتهم ؟ و كيف الرد عليهم في القرآن ؟ هذه أمور نذكرها حسب الضرورة مختصراً.

أما المشركون بالكواكب فهم كانوا صابئين وأصحاب الروحانيات وأصحاب الأشخاص والهياكل والحرنانية فنبين كل واحدة من هذه الطوائف.

الصابئون من هم ؟

فاعلم : أن الصبوة في مقابلة الحنيفية. وفي اللغة صبأ الرجل اذا مال وزاغ. فبحكم ميل هؤلاءِ عن سنن الحق وزيغهم عن نهج الأنبياءِ قيل لهم الصابئة. وقد يقال : صبأ الرجل إذا عشق وهوى. وهم يقولون : الصبوة هي الإنحلال عن قيد الرجال. وإنما مدار مذهبهم على التعصب للروحانيين كما أن مدار مذهب الحنفاءِ هو التعصب للبشر الجسمانيين.

(كتاب الملل والنحل للامام الشهرستاني : ٢/٥).

وقال الآلوسي : هم قوم مذهبهم التعصب للروحانيين واتخاذهم وسائط ولما لم يتسير لهم التقرب اليها بأعيانها فزعت جماعة منهم إلى هياكلها فصابئة الروم مفزعها السيارات وصابئة الهند مفزعها الثوابت، وجماعة نزلوا من الهياكل إلى الأشخاص. فالفرقة الأولى : عبد الكواكب. والثانية : عبدة الأصنام. وكل من هاتين الفرقتين أصناف شتى (تفسير روح المعانى) وقال أبو حنيفة : إنهم (أى الصابئين) ليسوا بعبدة الأوثان. وإنما يعظمون النجوم كما نعظم الكعبة. وقيل : إنهم قوم موحدون فى زعمهم يعتقدون تأثير النجوم ويقرون ببعض الأنبياءِ كيحيىٰ عليه السلام. وقيل : إنهم يقرون بالله ويقرؤن الزبور ويعبدون الملائكة ويصلون إلى الكعبة. وقيل : إلى مهب الجنوب (وهو القطب الشمالى قبلتهم القديمة) فيأخذون من كل دين شيئاً. وقيل : هم قوم ذو مسلك كانوا يسكنون من العرب شرقاً وشمالاً على حدود الشام والعراق كانوا قائلين بالتوحيد والرسالة ويقولون لأنفسهم أنصار يحيىٰ. فعند أكثر الصحابة والتابعين هم أهل الكتاب. وكان أبو حنيفة عراقياً فهو أعلم بحالهم فلذا قال : إنهم أهل كتاب.

اما أصحاب الروحانيات :

فمذهبهم أن للعالم صانعاً فاطراً حكيماً مقدساً عن سمات الحدثان والواجب علينا معرفة العجز عن الوصول إلى جلاله وإنما يتقرب اليه بالمتوسطات المقربين لديه وهم الروحانيون المطهرون المقدسون جوهراً وفعلاً وحالةً المبرؤن عن المواد الجسمانية والحركات المكانية والتغيرات الزمانية و (يقولون) إنما أرشدن معلمنا الأول عاذيمون وهرمس فنحن نتقرب إليهم ونتوكل عليهم وهم أربابنا وآلهتنا ووسائلنا وشفعاؤنا عند الله وهو ربنا رب الأرباب. ويقولون : الروحانيات هم الأسباب المتوسطون فى الإختراع

والإيجاد وتصريف الأمور من حال إلى حال. يستمدون القوة من الحضرة القدسية ويفيضون الفيض على الموجودات السفلية فمنها مدبرات الكواكب السبعة السيارات فى أفلاكها وهى هياكلها فلكل روحانى هيكل ولكل هيكل فلك. ويقولون: الواجب علينا أن نطهر نفوسنا عن دنس الشهوات الطبعية حتى تحصل مناسبة ما بيننا وبين الروحانيات فحينئذٍ نسأل حاجاتنا فهم يشفعون لنا إلى خالقنا ورازقنا وقالوا: إن الأنبياء أمثالنا فى النوع والصورة فمن أين لنا طاعتهم وبأية مزية لهم لزمت متابعتهم (الملل والنحل للشهرستانى ٢/٦) باختصار.

وأما أصحاب الهياكل:

فقال العلامة أبو الفرج ابن الجوزى:

هم قوم يقولون: إن لكل روحانى من الروحانيات العلوية هيكلاً أعنى جرماً من الأجرام السماوية هيكلة ونسبته إلى الروحانى المختص به نسبة أبداننا الى أرواحنا فيكون هو مدبره والمتصرفيه فمن جملة الهياكل كل العلويات السيارات والثوابت. قالوا: ولا سبيل إلى الروحانى بعينه فيتقرب إلى هيكله بكل عبادة وقربان. وقال آخرون منهم: لكل هيكل سماوى شخص من الأشخاص السفلية على صورته وجوهره فعمل هؤلاءِ الصور ونحتوا الأصنام وبنوا لها بيوتاً (كماسنذكرها) تلبيس ابليس ص (٥٠).

وقال الشهرستانى: (نذكر بالإختصار):

إعلم: أن أصحاب الروحانيات لما عرفوا أنه لابد للإنسان من متوسط لابد للمتوسط أن يرى فيتوجه إليه ويتقرب به ويستفاد منه فزعوا إلى الهياكل التى هى السيارات السبع فتعرفوا أولا بيوتها ومنازلها. وثانياً: مطالعها ومغاربها. وثالثاً: اتصالاتها على اشكال الموافقة والمخالفة مرتبة على طبائعها. ورابعاً: تقسيم الأيام والليالى والساعات عليها. وخامساً: تقدير

الصور والأشخاص والأقاليم والأمصار عليها. ويسألون حاجاتهم عنهم في أيامها المخصوصة بها عندهم ويسمونها أرباباً آلهة والله تعالى هو رب الأرباب وإله الآلهة. وكانوا يتقربون إلى الهياكل تقربا إلى الروحانيات ويتقربون إلى الروحانيات تقرباً إلى البارى تعالى.

وقال الإمام ولى الله الدهلوى: النجامون ذهبوا إلى أن النجوم تستحق العبادة وأن عبادتها تنفع فى الدنيا ورفع الحاجات أليها حق. قالوا: قد تحققنا أن لها أثراً عظيماً فى الحوادث اليومية وسعادة المرأ وشقاوته وصحته وسقمه وأن لها نفوساً مجردة عاقلة تبعثها على الحركة ولاتغفل عن عبادها فبنوا هياكل على أسمائها وعبدوها (حجة الله البالغة: ١/٤٦).

أما أصحاب الأشخاص:

فقالوا: إذا كان لابد من متوسط يتوسل به وشفيع يتشفع به والروحانيات وإن كانت هى الوسائل لكنها لعدم رؤيتها لم يتحقق التقرب إليها إلا بهياكل والهياكل قد ترى فى وقت وقد لا ترى فى وقت، لأن لها طلوعاً وأفولاً فلا يتيسر التقرب اليها فلا بد لنا من صور الأشخاص موجودة قائمة منصوبة نصب أعيننا نعكف عليها ونتوسل بها إلى الهياكل فنتقرب بها إلى الروحانيات ونتقرب بالروحانيات إلى الله سبحانه وتعالىٰ فنعبدهم ليقربونا إلى الله زلفىٰ. فاتخذوهم أصناماً اشخاصاً على أمثال الهياكل السبعة فالأولون عبدة الكواكب والآخرون عبدة الأوثان المتخذة بصور الكواكب.

وقوم إبراهيم هم كانوا أصحاب الهياكل وأصحاب الأشخاص كما تدل عليه آيات القرآن. قال فى رد أصحاب الهياكل:

فلما جن عليه الليل رآى كوكباً قال: هذا ربى فلما أفل قال: لا أحب الآفلين (الأنعام: ٧٦). وقال فى رد أصحاب الأشخاص منهم أتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وما تعملون (صٰفّٰت: ٩٥) وقال: أتتخذ أصناماً آلهة

إنـى أراك وقومك فى ضلال مبين (الأنعام : ٧٥). وقال : ما هذه التماثيل التى أنتم لها عاكفون (الأنبياء : ٥٢).

وأما الحرنانية فقالوا :

إن الـصانـع الـمعبود واحد من حيث الذات والأصل والأزل وكثير من حيث الأشخاص فى رأى العين وهى المدبرات السبعة السماوية والأشخاص الـخيرة الـعالمة الفاضلة الأرضية. وقالوا : هو أبدع الفلك وجميع ما فيه من الأجرام والكواكب وجعلها مدبرات هذا العالم وهم الآباء والعناصر أمهات والـمركبات الـمواليد. وهم المنكرون عن قيام الساعة والبعث بعد الموت. وهم يقولون : وما يهلكنا الا الدهر. وهم يعتقدون بقاء هذا العالم. ويقولون : إن الله تعالىٰ أجل من أن يخلق الشرور والقبائح والأقذار والحيات والعقارب بل هى كلها واقعة من اتصالات الكواكب سعادة ونحوسة وهم ينسبون مقالتهم إلى عاذيمون وهرمس وأعيانا وأواذى وسولون جد أفلاطون لأمه، وهم كانوا أنبياء فى زعمهم ويقولون : إن أواذى حرم عليهم البصل والكراث والباقلا. فهم أيضاً عبدة الكواكب والنجوم وكفى عليهم رداً وتشنيعاً ما نقل الله تعالىٰ من مقالات إبراهيم عليه السلام فى رد عبدة الكواكب من الكشدانيين والكلوانيين.

بحث حال معبوديهم وطريق عبادتهم.

علم مما سبق أنهم كانوا يعبدون الكواكب والنجوم ولكن عينوا لها أشكالاً وصوراً مختلفة.

قال العلامة ابن الجوزى (نذكر بالاختصار) : أن قوماً قالوا : الكواكب السبعة وهى زحل والمشترى والمريخ والشمس والزهرة وعطارد والقمر هى الـمدبرات لهذا العالم وقربوا الكل واحد منها ما يشبهه من الحيوان وصوروا لها أصناماً مختلفة. فجعلوا الزحل جسماً عظيماً من الانك (الرصاص

الخالص) أعمى يقرب إليه بثور ويقول له المقربون (مقدس أنت أيها الإله الأعمى المطبوع على الشر الذى لا يفعل خيراً قربنا ما يشبهك فتقبل منا واكفنا شرك وشر أرواحك الخبيثة.

ويقربون إلى المشترى صبياً مولودا من جارية يزنى بها السدنة فيأتون بالأم مع ولدها وهو يبكى فيقولون : أيها الرب الخير الذى لا يعرف الشر قد قربنا لك من لم يعرف الشر يجانسك فى الطبيعة فتقبل قرباننا وارزقنا خيرك وخير أرواحك الخيرة.

ويقولون للمريخ أشقر انمش (نقط بيض وسود) أبيض الرأس يأتون به فيدخلونه فى حوض عظيم يملأونه زيتاً حتى يبقى الرجل فيه قائماً إلى حلقه ويخلطونه بالزيت الأدوية المقوية للعصب المعفنة للحم ويغذى بالأغذية المعفنة للحم والجلد ودار عليه الحول وأتوا به إلى صنمهم الذى على صورة المريخ. فقالوا : أيها الإله الشرير ذو الفتن والجوائح قربنا إليك ما يشبهك فتقبل قرباننا واكفنا شرك وشر أرواحك الخبيثة الشريرة.

ويقربون للشمس تلك المرأة المزنية التى تربوا ولدها للمشترى ويطوفون على صورة الشمس ويقولون أنت أيتها الآلهة النورانية ! قربنا إليك ما يشبهك فتقبلى قرباننا وازرقنا من خيرك وأعيذينا من شرك.

ويقربون للزهرة عجوزا شمطاء ماجنة (صفقة الوجه لا تستحيى من قبح القول) وينادون حولها أيتها الآلهة الماجنة أتيناك بقربان بياضه كبياضك ومجانته كمجانتك وظرفه كظرفك فتقبليها منا ثم يأتون بالحطب فيجعلونه حول العجوز ويضربون فيه النار إلى أن تحترق فيحثون رمادها فى وجه الصنم.

ويقربون لعطارد شاباً اسمر حاسباً كاتباً متأدباً يأتون به بحيلة فيقدمونه إلى صنم عطارد ويقولون أيها الرب الظريف أتيناك بشخص ظريف فتقبل منا

ثـم ينشـر الشـاب نصفين ويربع ويجعل على أربع خشبات حوله ويضرم كل خشبة النار حتى تحترق ويحترق الربع معها ويحثون رماده في وجهه.

ويقـربون للقمر رجلاً آدم كبير الوجه ويقولون له يا بريد الآلهة وخفيف الأجرام العلوية.

وقـال الشهرستاني : هيكـل الزحـل مسدس وهيكل المشترى مثلث وهيكل المريخ مربع مستطيل وهيكل الشمس مربع وهيكل الزهرة مثلث في جوف مربع وهيكل عطارد مثلث في جوفه مربع مستطيل وهيئة القمر مثمن.

وقال الإمام الرازى (١١٤/٢) بعد ذكر هذه الأشكال للكواكب :

واعـلم : أن من بيوت الأصنام المشهورة غمدان الذى بناه الضحاك على اسـم الزهرة بمدينة صنعاء وخربه عثمان بن عفان رضى الله عنه. ومنها نوبهار بلخ الذى بناه منوشهر الملك على اسم القمر انتهى.

وقـال ابن قيم : ومنها بيت ثان وثالث ورابع بصنعاء بناه بعض المشركين عـلى اسم الزهرة فخربه عثمان رضى الله عنه. ومنها : بيت بناه قابوس الملك على اسم الشمس بمدينة فرغانة فخربه المعتصم
(إغاثة اللهفان : ٢١٨/٢).

وعبـدة الشـمـس مـن أهل الهند ويسمون الدينيكيتية أى عباد الشمس اتـخـذوا إلهاً صنماً بيده جوهر على لون النار وله بيت خاص باسمه وله سدنة وقـوام فيـأتـون البيت ويـصـلـون ثلث مرات ويأتيه أصحاب العلل والأمراض فيصومون له ويصلون ويدعون ويستشفون به.

ومـنـهـم عبدة القمر يسموى الجند ريكينية أى عباد القمر اتخذوا له صنماً عـلى شكل عجل يجره أربعة وبيد الصنم جوهر. ويعبدونه ويصومون النصف مـن كـل شهـر ولايفطرون حتى يطلع القمر ثم يأتون صنمه بالطعام والشراب واللبن ثم يرغبون إليه ويسألونه حوائجه ناظرين إلى القمر.

نصف الشهر إذا فرغوا من الإفطار اخذوا في الرقص واللعب بالمعازف بين يدى الصنم والقمر.

وقال الإمام ابن القيم في الإغاثة (٢/٢٢٠) : ومتى أردت الوقوف على هذا فانظر في كتاب السر المكتوم في مخاطبة النجوم المنسوب إلى خطيب الرى أى الامام الرازى تعرف سر عبادة الأصنام وكيفية تلك العبادة وشرائطها.

✲✲✲✲✲✲

بحث الرد على عبدة الكواكب في القرآن الكريم

قال تعالى في حال أهل السبأ : وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله (النمل : ٢٤).

ثم قال تعالى في شانهم : وصدها ماكانت تعبد من دون الله إنها كانت من قوم كافرين (النمل : ٤٣).

وقال تعالى ناهياً عن عبادة الشمس والقمر : لاتسجدوا للشمس ولاللقمر واسجدوا لله الذى خلقهن (حم السجدة : ٢٧)

وقال تعالى حاكياً عن إبراهيم في ذكر الحجة على القوم عابدى النجوم :

فلما جن عليه الليل رآى كوكباً قال : هذا ربى فلما أفل قال : لا أحب الآفلين (الأنعام : ٧٦). فلما رآى القمر بازغاً قال : هذا ربى فلما أفل قال : لئن لم يهدنى ربى لأكونن من القوم الضالين (٧٧) فلما رآى الشمس بازغة قال : هذا ربى هذا أكبر فلما أفلت قال : ياقوم إنى برئ مما تشركون (الأنعام : ٧٨).

فحكم عليهم بأنهم ضالون مشركون.

وقال تعالى في الرد على عابدى الشعرىٰ : وأنه هو رب الشعرىٰ (النجم : ٤٩).

قال الإمام البخارى : هو المرزم الجوزاء.

وقال الإمام ابن كثير فى تفسيره : قال ابن عباس وقتادة ومجاهد وابن زيد وغيرهم : هو هذا النجم الوقاد الذى يقال له المرزم الجوزاء (تفسير ابن كثير) وقال الإمام الرازى : فى النجوم شعريان شامية ويمامية. والظاهر أن المراد اليمانية لأنهم كانوا يعبدونها (تفسير كبير : ٢٩/٢٣).

وقال الشيخ ابن حجر العسقلانى فى شرح البخارى عن مجاهد قال : الشعرى الكوكب الذى خلف الجوزاءِ كانوا يعبدونه. وأخرج الفاكهانى من طريق الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : نزلت فى خزاعة وكانوا يعبدون الشعرى وهو الكوكب الذى يتبع الجوزاء. وروى عبد الرزاق عن معمر عن قتادة قال : كان ناس فى الجاهلية يعبدون هذا النجم الذى يقال له الشعرى. وأخرجه الطبرى من وجه آخر عن مجاهد قال : النجم الذى يتبع الجوزاء. وقال أبو حنيفة الدينورى فى كتاب الأنواءِ العذرة والشعرى العبور والجوزاء فى نسق واحد وهن نجوم مشهورة . قال : وللشعرىٰ ثلثة أزمان إذا رؤيت غدوة طالعة فذاك صميم الحر وإذا رؤيت عشاءً طالعة فذاك صميم البرد لها زمان ثالث وهو وقت نوئها واحد كوكبى الذراع المقبوضة هى الشعرىٰ الغميصاء وهى تقابل الشعرى العبور والمجرة بينهما ويقال لكوكبها الآخر الشمالى المرزم..... الذراع وهما مرزمان هذا والآخر فى الجوزاءِ وكانت العرب تقول : انحدر سهيل فصار يمانياً فتبعته الشعرىٰ فعبرت إليه المجرة وأقامت غميصاء فبكت عليه حتى غمصت عينها والشعريان الغميصاء والعبور يطلعان معاً.

وقال ابن التين : المرزم بكسر الميم وسكون الراءِ المهملة وفتح الزاءِ المعجمة نجم يقابل الشعرىٰ من جهة القبلة لا يفارقها وهو الهنعة انتهى . فتح البارى (٨/٦٠٤).

وقال العلامة الآلوسى فى تفسيره روح المعانى (٢٧/٦٩) : الشعرىٰ العبور وتقال الشعرى أيضاً على الغميصاء. والأولى فى الجوازءِ وإنما قبل لها العبور لأنها عبرت المجرة. فلقيت سهيلاً ولأنها تراه إذا طلع كأنها ستعبر وتسمى أيضاً كلب الجبار لأنها تتبع الجوزاء المسماة بالجبار كما يتبع الكلب الصائد أو الصيد والثانية فى ذراع الأسد المبسوطة وإنما قبل الغميصاء لأنها بكت من فراق سهيل فغمصت عينها. والغمص ما سال من الرمص وهو وسخ أبيض يجتمع فى الموق. وذلك من زعم العرب انهما أختا سهيل.

وفى القاموس : من أحاديثهم أن الشعرىٰ العبور قطعت المجرة فسميت عبوراً وبكت الأخرى على اثرها حتى غمصت يقال لها الغموص أيضاً.

وقيل : زعموا أن سهيلاً والشعرى كانا زوجين فانحدر سهيل وصار يمانيا فاتبعه الشعرى فعبرت المجرة فسميت العبور وأقامت الغميصاء وسميت بذلك لأنها دون الأولى ضياء وكل ذلك من تخيلاتهم الكاذبة التى لاحقيقة لها. والمتبادر عند الإطلاق وعدم الوصف العبور لأنها أكبر جرماً وأكثر ضياءً وهى التى عبدت من دون الله سبحانه فى الجاهلية.

قال السدى : عبدتها حمير وخزاعة. وقال غيره : أول من عبدها أبو كبشة رجل من خزاعة أو هو سيدهم واسمه وخز بن غالب. وكان المشركون يقولون للنبى صلى الله عليه وسلم ابن ابى كبشة، شبهوه به لمخالفته قومه فى عبادة الأصنام. ومن العرب من يعظمها ويعتقد تأثيرها فى العالم ويزعمون أنها تقطع السماء عرضاً وسائر النجوم تقطعها طولاً ويتكلمون على المغيبات عند طلوعها انتهى .

وكذا فى تلبيس إبليس ص (٦١).

الأحاديث في رد عبدة الكواكب :

١ - عن عمرو بن عبسة رضي الله عنه قال : قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة فقدمت المدينة فدخلت عليه فقلت أخبرني عن الصلاة فقال : صل صلاة الصبح ثم اقصر عن الصلاة حين تطلع الشمس حتى ترتفع فإنها تطلع حين تطلع بين قرني الشيطان وحينئذ يسجد لها الكفار... الحديث)

رواه مسلم. ذكره صاحب المشكاة في (١/٩٤).

٢ - وعن زيد بن خالد الجهني قال : صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح بالحديبية على إثر سماء كانت من الليل فلما انصرف أقبل على الناس فقال : هل تدرون ماذا قال ربكم ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ! قال : قال الله : أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر. فأما من قال : مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكواكب وأما من قال : مطرنا بنوءٍ كذا وكذا، فذلك كافر بي مؤمن بالكواكب. متفق عليه (المشكاة : ٣٩٣).

٣ - وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ما أنزل الله من السماءِ من بركة إلا أصبح فريق من الناس بها كافرين ينزل الله الغيث فيقولون : بكوكب كذا وكذا.

(رواه مسلم. المشكاة : ٣٩٣).

٤ - وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : أخبرني رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم من الأنصار أنهم بيناهم جلوس ليلة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كنتم تقولون في الجاهلية إذا رمي بمثل هذا ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم، كنا نقول : ولد الليلة رجل عظيم ومات رجل عظيم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنها لا يرمى لموت أحد ولا لحيوته. الحديث) رواه مسلم المشكاة : ٢/٣٩٤).

٥ - وعن قتادة قال : خلق الله هذه النجوم لثلث : جعلها زينة للسماءِ

وأضاع نصيبه وتكلف ما لا يعلم. (رواه البخارى تعليقاً) وفى رواية رزين: وتكلف ما لايعنيه وزاد: والله ما جعل الله فى نجم حياة أحد ولا رزقه ولا موته، وإنما يفترون على الله الكذب ويتعللون بالنجوم.

(المشكاة: ٢/٣٩٤).

٦ - وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من اقتبس باباً من علم النجوم لغير ما ذكر الله فقد اقتبس شعبة من السحر المنجم كاهن والكاهن ساحر والساحر كافر) رواه رزين).

٧ - وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لو أمسك الله القطر عن عباده خمس سنين ثم أرسله لاصبحت طائفة من الناس كافرين يقولون: سقينا بنوءِ المجدح)

رواه النسائى. المشكاة: ٢/٣٩٤.

☼☼☼☼☼☼

النوع الثانى : المشركون بالعباد (أى الإنس)

نذكر أولاً طريق القرآن الكريم فى الرد على هؤلاء المشركين بعنواناتهم مختلفة فى شأن معبوديهم. ونذكر ثانياً : المباحث الثلثة المتعلقة بهذا المقام.

أما العنوانات القرآنية فهى سبعة عشر :

الأول : ذكر الأسماء الخاصة للمعبودين :

١ - قال تعالى : واذ قال الله يا عيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى إلهين من دون الله (المائدة : ١١٦).

٢ - وقالت اليهود عزير بن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله (٣٠)

٣ - اتدعون بعلاً وتذرون احسن الخالقين (صٰفّت : ١٢٥)

٤ - أفرايتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى (النجم : ١٩).

٥ - وقالوا : لاتذرن آلهتكم ولاتذرن وداً ولاسواعاً ولا يغوث ويعوق ونسراً (نوح : ٢٣).

والثانى : الوصف الخاص. قال تعالى : اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم (التوبة : ٣١).

والثالث : لفظ العبادة.

١ - إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم (الأعراف : ١٩٤).

٢ - أفحسب الذين كفروا أن يتخذوا عبادى من دونى أولياء (الكهف : ١٠٢).

والرابع : لفظ الذين. قال تعالى : والذين يدعون من دون الله لايخلقون شيئاً وهم يخلقون (النحل : ٢٠).

والخامس : لفظ (من). قال تعالى : ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة (الأحقاف : ٥).

والسادس : لفظ (ما) قال تعالى : قل أتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضراً ولا نفعاً (المائدة : ٧٦).

والسابع : لفظ (أولياء). قال تعالى :

١ - أفحسب الذين كفروا أن يتخذوا عبادى من دونى أولياء (الكهف : ١٠٢).

٢ - قل أفاتخذتم من دونه اولياء لايملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً (الرعد : ١٦).

٣ - مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت (العنكبوت : ٤١).

٤ - والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله (الزمر : ٣).

٥ - والذين اتخذوا من دونه أولياء الله حفيظ عليهم (حم شورى : ٥).

والثامن : لفظ الأصنام . قال تعالى :

١ - فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم قالوا ياموسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة (الأعراف : ١٣٨).

٢ - رب اجعل هذا البلد آمنا واجنبنى ونبى أن نعبد الأصنام (ابراهيم : ٣٥).

٣ - واذ قال ابراهيم لأبيه آزر أتتخذ أصناماً آلهة (الأنعام : ٧٤).

٤ - قالوا : نعبد أصناماً فنظل لها عاكفين (الشعراء : ٧١).

٥ - وتالله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين (الأنبياء : ٥٧).

والتاسع : لفظ الأوثان. قال تعالى :

١ - فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور (الحج : ٣٠).

٢ - إنما تعبدون من دون الله أوثاناً وتخلقون إفكاً (العنكبوت : ١٧).

٣ - وقال انما اتخذتم من دون الله أوثانا مودة بينكم فى الحيوة الدنيا (العنكبوت : ٢٥).

والعاشر : لفظ التماثيل. قال تعالى :

ماهذه التماثيل التى أنتم لها عاكفون (الأنبياء : ٥٢).

والحادى عشر : لفظ الأموات. قال تعالى :

أموات غير أحياء وما يشعرون أيان يبعثون (النحل : ٢١).

والثانى عشر : لفظ الإناث. قال تعالى :

إن يدعون من دونه إلا إناثاً (النساء : ١١٧).

وبصيغة التانيث : قال تعالى : إن أرادنى الله بضر هل هن كاشفات ضره (الزمر : ٣٨).

والثالث عشر : لفظ الأنداد. قال تعالى :

١ - فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون (البقرة : ٢٢).

٢ - ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله (البقرة : ١٦٥).

٣ - وجعلوا لله أنداداً ليضلوا عن سبيله (ابراهيم : ٣٠).

٤ - اذ تأمروننا ان نكفر بالله ونجعل له أنداداً (سبأ : ٣٣).

٥ - وجعل لله أنداداً ليضل عن سبيله (الزمر : ٨).

٦ - قل أئنكم لتكفرون بالذى خلق الأرض فى يومين وتجعلون له أنداداً (فصلت : ٩)

والرابع عشر : لفظ الشركاء. قال تعالى :

١ - وما نرى معكم شفعائكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء (الأنعام : ٩٤).

٢ - فلما آتاهما صالحاً جعلا له شركاء فيما آتاهما

(الأعراف : ١٩٠).

٣ – وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء (يونس : ٦٦).

٤ – وجعلوا لله شركاء قل سموه (الرعد : ٣٣).

وهذا التعبير كثير الورود فى القرآن.

والخامس عشر : لفظ الآلهة. قال تعالى :

١ – أئنكم لتشهدون أن مع الله آلهة أخرى (الأنعام : ١٩).

٢ – قل لو كان معه آلهة كما يقولون إذا لابتغوا الى ذى العرش سبيلاً (الاسراء : ٤٢).

٣ – واتخذوا من دونه آلهة ليكونوا لهم عزاً (مريم : ٨١).

٤ – واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون (الفرقان : ٣).

وهذا اللفظ أيضاً كثير الوقوع فى القرآن.

والسادس عشر : لفظ إتخاذ الولد والإبن : قال تعالى :

١ – وقالوا اتخذ الله ولداً سبحانه (البقرة :١٦٦– يونس : ٦٨).

٢ – وينذر الذين قالوا تخذ الله ولداً (الكهف : ٤).

٣ – وقالوا اتخذ الرحمن ولداً (مريم : ٨٨ – وأنبياء : ٢٦)

٤ – وتخر الجبال هداً أن دعوا للرحمن ولداً (مريم : ٩١).

فى هذه نسبة هذا القول إلى المشركين وفى الآيات العشر من القرآن رد على اتخاذ الولد.

وأما لفظ الإبن فقال تعالى :

١ – وقالت اليهود عزير بن الله وقالت النصارى المسيح بن الله (التوبة : ٣٠).

٢ – وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم (الأنعام : ١١٠).

والسابع عشر : لفظ الشفعاءِ. قال تعالى :

١ - أم اتخذوا من دون الله شفعاء (الزمر : ٤٣).

******

البحث الأول من المباحث الثلثة

فى تحقيق لفظ الإبن والولد بالنسبة إلى الله تعالى

ذكرنا أولاً : أن بعض المشركين من العرب كانوا قائلين بالبنات لله تعالى ومن اليهود والنصارى من يقول بنسبة الإبن والولد إلى الله تعالى. فالآن نبحث عن مرادهم بهذه الألفاظ وعقيدتهم. فنقول : إن سبب قول اليهود فى عزير عليه السلام إنه ابن الله ماذكره المفسرون وغيرهم.

قال العلامة الآلوسى : وسبب ذلك على ما اخرجه ابن أبى حاتم عن ابن عباس رضى الله عنهما أن عزيراً كان فى أهل الكتاب. وكانت التوراة عندهم يعملون بها ما شاء الله تعالى أن يعملوا. ثم أضاعوها وعملوا بغير الحق وكان التابوت عندهم فلما آرى الله سبحانه أنهم أضاعوا التوراة وعملوا بالأهواءِ رفع عنهم التابوت وأنساهم التوراة ونسخها من صدورهم فدعا عزير ربه عز وجل وابتهل أن يرد عليه ما نسخ من صدره فبينما هو يصلى مبتهلاً إلى الله عز وجل نزل نور من الله تعالىٰ فدخل فى جوفه فعاد الذى كان ذهب من جوفه من التوراة فأذن فى قومه فقال : يا قوم ! قد آتانى الله التوراة وردها إلىّ فطفق يعلمهم فمكثوا ما شاء الله تعالى أن يمكثوا وهو يعلمهم ثم إن التابوت نزل عليهم بعد ذهابه منهم فعرضوا ما كان فيه على الذى كان عزير يعلمهم. فوجدوه مثله. فقالوا : والله ! ما أوتى عزير هذا إلا لأنه ابن الله سبحانه.

وقيل : قائل ذلك جماعة من يهود المدينة منهم سلام بن مشكم ونعمان بن أبى أوفىٰ وشاس بن قيس ومالك بن الصيف. أخرج ابن أبى حاتم وأبو

الشيخ وابن مردويه عن ابن عباس رضى الله عنهما أنهم أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : نتبعك وقد تركت قبلتنا وأنت لا تزعم أن عزير ابن الله (روح المعانى ١٠/٨١).

وقال ابن الجوزى : وحكى ابو عبد الله بن حامد من أصحابنا أن اليهود تزعم أن الإله المعبود رجل من نور على كرسى من نور على رأسه تاج من نور وله أعضاء كما للآدميين. ومن ذلك قولهم عزير ابن الله ولو فهموا أن حقيقة البنوة لا تكون إلا بالتبعيض والخالق ليس بذى أبعاض لأنه ليس بمؤلف لم يثبتوا بنوة. ثم إن الولد فى معنى الوالد. وقد كان عزير لايقوم إلا بالطعام والإله من قامت به الأشياء لامن قام بها. والذى دعاهم إلى هذا مع جهلهم بالحقائق أنهم رأوه قد عاد بعد الموت وقرأ التورات من حفظه فتكلموا بذلك من ظنونهم الفاسدة (تلبيس إبليس : ٦٩).

وأما سبب ضلال النصارى فى قولهم :

المسيح ابن الله فكما قال العلامة الآلوسى : إنه ورد اطلاق الأب على الله تعالى فى الشرائع المتقدمة باعتبار أنه السبب الأول وكثر هذا الاطلاق فى إنجيل يوحنا . ثم ظنت الجهلة أن المراد به معنى الولادة فاعتقدوا ذلك تقليدا وكفراً. ولم يجوز العلماء اليوم اطلاق ذلك عليه تعالىٰ مجازاً قطعاً لمادة الفساد (روح المعانى : ١/٣٦٩).

وكذا السبب لقول الفريقين مشاهدة الأمور الخارقة للعادة من عزير وعيسى عليهما السلام واعتقدوا أنها صادرة عنهما بالإختيار والقدرة لهما فصارا ظلاً لله تعالىٰ فى الألوهية وظهرت عليهما آثار المعبودية كما تظهر آثار الآباءِ فى الأبناءِ.

ثم اعلم : أن الجهلة منهم اعتقدوا البنوة والولدية حقيقة لحملهم لفظ الإبن المذكور فى كتبهم على الحقيقة وتجويزهم التبعيض والتجسيم على

الله تعالىٰ وهذا أقبح الكفر. وأما أولوا العلم والعقل منهم فاعتقدوا البنوة والولادة مجازاً يرجع الى الشرك.

ولفظ اتخذ يدل على هذا كما قال العلامة الآلوسى فى تفسير سورة يونس لفظ (الإتخاذ) صريح فى التبنى.

وقال الإمام المفسر القرطبى: وظاهر قول النصارى أن المسيح بن الله إنما أرادوا بنوة النسل كما قالت العرب فى الملائكة. وكذلك يقتضى قول الضحاك والطبرى وغيرهما وهذا أشنع الكفر.

قال أبو المعالى: أطبقت النصارى على أن المسيح إله وأنه ابن إله وقال.

وقال ابن عطية: ويقال: إن بعضهم يعتقدها بنوة حنو ورحمة وهذا المعنى أيضاً لا يحل أن تطلق البنوة عليه وهو كفر (تفسير القرطبى: ١١٧/٨).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: فمنهم من يقول: المسيح ومريم إلهان من دون الله وهم المريمانية ويسمون المريميين. ومنهم من يقول: إن المسيح من الأب بمنزلة شعلة نار تعلقت من شعلة نار فلم تنقص الأولىٰ لإيقاد الثانية منها. وهى مقالة سباربون وأتباعه. ومنهم يقول: إن المسيح إنسان خلق من اللاهوت كواحد منافى جوهره وأن ابتداء الابن من مريم وأنه اصطفى ليكون مخلصاً للجوهر الانسى صحبته النعمة الإهية فحلت فيه المحبة والمشيئة فلذا سمى بابن الله ويقولون: إن الله جوهر واحد وأقنوم واحد يسمونه بثلثة أسماء ولا يؤمنون بالكلمة ولا بروح القدس وهى مقالة بولس الشمشاطى بطرك أنطاكية وأشباعه وهم البوليانيون.

(الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح).

وقال الإمام ولى الله الدهلوى فى تشريح البنوة المجازية ووجود هذه العقيدة فى هذه الأمة كذلك: ومنهم (أى من المشركين) من اعتقد أن الله

تعالى هو السيد وهو المدبر لكنه قد يخلع على بعض عبيده لباس الشرف والتاله ويجعله متصرفاً فى بعض الأمور الخاصة ويقبل شفاعته فى عباده بمنزلة ملك الملوك يبعث على كل قطر ملكاً ويقلده تدبير تلك المملكة فيما عدا الأمور العظام فيتلجلج (يضطرب) لسانه أن يسميهم عباد الله فيسويهم وغيرهم فعدل عن ذلك الى تسميتهم أبناء الله ومحبوبى الله وسمى نفسه عبداً لأولئك كعبد المسيح وعبد العزى وهذا مرض جمهور اليهود والنصارى والمشركين وبعض الغلاة من منافقى دين محمد صلى الله عليه وسلم يومنا هذا (حجة الله البالغة : ١/ ٤٨).

وقال أيضاً فى بيان عقيدة النصارى ذهبوا إلى أن للمسيح عليه السلام قرباً من الله تعالىٰ وعلوا على الخلق فلا ينبغى أن يسمى عبداً فيسوى بغيره لأن هذا سوء أدب معه وإهمال لقربه من الله. ثم مال بعضهم عند التعبير عن تلك الخصوصية إلى تسمية ابن الله نظراً إلى أن الأب يرحم الإبن ويربيه على عينيه وهو فوق العبيد. فهذا الإسم أولى به (حجة الله البالغة : ١/ ٤٨).

✲✲✲✲✲✲

البحث الثاني من المباحث الثلثة

فى تحقيق لفظ الصنم والوثن والند والنصب.

فيه مقامان: الأول: معاني هذه الألفاظ والثاني: الباعث والسبب على عبادة الأصنام.

المقام الأول: فى بيان معاني هذه الألفاظ:

قال الإمام الراغب الأصفهاني: الصنم جثة متخذة من فضة أو نحاس أو خشب كانوا يعبدونها متقربين بها إلى الله تعالى. وجمعه أصنام.

قال بعض الحكماء: كل ما عبد من دون الله بل كل ما يشغل عن الله تعالى. وعلى هذا الوجه قال ابراهيم: اجنبنى وبنى أن نعبد الأصنام.

فمعلوم أن ابراهيم عليه السلام مع تحققه بمعرفة الله تعالى واطلاعه على حكمته لم يكن ممن يخاف أن يعود إلى عبادة تلك الجثث التى كانوا يعبدونها فكأنه قال: اجنبنى عن الإشتغال بما يصرفنى عنك.

(المفردات: ٢٨٩).

وقال: الوثن حجارة كانت تعبد (المفردات: ٥٣٢).

وقال: الند نديد الشئ مشاركته فى جوهره. وذلك ضرب من المماثلة فان المثل يقال فى أى مشاركة كانت. فكل ند مثل وليس كل مثل ند.

(المفردات: ٥٠٤).

وقال: النصب حجارة تنصب على الشئ وكان للعرب حجارة تعبدها وتذبح عليها (المفردات: ٥١٣).

وقال الشيخ محمد طاهر الفتنى: الصنم هو ما اتخذ إلها من دونه تعالى. وقيل: هو ما كان له جسم أو صورة وإلا فهو وثن.

(مجمع بحار الأنوار: ٢/٢٦٧)

وقال : الوثن هو كل ماله جثة معمولة من جواهر الأرض أو من الخشب أو من الحجارة كصورة الآدمي. والصنم الصورة بلا جثة. وقيل : هما سواء وقد يطلق الوثن على غير الصورة. ومنه حديث عدى رضى الله عنه قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى عنقى صليب من ذهب فقال : ألق عنك هذا الوثن عنك (مجمع البحار : ٤١٧/٣).

قال : والند بالكسر وهومثل الشئ يضاده ويناده أى يخالفه (مجمع البحار : ٣٤٤/٣).

وقال : النصب بضم صاد وسكونها حجر كانوا ينصبونه فى الجاهلية ويتخذونه صنماً فيعبدونه وجمعه أنصاب. وقيل : هو حجر كانوا ينصبونه ويذبحون عليه فيحمر بالدم (مجمع البحار : ٣٦٠/٣).

وقال الإمام المفسر القرطبى : الوثن التمثال من خشب أو حديد أو ذهب أو فضة ونحوها. وكانت العرب تنصبها وتعبدها. والنصارى تنصب الصليب وتعبده وتعظمه فهو كالتمثال أيضاً. وقال عدى بن أبى حاتم : أتيت النبى صلى الله عليه وسلم وفى عنقى صليب من ذهب فقال : ألق هذا الوثن عنك أى الصليب وأصله من وثن الشئ أى قام مقامه وسمى الصنم وثناً لأنه ينصب ويركز فى مكان فلا يبرح عنه (تفسير القرطبى : ٥٤/١٢).

وقال العلامة الآلوسى : الأنصاب وهى الأصنام المنصوبة للعبادة. وفرق بعضهم بين الأنصاب والأصنام بأن الأنصاب حجارة لم تصور كانوا ينصبونها لعبادة ويذبحون عندها. والأصنام ماصور وعبد من دون الله عز وجل (روح المعانى : ١٥/٧).

وقال الشيخ عبد القادر الجيلانى : كل شئ تعتمد عليه وتثق به دون الله تعالى فهو صنمك (الفتح الربانى : ٩٠) وقال أيضاً : أنت صنمك الخلق وأنت صنمك الشهوات واللذات. وأنت صنمك الحمد والثناء وقبول الخلق

لك كل ما سوى الله عز وجل صنم (الفتح الرباني : ١٧٤).

وقال أحمد الرومي : النصب كل ما نصب وعبد من دون الله من شجر أو حجر أو قبر أو غير ذلك. والواجب هدم ذلك كله ومحو أثره (مجالس الأبرار ١٢١ – مجلس : ١٨).

وقال الإمام الرازي : ما الند ؟ الجواب : إنه المثل المنازع. وناددت الرجل نافرته. من ند ندود اذا نفر كأن كل واحد من الندين يناد صاحبه أي ينافره ويعانده. فإنقيل : إنهم لم يقولوا : إن الأصنام تنازع الله تعالىٰ ؟ قلنا : لما عبدوها وسموها آلهة أشبهت حالهم حال من يعتقد أنها قادرة على منازعته فقيل لهم ذلك على سبيل التهكم (التفسير الكبير : ١١٢/٢).

وقال ابن قيم : الند الشبيه. يقال فلان ند فلان نديده أي مثله وشبهه ومنه قول حسان بن ثابت رضي الله عنه :

أتهجوه ولست له بندٍ   فشركما لخيركما الفداء

ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم لمن قال له : ماشاء الله وشئت : (أجعلتني لله نداً؟)

وقال جرير :

أتيماً تجعلون اليّ نداً   وما تيم لذى حسب نديد

(إغاثة اللهفان : ٢٢٥/٢).

المقام الثاني : في بيان الباعث والسبب في عبادة الأصنام وبدئها.

إعلم : أن المشركين في أي زمان كانوا لم يعبدوا الحجر من حيث أنه حجر والا فلم يرفعوا رؤسهم من الجبال. ولكن من حيث أنها صور عليها صور العباد وغيرهم من معبوديهم.

ولذا قال شيخ الإسلام ابن قيم رحمه الله تعالى :

(فوضع الصنم إنما كان في الأصل على شكل معبود غائب فجعلوا

الـصـنـم على شكله وهيأته وصورته ليكون نائباً منابه وقائماً مقامه. وإلا فمن المعلوم أن عاقلاً لا ينحت بخشبة أو حجراً بيده ثم يعتقد أنه إلهه ومعبوده.
(إغاثة اللهفان ٢/٢٢٠).

وقـال أيـضاً : وتلاعب الشيطان بالمشركين فى عبادة الأصنام له أسباب عـديـدة تـلاعـب بكل قوم على قدر عقولهم. فطائفة دعاهم إلى عبادتها من جهة تـعـظـيـم الـموتى الذين صوروا تلك الأصنام على صورهم (ثم قال) ومن أسبـاب عبـادتهـا أيضـاً : أن الشيـاطين تدخل فيها وتخاطبهم منها وتخبرهم ببـعـض الـمـغيبـات وتـدلهـم عـلـى بعض ما يخفى عليهم وهم لا يشاهدون الشيـاطين فجهلتهم وسقطهم يظنون أن الصنم نفسه هو المتكلم المخاطب. وعقلائهم يقولون : إن تلك روحانيات الأصنام (إغاثة اللهفان : ٢/٢٢٠)

وقـال الإمـام ولـى الله الـدهلوى : المشركون وافقوا المسلمين فى تدبير الأمـور العظام وفى ما أبرم وجزم ولم يترك لغيره خيرة. ولم يوافقوهم فى سائر الأمـور ذهبـوا إلى أن الصالحين من قبلهم عبدوا الله وتقربوا إليه فاعطاهم الله الألـوهية فـاستـحـقـوا الـعبـادة من سائر خلق الله تعالى كما أن ملك الملوك يـخـدمـه عبـده فيحسن خدمته فيعطيه خلعة الملك ويفوض إليه تدبير بلد من بـلاده فيستـحق السمع والطاعة من أهل ذلك البلد. وقالوا : لا تقبل عبادة الله تعالى إلا مضمومة بعبادتهم بل الحق فى غاية التعالى فلا يفيد عبادته تقرباً منه بـل لا بـد مـن عبـادة هـؤلاءِ ليـقـربـونا إلى الله زلفىٰ وقالوا : هؤلاءِ يسمعون ويـبـصـرون ويـشـفـعـون لـعبـادهـم ويدبرون أمورهم وينصرونهم فنحتوا على أسـمـائهـم أحـجاراً وجعلوها قبلة عند توجههم إلى هؤلاءِ فخلف من بعدهم خـلف فـلـم يـفـطـنـوا لـلـفـرق بين الأصنام وبين من هى على صورته فظنوها معبودات بأعيانها (حجة الله البالغة : ١/٤٦) باب التوحيد.

وقال الإمام ابن الجوزى :

قال هشام وحدثني أبي وغيره أن إسماعيل عليه السلام لما سكن مكة وولد له فيها أولاد فكثروا حتى ملأوا مكة ونفوا من كان بها من العماليق ضاقت عليهم مكة ووقعت بينهم الحروب والعداوات فاخرج بعضهم بعضاً فتفسحوا في البلاد والتمسوا المعاش فكان الذي حملهم على عبادة الأوثان والحجارة أنه كان لا يظعن من مكة ظاعن إلا احتمل معه حجراً من حجارة الحرم تعظيماً للحرم وصيانة لمكة فحيثما حلوا وضعوه وطافوا به كطوافهم بالكعبة تيمناً بها وصيانة للحرم وحباله وهم بعد يعظمون الكعبة ومكة ويحجون ويعتمرون على إثر ابراهيم وإسماعيل عليهما السلام. ثم عبدوا ما استحسنوا ونسوا ما كانوا عليه واستبدلوا بدين ابراهيم وإسماعيل عليهما السلام غيره فعبدوا الأوثان وصاروا إلى ما كانت عليه الأمم من قبلهم واستخرجوا ما كان يعبد قوم نوح عليه السلام (تلبيس إبليس : ٥٤).

وقال الإمام العلامة الآلوسي :

ومنشأ ضلال عبدة الأصنام على ما يفهم من كلام أبي مبشر جعفر بن محمد النجم البلخي في بعض كتبه اعتقاد أن الله تعالى جسم فقد نقل عنه الإمام أنه قال : إن كثيراً من أهل الصين والهند كانوا يثبتون الإله والملائكة إلا أنهم يعتقدون أنه سبحانه جسم ذو صورة كأحسن ما يكون من الصور والملائكة أيضاً صور حسنة إلا أنهم كلهم محتجبون بالسموات عندهم فلا جرم اتخذوا صوراً وتماثيل أنيقة المنظر حسنة الرواءِ والهيكل وجعلوا الأحسن هيكل الإله ومادونه هيكل الملك وواظبوا على عبادة ذلك قاصدين الزلفىٰ من الله تعالى ومن الملائكة (روح المعاني : ٧/١٩٦).

وقال أيضاً : ونسبة الشفاعة للأصنام قيل باعتبار السببية وذلك لأنهم كما هو المشهور وضعوها على صور رجال صالحين ذوي خطر عندهم. وزعموا أنهم متى اشتغلوا بعبادتها فإن أولئك الرجال يشفعون لهم.

(روح المعانى : ١١/٨٨).

وقال الإمام الرازى : واعلم أنه لادين أقدم من دين عبادة الأوثان وذلك لأن أقدم الأنبياءِ الذين نقل إلينا تاريخهم هو نوح عليه السلام. وهو إنما جاء بالرد عليهم على ما أخبر اللّٰه تعالى عن قومه فى قوله : ﴿ وقالوا : لا تذرن آلهتكم ولا تذرن وداً ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق ونسراً ﴾ فعلمنا أن هذه المقالة كانت موجودة قبل نوح عليه السلام وهى باقية إلى الآن بل أكثر أهل العالم مستمرون على هذه المقالة والدين والمذهب الذى هذا شانه يستحيل أن يكون بحيث يعرف فساده بالضرورة لكن العلم بأن هذا الحجر المنحوت فى هذه الساعة ليس هو الذى خلقنى وخلق السموات والأرض علم ضرورى فيستحيل اطباق الجمع العظيم عليه فوجب أن يكون لعبدة الأوثان غرض آخر سوى ذلك. والعلماء ذكروا فيه وجوهاً. احدها : (ما نقلناه سابقاً من العلامة الآلوسى حاصله : أن السبب فى عبادة الأوثان اعتقاد الشبه وثانيها : مرفى حال عبدة الكواكب و ثالثها : بعيد الفهم) ورابعها : أن متى مات منهم رجل كبير يعتقدون فيه أنه مجاب الدعوة ومقبول الشفاعة عند اللّٰه تعالىٰ اتخذوا صنماً على صورته يعبدونه على اعتقاد أن ذلك الإنسان يكون شفيعاً لهم يوم القيامة عند اللّٰه على ما أخبر اللّٰه تعالى عنهم بهذه المقالة فى قوله (هؤلاءِ شفعاؤنا عند اللّٰه) وخامسها : لعلهم (أى المتقدمين) اتخذوها محاريب لصلاتهم وطاعاتهم ويسجدون إليها لا لها كما أنا نسجد إلى القبلة لا للقبلة ولما استمرت هذه الحالة ظن الجهلة من القوم أنه يجب عبادتها انتهى (التفسير الكبير للإمام الرازى : ٢/١١٢).

* * * * * *

البحث الثالث من المباحث الثلثة

ذكر أسماءِ من سمى فى القرآن الكريم
أو السنة أو التاريخ من معبوديهم من العباد

إعلم : أنه ذكر فى القرآن ممن عبد من دون اللّٰه تعالىٰ من العباد أى الإنس ثمانية أسماءٍ.

قال اللّٰه تعالى : أتدعون بعلاً وتذرون أحسن الخالقين (صٰفّٰت : ١٢٥).

وقال تعالى : أفرأيتم اللات والعزى (هذه جنية سيأتى ذكرها فى بحث المشركين بالجن) ٣ - ومناة الثالثة الأخرى (النجم : ١٩- ٢٠).

وقال تعالى : ٤ - وداً ٥ - ولا سواعاً ٦ - ولا يغوث ٧ - ويعوق ٨ - ونسراً. (نوح : ٢٣).

فالآن نذكر من أحوالهم الدالة على أنهم كانوا من الإنس وعبدوا من دون اللّٰه.

أما بعل التى عبدها قوم إلياس عليه السلام فكانت امرأة وضعوا على صورتها صنماً وسموه باسمها كان طوله أربعة وعشرين ذراعاً وله أربع مائة سدنة.

وقال العلامة السيوطى فى رواية عن ابن عساكر طويلة : وإن الذى زين لذلك الملك امرأته وكانت قبله تحت ملك جبار وكان من الكنعانيين فى طول وجسم حسن فمات زوجها فاتخذت تمثالاً على صورة بعلها من الذهب وجعلت له حدقتين ياقوتيتين وتوجته بتاج مكلل بالدر والجوهر ثم أقعدته على سرير تدخل عليه فتدخنه وتطيبه وتسجد له ثم تخرج عنه فتزوجت بعد ذلك هذا الملك الذى كان إلياس معه وكانت فاجرة قد قهرت زوجها ووضعت البعل فى ذلك البيت وجعلت سبعين سادناً فعبدوا البعل.

(تفسير الدر منثور : ٥/٢٨٥).

وعلى هذه الرواية البعل اسم رجل وقال السيوطى فى رواية أخرى عن ابن عساكر : إنها اسم امرأة يعبدونها (الإتقان : ٢/١٤٢).

وقال الإمام المفسر ابن جرير : قال ابن اسحق : سمعت بعض أهل العلم يقول : ما كان بعل إلا امرأة يعبدونها من دون الله تعالى

(تفسير ابن جرير : ١٠/٥٩).

وأما اللات فكان رجلاً سخياً يلت السويق للحاج فلما مات عكفوا على قبره ثم بعد مرور زمان اتخذوا صنماً على صورته وعبدوه كما قال المفسرون وأهل التواريخ.

قال الإمام ولى الله الدهلوى : وكفر الله مشركى مكة بقولهم لرجل سخى كان يلت السويق للحجاج إنه نصب منصب الألوهية يستعينون به عند الشدائد (بدور بازغة : ١٢٦).

وقال الإمام البخارى فى صحيحه : حدثنا مسلم هو ابن ابراهيم حدثنا أبو الأشيب ثنا أبو الجوزاءِ عن ابن عباس رضى الله عنهما : كان اللات رجلاً يلت السويق للحاج (٢/٧٢١).

وقال الإمام ابن كثير : وكانت اللات صخرة بيضاء منقوشة وعليها بيت بالطائف له أستار وسدنة وحوله فناء معظم عند أهل الطائف وهم ثقيف ومن تابعها يفتخرون بها على من عداهم من أحياءِ العرب بعد قريش. وحكى عن ابن عباس ومجاهد والربيع بن أنس أنهم قرؤا اللات بتشديد التاء وفسروه بأنه كان رجلاً يلت للحجيج فى الجاهلية فلما مات عكفوا على قبره فعبدوه .

(تفسير ابن كثير : ٤/٢٥٣).

وقال الإمام ابن الجوزى : ثم اتخذوا اللات بالطائف وهى أحدث من مناة وكانت صخرة مرتفعة (وقيل : مربعة) وكانت سدنتها ثقيف وكانوا قد

بنوا عليها بناء وكانت قريش وجميع العرب تعظمها وكانت تسمى زيد اللات وتيم اللات وكانت فى موضع منارة مسجد الطائف اليسرىٰ اليوم فلم يزالو كذلك حتى اسلمت ثقيف فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم المغيرة بن شعبة فهدمها وحرقها بالنار (تلبيس إبليس : ٥٥).

وكذلك قال شيخ الاسلام ابن قيم وفى عبارته : كان يهودى يلت عندها السويق للحاج (إغاثة اللهفان ن: ٢/٢٠٨).

وفى هامشه : عن هشام ولها يقول عمرو بن الجعيد :

فإنى وتركى وصل كأس لكا الذى ❁ تبرأ من لات وقد كان يدنيها

وله يقول الملتمس فى هجائه عمرو بن المنذر :

اطردتنى حذر الهجاءِ ولا ❁ ولا اللات والأنصاب لا تئل

(أى لاتنجو).

ولما هدمت وحرقت اللات يقول شداد بن العارض الجشمى ينهى ثقيفاً عن العود إليها والغضب لها.

لا تنصروا اللات إن الله مهلكها ❁ وكيف نصركم من ليس ينتصر
إن التى حرقت بالنار فاشتعلت ❁ ولم تقاتل لدى أحجارها هدر
إن الرسول متى ينزل بساحتكم ❁ يظعن وليس بها من أهلها بشر

وقال أوس بن حجر يحلف باللات :

وباللات والعزى ومن دان دينها ❁ وبالله إن الله منهن أكبر

وأما مناة : فقال السيوطى : هو علم إنسان (الإتقان : ٢/١٤٢).

وقال الشيخ ابن القيم : كان أقدم الأصنام مناة (وقد كانت العرب تسمى عبدة المناة وزيد مناة. وكان منصوباً على ساحل البحر من ناحية المشلل بالقديد بين مكة والمدينة. وكانت العرب جميعها تعظمه وكانت الأوس والخزرج ومن ينزل المدينة ومكة وما قارب من المواضع يعظمونه ويذبحون

له ويهدون له.

قال هشام : وحدثنا رجل من قريش عن أبى عبيدة بن عبد الله بن أبى عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر قال : كانت الأوس والخزرج ومن جاورهم من عرب أهل يثرب وغيرهم يحجون فيقفون مع الناس المواقف كلها ولا يحلقون رؤسهم فاذا نفروا أتوه (أى مناة) فحلقوا عنده رؤسهم واقاموا عنده لا يرون لحجهم تماماً إلا ذلك. وكانت مناة لهذيل وخزاعة. فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم علياً فهدمها عام الفتح (إغاثة اللهفان : ٢/٢٠٨). وكذا فى تلبيس ابليس (٥٥). وفى الحاشية : وأخذ ما كان معها فأقبل به إلى النبى صلى الله عليه وسلم فكان فى ما أخذ سيفان كان الحارث بن أبى شمر الغسانى ملك غسان أهداهما لها أحدهما يسمى مخذماً والآخر رسوبا هما سيفا الحارث اللذان ذكرهما علقمة فى شعره فقال :

مظاهر سربالى حديد عليهما ۞ عقيلاً سيوف مخذم ورسوب

فوهبهما النبى صلى الله عليه وسلم لعلى فيقال : إن ذا الفقار سيف على أحدهما انتهى.

وقيل : وبعث اليها أبا سفيان صخر بن حرب فهدمها كما فى تفسير ابن كثير (٤/٢٥٤).

وأما ودّ وسواع ويغوث ويعوق ونسر : كانوا من أصنام قوم نوح عليه السلام وكانوا رجالاً صالحين اتخذوا قبورهم مساجد أولاً ثم بعد مرور قرن اتخذوا الأصنام على صورهم فعبدوهم.

قال الإمام البخارى فى جامعه : حدثنا ابراهيم بن موسى قال : اخبرنا هشام عن ابن جريج وقال عطاء عن ابن عباس رضى الله عنهما : صارت الأوثان التى كانت فى قوم نوح فى العرب بعد أما ود فكانت لكلب بدومة الجندل. وأما سواع فكانت لهذيل وأما يغوث فكانت لمراد ثم لبنى غطيف

بالجوف عند سبا. وأما يعوق فكانت لهمدان. وأما نسر فكانت لحمير لآل ذى كلاع. أسماء رجال صالحين من قوم نوح فلما هلكوا أوحى الشيطان الى قومهم أن أنصبوا إلى مجالسهم التى كانوا ينصبون أنصاباً وسموها بأسمائهم ففعلوا فلم تعبد حتى اذا هلك أولئك وتنسخ العلم عبدت. (٢/٧٣٢).

وقال ابن كثير فى تفسيره: ولهم أتباع يقتدون بهم فلما ماتوا قال أصحابهم الذين يقتدون بهم: لو صورناهم كان أشوق لنا إلى العبادة اذا ذكرناهم، فصوروهم (٤/٤٢٦).

وقال المفسر الخطيب الشربينى: قال محمد بن كعب كان لأدم خمس بنين ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر. وكانوا عباداً فمات رجل منهم فحزنوا عليه فقال الشيطان: أنا أصور لكم مثله إذا نظرتم إليه تذكرتموه. قالوا: إفعل فصوروه فى المسجد ثم مات آخر فصوروه حتى ماتوا كلهم وصوروهم. وقال محمد بن قيس: كانوا قوماً صالحين بين آدم ونوح فابتدى عبادة الأوثان من ذلك الوقت (تفسير السراج المنير (٤/٣٩٤).

وقال الإمام عبد العزيز بن ولى الله الدهلوى:

كان ود مظهر الحب لهم ويقال له فى الهند يشن وكان سواع مظهر الثبات لهم كما فى عرف الشرع قيوم ويقول له الهنود برهما وكان يغوث مظهر حل المشكلات ويقول له الهنود اندر وكان يعوق مظهر دفع البلايا ويقول له أهل الهند شيو. وكان نسر مظهر الغلبة والإستعانة فى جميع الحوائج ويقول له الهنود هومان (تفسير فتح العزيز).

وقال الشيخ ابن قيم الجوزية:

وكان أول ماكاد به عبادة الأصنام من جهة العكوف على القبور وتصاوير أهلها ليتذكروهم بها كما قص الله سبحانه قصصهم فى كتابه فقال: وقالوا

لاتـذرن آلهتـكم. الآية. وقال هشام بن محمد بن السائب الكلبى أخبرنى أبى قـال : أول مـاعبـدت الأصنام أن آدم عليه السلام لما مات جعله بنو شيث بن آدم فـى مـغـار-ة فى الجبل الذى أهبط عليه آدم بأرض الهند ويقال للجبل نوذ وهـو أخصب جبل فى الأرض وقال هشام : فاخبرنى أبى صالح عن ابن عباس رضـى الله عـنـهـمـا قـال : فـكـان بـنـو شيث عليه السلام يأتون جسد آدم فى الـمـغـار-ة فيعظمونه ويترحمون عليه فقال رجل من بنى قابيل بن آدم : يا بنى قـابيل ! إن لبنى شيث دوراً يدور حوله ويعظمونه وليس لكم شئ. فنحت لهم صـنـمـاً فكان أول من عملها. قال هشام : وأخبرنى أبى قال : كان ود و سواع ويغـوث ويعـوق ونسر قـومـاً صـالـحين فماتوا فى شهر فجزع عليهم ذوو أقـاربهـم. فـقـال رجـل من بنى قابيل : يا قوم ! هل لكم أن أعمل لكم خمسة أصـنـام عـلـى صـورهـم ؟ غيـر أنى لا أقدر أن أجعل فيها أرواحاً. قالوا : نعم ! فـنـحـت لهم خمسة أصنام على صورهم ونصبها لهم فكان الرجل يأتى أخاه وعـمـه وابن عمه فيعظمه ويسعى حوله حتى ذهب ذلك القرن الأول وكانت عـملت على عهد برد بن مهلائيل بن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم. ثم جاء قـرن آخـر فـعـظـموهم أشد من تعظيم القرن الأول . ثم جاء من بعدهم القرن الثـالـث فـقـالـوا : مـا عـظـم أولونا هؤلاءِ الا يرجون شفاعتهم عند الله تعالى فـعبـدوهم وعظموا أمرهم واشتد كفرهم فبعث الله اليهم إدريس عليه السلام نبيـاً فـدعـاهم فكذبوه فرفعه الله إليه مكاناً علياً ولم يزل أمرهم يشتد فيما قال ابـن الـكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس رضى الله عنهما حتى أدرك نوح بن لـمك بـن متـوشـلـخ بن أخنوخ فبعثه الله تعالىٰ نبياً وهو ابن أربعمائة وثمانين سنة فـدعـاهـم إلـى الله تعالى فى نبوته عشرين ومائة سنة (يخالف هذا ظاهر الـقـرآن) فـعصوه وكذبوه فأمره الله تعالى أن اصنع الفلك ففرغ منها وركبها وهـو ابـن سـت مـائة سنة (هـذا أيـضاً يخالف ظاهر القرآن) وغرق من غرق

ومكث بعد ذلك ثلث مائة وخمسين سنة وكان بين آدم ونوح عليهم السلام الفا سنة ومائتا سنة. فأهبط الماء هذه الأصنام من جبل نوز إلى الأرض وجعل الماء يشتد جريه وعبابه من أرض إلى أرض حتى قذفها الى أرض جدة فلما نضب الماء وبقيت على الشط فسفت الريح عليها حتى وارتها (قلت: الزيادات فى رواية الكلبى مع ضعفه مخالفة عن ظاهر القرآن والروايات الصحيحة فلا اعتبار لها) وقال الكلبى (فى بيان نقل عبادة هذه الأصنام إلى أرض العرب سيما الحجاز) وكان عمرو بن لحى (وهو ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر بن حارثة بن ثعلبة بن امرئ القيس بن مازن بن الازد وهو أبو خزاعة وأمه فهيرة بنت الحارث) كاهناً وله رأى من الجن (وكان يكنى أبا ثمامة) فقال له عجل المسير والظعن من تهامة بالسعد والسلامة (قال جير ولا اقامة قال أيت (ضف) جدة تجد فيها أصناماً معدة فأوردها تهامة لا تهب. ثم ادع العرب إلى عبادتها تجب فأتى نهر جدة فاستثارها ثم حملها حتى ورد تهامة وحضر الحج فدعا العرب إلى عبادتها قاطبة. فأجابه عوف بن عذرة بن زيد اللات. فدفع إليه وداً فحمله فكان بوادى القرى بدومة الجندل وسمى ابنه عبدود فهو أول من سمى به وجعل عوف ابنه عامر (الذى يقال له عامر الأجدار) سادناً له فلم يزل بنوه يسدنونه حتى جاء الله بالاسلام. قال الكلبى: فحدثنى مالك بن حارثة أنه رأى وداً قال: وكان أبى يبعثنى باللبن إليه فيقول: اسقه إلهك فاشربه قال: ثم رأيت خالد بن الوليد بعد كسره فجعله جذاذاً. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث خالد بن الوليد لهدمه فحالت بينه وبين هدمه بنو عبدود وبنو عامر الاجدار فقاتلهم. فقتلهم وهدمه وكسره. قال الكلبى: فقلت لمالك بن حارثة: صف لى وداً حتى كأنى أنظر إليه! قال: كان تمثال رجل كأعظم ما يكون من الرجال قد دبر أى نقش عليه حلتان متزر بحلة مرتد بحلة أخرى عليه سيف قد تقلده وقد تنكب قوساً وبين يده

حربة فيها لواء ووَفْضة فيها نبل يعنى جعبة (وقال ورجع الحديث قال : وأجابت عمرو بن لحى مضر بن نزار فدفع إلى رجل من هذيل يقال له الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل بن مدركة بن الياس بن مضر سواعاً فكان بأرض يقال لها وهاط من بطن نخلة يعبده ومن يليه من مضر وفى ذلك يقول رجل من العرب.

تراهم حول قبلتهم عكوفاً ❁ كما عكفت هذيل على سواع

تظل جنابه صرعى لديه ❁ عتائر من ذخائر كل راع

وأجابته مذحج فدفع إلى أنعم بن عمرو المرادى يغوث وكان باكمة باليمن تعبده مذحج ومن والاها.

وأجابته همدان فدفع إلى مالك بن مرثد بن جعشم (بن حاشد بن جشم بن خيران بن نوف بن همدان) يعوق فكان بقرية يقال له خيران تعبده همدان ومن و الاها من اليمن.

وأجابته حمير فدفع إلى رجل من ذى رعين يقال له معدى كرب نسراً فكان بموضع من أرض سبا يقال له بلخع. تعبده حمير ومن والاها فلم يزل يعبدونه حتى هودهم ذو نواس فلم تزل هذه الأصنام تعبد حتى بعث الله النبى صلى الله عليه وسلم فهدمها وكسرها (إغاثة اللهفان من (٢/ ٢٠١) إلى (٢/ ٢٠٥). وكذا فى تلبيس ابليس (٥٤).

وقال الإمام السيوطى وأخرج عبد بن حميد وابن المنذر وابن مردويه عن أبى عثمان قال : رأيت يغوث صنماً من رصاص يحمل على جمل أجزد فاذا برك قالوا : قد رضى ربكم هذا المنزل. وأخرج عبد بن حميد عن أبى مطهر قال : ذكروا عند أبى جعفر يزيد بن مهلب فقال : أما إنه قتل فى أول أرض عبد فيها غير الله ثم ذكر وداً. قال : وكان ود رجلاً مسلماً وكان محبباً فى قومه فلما مات عسكروا حول قبره فى أرض بابل وجزعوا عليه فلما رأى

ابليس جزعهم عليه تشبه في صورة إنسان ثم قال : أرى جزعكم على هذا فهل لكم أن أصور لكم مثله فيكون في ناديكم فتذكرونه به ؟ قالوا : نعم ! فصور لهم مثله فوضعوه في ناديهم وجعلوا يذكرونه فلما رأى ما بهم من ذكره قال : هل لكم أن أجعل لكم في منزل كل رجل منكم تمثالاً له مثله فيكون في بيته فتذكرونه ؟ قالوا : نعم ! فصور لكل اهل بيت تمثالاً مثله فأقبلوا فجعلوا يذكرونه به قال : وادرك أبناؤهم فجعلوا يرون ما يصنعون به وتناسلوا ودرس أمر ذكرهم إياه حتى اتخذوه إلها يعبدونه من دون الله. قال : وكان أول ما عبد غير الله تعالىٰ في الله ود الصنم .

(تفسير الدر المنثور : ٦/٢٦٩).

وقال العلامة محمد طاهر الفتني : ونسر وإخوته أسماء رجال ثم كانوا بنين لآدم عباداً فماتوا فحزن لهم أهل عصرهم فصور لهم ابليس فجعلوها في مؤخر المسجد للإستيناس فلما هلك ذلك العصر قال اللعين : هذه آلهة آبائكم فعبدوهم. ثم إن الطوفان دفنها فاخرجها اللعين للعرب .

(مجمع البحار : ٣/٣٥٢).

انتهى ذكر من ذكر في القرآن الكريم ممن عبد من دون الله تعالى.

ثم نذكر بعض من عبده المشركون السابقون من العرب من الأصنام والأوثان تتميماً للفائدة و تكميلاً للعائدة.

فذكر منها هبل وأساف ونائلة و ذا الخلصة وذا الكفين وذا الشرى والأقيصر ومنهم عائم وسعير والفلس وعم أنس وسعد وإبراهيم وإسمعيل ومريم.

قال ابن القيم وقال هشام : وكانت لقريش أصنام في جوف الكعبة وحولها وأعظمها عندهم هبل. وكان فيما بلغني من عقيق أحمر على صورة نسان مكسور اليد اليمنى أدركته قريش كذلك فجعلوا له يداً من ذهب

وكان أول من نصبه خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر وكان يقال له: هبل خزيمة وكان في جوف الكعبة.

وقال الشهرستاني: كان على ظهر الكعبة وكان قدامه سبعة قداح مكتوب في احدها صريح وفي الآخر ملصق فاذا شكوا في مولود أهدوا له هدية ثم ضربوا بالقدح فان خرج صريح الحقوه وان خرج ملصق دفعوه وقدح على الميت وقدح على النكاح وثلثة لم تفسر لي علام كانت. وكانوا اذا اختصموا في أمر أو أرادوا سفراً وعملاً أتوه فاستقسموا بالقداح عنده فما خرج عملوا به وانتهوا إليه. وعنده ضرب عبد المطلب بالقداح على ابنه عبد الله والد النبي صلى الله عليه وسلم وهو الذي قال له أبو سفيان يوم أحد أعل هبل. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: قولوا له: الله أعلىٰ وأجل انتهى.

وقال المحدث محمد أنور شاه الكشميري: أما هبل فكان عندهم صنم اتخذوه على اسم هابيل المقتول كعامر وعمر.

(فيض الباري على البخاري: ٤/٩٦).

وأما ١٠ - اساف ١١ - ونائلة فحدث الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما أن اسافاً رجل من جرهم يقال له اساف بن يعلى. ونائلة بنت زيد بن جرهم وقيل: اساف بن عمر ونائلة بنت سهل. وكان يتعشقها في أرض اليمن فاقبلوا حجاجاً فدخلا الكعبة فوجدا غفلة من الناس وخلوة من البيت ففجر بها في البيت فمسخا حجرين فأصبحوا فوجدوهما مسخين فأخرجوهما فوضعوهما موضعهما فعبدتهما خزاعة وقريش ومن حج البيت بعد من العرب. قال هشام: لما مسخا حجرين وضعا عند الكعبة ليتعظ بهما الناس فلما طال مكثهما وعبدت الأصنام عبدا معها وكان أحدهما ملصقاً بالكعبة والآخر في موضع زمزم فنقلت قريش الذي كان ملصقاً بالكعبة إلى الآخر فكانوا يذبحون وينحرون عندهما.

(إغاثة اللهفان : ١/٢٢١). وتلبيس ابليس (٥٦).

وبعض التفصيل فى كتابنا التبيان فى تفسير أم القرآن فانظر.

وأما ذو الخلصة فكان مروة بيضاء منقوشة كهيئة التاج وكان له بيت بين مكة واليمن على مسيرة سبع ليال من مكة وكان سدنتها بنوا أمامه من باهلة بن أعصر وكانت تعظمها وتهدى لها خثعم وبجيلة وازد السراة ومن قاربهم من بطون العرب من هوازن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجرير : ألا تكفينى ذا الخلصة فسار إليه بأحمس فقاتلته خثعم وباهلة دونه فظفر بهم وهدم بيت ذى الخلصة وأضرم فيه النار فاحترق وذو الخلصة اليوم عتبة باب مسجد تبالة. وفى الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : لا تقوم الساعة حتى تضطرب إليات نساءِ دوس حول ذى الخلصة وذو الخلصة طاغية دوس التى كانوا يعبدون فى الجاهلية.

(متفق عليه. المشكاة : ٣٨١).

١٣ - وأما ذو الكفين فكان يعبده دوس فلما أسلموا بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الطفيل بن عمرو فحرقه.

١٤ - وأما ذو الشرى (قال ابن الجوزى بالثاءِ) فكان لبنى الحارث بن يشكر بن مبشر من الازد.

١٥ - وأما أقيصر فكان يعبده قضاعة ولخم وجذام وعاملة وغطفان فى شارف الشام.

١٦ - وأما نهم بضم النون فكان لمزينة وبه تسمى عبدنهم. وكان سادنه يسمى خزاعى بن عبدنهم من مزينة ثم من بنى عداء فلما سمع بالنبى صلى الله عليه وسلم ثار إلى الصنم فكسره وأنشأ يقول :

ذهبت إلى نهم لأذبح عنده ❊ عتيرة نسك كالذى كنت أفعل
فقلت لنفسى حين راجعت عقلها ❊ أهذا إله ؟ أيكم ليس يعقل

أبيت فديني اليوم دين محمد * إله السماءِ الماجد المتفضل

ثم لحق بالنبى صلى الله عليه وسلم فأسلم وضمن له اسلام قومه مزينة.

١٧ - وأما عائم فكان لإزد السراة.

١٨ - وأما سعير فكان لعنزة. وقال هشام: خرج جعفر بن أبى خلاس الكلبى على ناقته فمرت به وقد عترت عنزة فنفرت ناقته منه فأنشأ يقول:

نفرت قلوصى من عتائر صرعت * حول السعير تزوره ابنا يقدم

وجموع يذكر مهطعين جنابه * ما إن يحير إليهم بتكلم

(يقدم) و(يذكر) ابنا عنزة فرأى هؤلاءِ يطوفون حول السعير.

١٩ - وأما الفلس: فكان لطيء قال هشام ابو المنذر: وكان انفا احمر فى وسط جبلهم الذى يقال له آجاء سود. كأنه تمثال إنسان وكانوا يعبدونه ويهدون إليه ويعترون عنده عتائرهم ولا يأتيه خائف إلا أمن عنده ولا يطرد أحد طريدة فيلجأ إليه إلا تركت له ولم تخفر حويته. وكانت سدنته بنو بولان (بفتح الباءِ) وبولان هو الذى بدأ بعبادته فكان آخر من سدنه منهم رجل يقال له صيفى - الىٰ أن قال - فلم يزل الفلس يعبد حتى ظهرت دعوة النبى صلى الله عليه وسلم فبعث إليه على بن أبى طالب فهدمه (كذا فى إغاثة اللهفان والبداية لابن كثير وتلبيس ابليس)

٢٠ - وأما أنس (وقال هشام هو عميانس) فكان لخولان فى أرضهم يقسمون له من أنعامهم وحروثهم قسما بينه وبين الله تعالى بزعمهم فما دخل فى حق الله تعالى من حق عم أنس ردوه عليه وما دخل فى حق الصنم من حق الله تعالىٰ سموه له تركوه له وفيهم أنزل الله تعالى هذه الآية ﴿ وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيباً فقالوا: هذا للهِ بزعمهم وهذا لشركائنا الآية ﴾ (الأنعام: ١٣٦).

٢١ - وأما سعد فكان لبنى ملكان بن كنانة بن خزيمة بن مدركة وكان

صخرة طويلة بفلاة من الأرض فأقبل رجل من بنى ملكان بابل مؤبلة (مسمنة) ليقفها عليه ابتغاء بركته فما يزعم فلما رأته الإبل (وكانت مرعية لا تركب) وكان يهراق عليه الدماء نفرت منه فذهبت فى كل وجه فغضب بها ربها فأخذ حجراً فرماه به ثم قال : لا بارك الله فيك نفرت عنى إبلى ثم خرج فى طلبها حتى جمعها فلما اجتمعت له قال :

أتينا إلى سعد ليجمع شملنا ✲ فشتتنا سعد فلا نحن من سعد

وهل سعد إلا صخرة بتنوفة ✲ من الأرض لا تدعو لغى ولا رشد

٢٢ - وأما إبراهيم ٢٣ - وإسمعيل عليهما السلام فكانا نبيين مشهورين من أجداد قريش يفتخرون بالإنتساب إليهما ويسمون أنفسهم بالحنيفية زعماً أنهم على ملة ابراهيم الحنيف فصوروهما فى الكعبة كما روى الإمام البخارى فى جامعه عن ابن عباس رضى الله عنه قال :إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قدم أبى أن يدخل البيت وفيه الآلهة فأمر بها فأخرجت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قاتلهم الله أما والله قد علموا أنهما لم يستقسما بها قط. فدخل البيت فكبر فى نواحيه ولم يصل فيه (٢١٨/١) وكذا فى (٢١٤/٢) و (٤٧٣/١).

٢٤ - وأما مريم عليها السلام فاتخذت النصارى إياها فى آلهتهم كما تدل عليه فى هذه الآية وإذ قال الله يا عيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى إلهين من دون الله (المائدة : ١١٦) وكذا مشركوا مكة صوروها فى تصاوير كعبة كما روى البخارى فى جامعه عن ابن عباس قال دخل النبى صلى الله عليه وسلم البيت فوجد فيه صورة ابراهيم وصورة مريم فقال : أماهم فقد سمعوا إن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه صورة. هذا ابراهيم مصور فماله يستقسم (٤٧٣/١).

✲✲✲✲✲✲

والنوع الثالث : المشركون بالملائكة

١ - من هم ؟ ٢ - وكيف كانت عقيدتهم فى شان الملائكة ٣ - وكيف رد الله عليهم فى القرآن الكريم. هذه مباحث ثلثة نذكرها.

البحث الأول :

إعلم أن الشرك بهذا النوع قد وجد فى الصائبة أصحاب الروحانيات وفى قوم ابراهيم وفى مشركى العرب (أقول : قد وجد هذا فى أواننا فى الذين يكتبون التعويذات باسماءِ الملائكة وقد يناديهم فى عباراتهم ومكتوباتهم بيا جبرئيل ويا ميكائيل وغيرهما).

قال الشهرستانى : ومنهم (أى مشركى مكة) من كان يصبوا إلى الملائكة فيعبدهم بل كانوا يعبدون الجن ويعتقدون فيهم أنهم بنات الله تعالىٰ تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً (الملل والنحل : ٢/٢٣٨).

وكذا قال الشيخ ابن قيم أن زين لقوم (أى من مشركى مكة العرب) عبادة الملائكة فعبدوهم بزعمهم ولم تكن عبادتهم فى الحقيقة لهم ولكن كانت للشياطين (إغاثة اللهفان : ٢/٢٣٣).

وأما ذكر أصحاب الروحانيات من الصائبة فقد مر بعض ذكرهم وشركهم بالروحانين أى الملائكة فى بحث المشركين بالكواكب. ونذكر بعض أحوالهم فى البحث الثانى إن شاء الله.

وكذا كان قوم ابراهيم يشركون الملائكة بالله تعالىٰ كما سنوضحه فى البحث الثانى إن شاء الله تعالىٰ.

البحث الثانى : تفصيل عقائد المشركين فى شان الملائكة.

قال أصحاب الروحانيات فى شان الملائكة : الروحانيات هم الأسباب المتوسطون فى الإختراع والإيجاد وتصريف الأمور من حال إلى حال وتوجيه المخلوقات من مبدأ إلى كمال يستمدون القوة من الحضرة القدسية

ويفيضون الفيض على الموجودات السفلية.

وقالوا أيضاً: الروحانيات أبدعت أبداعاً لا من شئ لا مادة ولا هيولى وهى كلها جوهر واحد على سنخ واحد.

وقالوا أيضاً: لا ينكر إحاطتهم بمغيبات الأمور عنا واطلاعهم على مستقبل الأحوال الجارية علينا وأن علومهم كلية.

وقالوا أيضاً: الروحانيات لهم قوة تصريف الأجسام وتقليب الأجرام والروحانيات لها اختيارات صادرة من الأمر متوجهة إلى الخير مقصورة على نظام العالم وقوام الكل.

وقالوا أيضاً: طريقنا فى التوسل إلى حضرة القدس ظاهر وشرعنا معقول. فان قدمائنا من الزمان الأول لما أرادوا الوسيلة عملوا أشخاصاً فى مقابلة الهياكل العلوية على نسب وإضافات راعوا فيها جوهراً وصورة وعلى أوقات وأحوال وهيئات أوجبوا على من يتقرب بها إلى ما يقابلها من العلويات تختماً ولباساً وتبخراً ودعاءً وتعظيماً فتقربوا إلى الروحانيات فتقربوا إلى رب الأرباب ومسبب الأسباب.

(هكذا فصل الشهرستانى فى كتاب الملل والنحل بحث المناظرة بين الصائبة والحنفاءِ من (ص ٧) إلى (٣٢).

وقال الإمام ابن كثير فى شان قوم ابراهيم عليه السلام:

والحق أن ابراهيم عليه السلام كان فى هذا المقام مناظراً لقومه مبيناً لهم بطلان ما كانوا عليه من عبادة الهياكل والأصنام. فبين فى المقام الأول مع أبيه خطأهم فى عبادة الأصنام الأرضية التى هى على صور الملائكة السماوية ليشفعوا لهم إلى الخالق العظيم الذى هم عند أنفسهم أحقر من أن يعبدوه. وإنما يتوسلون إليه بعبادة ملائكة ليشفعوا لهم عنده فى الرزق والنصر وغير ذلك مما يحتاجون إليه (تفسير ابن كثير: ١٥١/٢).

وقال أيضا في بيان عقيدة مشركي العرب : إنما يحملهم على عبادتهم لهم أنه عمدوا إلى أصنام اتخذوها على صور الملائكة المقربين في زعمهم فعبدوا تلك الصور تنزيلاً لذلك منزلة عبادتهم الملائكة ليشفعوا لهم عند الله تعالى في نصرهم ورزقهم وما ينوبهم من أمور الدنيا .

(تفسير ابن كثير : ٤/٤٥).

البحث الثالث :

في رد القرآن عليهم بتعبيرات مختلفة مع ذكر اعتقادهم.

التعبير الأول : أنهم نسبوا إلى الله تعالى الملائكة بأنهم بنات الله تعالىٰ وهذا في القرآن الكريم ست مرات.

١ - وخرقوا له بنين وبنات بغير علم سبحانه وتعالىٰ عما يصفون (الأنعام : ١٠٠).

٢ - ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون (النحل : ٥٧).

٣ - فاستفتهم ألربك البنات ولهم البنون. صٰفّٰت : ١٤٩.

٤ - أصطفى البنات على البنين (صٰفّٰت : ١٥٣).

٥ - أم اتخذ مما يخلق بنات وأصفاكم بالبنين (الزخرف : ١٦).

٦ - أم له البنات ولكم البنون (الطور : ٣٩).

وحاصل الرد عليهم أن الله تعالى منزه عن البنت الحقيقية لأنها تستلزم التجزئ في ذاته وهو منزه عنه. وكذا نسبة البنت الحقيقية ذم وعار عندهم فكيف ينسبونها إلى الله تعالىٰ ويسلبونها عن أنفسهم ؟ وكذا عن البنت المجازية أي الشريكة في الألوهية لأن الله منزه عن جميع أنواع الشرك.

والتعبير الثاني : الرد على اعتقادهم بأن الملائكة أناث. قال الله تعالىٰ.

١ - أفأصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة إناثاً إنكم لتقولون قولاً عظيماً. (الإسراء : ٤٠).

٢ - إن يدعون من دونه إلا إناثاً وإن يدعون إلا شيطاناً مريداً (النساء: ١١٧).

٣ - أم خلقنا الملائكة إناثاً وهم شاهدون (صٓفّت: ١٥٠).

٤ - وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً (الزخرف: ١٩).

والتعبير الثالث: الرد على عقيدتهم بأن الملائكة جزء الله تعالى.

قال تعالى: وجعلوا له من عباده جزء إن الإنسان لكفور مبين (الزخرف: ١٥).

والتعبير الرابع: الزجر على من يعبدهم.

قال تعالى: ويوم يحشرهم جميعاً ثم يقول للملائكة: أهؤلاءِ إياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون (سبأ: ٤٠، ٤١).

والتعبير الخامس: الرد على من اتخذهم شفعاء.

قال الله تعالى: وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئاً إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى (النجم: ٢٦).

وكذا في سورة الأنبياءِ: ٢٨).

والتعبير السادس: الرد على من اعتقد أنهم عالمون بالغيب.

قال تعالى: سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك انت العليم الحكيم (البقرة: ٣٢).

والتعبير السابع: إثبات عبوديتهم لله تعالىٰ.

قال تعالى: لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون (النساء: ١٧٢). وكذا في الأنبياءِ (١٩).

والتعبير الثامن: ذكر تسبيحهم وخوفهم.

وهذا دليل على أنهم ليسوا بآلهة معبودين.

١ - قال تعالىٰ : ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته (الرعد : ١٣).

٢ - ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون (الأنبياءِ : ١٩، ٢٠).

والتعبير التاسع : عجزهم وعدم اختيارهم فكيف يكونون آلهة.

قال تعالى : ومانتنزل إلا بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسياً (مريم : ٦٤).

والتعبير العاشر : ذكر صفات عبديتهم فكيف يكونون معبودين.

١ - قال الله تعالىٰ : إن الذين عند ربك لايستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون (الأعراف : ٢٠٦).

٢ - بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولايشفعون الالمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون (الأنبياء : ٢٦ - ٢٨).

٣ - والصافات صفا فالزاجرات زجراً فالتاليات ذكراً (صٰفّٰت : ١، ٢، ٣).

٤ - وإنا لنحن الصافون وإنا لنحن المسبحون (صٰفّٰت : ١٦٥، ١٦٦).

٥ - لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون (التحريم : ٦).

* * * * * *

النوع الرابع : المشركون بالجن

إعلم : أنه كان بعض بنى اسرائيل يعتقدون فى الجن أنهم يعلمون الغيب كما يعلم من سورة سبأ - و سيأتى - وكذا كان مشركوا العرب اعتقدوا فى الجن من صفات الألوهية ويتعوذون بهم فى بعض الشدائد ويدعونهم فى الحوائج وكشف المشكلات. فنذكر من القرآن الكريم أولاً اعتقادات المشركين بالجن. وثانياً : الرد عليهم بعبارة القرآن.

أما إعتقاداتهم فستة

١ - اعتقادهم بأن الجن شركاء الله تعالى.

قال الله تعالى : وجعلوا لله شركاء الجن (الأنعام : ١٠٠).

٢ - إتخاذهم إياهم أولياء.

قال الله تعالى : أفتتخذونه وذريته أولياء من دونى وهم لكم عدو (الكهف : ٥٠).

٣ - عبادتهم إياهم.

قال تعالى : قالوا سبحنك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن (سبأ : ٤١).

٤ - دعاؤهم إياهم .

قال تعالى : وإن يدعون إلا شيطاناً مريداً (النساء : ١١٧).

٥ - اعتقادهم النسبة بين الله تعالىٰ وبين الجن.

قال تعالىٰ : وجعلوا بينه وبين الجنة نسباً وقد علمت الجنة أنهم لمحضرون (صٰفّٰت : ١٥٨).

٦ - استعاذتهم بالجن. قال تعالى :

وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقاً (الجن : ٦).

قال الشيخ ابن كثير فى تفسير استعاذتهم : أى كنا نرى أن لنا فضلاً على الإنس لأنهم كانوا يعوذون بنا إذا نزلوا وادياً أو مكاناً موحشاً من البرارى وغيرها كما كانت عادة العرب فى جاهليتها يعوذون بعظيم ذلك المكان من الجان أن يصيبهم بشئ يسوئهم كان أحدهم يدخل بلاد أعدائه فى جوار رجل كبير وذمامه وخفارته فلما رأت الجن أن الإنس يعوذون بهم من خوفهم منهم زادوهم رهقاً أى خوفاً وارهاباً وذعراً حتى بقوا أشد منهم مخافة واكثر تعوذاً بهم.

وقال السدى : كان الرجل يخرج بأهله فيأتى الأرض فينزلها فيقول : أعوذ بسيد هذا الوادى من الجن أن أضرنا فيه أو مالى أو ولدى أو ماشيتى.

وقال ابن أبى حاتم : حدثنا ابو سعيد بن يحيى بن سعيد القطان حدثنا وهب بن جرير حدثنا أبى حدثنا الزبير بن حرب عن عكرمة قال : كان الجن يفرقون من الإنس كما يفرق الإنس منهم أو أشد فكان الإنس إذا نزلوا وادياً هرب الجن فيقول سيد القوم : نعوذ بسيد أهل الوادى فقال الجن : نراهم يفرقون منا كما نفرق منهم فدنوا من الإنس فأصابوهم بالخبل والجنون. قال ابن أبى حاتم : حدثنا أبى حدثنا فروة بن المغراءِ الكندى حدثنا القاسم بن مالك يعنى المزنى عن عبد الرحمن بن اسحق عن أبيه عن كردم بن أبى السائب الأنصارى قال : خرجت مع أبى من المدينة فى حاجة وذلك أول ما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فآوانا المبيت إلى راعى غنم فلما انتصف الليل جاء ذئب فأخذ حملاً من الغنم فوثب الراعى فقال : يا عامر الوادى جارك. فنادى مناد لانراه يقول : يا سرحان أرسله. فأتى الحمل يشتد حتى دخل فى الغنم لم تصبه كدمة. وقد يكون هذا الذئب الذى أخذ الحمل جنياً حتى يرهب الإنسى ويخاف منه. ثم رده عليه لما استجار به ليضله ويهينه ويخرجه عن دينه انتهى (تفسير ابن كثير : ٤/٤٢٩) .

والقرآن الكريم رد عليهم بطرق مختلفة.

الأول : أنهم لا يعلمون الغيب فكيف يستحقون الألوهية.

قال تعالى : فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته فلما خر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا فى العذاب المهين (سبأ : ١٤).

الثانى : أنهم عاجزون. قال تعالى :

١ - قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً (الإسراء : ٨٨).

٢ - فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعاً ولا ضراً (سبأ : ٤٢.

٣ - يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان (الرحمن : ٣٣).

٤ - ومن الجن من يعمل بين يديه باذن ربه ومن نزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير (سبأ : ١٢).

٥ - والشياطين كل بناء وغواص وآخرين مقرنين فى الأصفاد (ص : ٣٧ - ٣٨).

الثالث : أنهم مخلوق. قال تعالى :

١ - والجان خلقناه من قبل من نار السموم (الحجر : ٢٧).

٢ - وخلق الجان من مارج من نار (الرحمن : ١٥).

الرابع : أنهم خلقوا للعبادة فكيف يُعبدون.

قال تعالى : وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون (الذاريات : ٥٦).

الخامس : منهم من استمع القرآن وآمن به. قال تعالى :

١ - وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا : أنصتوا فلما قضى ولوا إلى قومهم منذرين (الأحقاف : ٢٩).

٢ - قل أوحى إلى أنه استمع نفر من الجن فقالوا : إنا سمعنا قرآنا عجباً يهدى إلى الرشد فآمنا به (الجن : ١، ٢).

السادس : منه من أعرض عن الشرك. قال تعالى : ولن نشرك بربنا أحداً وأنه تعالى جد ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولداً (الجن : ٢، ٣).

السابع : الزجر على اتخاذهم عزى التى لا تنفع ولا تضر. قال تعالى : أفرأيتم اللات والعزى (النجم : ١٩).

قال الشيخ ابن قيم : ثم اتخذوا العزى وهى أحدث من اللات ومناة. اتخذها ظالم بن أسعد وكانت بواد من نخلة الشامية يقال له حراض بازاءِ الغمير عن يمين المصعد إلى العراق من مكة وذلك فوق ذات عرق وبنوا عليها بيتاً وكانوا يسمعون منه الصوت. قال هشام : وكانت العرب وقريش تسمى بها عبد العزى وكانت أعظم الأصنام عند قريش وكانوا يزورونها ويهدون لها ويتقربون عندها بالذبح ثم قال : وكانت قريش قد حمت لها شعباً من وادى حراض يقال له سقام يضاهون به حرم الكعبة ثم ذكر شعراً فى ذلك لأبى جندب الهذلى ثم قال : وكان لها منحر ينحرون فيه هداياها يقال لها الغبغب. ثم ذكر شاهداً لذلك من شعر أبى خراش الهذلى ثم قال : فكانوا يقسمون لحوم هداياهم فيمن حضرها وكان عندها. ثم ذكر شعراً فى غبغب لنهيكة الفزارى ولقيس بن منقذ الخزاعى. ثم قال : وكانت قريش تخصها بالاعظام فلذلك يقول زيد بن عمرو بن نفيل وكان قد تأله فى الجاهلية وترك عبادتها وعبادة غيرها من الأصنام.

تركت اللات والعزى جميعاً ❊ كذلك يفعل الرجل البصير
فلا العزى أدين ولا ابنتيها ❊ ولا صنمى بنى غنم أزور
ولا هبلاً أزور وكان ربا ❊ لنا فى الدهر اذ حلمى صغير

وكانت سدنة العزى بنو شيبان بن جابر بن مرة من بنى سليم وكان آخر من

سدنها منهم دبية. فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزل القرآن فى رد الأصنام فاشتد ذلك على قريش ومرض أبو أحيحة مرضه الذى مات فيه فدخل عليه أبو لهب يعوده فوجده يبكى. فقال: مايبكيك يا أبا أحيحة! أمن الموت تبكى ولا بد منه! فقال: لا ولكنى أخاف أن لا تعبد العزى بعدى. قال أبو لهب: والله ما عبدت حياتك لاجلك ولا تترك عبادتها بعدك لموتك. فقال أبو أحيحة: الآن علمت أن بعدى لى خليفة.

قال هشام: وحدثنى أبى عن أبى صالح عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: كانت العزى شيطانة تأتى ثلث سمرات ببطن نخلة فلما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة بعث خالد بن الوليد فقال: ائت بطن نخلة فانك تجد ثلث سمرات فاعضد الأولىٰ فآتاها فعضدها فلما جاء اليه قال: هل رأيت شيئاً؟ قال: لا، قال: فاعضد الثانية. فآتاها فعضدها ثم أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال: هل رأيت شيئاً؟ قال: لا، قال: فاعضد الثالثة. فآتاها فاذا هو بحبشية نافشة شعرها واضعة يديها على عاتقها تصرف بأنيابها وخلفها دبية بن حرمى الشيبانى ثم السلمى وكان سادنها. فلما نظر الى خالد قال:

أعزى شدى شدة لا تكذبى ٭ على خالد ألقى الخمار وشمرى
فإنك إن لا تقتلى اليوم خالدا ٭ تبوئى بذل عاجلاً وتنصرى

فقال خالد:

يا عزى كفرانك لا سبحانك ٭ إنى رأيت الله قد أهانك

ثم ضربها ففلق رأسها فاذا هى حممة ثم عضد الشجرة وقتل دبية السادن ثم أتى النبى صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال: تلك العزى ولا عزى بعدها للعرب. أما إنها لن تعبد بعد اليوم (إغاثة اللهفان: ٢/٢٠٩).

وقال المفسر ابن جرير الطبرى عن قتادة فى تفسير قوله تعالى و

يخوفونك بالذين من دونه. قال: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد إلى شعب بسقام (كغراب واد بالحجاز حمته قريش للعزى يضاهئون به حرم الكعبة) ليكسر العزى فقال سادنها وهو قيمها: يا خالد! أنا أحذركها إن لها شدة لا يقوم إليها شئ فمشى إليها خالد بالفأس فهشم انفها (تفسير ابن جرير (٥/٢٤).

ثم اعلم: أن القرآن ذكر الجن بعنوانات مختلفة بلفظ الجان (وهو أكبرهم) ذكره خمس مرات. وذكر بلفظ الجن اثنتين وعشرين مرة. وبلفظ الجنة (بمعنى الجن) عشر مرات.

٭٭٭٭٭٭

بحث ذكر دعوى التوحيد فى القرآن الكريم

إعلم! أن الله تعالى ذكر التوحيد وجعله دعوى لسور كثيرة بعبارات مختلفة لا بد لنا من معرفتها.

فدعوى التوحيد فى القرآن الكريم على اثنى عشر طريقاً.

الأول: العبادة لله تعالى وحده. جعلها دعوى لسور كثيرة.

١ - فى سورة البقر: قال تعالى: يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون (البقرة: ٢١).

٢ - وفى سورة آل عمران: قال تعالى: قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله (آل عمران: ٦٤).

٣ - وفى سورة النساء. قال تعالى: واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً (النساء: ٣٦).

٤ - وفى سورة هود. قال تعالى: أن لا تعبدوا إلا الله إننى لكم منه نذير وبشير (هود: ٢).

٥ - وفى سورة الزمر. قال تعالى: فاعبد الله مخلصاً له الدين

(الزمر : ٢).

وقد مرت طرق ذكر العبادة نفيا واثباتاً فى بحث الشرك فى العبادات.

والثانى : التسبيح له تعالى : وذكر بعبارات متنوعة.

١ - بصيغة المصدر. قال تعالى : سبحان الذى أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام الآية (الإسراء : ١).

٢ - وبصيغة الأمر. قال تعالى : فسبح اسم ربك العظيم (الواقعة : ٧٤ - ٩٢) والحاقة (٥٢) سبح اسم ربك الأعلىٰ (الأعلى : ١).

٣ - وبصيغة الماضى المعلوم قال تعالى : سبح لله مافى السموات الآية (الحديد : ١) وحشر (١) وصف (١).

٤ - وبصيغة المضارع المعلوم. قال تعالى : يسبح له مافى السموات والأرض (الحشر : ٢٤).

٢ - يسبح لله ما فى السموات وما فى الأرض

(الجمعة (١) والتغابن (١).

ومادة التسبيح بعنوانات مختلفة ذكرت سبعاً وثمانين مرة.

والثالث : الحمد لله وحده : وجعله دعوى فى بدأ سور خمس.

١ - الحمد لله رب العالمين (الفاتحة : ١).

٢ - الحمد لله الذى خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور (الأنعام : ١).

٣ - الحمد اللّه الذى انزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا (الكهف : ١).

٤ - الحمد لله الذى له مافى السموات وما فى الأرض (سبأ : ١)

٥ - الحمد لله فاطر السموات والأرض جاعل الملائكة رسلاً أولى أجنحة مثنىٰ وثلاث ورباع يزيد فى الخلق ما يشاء (الفاطر : ١).

وإثبات الحمد لله تعالى بصورة المصدر فى القرآن ثلث وأربعون مرة. وبلفظ الحمد ذكر سبع عشرة مرة.

والرابع : الألوهية لله تعالى وحده.

١ – قال تعالى : وإلهكم إله واحد لا إله الا هو الرحمن الرحيم (البقرة : ١٦٣).

٢ – الله لا إله الا هو الحى القيوم (٢٥٥) وكذا فى أل عمران (٢).

٣ – شهد الله أنه لا اله الا هو (آل عمران : ١٨)

٤ – الله لا اله الا هو له الأسماء الحسنى (طه : ٨).

ولهذه المسألة عبارات مختلفة.

١ – بلفظ الواحد أحدى عشرة مرة.

١ – قال تعالى : وإلهكم إله واحد (البقرة : ١٦٣).

٢ – إنما الله إله واحد (النساء : ١٧١)

٣ – وما من إله إلا اله واحد (المائدة : ٧٣).

٤ – قل إنما هو إله واحد (الأنعام : ١٩ل.

٥ – وليعلموا انما هو اله واحد (ابراهيم : ٥٢).

٦ – إلهكم اله واحد فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة (النحل : ٢٢).

٧ – وقال الله تعالىٰ : لا تتخذوا إلهين اثنين إنما هو إله واحد (النمل : ٥١)

٨ – قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى الىّ انما إلهكم إله واحد (الكهف : ١١٠).

٩ – قل انما يوحى إلى أنما الهكم اله واحد (الأنبياء : ١٠٨).

١٠ – فالهكم اله واحد فله اسلموا وبشر المخبتين (الحج : ٣٤).

١١ - قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى انما الهكم اله واحد (فصلت : ٦).

٢ - وبكلمة لا اله الا هو ثلثين مرة.

٣ - وبكلمة لا اله الا انت مرة واحدة كما فى الأنبياء (٨٧).

٤ - وبجملة لا اله الا أنا ثلث مرات

(النحل : ٢) وطه (١٤) والأنبياء (٢٥).

٥ - وبعنوان لا اله الا الذى مرة واحدة (يونس : ٩٠).

وبعبارة لا اله الا الله مرتين (صٰفٰت : ٣٥) ومحمد (١٩).

٦ - و بطريق ما من اله الا الله مرتين (آل عمران : ٦٢).

٧ - وبتعبير : ما من اله الا اله واحد مرة واحدة (المائدة : ٧٣).

٨ - و بطريق : مالكم من اله غيره تسع مرات كما فى أعراف (٥٩، ٦٥، ٧٣، ٨٥) وهود (٥٠، ٦١، ٨٣) والمؤمنون (٢٣، ٣٢).

٩ - وعلى وجه الإستفهام ثمانى مرات كما فى سورة النمل من (٦٠) إلى (٦٤) وفى سورة القصص (٧١، ٧٢) وسورة الطور (٤٣) وسورة الأنعام : (٤٦).

والخامس : البركة من الله تعالى وحده. قال تعالى :

تبارك الله رب العالمين (الأعراف : ٥٤).

فتبارك الله أحسن الخالقين (المؤمنون : ١٤).

تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً (الفرقان : ١).

تبارك اسم ربك ذى الجلال والإكرام (الرحمن : ٧٩).

تبارك الذى بيده الملك (الملك : ١).

وتفصيل هذه المسألة مر فى بحث الشرك فى البركات.

والسادس : الملك والتصرف لله تعالى وحده.

قال تعالى : لله مافى السموات وما فى الأرض (البقرة : ٢٨٤).

ولله ما فى السموات وما فى الأرض (آل عمران : ١٠٩، ١٢٩).

ولله ملك السموات والأرض (آل عمران : ١٨٩).

ومرت هذه المسألة بالتفصيل فى بحث الشرك فى التصرف.

والسابع : الدعاء لله وحده.

قال تعالى : له دعوة الحق (الرعد : ٤).

فادعوا الله مخلصين له الدين (حم مؤمن : ١٤).

وتفصيل هذه الدعوى قد مر فى بحث الشرك فى الدعاء.

والثامن : علم الغيب لله تعالى خاصة.

قال تعالى : قل لا يعلم من فى السموات والأرض الغيب الا الله وما يشعرون أيان يبعثون (النمل : ٦٥).

وانظر تشريح هذه الدعوى فى بحث الشرك فى العلم الذى مر تفصيلاً.

والتاسع : عجز المصطفين من الأنبياء والملائكة كما فى الصافات.

قال تعالى : والصافات صفا (صافات : ١).

وسلام على المرسلين (صافات : ١٨١).

وكما فى النمل : قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى (٥٩).

وكما فى مريم : أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم وممن حملنا مع نوح ومن ذرية ابراهيم واسرائيل وممن هدينا واجتبينا إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجداً وبكياً (٥٨).

وما نتنزل إلا بأمر ربك له مابين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسياً (٦٤).

وكما فى سورة الأنبياء : إنهم كانوا يسارعون فى الخيرات ويدعوننا رغباً ورهباً وكانوا لنا خاشعين (٩٠).

والعاشر : ابتلاء المصطفين من الملائكة والأنبياء بالحوادث التكوينية أو التكاليف الشرعية كما ذكر في سورة ص من البلايا على داؤد وسليمان وأيوب عليهم السلام والابتلاء بالأمر بسجود آدم على الملائكة.

وكمافي سورة العنكبوت قال تعالى : أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون (٢).

والحادى عشر :

رد الشرك الفعلى من التحريم لغير الله والنذر لغير الله.

كما في البقرة قال الله تعالىٰ : ياأيها الناس كلوا مما في الأرض حلالاً طيباً ولا تتبعوا خطوات الشياطين إنه لكم عدو مبين (١٦٨).

انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم وما أهل به لغير الله (١٧٣)

وكما في المائدة قال تعالى : أحلت لكم بهيمة الأنعام إلا ما يتلىٰ عليكم غير محلى الصيد وأنتم حرم (١).

حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به (٣).

وكما في سورة الأنعام : فكلوا مما ذكر اسم الله عليه إن كنتم بآياته مؤمنين (١١٨).

ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وإنه لفسق (١٢١).

وكما في سورة الأعراف : يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين (٣١).

وكما في سورة يونس : قل أرأيتم ما انزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حلالاً وحراماً قل آ الله أذن لكم أم على الله تفترون (٥٩).

وكما في سورة النحل : ويجعلون لما لا يعلمون نصيباً مما رزقناهم تالله لتسألن عما كنتم تفترون (٥٦).

فكلوا مما رزقكم الله حلالاً طيباً واشكروا نعمة الله إن كنتم إياه تعبدون

(١١٤).

إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم (١١٥).

وكما في سورة الحج: وأحلت لكم الأنعام إلا ما يتلى عليكم فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور (٣٠).

ولقد مر تفصيل هذه الدعوىٰ بأنواعها في بحث الشرك الفعلي.

والثاني عشر:

الرد على الشفاعة القهرية أي الشفاعة عند الله بلا إذن

وقد جعل هذا دعوى لبعض السور كمافي سورة يونس.

قال تعالى: ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاءِ شفعاؤنا عند الله (١٨).

وكما في سورة سبأ: ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن اذن له (٢٣).

ثم أقول أولاً: كيف ذكر القرآن الكريم مسألة الشفاعة.

وثانياً: تشريح الشفاعة شرعية وغير شرعية.

فاعلم: أن مادة الشفاعة ذكرت في القرآن الكريم إحدى وثلثين مرة وهي إما فيما بين العباد وإما في ما بينهم وبين الله تعالى.

فالأول: كما قال الله تعالى: من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها (النساء: ٨٥).

وأما الثاني: فقد ذكر في أربعة وعشرين موضعاً في سبع عشرة سورة بطرق مختلفة منها: في موضعين ذكر اتخاذ المشركين آلهتهم شفعاء كما في سورة يونس (١٨) كما مر وقال تعالى: أم اتخذوا من دون الله شفعاء (الزمر: ٤٣).

وذكر استثناء الإذن في خمسة مواضع.

١ - قال الله تعالى : من ذا الذى يشفع عنده إلا باذنه (البقرة : ٢٥٥).

٢ - ما من شفيع الا من بعد اذنه (يونس : ٣).

٣ - يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من أذن له الرحمن ورضى له قولاً (طه : ١٠٩).

٤ - ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له (سبأ : ٢٣).

٥ - لا تغنى شفاعتهم شيئاً إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى (النجم : ٢٦).

وذكر استثناء المشفوع له فى موضعين:

قال تعالى : ولا يشفعون إلا لمن ارتضىٰ (الأنبياء : ٢٨).

٢ - لا تغنى شفاعتهم شيئاً إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضىٰ (النجم : ٢٦).

وذكر استثناء الشفيع فى موضع واحد.

قال تعالى : ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة إلا من شهد بالحق (الزخرف : ٨٦)

وذكر لفظاً يحتمل استثناء المشفوع له والشفيع كليهما فى موضعين :

١ - قال تعالى : لا يملكون الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهدا (مريم : ٨٧).

٢ - يومئذٍ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن (طه : ١٠٩).

وذكر نفى الشفاعة كلياً (أى المشركين أو بلا إذن) فى ثمانية مواضع :

١ - قال تعالىٰ : فما لنا من شافعين (الشعراء : ١٠٠).

٢ - ليس لهم من دونه ولى ولا شفيع لعلهم يتقون (الأنعام : ٥١).

٣ - ليس لها من دون الله ولى ولاشفيع (الأنعام : ٧٠).

٤ - مالكم من دونه ولى ولا شفيع أفلا تتذكرون (السجدة : ٤)

٥ - ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع (غافر : ١٨).

٦ - ولم يكن لهم من شركائهم شفعاء وكانوا بشركائهم كافرين (الروم : ١٣).

٧ - وما نرى معكم شفعائكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء (الأنعام : ٥٤).

٨ - أنفقوا من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة (البقرة : ٢٥٤).

وذكر عدم نفع شفاعتهم ثلث مرات :

(١) - قال الله تعالىٰ : فما تنفعهم شفاعة الشافعين (المدثر : ٤٨).

(٢) - يومئذٍ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن (طه : ١٠٩).

(٣) - ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له (سبأ : ٢٣).

وذكر عدم قبولية شفاعتهم مرة.

قال الله تعالىٰ : إن يردن الرحمن بضر لا تغن عنى شفاعتهم شيئاً (يس : ٢٣).

٢ - وكم من ملك في السموات لاتغنى شفاعتهم شيئاً إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى (النجم : ٢٦).

وذكرها على سبيل الإستفهام الإنكارى مرة واحدة.

قال تعالى : فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا (الأعراف : ٥٣).

وذكر أن الشفاعة لله وحده مرة.

قال تعالى : قل لله الشفاعة جميعاً له ملك السموات والأرض (الزمر : ٤٤).

وأما تشريح الشفاعة

فنذكر معناها. وكيف كان استشفاع أهل الشرك واستشفاع أهل

الايمان.

أما المعنى فقد أوضحه الإمام الراغب بما لا مزيد عليه. قال: الشفع ضم الشئ إلى مثله ويقابله الوتر. والشفاعة الإنضمام إلىٰ آخر ناصراً له وسائلاً له وأكثر ما يستعمل فى انضمام من هو على حرمة ومرتبة إلى من هو أدنى. ومنه الشفاعة فى القيامة. ثم قال: قوله وما من شفيع إلا من بعد إذنه أى يدبر الأمر وحده لا ثانى له فى فصل الأمر إلا أن يأذن للمدبرات والمقسمات من الملائكة فيفعلون ما يفعلون بعد اذنه (المفردات للراغب: ٢٦٤).

وقال الفتنى: الشفاعة هى السوال فى التجاوز عن الذنوب والجرائم (مجمع البحار: ٢/٢٠٠)

ثم اعلم أن الاستشفاع بأحد على قسمين (١) - استشفاع أهل الإيمان وأهل التوحيد و (٢) - استشفاع أهل الشرك والبدع.

أما الأول: فهو طلب الشفاعة باذن الله تعالىٰ فإن الله تعالى قد أذن ورغب لنا أن نطلب الدعاء من الحى المؤمن فاضلاً أو مفضولاً وأن ندعوا لغيرنا من المؤمنين الأحياء أو الأموات. وهذا أمر بين متفق عليه بين الأمم لا خلاف فيه لأحد. وفيه آيات كثيرة نتلو عليك بعضها.

١ - قال الله تعالى: قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ماهى (البقرة: ٦٧).

٢ - وإذ استسقى موسى لقومه (البقرة: ٦٠).

وكذلك فى دعاءِ ابراهيم عليه السلام قال تعالى حاكياً عنه: ربنا اغفر لى ولوالدى وللمؤمنين يوم يقوم الحساب (ابراهيم: ٤١).

وكذلك فى دعاءِ نوح عليه السلام قال تعالى حاكياً عنه: رب اغفر لى ولوالدى ولمن دخل بيتى مؤمناً وللمؤمنين والمؤمنات ولا تزد الظالمين إلا تباراً (نوح: ٢٨).

وكذا فى دعاءِ أهل الإيمان بعد الصحابة رضى الله تعالى عنهم قال

تعالى : والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل فى قلوبنا غلاً للذين آمنوا ربنا إنك رؤف رحيم (الحشر : ١٠).

فهذه الشفاعة بالإذن من الله تعالى. ومثلها الشفاعة بالإذن فى يوم الحشر كما دلت عليها الأحاديث المتواترة معنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يستأذن ويسجد ويحمد بمحامد لم تحضر له فى الدنيا فيؤذن له فى الشفاعة فيشفع هو وكذا الأنبياء والعلماء والملائكة يشفعون بعد الإذن لمن لا يشرك بالله من شئ. فهذا لا إنكار منه لأحد من أهل الإسلام.

وأما استشفاع أهل الشرك وأهل البدع :

فقد فصلت فى هذه المسألة تفصيلا جيداً مع ذكر مالها وما عليها فى التبيان فى تفسير أم القرآن.

والآن أذكر أقوال العلماءِ الأعلام فى هذا الباب من غير اطناب لينكشف الحجاب ويزيل الإرتياب.

قال الإمام العلامة القاضى صدر الدين بن أبى العز الحنفى رحمه الله من علماءِ القرن الثامن فى كتابه شرح العقيدة الطحاوية (بعد أن ذكر الأنواع الثمانية للشفاعة بالإذن) : ثم إن الناس فى الشفاعة على ثلاثة أقوال :

فالمشركون والنصارى والمبتدعون من الغلاة فى المشائخ وغيرهم يجعلون شفاعة من يعظمونه عند الله كالشفاعة المعروفة فى الدنيا.

والمعتزلة والخوارج أنكروا شفاعة نبينا صلى الله عليه وسلم وغيره فى أهل الكبائر.

وأما أهل السنة والجماعة فيقرون بشفاعة نبينا صلى الله عليه و سلم فى أهل الكبائر وشفاعة غيره لكن لا يشفع أحد حتى يأذن الله له ويحد له حداً كما فى الحديث الصحيح حديث الشفاعة (ثم نقل حديث الشفاعة).

وأما الإستشفاع بالنبى صلى الله عليه وسلم وغيره فى الدنيا إلى الله تعالى فى الدعاءِ ففيه تفصيل فإن الداعى تارة يقول : بحق نبيك أو بحق فلان يقسم على الله بأحد من مخلوقاته فهذا محذور من وجهين. أحدهما : أنه أقسم بغير الله. والثانى : اعتقاده أن لأحد على الله حقاً. ولا يجوز الحلف بغير الله وليس لأحد على الله حق إلا ما أحقه على نفسه كقوله تعالى (وكان حقاً علينا نصر المؤمنين) الروم : ٤٧.

وكذلك ما ثبت فى الصحيحين من قوله عليه الصلاة والسلام لمعاذ رضى الله عنه وهو رديفه : يا معاذ ! أتدرى ما حق الله على عباده ؟ قلت : الله ورسوله أعلم ! قال : حقه عليهم أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً. أتدرى ما حق العباد على الله ؟ إذا فعلوا ذلك. قلت : الله ورسوله أعلم قال : حقهم عليه أن لا يعذبهم (حديث متفق عليه).

فهذا حق وجب بكلماته التامة ووعده الصادق لا أن العبد نفسه مستحق على الله تعالى شيئاً كما يكون للمخلوق على المخلوق فإن الله تعالىٰ هو المنعم على عباده بكل خير وحقهم الواجب بوعده هو أن لا يعذبهم وترك تعذيبهم معنى لا يصلح أن يقسم به ولا أن يسأل بسببه ويتوسل به لأن السبب هو ما نصبه الله تعالى سبباً وكذلك الحديث الذى فى المسند من حديث أبى سعيد عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قول الماشى إلى الصلاة (.... اسألك بحق ممشاى هذا وبحق السائلين عليك) هذا حديث ضعيف. فهذا حق السائلين هو أوجبه على نفسه فهو الذى أحق للسائلين أن يجيبهم وللعابدين أن يثيبهم ولقد أحسن القائل :

ما للعباد عليه حق واجب ... كلا ولا سعى لديه ضائع
إن عذبوا فبعدله أو نعموا ... فبفضله وهو الكريم السامع

فإن قيل : فأى فرق بين قول الداعى بحق السائلين عليك (أى إن صح

الحديث) وبين قوله : بحق نبيك أو نحو ذلك ؟

فالجواب : أن معنى قوله : بحق السائلين عليك أن وعدت السائلين بالإجابة وأنا من جملة السائلين فأجب دعائى. بخلاف قوله : بحق فلان فان فلاناً وإن كان له حق على الله تعالىٰ بوعده الصادق فلا مناسبة بين ذلك وبين إجابة دعاءِ هذا السائل فكأنه يقول : لكون فلان من عبادك الصالحين أجب دعائى. وأىّ مناسبةٍ فى هذا وأى ملازمة ؟ وإنما هذا من الإعتداءِ فى الدعاءِ. وقد قال تعالى : ﴿ أدعوا ربكم تضرعاً وخفيةً إنه لا يحب المعتدين ﴾ [الأعراف : ٥٥].

وهذا ونحوه من الأدعية المبتدعة لم ينقل عن النبى صلى الله عليه وسلم ولا عن الصحابة ولا عن التابعين ولا عن أحد من الأئمة رضى الله عنهم. وإنما يوجد مثل هذا فى الحروز والهياكل. والدعاء من أفضل العبادات. والعبادات مبناها على السنة والإتباع، لا على الهوىٰ والإبتداع.

وإن كان مراده الإقسام على الله بحق فلان، فذلك محذور أيضاً، لأن الإقسام بالمخلوق على المخلوق لا يجوز فكيف على الخالق ؟ وقد قال صلى الله عليه وسلم : (من حلف بغير الله فقد أشرك) حديث صحيح رواه أحمد.

ولهذا قال أبو حنيفة وصاحباه : يكره أن يقول الداعى : أسألك بحق فلان أو بحق أنبيائك ورسلك وبحق البيت الحرام والمشعر الحرام ونحو ذلك حتى كره أبو حنيفة ومحمد رحمهما الله أن يقول الرجل : اللهم إنى أسألك بمعقد العز من عرشك ولم يكرهه أبو يوسف لما بلغه الأثر فيه (ولكن ذلك الأثر موضوع كما قال الزيلعى فى نصب الراية : ٤/٢٧٣).

وتارة يقول : بجاه فلان عندك أو يقول : نتوسل إليك بأنبيائك ورسلك وأوليائك. ومراده أن فلاناً ذو وجاهة وشرف ومنزلة، فأجب دعائنا ! وهذا أيضاً محذور. فانه لو كان هذا هو التوسل الذى كان الصحابة

يفعلونه فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم لفعلوه بعد موته. وإنما كان يتوسلون فى حياته بدعائه يطلبون منه أن يدعو له وهم يؤمنون على دعائه كما فى الإستسقاءِ وغيره. فلما مات صلى الله عليه وسلم قال عمر رضى الله عنه لما خرجوا يستسقون: اللهم إنا كنا إذا أجدبنا نتوسل بنبينا فتسقينا وإنا نتوسل إليك بعم نبينا (معناه: بدعائه ربه وشفاعته وسؤاله. ليس المراد أنا نقسم عليك به أو نسألك بجاهه عندك إذ لو كان ذلك مراداً لكان جاه النبى صلى الله عليه وسلم أعظم وأعظم من جاه العباس. وتارة يقول: باتباعى لرسولك ومحبتى له وإيمانى به وسائر أنبيائك ورسلك وتصديقى لهم ونحو ذلك فهذا من أحسن ما يكون فى الدعاءِ والتوسل والإستشفاع. فلفظ التوسل بالشخص والتوجه به فيه إجمال، غلط بسببه من لم يفهم معناه.

فإن أريد به التسبب به لكونه داعياً وشافعاً وهذا فى حياته يكون أو لكون الداعى محبا له مطيعاً لأمره مقتدياً به وذلك أهل للمحبة والطاعة والإقتداءِ فيكون التوسل إما بدعاءِ الوسيلة وشفاعته. وإما بمحبة السائل واتباعه. أو يراد به الإقسام به والتوسل بذاته فهذا الثانى هو الذى كرهوه ونهوا عنه. انتهى (شرح العقيدة الطحاوية إلى: ٢٦٣).

وقال شيخ الإسلام ابن قيم: إن الشيطان بلطف كيده يحسن الدعاء عند القبر وإنه أرجح منه فى بيته ومسجده وأوقات الأسحار. فإذا تقرر ذلك عنده نقله درجة أخرى من الدعاءِ عنده الى الدعاءِ به و الإقسام على الله به. وهذا أعظم من الذى قبله. فإن شأن الله أعظم من أن يقسم عليه أو يسأل بأحد من خلقه وقد أنكر أئمة الإسلام ذلك. فقال أبو الحسين القدورى فى شرح كتاب الكرخى: قال بشر بن الوليد: سمعت أبا يوسف يقول: قال أبو حنيفة رحمه الله: لا ينبغى لأحد أن يدعو الله تعالى إلا به. قال: وأكره أن يقول: أسألك بمعقد العز من عرشك وأكره أن يقول بحق فلان وبحق أنبيائك

ورسلك وبحق البيت الحرام.

قال أبو الحسين : أما المسألة بغير الله فمنكرة فى قولهم، لأنه لا حق لغير الله عليه وإنما الحق لله على خلقه. وأما قوله : بمعقد العز من عرشك فكرهه أبوحنيفة ورخص فيه أبو يوسف وقال روى إن النبى صلى الله عليه وسلم دعا بذلك. قال : ولأن معقد العز من العرش إنما يراد به القدرة التى خلق بها العرش مع عظمته فكأنه سأله بأوصافه. وقال ابن البلدجى فى شرح المختار : ويكره أن يدعو الله إلا به فلا يقول : أسألك بفلان أو بملائكتك أو بأنبيائك أو نحو ذلك لأنه لا حق للمخلوق على الخالق. أو يقول فى دعائه : أسألك بمعقد العز من عرشك. وعن أبى يوسف جوازه. وما يقول فيه أبو حنيفة وأصحابه : أكره كذا، هو عند محمد حرام وعند أبى حنيفة وأبى يوسف هو إلى الحرام أقرب وجانب التحريم عليه أغلب.

وفى فتاوىٰ أبى محمد بن عبد السلام : إنه لا يجوز سؤال الله سبحانه بشىء من مخلوقاته لا الأنبياءِ ولا غيرهم وتوقف فى نبينا صلى الله عليه وسلم لاعتقاده أن ذلك جاء فى حديث وإنه لم يعرف صحة الحديث

(إغاثة اللهفان : ١/٢٣٤).

وأقول : إن الإستشفاع بصاحب القبر وطلب الدعاءِ منه ليس فيه اذن من الشارع أى فيه دليل شرعى صحيح فلا يجوز أن يقال لصاحب القبر أن تدعو لله تعالى لنا وتشفع لنا وهذا مما اتفق عليه السلف سيما عند الحنفية القائلين بعدم سماع الميت.

قال العلامة المفسر الآلوسى : وتحقيق الكلام فى هذا المقام أن الإستغاثة بمخلوق وجعله وسيلة بمعنى طلب الدعاءِ لا شك فى جوازه إن كان المطلوب منه حياً ولا يتوقف على أفضليته من الطالب بل قد يطلب الفاضل من المفضول فقد صح أنه صلى الله عليه وسلم قال لعمر لما استأذنه

فى العمرة : (لا تنسانا يا أخىّ من دعائك) وأمره أيضاً : أن يطلب من أويس القرنى أن يستغفر له. وأمر أمته صلى الله عليه وسلم بطلب الوسيلة له كما مر آنفاً وبأن يصلوا عليه. وأما إذا كان المطلوب منه ميتاً أو غائباً فلا يستريب عالم أنه غير جائز وأنه من البدع التى لم يفعلها أحد من السلف. ولم يرد عن أحد من الصحابة وهم أحرص الخلق على كل خير أنه طلب من ميت شيئاً (تفسير روح المعانى : ١٢٥/٦).

وقال العلامة محمد بن أحمد بن عبد الهادى تلميذ شيخ الإسلام : فالسلف كلهم متفقون على أن الزائر لا يسأله شيئاً ولا يطلب منه ما يطلب منه فى حياته ويطلب منه يوم القيامة لا شفاعة ولا استغفاراً ولا غير ذلك(الصارم المنكى : ١١٣).

وقال الإمام الرازى فى شان عبدة القبور : ونظيره فى هذا الزمان اشتغال كثير من الخلق بتعظيم قبور الأكابر على اعتقاد أنهم إذا عظموا قبورهم فإنهم يكونون شفعاء لهم عند الله (التفسير الكبير : ٦٠/١٧).

❁ ❁ ❁ ❁ ❁ ❁

بحث التفريعات

وقد يكون بعض هذه العنوانات تفريعاً ونتيجةً على ما سبق.

فتفريع العبادة على الدليل كما قال الله تعالى : إن ربكم الله الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يدبر الأمر ما من شفيع إلا من بعد اذنه ذلكم الله ربكم فاعبدوه أفلا تذكرون (يونس : ٣).

وتفريع التسبيح على عجز العباد الصالحين الكاملين. كما قال تعالى : سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين

(صافات : ١٨٠ - ١٨١).

وتفريع الألوهية على الدلائل العقلية والنقلية والوحيية. كما قال الله

تعالى : هو الذى يصوركم فى الأرحام كيف يشاء لا الا الا هو العزيز الحكيم (آل عمران : ٦).

وقال تعالى : شهد الله أنه لا إله الا هو والملائكة وأولوا العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم (آل عمران : ١٨).

وقال تعالى : إن هذا لهو القصص الحق وما من اله الا الله وإن الله لهو العزيز الحكيم (آل عمران : ٦٢).

وتفريع الحمد قد يكون على هلاك الظالمين. قال الله تعالى : فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين (الأنعام : ٤٥).

وقد يكون على تسليم الخصم دليلاً عقلياً. قال تعالى : ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله. قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون (لقمان : ٢٥).

وتفريع البركة. قال تعالى : إن ربكم الله الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يغشى الليل النهار يطلبه حثيثاً والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين (الأعراف : ٥٤). وكذا فى سورة المؤمنون (١٤).

وتفريع الدعاءِ. قال تعالى : هو الحى لا إله إلا هو فادعوه مخلصين له الدين (حم مؤمن : ٦٥).

✲ ✲ ✲ ✲ ✲ ✲

بحث عقائد المشركين
وأعمالهم المذكورة فى القرآن الكريم.

لا بد لكشف دعوى التوحيد من بيا ن عقائد المشركين السابقين وأعمالهم ليعلم أن نزاعهم فى الحقيقة إنما هو التوحيد فقط.

إقرارهم بصفات الله تعالى :

١ - كما قال الله تعالى : قل من يرزقكم من السماءِ والأرض أمن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى و من يدبر الأبر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون (يونس : ٣١).

٢ - وقال تعالى : قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون سيقولون لله قل أفلا تذكرون قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون الله قل أفلا تتقون قل من بيده ملكوت كل شئ وهو يجبر ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون سيقولون الله قل فأنى تسحرون
(المؤمنون : ٨٤ - ٨٨).

٣ - وقال تعالى : ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله. فأنى تؤفكون. ولئن سألتهم من نزل من السماءِ ماء فأحيا به الأرض من بعد موتها ليقولن الله قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعقلون (العنكبوت : ٦١ - ٦٣).

٤ - و لئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله قل الحمدلله بل أكثرهم لا يعلمون (لقمان : ٢٥).

٥ - وقال تعالى : ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله (الزمر : ٣٨).

٦ - وقال تعالى : ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم (الزخرف : ٩).

٧ - وقال تعالى : ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله فانى يؤفكون (الزخرف : ٨٧).

إدعاء تقربهم إلى الله تعالى :

١ - قال الله تعالىٰ : ويعبدون من دون الله مالايضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاءِ شفعاؤنا عند الله (يونس : ١٨).

٢ - وقال تعالى : والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى (الزمر : ٣).

خلطهم الشرك مع الإيمان :

١ - قال تعالىٰ : وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون (يوسف : ١٠٦).

دعاؤهم الله تعالى فى البحر :

١ - قال الله تعالىٰ : هو الذى يسيركم فى البر والبحر حتى إذا كنتم فى الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جائتها ريح عاصف وجائهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن أنجيتنا من هذه لنكون من الشاكرين (يونس : ٢٢).

٢ - وقال تعالى : وإذا مسكم الضر فى البحر ضل من تدعون إلا إياه فلما نجاكم إلى البر أعرضتم وكان الإنسان كفوراً (الإسراء : ٦٧).

٣ - وقال تعالى : فإذا ركبوا فى الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون (العنكبوت : ٦٥).

٤ - و قال تعالى : واذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر فمنهم مقتصد وما يجحد بآياتنا إلا كل ختار كفور

(لقمان : ٣٢).

دعاؤهم من الله تعالىٰ وقت الشدائد عامة :

١ - قال تعالى : وما بكم من نعمة فمن الله ثم إذا مسكم الضر فاليه تجئرون ثم إذا كشف الضر عنكم اذا فريق منكم بربهم يشركون (النحل : ٥٣، ٥٤).

٢ - وقال تعالى : واذا مس الناس ضر دعوا ربهم منيبين اليه ثم اذا اذاقهم منه رحمة اذا فريق منهم بربهم يشركون (الروم : ٣٣).

٣ - وقال تعالى : واذا مس الإنسان ضر دعا ربه منيباً اليه ثم اذا خوله نعمة منه نسى ما كان يدعو اليه من قبل وجعل لله أنداداً ليضل عن سبيله قل تمتع بكفرك قليلاً انك من اصحاب النار (الزمر : ٨).

دعاؤهم فى الحاجات الأخر من الله تعالىٰ

قال تعالى : واذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماءِ أو ائتنا بعذاب أليم (الأنفال : ٣٢).

حلفهم بالله تعالىٰ وقت التاكيد

١ - قال تعالى : وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جائتهم آية ليؤمنن بها قل انما الآيات عند الله وما يشعركم أنها اذا جائت لا يؤمنون (الأنعام : ١٠٩).

٢ - و قال تعالى : وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت بل وعداً عليه حقاً ولكن أكثر الناس لا يعلمون (النحل : ٣٨)

العبادة المالية لله تعالىٰ منهم

١ - قال الله تعالى : وجعلوا لله من ذرأ من الحرث والأنعام نصيباً قالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان لله فهو يصل الى شركائهم ساء مايحكمون (الأنعام : ١٣٦).

واستغفارهم من الله تعالى

١ - قال تعالى : وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون (أنفال : ٣٣).

صلواتهم لله تعالىٰ :

١ - قال الله تعالى : وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون (أنفال : ٣٥).

٢ - وقال تعالى : فويل للمصلين الذين هم عن صلوٰتهم ساهون (الماعون : ٤،٥).

دعواهم إطاعة أمر الله فى الطواف عرياناً

١ - قال تعالىٰ : واذا فعلوا فاحشة قالوا : وجدنا عليها آباؤنا والله أمرنا بها قل إن الله لا يأمر بالفحشاءِ أتقولون على الله ما لا تعلمون (الأعراف : ٢٨).

والعقائد الدينية الأخر للمشركين والأعمال قد ذكرتها فى تفسير أم القرآن.

وتحقيق محل النزاع معهم أنهم كانوا لاينكرون من الرسالة أصالة كما قال تعالى :

قد نعلم انه ليحزنك الذى يقولون فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون (الأنعام : ٣٣).

وأيضاً : لاينكرون عن جميع القرآن كما قال تعالى : واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقائنا ائت بقرآن غير هذا أو بدله قل ما يكون لى أن أبدله من تلقاءِ نفسى الآية (يونس : ١٥).

ولكن كان انكارهم عن توحيد الله تعالى كما دلت عليه الآيات القرآنية.

١ – قال تعالى : واذا ذكرت ربك فى القرآن وحده ولوا على أدبارهم نفوراً (اسراء : ٤٦.

٢ – إنهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا اللّٰه يستكبرون (صافات : ٣٥).

٣ – أجعل الآلهة إلها واحدا إنها هذا الشئ عجاب (ص : ٥).

٤ – واذا ذكر اللّٰه وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة واذا ذكر الذين من دونه اذا هم يستبشرون (الزمر : ٤٥).

٥ – ذلكم بأنه اذا دعى اللّٰه وحده كفرتم وان يشرك به تؤمنوا (حم مؤمن : ١٢).

٦ – قالوا أجئتنا لنعبد اللّٰه وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا فائتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين (الأعراف : ٧٠).

******

الأصل الثانى من الأصول الستة
إثبات صدق الرسول صلى الله عليه وسلم

إن القرآن الكريم قد أثبت صدق الرسول بأتم وجه وأكمله لئلا يبقى للمنكرين عذر ولم يكن لهم شبهة و شك و ارتياب. ولإثبات هذا المهم فى القرآن طرق وعنوانات كثيرة أذكرها بالتفصيل وهى فى نظرى وتتبعى أربعة عشر وجهاً.

الوجه الأول : طريق التحدى وعجزهم :

أى طلب الإتيان بمثل القرآن كلّا او بعضاً، وعجزهم عن الإتيان بمثله.

١ - قال الله تعالى : وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهدائكم من دون الله ان كنتم صادقين (البقرة : ٢٣).

٢ - أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين (يونس : ٣٨).

٣ - أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين (هود : ١٣).

٤ - قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً (الاسراء : ٨٨).

٥ - فليأتوا بحديث مثله ان كانوا صادقين (الطور : ٣٤).

والوجه الثانى :

إيحاء الله تعالى إليه وتلاوة الآيات عليه و تنزيل الكتاب إليه.

١ - قال تعالى : إنا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده (النساء : ١٦٣).

٢ – نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا اليك هذا القرآن (يوسف : ٣).

وذكر وحى الله الى الرسول فى القرآن ستا وثلاثين مرة.

١ – وقال تعالى : نتلو عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون (القصص : ٣).

٢ – ذلك نتلوه عليك من الآيات والذكر الحكيم (آل عمران : ٥٨).

٣ – تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق وانك لمن المرسلين (البقرة : ٢٥٢).

وكذا فى آل عمران : (١٠٨) و الجاثية : (٦).

١ – وقال تعالى : نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين (الشعراء : ١٩٣).

٢ – نزل عليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه (آل عمران : ٣).

٣ – تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً (الفرقان : ١).

٤ – ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شئ (النحل : ٨٩).

٥ – انا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلاً (الدهر : ٢٣).

والوجه الثالث : الإنباء بالغيب الصادق مع عدم حضوره الواقع

١ – قال الله تعالىٰ : ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك وما كنت لديهم اذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم اذ يختصمون (آل عمران : ٤٤).

٢ – ذلك من أنباءِ الغيب نوحيه اليك وما كنت لديهم اذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون (يوسف : ١٠٢).

٣ – وما كنت بجانب الغربى اذ قضينا الى موسى الأمر وما كنت من

الشاهدين ولكنا أنشأنا قروناً فتطاول عليهم العمر وما كنت ثاوياً فى أهل مدين تتلو عليهم آياتنا ولكنا مرسلين وما كنت بجانب الطور اذ نادينا ولكن رحمة من ربك لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يتذكرون (القصص : ٤٤، ٤٥، ٤٦).

٤ - قال الله تعالىٰ : قالت من أنبأك هذا قال نبأنى العليم الخبير (التحريم : ٣).

والوجه الرابع : الإخبار بالغيب على ما هو عليه

وهو من المعجزات الدالة على صدق النبى صلى الله عليه وسلم.

وقد ثبت هذا فى القرآن الكريم بكثرة وفى السنة الصحيحة قريباً الى مالا تحصىٰ.

١ - منه قوله تعالى : إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون (البقرة : ٦).

إذا كان المراد من الذين كفروا المعهودين من أبى جهل وأبى لهب وأحبار اليهود ومن ضاهاهم فى المضارة والمعاندة. فإن الله تعالىٰ أخبر عنهم أنهم لايؤمنون والواقع كذلك فإنهم لم يؤمنوا حتى أهلكوا فهذا الإخبار بالغيب الصادق يدل إيجاباً على أن هذا وحى من الله تعالى إلى هذا النبى صلى الله عليه وسلم فإن النبى صلى الله عليه وسلم ما كان عالماً بالغيب.

ومنه قوله تعالى : ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين (البقرة : ٨). فهذا إخبار صادق عن خلو قلوب أهل النفاق المعهودين عن الإيمان والعليم بذات الصدور إنما هو الله تعالى لا الرسول ولا غيره. فعلم أن هذا وحى من الله تعالىٰ إلى هذا النبى صلى الله عليه وسلم.

ومنه قوله : واذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن

السفهاء (البقرة: ١٣).

إنما كان قولهم: أنؤمن كما آمن السفهاء في مابينهم أو حكاية عن قلوبهم لأنهم ماكانوا قادرين على أن يخاطبوا بهذه الكلمات للصحابة رضى الله عنهم. فإخبار النبى صلى الله عليه وسلم عن الكلام الذى كان دائراً بينهم دليل أنه وحى من الله تعالىٰ إلى هذا النبى الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم.

وكذلك قوله تعالى إخباراً عن معاملتهم ومكالمتهم فى ما بينهم وبين الشياطين: واذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزؤن (القرة: ١٤).

ومنه قوله تعالى: فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة (البقرة: ٧٤).

أخبر عنهم أنهم لا يستطيعون أن يأتوا بمثل سورة قصيرة من القرآن مع فصاحتهم وبلاغتهم ومضادتهم ومجاهدتهم فى مقابلة القرآن ولم يأت أحد إلى الآن بما يماثل القرآن عند عاقل فصيح. فهذا الإخبار الصادق يستلزم صدق النبى المصدوق صلى الله عليه وسلم والأمثلة كثيرة جداً.

والوجه الخامس:

وصفه بكونه أمياً لم يكتب ولم يتل كتاباً قط ولم يخط خطاً، ولم ينشد شعراً مع أنه أفحم الفصحاء البلغاء عن الإتيان بمثل ما أتى به. ولذا شهد بصدقه الأعداء. كما فى رواية ضماد أو ضمام، لما قال له النبى صلى الله عليه وسلم إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونؤمن به من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له. وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أما بعد. فقال: أعد عليّ كلماتك هؤلاءِ، فأعادهن عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلث مرات. فقال: لقد سمعت

قـول الـكهـنة وقول السحرة وقول الشعراء، فما سمعت مثل كلماتك هؤلاء. ولقد بلغن قاموس البحر، هات يدك أبايعك على الإسلام! فبايعه (رواه مسلم وهو فى المشكاة : ٢/٥٢٥).

وكـذا فـى رواية جابر بن عبد الله ذكرها المفسرون فى تفسير سورة حم السجدة أنه لما أرسل المشركون عتبة بن ربيعة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم للمكالمة وكلمه ثم قال آخراً : لقد علمت أنى أكثر قريش مالا ولكنى أتيته أى النبى صلى الله عليه وسلم فقص على القصة فاجابنى بشئ والله ما هو بسحر ولا شعر ولا كهانة آه (روح المعانى : ٢٤/١١١).

فهـذا أصـدق دليـل عـلى كونه صلى الله عليه وسلم نبياً حقاً صادقاً. قال تـعـالـى : ومـا كـنـت تتـلـو مـن قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذاً لارتاب المبطلون (العنكبوت : ٤٨).

وقـال الله تـعـالـىٰ : ومـا علمناه الشعر وما ينبغى له ان هو الا ذكر وقرآن مبين (يس : ٦٩).

وقال تعالىٰ فى وصف نبيه مرتين :

١ - الذين يتبعون الرسول النبى الأمى (الأعراف : ١٥٧).

٢ - فآمنوا بالله ورسوله النبى الأمى (الأعراف : ١٥٨).

والوجه السادس : إيجاب الله إطاعة رسوله مطلقاً

ولهذا الوجه طرق أربعة.

الأول : أمـر الله تـعـالـىٰ باطاعة الرسول ﷺ أمراً عاماً. وذكر فى القرآن الكريم أربع عشرة مرة كما فى قوله تعالى : قل أطيعوا الله والرسول فان تولوا فان الله لا يحب الكافرين (آل عمران : ٣٢).

الثانى : الترغيب فى اطاعته. وهذا أيضاً ذكر أربعة عشر وجهاً. كما فى قوله تعالى :

١ - ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً (النساء: ٦٩).

٢ - ومن يطع الرسول فقد أطاع الله (النساء: ٨٠).

٣ - فان تطيعوا يؤتكم الله أجراً حسناً (الفتح: ١٦).

٤ - وان تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من أعمالكم شيئاً (الحجرات: ١٤).

٥ - و ان تطعيوه تهتدوا وما على الرسول الا البلاغ المبين (النور: ٥٤).

٦ - ومن يطع الله و رسوله يدخله جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم (النساء: ١٣).

٧ - ومن يطع الله ورسوله ويخشى الله ويتقه فأولئك هم الفائزون (النور: ٥٢).

٨ - ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً (الأحزاب: ٧١).

٩ - ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجرى من تحتها الأنهار (الفتح: ١٧).

١٠ - ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله ان الله عزيز حكيم (التوبة: ٧١).

١١ - واطعن الله ورسوله انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً (الأحزاب: ٣٣).

١٢ - وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون (آل عمران: ١٣٢).

١٣ - وأقيموا الصلاة وآتوا الزكوة وأطيعوا الرسول لعلكم ترحمون (النور: ٥٦).

١٤ - وما أرسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله (النساء: ٦٤).

والثالث: حصر محبة الله والمغفرة في اتباعه صلى الله عليه وسلم:

قال تعالى: قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم (آل عمران: ٣١).

والرابع:

ذكر توقف الإيمان على اتباعه وقبول حكمه صلى الله عليه وسلم:

قال تعالى: فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك في ما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً (النساء ٦٥).

والوجه السابع: التحذير والتخويف

بترك إطاعته صلى الله عليه وسلم وله طرق تسعة.

١ - **الأول**: التكذيب: قال تعالى: فان كذبوك فقد كذب رسل من قبلك جاؤا بالبينات والزبر والكتاب المنير (آل عمران: ١٨٤).

٢ - فقد كذبوا بالحق لما جائهم فسوف يأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزؤن (الأنعام: ٥).

٣ - فان كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين (الأنعام: ١٤٧).

٤ - فان كذبوك فقل لي عملي ولكم عملكم أنتم بريئون مما أعمل وأنا بريءٌ مما تعملون (يونس: ٤١).

٥ - ولقد جائهم رسول منهم فكذبوه فأخذهم العذاب وهم ظالمون (النحل: ١١٣).

٦ - وان يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود (الحج: ٤٢).

٢ - **الثاني**: العصيان: قال تعالى:

١ - ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم باذنه حتى اذا فشلتم وتنازعتم

وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون (آل عمران : ١٥٢).

٢ - ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله ناراً خالدا فيها وله عذاب مهين (النساء : ١٤).

٣ - يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الأرض ولا يكتمون الله حديثاً (النساء : ٤٢).

٤ - فان عصوك فقل إني برئ مما تعملون (الشعراء : ٢١٦).

٥ - وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا ان يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالاً مبيناً (الأحزاب : ٣٦).

٦ - ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم خالدين فيها أبداً (الجن : ٢٣).،

٣ - **الثالث** : المشاقة. قال تعالى :

١ - ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى و نصله جهنم وسائت مصيراً (النساء : ١١٥).

٢ - ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاق الله فان الله شديد العقاب (الحشر : ٤).

٣ - ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب (الأنفال : ١٣).

٤ - إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله وشاقوا الرسول من بعد ما تبين لهم الهدى لن يضروا الله شيئاً وسيحبط أعمالهم (محمد : ٣٢).

٤ - **الرابع** : المحادة. قال تعالى :

١ - ألم يعلموا أنه من يحادد الله ورسوله فان له نار جهنم خالداً فيها ذلك الخزى العظيم (التوبة : ٦٣).

٢ – إن الذين يحادون الله ورسوله كبتوا كما كبت الذين من قبلهم (المجادلة : ٥).

٣ – إن الذين يحادون الله ورسوله أولئك فى الأذلين (المجادلة : ٢٠).

٤ – لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله (المجادلة : ٢٢).

الخامس : التولى. قال تعالى :

١ – قل أطيعوا الله والرسول فان تولوا فان الله لا يحب الكافرين (آل عمران : ٣٢).

٢ – فمن تولى بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون (آل عمران : ٨٢).

٣ – ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظاً (النساء : ٨٠).

٤ – فان تولوا فاعلم أن ما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم وإن كثيراً من الناس لفاسقون (المائدة : ٤٩).

٥ – يقولون آمنا بالله وبالرسول وأطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين (النور : ٤٧).

٦ – فان تولوا فإنما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم (النور : ٥٤).

٧ – فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا فى الأرض و تقطعوا أرحامكم (محمد : ٢٢).

٨ – وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لايكونوا أمثالكم (محمد : ٣٨).

٩ – وإن تتولوا كما توليتم من قبل يعذبكم عذاباً اليماً (الفتح : ١٦).

السادس : ترك آدابه صلى الله عليه وسلم. قال تعالى :

١ – يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدى الله ورسوله واتقوا الله إن الله سميع عليم (الحجرات : ١).

٢ - يـا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون (الحجرات : ٢).

٣ - لا تـجـعـلـوا دعاء الرسول بينكم كدعاءِ بعضكم بعضاً قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذاً (النور : ٦٣).

السابع : المخالفة. قال تعالى :

١ - فـلـيـحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم (النور : ٦٣).

٢ - فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله (التوبة : ٨١).

الثامن : الإعراض.

١ - قـال تـعـالـى : وان كان كبر عليك إعراضهم فان استطعت أن تبتغى نفقاً فى الأرض أو سلما فى السماءِ فتأتيهم بآية (الأنعام : ٣٥).

٢ - فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون (التوبة : ٧٦).

٣ - بشيراً و نذيراً فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون (فصلت : ٤).

٤ - فان اعرضوا فقد انذرتكم صاعقة مثل صاعة عاد وثمود. (فصلت : ١٣).

٥ - فان اعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظاً ان عليك الا البلاغ (الشورى : ٤٨).

التاسع : الكفر. قال تعالى :

١ - فلما جائهم ماعرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين (البقرة : ٨٩).

٢ - ومـا مـنعهم أن تقبل منهم نفقاتهم الا أنهم كفروا بالله وبرسوله ولا يأتون الصلاة إلا وهم كسالىٰ ولا ينفقون الا وهم كارهون (التوبة : ٥٤).

٣ - استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله والله لا يهدى القوم الفاسقين (التوبة : ٨٠).

٤ - ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون (التوبة : ٨٤).

٥ - واذا رآك الذين كفروا ان يتخذونك الا هزواً أهذا الذى يذكر آلهتكم وهم بذكر الرحمن هم كافرون (الأنبياء : ٣٦).

٦ - ومن كفر فلا يحزنك كفره الينا مرجعهم فننبئهم بما عملوا ان الله عليم بذات الصدور (لقمان : ٢٣).

٧ - يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالمودة وقد كفروا بما جائكم من الحق يخرجون الرسول وإياكم أن تؤمنوا بالله ربكم الآية (الممتحنة : ١).

والوجه الثامن : شهادة الله تعالى على صدقه

١ - قال الله تعالى : ويقول الذين كفروا لست مرسلاً قل كفى بالله شهيداً بينى و بينكم من عنده علم الكتاب (الرعد : ٤٣).

٢ - اذا جائك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله (المنافقون : ١).

والوجه التاسع : دعاء إبراهيم عليه السلام له

قال الله تعالى : ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك أنت العزيز الحكيم (البقرة : ١٢٩).

والوجه العاشر : أخذ الميثاق من النبيين بتصديقه صلى الله عليه وسلم

قال الله تعالى : واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما أتيتكم من كتاب وحكمة

ثـم جـائكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصرى قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين (آل عمران : ٨١).

والوجه الحادى عشر :

بشارة عيسى عليه السلام بمجيئه صلى الله عليه وسلم.

قـال الله تـعـالـى : واذ قال عيسى بن مريم يا بني اسرائيل إني رسول الله اليكـم مـصدقاً لما بين يدى من التورات ومبشراً برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد فلما جائهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين (الصف : ٦).

والوجه الثانى عشر : الترغيب فى توقيره وتعزيره ونصرته

١ - قال تعالى : لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه (الفتح : ٩).

٢ - فـالذين آمنوا به وعزروه ونصروه وابتعوا النور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون (الأعراف : ١٥٨).

٣ - ان لا تنصروه فقد نصره الله اذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين (التوبة : ٤٠).

٤ - وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون (الحشر : ٨).

والوجه الثالث عشر : كون بيعته صلى الله عليه وسلم بيعة الله

قال الله تعالى : إن الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم (الفتح : ١٠).

والوجه الرابع عشر :

تـوصيف أصـحـابه ومدحهم وفخامة شانهم وعظمتهم تستلزم عظمة متبـوعهـم وخليلهم وصداقته صلى الله عليه وسلم وتوقيرهم توقير رسول الله صلى الله عليه وسلم

كـمـا ذكـره الـقـاضـى أبو الفضل عياض بن موسى الأندلسى من علماءِ

القرن السادس الهجرى : ومن توقيره وبره صلى الله عليه و سلم توقير أصحابه وبرهم ومعرفة حقهم والإقتداء بهم وحسن الثناء عليهم والإستغفار لهم والإمساك عما شجر بينهم ومعادلة من عاداهم والإضراب عن أخبار المورخين وجهلة المورخين وضلال الشيعة والمبتدعين القادحة فى أحد منهم وان يلتمس لهم فيما نقل عنهم من مثل ذلك فيما كان بينهم من الفتن أحسن التاويلات ويخرج لهم أصوب المخارج اذهم أهل ذلك ولايذكر أحد منهم بسوء ولا يغمص عليهم أمر بل تذكر حسناتهم وفضائلهم وحميد سيرهم ويسكت عما وراء ذلك كما قال صلى الله عليه وسلم : اذا ذكر أصحابى فأمسكوا (الشفاء : ٤١/٢).

فالآيات فى شانهم ومدحهم كثيرة نذكر بعضها :

١ - قال تعالى : فان آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وان تولوا فانما هم فى شقاق فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم (البقرة : ١٣٧).

٢ - وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً (البقرة : ١٤٣).

٣ - علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم (البقرة : ١٨٧).

٤ - ومن الناس من يشترى نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رؤف بالعباد (البقرة : ٢٠١)

٥ - آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير (البقرة : ٢٨٥).

٦ - قد كان لكم آية فى فئتين التقتا فئة تقاتل فى سبيل الله وأخرى كافرة يرون مثليهم رأى العين والله يويد بنصره من يشاء (آل عمران : ١٣).

٧ - الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالأسحار (آل عمران : ١٧)

٨ - واعتصموا بحبل الله جميعاولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخواناً وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها (آل عمران : ١٠٣).

٩ - كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف و تنهون عن المنكر وتؤمنون بالله (آل عمران : ١١٠).

١٠ - ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون (آل عمران : ١١٣).

١١ - يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون فى الخيرات وأولئك من الصالحين (آل عمران : ١١٤).

١٢ - ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين (آل عمران : ١٥٢).

١٣ - إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان إنما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم إن الله غفور حليم (آل عمران : ١٥٥).

١٤ - فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر
(آل عمران : ١٥٩).

١٥ - الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم (آل عمران : ١٧٢).

١٦ - الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل (آل عمران : ١٧٣).

١٧ - فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله

والله ذو فضل عظيم (آل عمران : ١٧٤).

١٨ - ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداءِ والصالحين وحسن أولئك رفيقاً (النساء : ٦٩).

١٩ - كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم فتبينوا إن الله كان بما تعملون خبيراً (النساء : ٩٤).

٢٠ - يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم (المائدة : ٥٤).

٢١ - واذا جائك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة أنه من عمل الآية (الأنعام : ٥٤).

٢٢ - فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون (الأعراف : ١٧٥).

٢٣ - إنما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون أولئك هم المؤمنون حقاً لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم (الأنفال : ٢، ٣، ٤)

وكذا فى (٩، ١٠، ١١، ١٢، ٦٢، ٦٣، ٦٤، ٧٢، ٧٤، ٧٥).

٢٤ - أم حسبتم أن تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة والله خبير بما تعملون (التوبة : ١٦). وكذا فى (١٨، ١٩، ٢٠، ٢١، ٢٢، ٧١، ٧٢، ٧٩، ٨٨، ٨٩، ٩١، ٩٢، ٩٩، ١٠٠، ١٠٢، ١٠٣، ١٠٨، ١١١، ١١٢، ١١٧، ١١٨، ١٢٤).

٢٥ – ألا إن اولياء الله لا خوف عليهم ولاهم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى فى الحيوة الدنيا وفى الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم (يونس : ٦٢، ٦٣، ٦٤).

٢٦ – فاستقم كما أمرت ومن تاب معك (هود : ١١٢).

٢٧ – قل هذه سبيلى أدعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى وسبحان الله وما أنا من المشركين (يوسف : ١٠٨)

٢٨ – أمن يعلم أنما انزل اليك من ربك الحق كمن هو أعمىٰ إنما يتذكر أولوا الألباب (الرعد : ١٩) وكذا فى (٢٠، ٢١، ٢٢).

٢٩ – يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحيوة الدنيا وفى الآخرة (ابراهيم : ٢٧) وكذا فى (٣١).

٣٠ – واخفض جناحك للمؤمنين (الحجر : ٨٨).

٣١ – وقيل للذين اتقوا ماذا أنزل ربكم قالوا خيراً للذين أحسنوا فى هذه الدنيا حسنة ولدار الآخرة خير ولنعم دار المتقين جنات عدن (النحل : ٣٠).

وكذا فى (٤١، ٤٢، ١٢٨).

٣٢ – إن الذين أوتوا العلم من قبله اذا يتلىٰ عليهم يخرون للأذقان سجدا ويقولون سبحان ربنا إن كان وعدنا ربنا لمفعولاً ويخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعاً (الإسراء : ١٠٧، ١٠٨، ١٠٩).

٣٣ – واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحيوة الدنيا (الكهف : ٢٨).

٣٤ – الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمى الصلاة ومما رزقناهم ينفقون (الحج : ٣٥)

وكذا فى (٤٠، ٤١، ٥٨، ٧٨).

٣٥ – قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون

(المؤمنون : ١، ٢) وكذا فى (٣، ٤، ٥، ٦، ٧، ٨، ٩، ١٠، ١١)

وكذا فى (٥٧، ٥٨، ٥٩، ٦٠، ٦١).

٣٦ - ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولى القربى والمساكين والمهاجرين فى سبيل الله وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم (النور : ٢٢) وكذا فى (٢٦، ٥٥، ٦٢).

٣٧ - وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً (الفرقان : ٦٣).

وكذا فى (٦٤، ٦٥، ٦٦، ٦٧، ٦٨، ٧٢، ٧٤، ٧٦).

٣٨ - إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً وانتصروا من بعد ما ظلموا (الشعراء : ٢٢٧).

٣٩ - الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به مؤمنون

(القصص : ٥٢) وكذا فى (٥٣، ٥٤، ٥٥).

٤٠ - بل هو آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم وما يجحد بآياتنا إلا الظالمون (العنكبوت : ٤٩). وكذا فى الروم (٤) والسجدة (١٥، ١٦، ١٧) والأحزاب : (٢٢، ٢٣، ٥٨) و الفاطر (٢٩) و الزمر (٩، ١٨، ٢٣) والشورى من (٣٦) إلىٰ (٤٠) والاحقاف (١١) ومحمد (١١، ١٦) والفتح (١٠، ١٨، ٢٩) و الحجرات (٣، ١٥) والذاريات (١٦) والواقعة (١٠) والحديد (١٠، ١٢، ١٩) والمجادلة (٢٢) والحشر (٨، ٩، ١٠، ٢٣) والصف (١٣) والمنافقون (٤، ٨) والمعارج (٢٢) والمزمل (٢٠) والدهر من (٥) والبروج (١٠) والليل (١٧) والبينة (١٠٨).

فهذه الآيات ومثلها تدل على فخامة شان الصحابة إما لأنهم أول مصداق لها، وإما لان المفسرين ذكروا فى أسباب نزول تلك الآيات شئون الصحابة وإما لتخصيص بعض الصفات الواردة بالصحابة.

وكذا رد القرآن الكريم على من تنقص الصحابة أو ترك طريقتهم.

قال الله تعالىٰ:

١ - وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون (البقرة: ١٣).

٢ - سيقول السفهاء من الناس ماولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها قل الله المشرق والمغرب (البقرة: ١٤٢).

٣ - ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً (النساء: ١١٥).

******

الأصل الثالث من الأصول الستة
إثبات صدق القرآن الكريم

وهذا الأصل قد أثبته القرآن الكريم بطرق كثيرة وافية بحيث لا يرتاب العاقل بعد إمعان النظر وتحقيق الفكر فيها. بل لا بد لها من إصغاءِ السمع وتوجيه القلب.

وأنا لا استطيع استغراق جميع تلك الوجوه ولا مجال للتفصيل ولكن الذكر على سبيل الكفاية ضروري. فالوجوه التى نذكرها لصدق القرآن الكريم ستة عشر :

الأول : إعجاز القرآن الكريم

قال العلامة الصابونى فى كتابه : التبيان فى علوم القرآن ما ملخصه : القرآن العظيم كلام الله المعجز للخلق فى أسلوبه ونظمه وفى روعته وبيانه وفى علومه وحكمه وفى تأثيره وفى كشف الحجب عن الغيوب الماضية والمستقبلة. ولقد أتى العلماء فى كشف أسرار البيان بوجوه إعجاز القرآن بعد أن ثبت عندهم بالوجدان والبرهان.

وقد أجمع أهل العربية قاطبة على أن القرآن معجز بذاته خلافاً للنظام من المعتزلة، فإن الإعجاز عنده بالصرفة، بمعنى أن الله عز وجل صرف البشر عن معارضة القرآن مع قدرتهم عليها وخلق فيهم العجز عن محاكاة القرآن فى أنفسهم وألسنتهم. ولولا أن الله صرفهم عن الإتيان بمثله لاستطاعوا أن يأتوا بمثله. وقد سلك ابن حزم الظاهرى ذلك المسلك الملتوى حيث قال فى كتابه (الفصل فى سبب الإعجاز) لم يقل أحد أن كلام الله غير معجز لكن لما قاله الله تعالىٰ وجعله كلاماً له صار معجزاً ومنع من مماثلته وهذا برهان كاف لا يحتاج إلى غيره

(١٧/٣ - ١٨).

وهذا رأى سخيف وقول ضعيف وقول ساقط مرذول ومخالف عن المنقول والمعقول. فإن هذا القول لا يختلف عن قول العرب فيه (إن هذا إلا سحر يؤثر) ثم ما ذكر العلماء فى أسباب الإعجاز وجوه عديدة.

١ - منها : النظم البديع المخالف لكل نظم معهود فى لسان العرب.

٢ - ومنها : الأسلوب العجيب المخالف لجميع الأساليب العربية.

٣ - ومنها : الجزالة (وهى الفخامة فى الألفاظ) التى لا يمكن لمخلوق أن يأتى بمثلها.

٤ - ومنها : التشريع الدقيق الكامل الذى يبز كل تشريع وضعى.

٥ - ومنها : الإخبار عن المغيبات التى لا تعرف إلا بالوحى.

٦ - ومنها : عدم التعارض مع العلوم الكونية المقطوع بصحتها.

٧ - ومنها : الوفاء بكل ما أخبر عنه القرآن الكريم من وعد ووعيد.

٨ - ومنها : العلوم والمعارف التى اشتمل عليها.

٩ - ومنها : وفاؤه بحاجات البشر.

١٠ - ومنها : تأثيره فى قلوب الأتباع والأعداءِ.

١١ - ومنها : النزول منجماً مناسباً وموافقاً لكل ما وقع وحدث مع التشريع العمومى من حيث عموم الألفاظ.

١٢ - ومنها : عدم الإختلاف فيما بين العبارات والمعبرات.

١٣ - ومنها : التحدى بوجوه مختلفة وعجز المعارضين والمقابلين عن الإتيان بمثله.

١٤ - ومنها : الدقائق ورعاية المناسبات فى أوائل السور من المقطعات. ولكل وجه تفصيل وتمثيل.

أما بيان الوجه الأول :

فهو أن القرآن الكريم لا يشبهه شئ فى نظمه لا من شعر ولا من نثر وذلك بشهادة أساطين البلاغة وأئمة البيان والفصاحة مثل الوليد بن المغيرة وعتبة بن ربيعة وغيرهما من فصحاءِ العرب وبلغائهم.

قال الوليد فى جواب من طلب منه القول فى شان القرآن والرسول (فو الله ما فيكم رجل أعلم بالشعر منى لا برجزه ولا بقصيده ولا باشعار الجن. والله ما يشبه هذا الذى يقول شيئاً من هذا والله إن لقوله حلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أعلاه لمثمر وإن أسفله لمعذق وإنه ليعلو وما يعلىٰ عليه آه.

رواه البيهقى فى دلائل النبوة (١٩٨/٢) وذكر نحوه صاحب الكشاف فى تفسير سورة المدثر.

وقال أنيس الغفارى أخو أبى ذر رضى الله عنه لقد سمعت قول الكهنة فما هو بقولهم ولقد وضعت قوله علىٰ اقراءِ الشعراءِ (أى أنواعه) فلم يلتئم على لسان أحد منهم إنه شعر. والله إنهم لكاذبون وإنه لصادق.

رواه مسلم وكذا فى تفسير القرطبى (٧٣/١).

وقد مر بيان قول عتبة بن ربيعة فى بحث صدق الرسول.

وأما بيان الوجه الثانى : فللقرآن الكريم فى أسلوبه العجيب المخالف لجميع الأساليب البشرية خصائص عديدة نذكرها مجملة.

الخاصة الأولى :

مسحة القرآن اللفظية التى تتجلىٰ فى نظامه الصوتى وجماله اللغوى.

الخاصة الثانية : إرضاؤه العامة والخاصة بمعنى أن الجميع يحسون بجلاله ويشعرون بروعته.

الخاصة الثالثة : إرضاؤه العقل والعاطفة جميعاً. فالقرآن يخاطب العقل والقلب ويجمع الحق والجمال معاً.

الخاصة الرابعة : جودة سبك القرآن وأحكام سرده فكأنه سبيكة

واحدة تلعب بالعقول وتأخذ بالأبصار.

الخاصة الخامسة :

براعته فى تصريف القول والتفنن فى ضروب الكلام بمعنى أنه يورد المعنى الواحد بألفاظ شتى وطرق مختلفة وكلها رائعة معجبة فائقة.

الخاصة السادسة :

جمع القرآن بين الإجمال والبيان والتفسير بعضه بعضاً.

الخاصة السابعة : الوفاء بالمعنى مع الإقتصار فى اللفظ وكذا فى مناهل العرفان للزرقانى.

وأما بيان الوجه الثالث من وجوه الإعجاز :

فهو الإيجاز الرائع والجزالة الخارقة التى ليس بامكان مخلوق من الجن والإنس أن يحيط بها أو يأتى بمثلها لأنها فوق الطاقة البشرية. لقد كان الراعى البدوى راعى الغنم يسمع القرآن فيخر ساجداً لله.

والدليل على هذا ما قال الأصمعى إنه خرج يوماً فلقى جارية بخماسية أو سداسية (أى طولها خمسة أشبار أو ستة أشبار) وسمعها تنشد أبياتاً من الشعر رائعة فأعجب بتلك الأبيات بجمال أسلوبها وروعة بيانها وفصاحة ألفاظها فقال لها : قاتلك الله ما أفصحك ! فقالت له : ويحك أو يعد هذا فصاحة بعد قول الله تبارك وتعالىٰ : وأوحينا إلى أم موسى أن ارضعيه فاذا خفت عليه فألقيه فى اليم ولا تخافى ولا تحزنى إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين) ثم قالت له : فقد جمعت هذه الآية مع وجازتها بين أمرين ونهيين وخبرين وبشارتين (تفسير القرطبى (٢٥٢/١٣).

وأما بيان الوجه الرابع :

أى التشريع الإلهى الكامل فأقول : إن القرآن الكريم هو الذى وضع أصول العقائد وأحكام العبادات وقوانين الفضائل والآداب وقوانين

الإقتصاديات والسياسيات والمدنيات والإجتماعيات إلى غير ذلك من أسس التشريع فصلها المفسرون من حيث بيان أحكام القرآن مثل المفسر الجصاص والمفسر القرطبي وغيرهما كثير وأوضح تلك المناشى والمآخذ أهل الإجتهاد والإستنباط من الفقهاءِ الكرام والأئمة العظام.

وأما الوجه الخامس : فنقول : لو كان هذا الكتاب من صنع محمد صلى الله عليه وسلم مع تلك الأخبارات الغيبية الصادقة لافتضح أمره بكذب بعضها بل أكثرها لعدم كونه عالماً بالغيب وحاشاه من الكذب.

وفصلنا بعض التفصيل فى بيان وجوه صدق الرسول ﷺ فلا نعيده إلا أن نذكر بعض الأمثلة الأخر.

فمن الإخبار بالغيب الصادق إخباره عن الحربْ التى ستقع بين الروم والفارس وستكون الغلبة فيها والإنتصار للروم بعد أن انهزموا فى الحرب السابقة. وكذا الإخبار بفرح المؤمنين يومئذٍ بالنصر والفتح كما وقع. قال الله تعالىٰ : ألم غلبت الروم فى أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم يسيغلبون فى بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذٍ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم (الروم : ١ ٢٠).

ومن الإخبار بالغيب الإنباء بدخول الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه مكة آمنين مطمئنين وهو كما وقع وإن كان بعد عام.

قال الله تعالى : لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رؤسكم ومقصرين لا تخافون (الفتح : ٢٧).

ومن الإخبار بالغيب الصادق : تنبؤ القرآن بانهزام المشركين فى مكة مع قهرهم وجبرهم فى ذلك اليوم. قال تعالى : سيهزم الجمع ويولون الدبر (القمر : ٤٥).

ثم هذا الإنهزام إنما وقع يوم بدر كما روى عن عكرمة أنه قال : لما نزلت هذه الآية قال عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - أى جمع هذا الذى يهزم. فلما كانت غزوة بدر رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يثب فى الدرع ويقول : سيهزم الجمع ويولون الدبر. فعرف عمر تاويلها. وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما : كان بين نزول هذه الآية وبين بدر سبع سنين.

وهكذا الأمثلة كثيرة.

وأما بيان الوجه السادس :

فاعلم أن فى القرآن الكريم إشارات دقيقة خفية إلى بعض العلوم الكونية من الطبيعية والجغرافية. وهذه الإشارات قبل أن تكشف بالعلوم الحديثية غير منافية ولا مخالفة عن نظريات العلوم المستحدثة مع أن النبى صلى الله عليه وسلم نشأ فى أمة أمية وكان أمياً لم يقرأ ولم يكتب ولم يمارس تلك العلوم وذلك من أصدق البراهين على أن القرآن ليس من تاليف محمد صلى الله عليه وسلم وإنما هو وحى من الله تعالىٰ.

ونذكر منها بعض الإشارات.

١ - الإشارة إلىٰ وحدة الكون واتصاله ثم الإنقسام فى النظريات الحديثية أن الأرض كانت جزء من الجرم الشمسى ثم انفصلت عنه وتبردت وصلحت لسكنى نوع الإنسان. فهذه النظرية تتفق مع ما أشار إليه القرآن الكريم : أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقاً ففتقناهما وجعلنا من الماءِ كل شئ حى أفلا يؤمنون (الأنبياء : ٣٠).

٢ - الإشارة إلىٰ تقسيم الذرة منذ سنين الماضية حول العلماءِ اهتمامهم إلى مشكلة الذرة فأمكنهم تجزيتها وتقسيمها ووجدوا احتوائها على الدقائق وبواسطة تلك التجزية اخترعوا القنبلة الذرية والهيدروجينية وهذه التجزية قد ذكره القرآن الكريم. قال الله تعالىٰ : وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة فى

الأرض ولا فى السماءِ ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا فى كتاب مبين (يونس: ٦١).

فكلمة أصغر مِن الذرة تصريح جلى بامكان تجزيتها.

٣ - الإشارات إلى أغشية الجنين:

ثبت فى الطب الحديث أن الجنين محاط بثلثة أغشية التى تسمى: ١ - الغشاء المنبارى ٢ - والغشاء الخوربون ٣ - واللفائفى. ولاتظهر إلا بالتشريح الدقيق وإن كانت تظهر فى العين كأنها غشاء واحد. وقد ذكر القرآن الكريم هذه الأغشية الثلثة بلفظ الظلمات. فقال الله تعالى: يخلقكم فى بطون أمهاتكم خلقاً من بعد خلق فى ظلمٰت ثلث ذلكم الله ربكم له الملك (الزمر: ٦).

وهذه كثيرة.

وأما بيان الوجه السابع:

فاعلم أن الوعد والوعيد الأخرويين فنحن على يقين أنهما واقعان يوم البعث والحشر وأن الله لا يخلف الميعاد وأن ما توعدون لصادق، وإن الدين لواقع. وإن عذاب ربك لواقع ماله من دافع.

وأما الوعد والوعيد الدنيويان فهما على قسمين: المطلق. والمقيد. وقد تحقق ذلك كله فاسمع بعض الأمثلة من القرآن الكريم.

فالوعد المطلق كوعده بنصر رسوله وإخراج الذين أخرجوه من وطنه ونصر المؤمنين على الكافرين. قال الله تعالىٰ:

١ - وينصرك الله نصراً عزيزاً (الفتح: ٣).

٢ - إذا جاء نصر الله و الفتح ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجاً (النصر: ١، ٢).

٣ - إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحيوة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد

(حم مؤمن : ٥١).

٤ – وكان حقاً علينا نصر المؤمنين (الروم : ٤٧).

٥ – وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم الآية (النور : ٥٥).

٦ – هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيداً (الفتح : ٢٨).

وقد تحقق كل ذلك كما شهد عليه تاريخ الإسلام الذى لاينكر عنه قريب ولا بعيد.

وأما الوعد المقيد فهو ماكان فيه شرط كشرط التقوىٰ وشرط الصبر وشرط نصرة دين الله وما شابه ذلك. قال الله تعالىٰ :

١ – إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم (محمد : ٧).

٢ – ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لايحتسب (الطلاق : ٣).

٣ – ومن يتق الله يجعل له من أمره يسراً (الطلاق : ٥).

٤ – إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفاً من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون (الأنفال : ٦٥).

وقد ثبت عند وجود الشروط المذكورة وجود المشروط. ومن لم يوقن فليجرب باستعمال الشروط.

وأما بيان الوجه الثامن من وجوه الإعجاز :

فاعلم أن القرآن تفصيل شئ وتبيان لكل شئ فما من علم يحتاج إليه إلا وقد نطق به كما قيل :

جميع العلم فى القرآن لكن   تقاصر عنه أفهام الرجال

وأعداد العلوم القرآنية وبعض المآخذ لها قد أوردته فى التبيان فى تفسير

أم القرآن في بحث علوم القرآن. فلا حاجة هنا إلى ذكرها.

وأقول : إن هذا الوجه من أظهر وجوه الإعجاز فكيف يستطيع رجل أمي لم يقرأ ولم يكتب ولم يتعلم ولا نشأ في بلدة علم وتشريع ولا في مدينة ذات حضارة وتمدن أن يأتي بمثل ما في القرآن من هذه العلوم و المعارف تحقيقاً وكماً لا مؤيداً بالحجج والبراهين إلا أن يكون وحياً من الله تعالىٰ.

قال البوصري :

كفاك بالعلم في الأمي معجزة　　　في الجاهلية والتاديب في اليتم

وأما بيان الوجه التاسع : فإنه قد جاء القرآن الكريم بهدايات تامة كاملة شاملة واسعة وافية بجمع حاجات البشر في زمان ومكان. وهي بالإختصار :

١ - إصلاح الأفراد

٢ - إصلاح المجتمعات

٣ - إصلاح العقائد

٤ - إصلاح العبادات

٥ - إصلاح الأخلاق

٦ - إصلاح الحكم والسياسة

٧ - إصلاح الشؤن المالية

٨ - إصلاح الشؤن الحربية

٩ - إصلاح الثقافة العلمية

١٠ - إصلاح الأفكار والعقول وتهذيبها عن الخرافات الوهمية.

ودلت عليه الآية الكريمة : ما فرطنا في الكتاب من شئ [الأنعام : ٣٨].

وأما بيان الوجه العاشر :

وهو التأثير في قلوب الأعداءِ والأحباءِ : فإن المشركين أنفسهم كانوا يقرون بتأثيره ولذا قالوا : إنه سحر فمرادهم أنه ذو أثر بليغ ولا أثر عندهم في

كلام الله فحملوه على السحر.

ولهذا كانوا يخرجون من البيوت فى جنح الليل يستمعون إلى تلاوة القرآن من المسلمين وحتى تواصوا فيما بينهم أن لايستمعوا إلى القرآن وأن يرفعوا أصواتهم باللغو والضجيج حينما يتلوه محمد صلى الله عليه وسلم لئلا يؤمن به الناس وفى هذا: القصص المشهورة من إيمان عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - حين تأثر من سماع آيات من سعيد بن زيد فى بيت أخته. وكذا واقعة إيمان سعد بن معاذ سيد قبيلة الخزرج. وإيمان ابن أخيه أسيد بن حضير حين سمعا القرآن فى المدينة قبل هجرة النبى صلى الله عليه وسلم من مصعب بن عمير وعبد الله بن أم مكتوم رضى الله عنهما. والواقعات الماضية والحينية كثيرة فى تأثير القرآن الكريم فى قلوب المستمعين. وليس مثل هذا التأثير من كلام المخلوق. فعلم أنه وحى من الله تعالىٰ.

وأما بيان الوجه الحادى عشر للإعجاز:

فاعلم أن القرآن الكريم نزل على قلب النبى صلى الله عليه وسلم منجماً مفرقاً فى مدة ثلث وعشرين سنة من حين البعثة إلى حين وفاته صلى الله عليه وسلم. والدليل على هذا التنزيل هو القرآن نفسه. قال الله تعالىٰ:

١ - وقرآناً فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلاً (الإسراء: ١٠٦).

٢ - وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلاً (الفرقان: ٣٤).

حكمة نزول القرآن منجماً

لهذا التنجيم حكم جليلة وأسرار عديدة نص ببعضها القرآن الكريم. وهذه الأسرار مما يدل على كون القرآن خارجاً عن طوق البشر.

أما هذه الحكم فنذكرها ونفصلها بعض التفصيل:

الحكمة الأولىٰ :

تثبيت قلب النبى صلى الله عليه وسلم أمام أذى المشركين :

قال الله تعالى : كذلك لنثبت به فؤادك (الفرقان : ٣٤).

فقد كانت الآيات تنزل على الرسول صلى الله عليه وسلم تسلية وتقوية لقلبه فكان اذا اشتد عليه الأذىٰ نزلت الآيات تسلية وتخفيفاً عما يلقاه من الثقل والهم. وسيجئ بيان التسلية بعد إن شاء الله تعالى فانتظره !

والحكمة الثانية :

التطلف بالنبى صلى الله عليه وسلم عند نزول الوحى.

فإن ثقل نزول القرآن أمر ثابت فى الشرع.

١ – قال الله تعالىٰ : إنا سنلقى عليك قولاً ثقيلاً (المزمل : ٥).

٢ – لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله (الحشر : ٢١).

فكيف بقلب النبى صلى الله عليه وسلم الرقيق هل يستطيع أن يتلقى جميع القرآن (أى بأن ينزل جميعاً جملة واحدة) دون أن يشعر بروعة القرآن وجلاله.

وروى البخارى عن عائشة رضى الله عنها : لقد رأيته حين ينزل عليه الوحى فى اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقاً) أى من شدة الوحى وثقله عليه.

فلما كان النزول جملة واحدة أمراً ثقيلاً فأنزله الله تعالى مفرقاً منجماً تلطفاً وشفقةً على النبى صلى الله عليه وسلم.

والحكمة الثالثة : التدرج فى تشريع الأحكام السماوية.

وهذا أمر موافق للطبائع البشرية حيث لا يتركون عوائدهم وقتاً واحداً ولا يسلمون ولا ينقادون لجميع الأحكام فى زمان واحد. فلذا فطمهم عن

الشرك . أحيىٰ قلوبهم بنور الإيمان أولاً وغرس فى نفوسهم حب الله ورسوله والإيمان بالبعث والجزاءِ ثانياً. ثم انتقل بهم إلى العبادات فبدأهم بالصلاة قبل الهجرة ثم ثنى بالصوم والزكوة فى السنة الثانية من الهجرة ثم ختم بالحج فى السنة السادسة أو التاسعة. وكذا فعل فى العادات المتوارثة عندهم. زجرهم أولاً عن الكبائر ثم نهيهم عن الصغائر تدرجاً. وكذا تدرج بهم فى تحريم الخمر والميسر بقلع حبهما عن طبائعهم. أليس هذا إعجازا بيّنا فى السياسة وتهذيب الأخلاق والإنتظام المدنى ؟ فهل يستطيع أحد أن يأتى بمثله ؟ كلا وحاشا !

والحكمة الرابعة :

تسهيل حفظ القرآن على المسلمين وفهمهم وتدبرهم له.

لأن المخاطبين الأولين من العرب كانوا أميين لا يقرؤن ولا يكتبون كما قال الله تعالىٰ :

هو الذى بعث فى الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة (الجمعة : ٢).

والأميون لا يعتمدون إلا على حفظهم وذاكرتهم. فكانت صدورهم أناجيلهم فلو نزل القرآن جملة واحدة لعجزوا عن حفظه وقصروا عن تدبره وتفهمه. فاقتضت حكمة الله تعالىٰ أن ينزل الكتاب المجيد منجماً ليسهل عليهم حفظه.

والحكمة الخامسة :

مسايرة الحوادث والوقائع فى حينها والتنبيه على الأخطاءِ فى وقتها. فكلما جد منهم جديد نزل من القرآن ما يناسبه وكلما حصل منهم خطأ أو انحراف نزل القرآن بتنبيههم إلى ما ينبغى اجتنابه. و كلما عاب المنكرون شيئاً أو اعترضوا أمراً أجيبوا جواباً شافياً. قال الله تعالىٰ : ولا يأتونك بمثل إلا

جئناك بالحق وأحسن تفسيراً (الفرقان : ٣٣) ولا نستطيع الإحاطة بحكم العليم الحكيم. ولكن ما ذكرنا يكفي للتنبيه على إعجاز القرآن الكريم.

وأما بيان الوجه الثاني عشر من وجوه الإعجاز :

فأقول : إن القرآن الحكيم مع طوالته وتفصيل بيانه لم يقع قط اختلاف وتناقض بين معانيه ومضامينه ولا تعارض بين ألفاظه وعباراته.

وفيه قال الله تعالىٰ : أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً (النساء : ٨٢).

واعلم : أن الإختلاف على ثلاثة أنحاءٍ.

الأول : اختلاف تناقض بأن يدعو أحد الشيئين إلى فساد الآخر وإبطاله.

والثاني : اختلاف تفاوت وهو أن يكون بعضه بليغاً وبعضه مرذولاً ساقطا.

والثالث : اختلاف تلاؤم وتناسب وهو أن يكون الجميع متلائما فى أصل الحسن مع التفاوت كاختلاف وجوه القراء ات.

فالنوعان الأولان محفوظ عنهما القرآن الكريم. والنوع الأخير موجود فيه ولا ينافى حسن نسق القرآن الكريم.

وأما بيان الوجه الثالث عشر من وجوه الإعجاز :

فقد مر نبذ من تفصيله فى الوجه الأول من صدق الرسول صلى الله عليه وسلم.

واعلم : أن التحدى الذى جاء فى القرآن الكريم على نوعين :

١ - التحدى العام ٢ - التحدى الخاص

أما الأول : فقد ورد لجميع الخلائق عربهم وعجمهم أبيضهم وأسودهم، مؤمنهم وكافرهم. مع أن منهم فلاسفة، حكماء، علماء. وهذا ما قال الله تعالىٰ : قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون

بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً (الإسراء : ٨٨).

وأما الثاني : فقد جاء للعرب خاصة وعلى الأخص منهم لكفار قريش وهذا أيضاً على نوعين :

١ - تحد كلي وهو التحدي بجميع القرآن في أحكامه وروعته وبلاغته وبيانه.

كما قال الله تعالىٰ : فليأتوا بحديث مثله ان كانوا صادقين . الطور : ٣٤ والمراد بالحديث مثل جميع القرآن.

٢ - وقال تعالى : قل فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما اتبعه إن كنتم صادقين (القصص : ٤٩).

٢ - تحد جزئي : وهو التحدي ببعض القرآن. قال الله تعالىٰ :

١ - أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين (هود : ١٣).

٢ - وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهدائكم من دون الله إن كنتم صادقين (البقرة : ٢٢).

بحث : هل أراد أحد معارضة القرآن الكريم ؟

لم ينص مؤرخ ولم يشر أحد من أهل السير أن أحداً من فحول الشعراءِ ورؤساءِ الفصاحة والبلاغة من العرب العرباءِ رفع رأسه لمعارضة القرآن الكريم وإن كان شديد الحرص على صد الناس عن الحق وأحرص على تكذيب محمد صلى الله عليه وسلم. ولكن نقل عن بعض السفهاءِ الحمقىٰ أنهم حاولوا معارضة القرآن الكريم . ولكن صاروا بها مضحكة للعقلاءِ حتى صارت تلك المعارضة الساقطة المرذولة برهاناً خالصاً على أن القرآن معجز حق الإعجاز، لا يستطيع أحد أن يعارض جزء منه.

فمنهم : مسليمة الكذاب الذي سمى نفسه رحمٰن اليمامة وادعى

الشركة فى النبوة وادعى أن له قرآناً مثل هذا القرآن نزل من السماءِ.

وقال فيه معارضاً للعاديات (والطاحنات طحناً والعاجنات عجناً والخابزات خبزاً والثاردات ثرداً واللاقمات لقماً إهالة وسمناً لقد فضلتم على أهل الوبر وما سبقكم أهل المدر ريفكم فامنعوه والقبر فاووه والباغى فناولوه).

فانظر ان القرآن الكريم يوقظ للجهاد ولأحسن الأخلاق ويزجر عن سيئها ويصرف توجه الناس إلى فكر العاقبة والآخرة. وأما هذا السفيه فإنما هو عبد البطن، يذكر المآكل ويحض على البخل والمنع والظلم، مع أن فى عبارته تعقيداً كما ترىٰ.

ومن قرآنه المفترىٰ: والشاءِ وألوانها وأعجبها السود وألبانها، والشاة السوداءِ واللبن البيض إنه لعجب محض وقد حرم المذق فما لكم لاتمجعون) وكذا قوله:

الفيل ما الفيل وما أدراك ما الفيل له ذنب وبيل وخرطوم طويل آه. وقوله: يا ضفدع بنت ضفدعين نقى ما تنقين نصفك فى الماءِ ونصفك فى الطين لا الماء تكدرين ولا الشارب تمنعين. وقوله:

إنا أعطيناك الجماهر فصل لربك وجاهر إن شانئك هو الكافر.

وكل هذا هذيان وسفساف من القول لا يماثل القرآن ولايقاربه. وليس من المعارضة فى شئ فى قليل ولا كثير.

ومنهم: طليحة بن خويلد الأسدى.

قد ذكر صاحب معجم البلدان أن له كلاماً يزعم أنه نزل عليه بالوحى.

ومن كلامه:

(إن الله لا يصنع بتعفير وجوهكم و قبح أدباركم شيئاً. فاذكروا الله قياماً فإن الرغوة فوق الصريح) أى لا تركعوا ولاتسجدو بل صلوا قائمين.

ومنهم : النضر بن الحارث.

جاء من الشام بأخبار الفرس وملوك العجم وكان يجلس إلى قريش فيحدثهم بهذه الأساطير ويقول : هذا خير مما نزل على محمد صلى الله عليه وسلم.

ومنهم : أبو العلاءِ المعرى وأبو الطيب المتنبى وابن المقفع حاولوا معارضة القرآن، ثم خجلوا واستحيوا فكسروا الأقلام ومزقوا الصحف.

قيل : إن ابن المقفع بعد أن عزم على المعارضة وبدأ بها عملاً سمع صبياً يقرأ قوله تعالىٰ :(وقيل يا أرض ابلعى مائك ويا سماء أقلعى وغيض الماء وقضى الأمر واستوت على الجودى وقيل بعداً للقوم الظالمين) فمزق جميع ما كتب وقال : هذا والله ما يستطيع البشر أن يأتوا بمثله.

وأما بيان الوجه الرابع عشر : من وجوه الإعجاز الدال على صدق القرآن : وقوع المقطعات فى أوائل تسع وعشرين سورة.

ودلالتها على إعجاز القرآن من وجوه :

الأول : إتفاق أهل العلم والعقل قاطبة على أنها لم تنزل عبثاً وليست مهملة ومع هذا لم يتعين مرادها عندهم بل تحيرت العقول واضطربت الأقوال ولم يأت أحد بما يقنع الآخر قطعاً فتحير هؤلاءِ العقلاءِ وعجزهم عن تعيين ما هو مراد الله تعالى دليل على أنه كلام الله تعالىٰ المعجز لامن كلام البشر. وتلك الأقوال المختلفة فى المقطعات مذكورة مع ذكر القائل فى كتب كثير المفسرين. فلا نطول هذا الكتاب بذكرها. نعم أوردناها فى تفسير سورة البقرة إن شاء الله تعالىٰ فى احسن الكلام.

والثانى : ما قاله المبرد واختاره جمع عظيم من المحققين أن الله تعالىٰ إنما ذكرها احتجاجاً على الكفار. وذلك أن الرسول صلى الله عليه وسلم لما تحداهم أن يأتوا بمثل القرآن أو بعشر سور أو بسورة واحدة فعجزوا عنه

أنـزلـت هـذه الـحروف تنبيهاً على أن القرآن ليس إلا من هذه الحروف وأنتم قـادرون عـليهـا لأن كـلامـكم مؤلف من جنس هذه الحروف وأنتم عارفون بـقـوانيـن التـركيـب والـفـصاحة فكان يجب أن تأتوا بمثل هذا القرآن. فلما عجزتم عنه دل ذلك على أنه من عند الله لا من البشر.

والثالث : ما ذكره الزمخشرى والبيضاى. ونورده بالإختصار.

إعلم أن المقطعات القرآنية أسماء الحروف والحروف مسمياتها والنطق بـأسـماءِ الحروف ألف، باء، تاء، دال ونحوها مختص بمن خط ودرس. فأما مـن الأمى الذى لم يقرأ ولم يخالط الكُتّاب فمستغرب مستبعد خارق للعادة. وهـذا مـصـداق الإعـجاز. وأورد فى أوائل السور ليكون أول ما يقرع السمع مستقلاً بنوع من الإعجاز.

والرابع : أنـه قـدر اعـى فـى ذلك (أى إيـراد الـمـقـطعات) ما يعجز عنه الأديـب الأريب الفائق فى فنه. وهو أنه أورد فى هذه الفواتح أربعة عشر اسماً (مـجـمـوعها : نص حكيم قاطع له سر) نصف أسامى حروف المعجم إن لم تـعـد فيها الألف حرفاً برأسها. بل تعد الألف والهمزة واحداً كما أن ذلك فى زمـان السـلف قبـل الخليل وإنما أوردها فى تسع وعشرين سورة بعدد أسامى حـروف الـمعجم إن عد فيها الألف غير الهمزة مشتملة على أنصاف أنواعها. فمن الحروف المهموسة والمجهورة والشديدة والرخوة والمطبقة والمنفتحة والقلقلة وحرفى اللين والمستعلية والمنخفضة وحروف البدل والحروف التى تـدغـم فى مثلها ولا تدغم فى مقاربها والحروف التى تدغم فيهما والحروف التـى لا تـدغـم فـى مـقـاربها ويدغم فيها مقاربها ذكر من كل واحد من هذه الأنـواع الـنـصف إمـا الـنـصف الـحـقيـقـى أو الأقل أو الأكثر وهما النصف الـحـكـمـى. ومن الحروف الذلقية والحلقية ذكر ثلثى كل منها. وفى كل ما ذكـر مـن الأنصاف أسرار لفظية وحكم معنوية. وكذا ذكر المقطعات مفردة

وثنائية وثلاثية ورباعية وخماسية إيذاناً بأن المتحدى به مركب من كلماتهم التى أصولها كلمات مفردة ومركبة من حرفين فصاعداً إلى خمسة. وذكر من المفردات ثلثة فى ثلث سور والثنائيات فى سورتين وخماسيتين فى سورتين. وفى الذكر على هذه الكيفية الخاصة رموز وإشارات أدبية ولغوية فافهم.

فهذه الرعاية بهذه الكيفيات مما يعجز عن فهمها أكثر أهل اللسان، فكيف لا يكونون عاجزين عن الإتيان بمثل هذا الكلام ؟!

تم إلى هذا المقام الوجه الأول لصدق القرآن الكريم.

والثانى من وجوه صدق القرآن الكريم :

ثبوت كون القرآن من الله تعالىٰ.

وله طرق ثلثة :

١ - إثباته بالدليل.

٢ - نسبته إلى الله تعالىٰ إنزالاً ووحياً.

٣ - وإتيان جبرائيل به.

أما الأول فقوله تعالى : أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً (النساء : ٨٢).

ذكر المفسرون فى هذه الآية وجوهاً ثلثة :

الأول : قال أبوبكر الأصم : معناه أن هؤلاءِ المنافقين كانوا يتواطئون فى السر على أنواع كثيرة من المكر والكيد، والله تعالى كان يطلع الرسول صلى الله عليه وسلم على تلك الأحوال حالا فحالاً ويخبره عنها على سبيل التفصيل. وما كانوا يجدون كل ذلك إلا لصدق فقيل لهم : إن ذلك لو لم يحصل بإخبار الله تعالىٰ لما اطرد الصدق فيه ولظهر فى قول محمد صلى الله عليه وسلم أنواع الإختلاف والتفاوت. فلما لم يظهر ذلك علمنا أن ذلك ليس إلا باعلام الله تعالىٰ.

والثانى : وهو الذى ذهب إليه كثيرٌ من المتكلمين المفسرين أن المراد منه أن القرآن كتاب كبير وهو مشتمل على أنواع كثيرة من العلوم فلو كان ذلك من عند غير الله لوقع فيه أنواع من الكلمات المتناقضة لان الكتاب الكبير الطويل لا ينفك عن ذلك. ولما لم يوجد فيه ذلك علمنا أنه ليس من عند غير الله تعالىٰ.

والثالث : ماذكره أبو مسلم الأصبهانى : وهو أن المراد منه الاختلاف فى رتبة الفصاحة حتى لا يكون فى جملة ما يعد فى الكلام الركيك بل بقى الفصاحة فيه من أوله إلى آخره على نهج واحد. ومن المعلوم : أن الإنسان وإن كان فى غاية البلاغة ونهاية الفصاحة فاذا كتب كتاباً طويلاً مشتملاً على المعانى الكثيرة فلا بد أن يظهر التفاوت فى كلامه بحيث يكون بعضه قوياً متيناً وبعضه سخيفاً نازلاً ولما لم يكن القرآن كذلك مع كبره وطوله علمنا أنه المعجز من عند الله تعالىٰ (التفسير الكبير للإمام الرازى : ١٠/١٩٦).

وأما الثانى : أى نسبة القرآن إلى الله تعالىٰ تنزيلاً وإنزالاً ووحياً فقد وقع فى الآيات الكثيرة. نتلو عليك بعضها.

ذكر الله تعالىٰ فى شان إنزال هذا الكتاب على سبيل الإسناد إلى الله تعالىٰ سبعاً وخمسين مرة. نذكر بعض الآيات منها.

١ - قال الله تعالىٰ : واذكروا نعمة الله عليكم وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به (البقرة : ٢٣١).

٢ - هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب (آل عمران : ٧).

٣ - وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم (النساء : ١١٣).

٤ - أفغير الله أبتغى حكماً وهو الذى أنزل إليكم الكتاب مفصلاً

(الأنعام : ١١٤).

٥ - الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً (الكهف : ١).

٦ - الله الذى أنزل الكتاب بالحق و الميزان (الشورى : ١٧).

٧ - وآمنوا بما أنزلت مصدقاً لما معكم (البقرة : ٤١).

٨ - ولقد أنزلنا إليك آيات بينات وما يكفر بها إلا الفاسقون (البقرة : ٩٩).

٩ - يا أيها الناس قد جائكم برهان من ربكم وأنزلنا إليكم نوراً مبيناً (النساء : ١٧٤).

١٠ - وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه (المائدة : ١٤٨).

١١ - وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم (النحل : ٦٤).

١٢ - لقد أنزلنا إليكم كتاباً فيه ذكركم أفلا تعقلون (الأنبياء : ١٠).

١٣ - وهذا كتاب أنزلناه مبارك مصدق الذى بين يديه (الأنعام : ٩٢).

١٤ -إنا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون (يوسف : ٢).

١٥ - وبالحق أنزلناه وبالحق نزل (الإسراء : ١٠٥).

١٦ - وكذلك أنزلناه قرآناً عربياً وصرفنا فيه من الوعيد (طه : ١١٣).

١٧ - وكذلك أنزلناه آيات بينات وأن الله يهدى من يريد (الحج : ١٦).

١٨ - إنا أنزلناه فى ليلة مباركة إنا كنا منذرين (الدخان : ٣).

وذكر الله تعالىٰ تنزيل القرآن على طريق الإسناد إليه تعالىٰ ست عشرة مرة نذكر بعضها.

١ - ذلك بأن الله نزل الكتاب بالحق (البقرة : ١٧٦).

٢ – نزل عليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه (آل عمران : ٣).

٣ – تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً (الفرقان : ١).

٤ – الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً (الزمر : ٢٣).

٥ – إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون (الحجر : ٩).

٦ – إنا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلاً (الدهر : ٢٣).

٧ – وقرآناً فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلاً (الإسراء : ١٠٦).

٨ – قل من كان عدوا لجبرئيل فانه نزله على قلبك باذن الله (البقرة : ٩٧).

٩ – نزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شئ وهدى ورحمة (النحل : ٨٩).

١٠ – هو الذى ينزل على عبده آيات بينات (الحديد : ٩).

وذكر الله تعالىٰ الوحى فى شان القرآن سبعاً وثلاثين مرة.

فمنها : ما قال الله تعالىٰ :

١ – ذلك مما أوحى إليك ربك من الحكمة (الإسراء : ٣٩).

٢ – إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده (النساء : ١٦٣).

٣ – نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذ القرآن (يوسف : ٣).

٤ – كذلك أرسلنا فى أمة قد خلت من قبلها أمم لتتلو عليهم الذى أوحينا إليك وهم يكفرون بالرحمن (الرعد : ٣٠).

٥ – والذى أوحينا إليك من الكتاب هو الحق مصدقاً لما بين يديه (الفاطر : ٣١).

٦ - وكذلك أوحينا إليك قرآنا عربياً لتنذر أم القرىٰ ومن حولها (الشورى : ٧).

٧ - وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا (الشورى : ٥٢).

٨ - ذلك من أنباءِ نوحيه إليك (آل عمران : ٤٤) ويوسف (١٠٢).

٩ - واتل ما أوحى إليك من كتاب ربك (الكهف : ٢٧).

ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك (الزمر : ٦٥).

وأما الثالث : وهى نسبة الإتيان بالقرآن إلى جبرئيل منزلاً على النبى صلى الله عليه وسلم. فقد ورد فى القرآن نحو أربع مرات. قال الله تعالىٰ

١ - قل من كان عدواً لجبرئيل فانه نزله على قلبك باذن الله (البقرة : ٩٧).

٢ - قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا (النحل : ١٠٢).

٣ - نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين (الشعراء : ١٩٣).

٤ - علمه شديد القوى ذومرة فاستوىٰ (النجم : ٥، ٦).

والثالث من وجوه صدق القرآن الكريم :

إنه مصدق للكتب الإلهية السابقة.

ومعناه على ماقال المفسرون على وجهين :

أحدها : أنه ورد فى القرآن أن موسى وعيسى عليهما السلام حق وأن التورلة والإنجيل حق وأن التوراة أنزلت على موسى والإنجيل على عيسى عليهما السلام. فكان الإيمان بالقرآن مؤكداً للإيمان بالتوراة والإنجيل.

والثانى : أنه حصلت البشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالقرآن فى التورلة والإنجيل. فكان الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالقرآن

تصديقاً للتوراة والإنجيل.

وأقول أيضاً : إن الأصول التي ذكرت في الكتب السابقة السماوية من اعتقاد التوحيد والإيمان بجميع الرسل والكتب المنزلة والإيمان بالملائكة وبالبعث وبالقدر وغيرها ذكرت أيضاً بالتفصيل في القرآن الكريم. فكان القرآن موافقاً للكتب السابقة والتصديق بمعنى الموافقة.

ثم اعلم أن هذا الوصف في القرآن الكريم ذكر اثنتي عشرة مرة .

١ - منها : ما قال الله تعالىٰ : ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل الكتاب (يونس : ٣٧).

٢ - ما كان حديثاً يفترى ولكن تصديق الذى بين يديه (يوسف : ١١١).

٣ - ولما جائهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم (البقرة : ٨٩).

٤ - وهذا كتاب أنزلناه مبارك مصدق الذى بين يديه (الأنعام : ٩٢).

٥ - وآمنوا بما أنزلت مصدقا لما معهم ولا تكونوا أول كافر به (البقرة : ٤١).

٦ - يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقاً لما معكم (النساء : ٤٧).

٧ - وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب (المائدة : ٤٨).

٨ - والذى أوحينا إليك من الكتاب هو الحق مصدقا لما بين يديه (الفاطر : ٣١).

٩ - إنا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسىٰ مصدق لما بين يديه (الأحقاف : ٣٠).

والرابع : من وجوه صدق القرآن الكريم :

توصيفه بالأوصاف الحسنة وتسميته بالأوصاف الجميلة .

وقد منا فى بحث أسماءِ القرآن أن له خمسة وسبعين اسماً و كلها يدل على شرافة المسمى الذى هو القرآن. والشرافة ليست إلا بالصدق، بل جميع هذه الأوصاف لايمكن فى كلام البشر. فعلم أنه كلام اللّٰه صادق.

والخامس من وجوه صدق القرآن الكريم :

أنه ليس قولاً مفترى ولا ذا ريب وعوج، ولا يأتيه الباطل

كما يدل عليه القرآن بنصه.

قال اللّٰه تعالىٰ فى نفى الإفتراءِ عن القرآن :

١ - وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون اللّٰه (يونس : ٣٧).

٢ - ما كان حديثاً يفترى ولكن تصديق الذى بين يديه (يوسف : ١١١).

وقال تعالىٰ فى الزجر على قول المنكرين بأنه افتراء :

٣ - أم يقولون افترى على اللّٰه كذباً فان يشأ اللّٰه يختم على قلبك (الشورى : ٢٤).

٤ - أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله (يونس : ٣٨).

٥ - أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات (هود : ١٣).

٦ - أم يقولون افتراه قل إن افتريته فعلى اجرامى (هود : ٣٥).

٧ - بل قالوا اضغاث أحلام بل افتراه بل هو شاعر (الأنبياء : ٥).

٨ - وقال الذين كفروا إن هذا إلا إفك افتراه (الفرقان : ٤).

٩ - أم يقولون افتراه بل هو الحق من ربك (الم السجدة : ٣).

١٠ - أم يقولون افتراه قل إن افتريته فلا تملكون لى من اللّٰه شيئاً (الأحقاف : ٨).

١١ - قالوا ما هذا إلا سحر مفترى (القصص : ٣٦).

١٢ - وقالوا ما هذا إلا افك مفترى (سبأ : ٤٣).

١٣ - قالوا إنما أنت مفتر بل أكثرهم لا يعلمون (النحل : ١٠١).

وقال الله تعالىٰ فى نفى **الريب** عن القرآن :

١ - ذلك الكتاب لا ريب فيه (البقرة : ٢).

٢ - ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل الكتاب لا ريب فيه (يونس : ٣٧)

٣ - تنزيل الكتاب لاريب فيه من رب العالمين (الم السجدة : ٢).

وأزال الريب بطريق التحدى.

٤ - وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله (البقرة : ٢٣).

وقال الله تعالىٰ نفياً **للعوج** فى القرآن :

١ - قرآنا عربياً غير ذى عوج لعلهم يتقون (الزمر : ٢٨).

٢ - الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً (الكهف : ١).

وشنع على الذين يبغون القرآن بالقاءِ الشبهات والوساوس المزخرفة :

٣ - قال الله تعالىٰ : لم تصدون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجاً (آل عمران : ٩٩).

٤ - الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجاً (الأعراف : ٤٥).

٥ - وتصدون عن سبيل الله من آمن به وتبغونها عوجاً (الأعراف : ٨٦).

٦ - الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجاً (هود : ١٩).

٧ - ويصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجاً أولئك فى ضلال بعيد (إبراهيم : ٣).

وقال الله تعالىٰ فى نفى **البطلان** عنه :

١ - وإنه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه (حم السجدة : ٤٢).

قال ابن الجوزى فى تفسيره : فيه ثلاثة أقوال :

أحدها : التكذيب قاله سعيد بن جبير.

والثانى : الشيطان.

والثالث : التبديل رويا عن مجاهد.

قال قتادة : لا يستطيع إبليس أن ينقص منه حقاً ولا يزيد فيه باطلاً.

وقال مجاهد : لا يدخل فيه ماليس منه. وفى قوله (من بين يديه ولا من خلفه) ثلاثة أقوال :

أحدها : بين يدى تنزيله وبعد نزوله.

والثانى : أنه ليس قبله كتاب يبطله ولا يأتى بعده كتاب يبطله.

والثالث : لا يأتيه الباطل فى أخباره عما تقدم ولا فى أخباره عما تأخر (زاد المسير : ٢٦٢/٧).

والسادس من وجوه صدق القرآن الكريم :

عدم التبديل فيه وحفاظة الله تعالىٰ له

١ - قال الله تعالىٰ : قل ما يكون لى أن أبدله من تلقاءِ نفسى (يونس : ١٥).

٢ - لاتبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم (يونس : ١٠).

٣ - ولا مبدل لكلمات الله ولقد جائك من نبأ المرسلين (الأنعام : ٣٤).

٤ - وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً لا مبدل لكلماته (الأنعام : ١١٥).

٥ - لا مبدل لكلماته ولن تجد من دونه ملتحداً (الكهف : ٢٧).

وقال الله تعالىٰ فى شان حفاظته : (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) الحجر : ٩.

وقال القرطبى : فتولى الله تعالى حفظه فلم يزل محفوظاً. وقال فى غيره : (أى فى شان غير القرآن من الكتب السماوية) بما استحفظوا من كتاب الله (المائدة : ٤).

فوكل حفظه إليهم فبدلوا وغيروا. ونقل القرطبى فى ذلك حكاية بسنده) قال يحيىٰ بن أكثم : كان للمامون مجلس نظر فدخل فى جملة الناس رجل يهودى حسن الثوب حسن الوجه طيب الرائحة قال : فتكلم فأحسن الكلام و العبارة. قال : فلما أن تقوض المجلس دعاه المامون فقال له : (إسرائيلى) قال : نعم، قال له أسلم حتى أفعل بك وأصنع ووعده. فقال : دينى ودين آبائى وانصرف. قال : فلما كان بعد سنة جائنا مسلماً قال : فتكلم على الفقه فأحسن الكلام فلما تقوض المجلس دعاه المامون وقال : ألست صاحبنا بالأمس ؟ قال له : بلىٰ، قال : فما كان سبب إسلامك ؟ قال : انصرفت من حضرتك فأحببت أن أمتحن هذه الأديان وأنت مع ما ترانى حسن الخط. فعمدت إلى التوراة فكتبت ثلث نسخ فزدت فيها ونقصت وأدخلتها الكنيسة فاشتريت منى وعمدت إلى الإنجيل فكتبت ثلث نسخ فزدت فيها ونقصت وأدخلتها البيعة فاشتريت منى وعمدت إلى القرآن فعملت ثلث نسخ فزدت فيها ونقصت وأدخلتها الوراقين فتصفحوها فلما أن وجدوا فيها الزيادة والنقصان رموا بها فلم يشتروها فعلمت أن هذا كتاب محفوظ. فكان هذا سبب إسلامى. قال يحيىٰ بن أكثم : فحججت تلك السنة فلقيت سفيان بن عيينة فذكرت له الخبر فقال لى : مصداق هذا فى كتاب الله عز وجل قال : قلت : فى أى موضع ؟ قال : فى قول الله تبارك وتعالىٰ فى التوراة والإنجيل : بما استحفظوا من كتاب الله. فجعل حفظه اليهم فضاع. وقال عز وجل (إنا

نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون فحفظه الله عز وجل علينا فلم يضع. انتهى (تفسير القرطبى : ١٠/٦).

والسابع من وجوه صدق القرآن الكريم :

إيجاب الإيمان به والمدح به.

١ - قال الله تعالىٰ : وآمنوا بما أنزلت مصدق لما معكم ولا تكونوا أول كافر به (البقرة : ٤١).٢ - قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى ابراهيم الآية (البقرة : ١٣٦).

٣ - قل آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على ابراهيم الآية (آل عمران : ٨٤).

٤ - يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقاً لما معكم (النساء : ٤٧).

٥ - وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم الآية (آل عمران : ١٩٩).

٦ - يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذى نزل على رسوله والكتاب الذى أنزل من قبل (النساء : ١٣٦).

٧ - واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة (الأنعام : ٥٤).

٨ - إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية يرجون تجارة لن تبور (الفاطر : ٢٩).

ففى هذه الآيات أمر من الله تعالىٰ بالإيمان بالقرآن أو باقرار الإيمان به وفى بعضها مدح من آمن به بأن له أجرا عند ربه وبأنه حقيق برحمة الله الخاصة وتجارته غير بائر ونحوها. فهذا أوضح دليل على أن القرآن كتاب صادق من الله تعالىٰ، لأن الإيمان الشرعى مخصوص بما جاء من الله تعالىٰ

قطعاً أو ضرورة بواسطة الرسل.

والثامن من وجوه صدق القرآن الكريم :

إيجاب اتباع القرآن والمدح به.

١ - قال الله تعالىٰ : وأن هذا صراطى مستقيماً فاتبعوه ولاتتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون (الأنعام : ١٥٣).

٢ - وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون (الأنعام : ١٥٥).

٣ - اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلاً ما تذكرون (الأعراف : ٣).

٤ - فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون (الأعراف : ١٥٧).

٥ - واتبع ما يوحى إليك واصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين (يونس : ١٠٩).

٦ - واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لاتشعرون (الزمر : ٥٥).

٧ - فاذا قرأناه فاتبع قرآنه (القيامة : ١٨).

فهذه الأوامر باتباع القرآن الكريم ست مرات. وذكر آثار الاتباع وفوائده من حصول التقوى فى الأية الأولىٰ وحصول رحمة الله الخاصة فى الأية الثانية وحصول الفلاح فى الأية الرابعة والنجاة من العذاب فى الأية الخامسة دليل واضح على صدق هذا الكتاب الكريم، فإن الأمر باتباع الكاذب قبيح عقلاً ونقلاً وعرفاً، ولا يفيد شيئاً فافهم.

والتاسع من وجوه صدق القرآن الكريم :

إيجاب التمسك والإعتصام بالقرآن والمدح بذلك.

قال الله تعالىٰ: واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فالف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً
(آل عمران : ١٠٣).

٢ - والذين يتمسكون بالكتاب وأقاموا الصلاة إنا لا نضيع أجر المصلحين (الأعراف : ١٧٠).

٣ - فاستمسك بالذى أوحى إليك إنك على صراط مستقيم.
(الزخرف : ٤٣).

ففى هذه الآيات أمر بالإعتصام والتمسك بالقرآن الكريم والمدح بأن هذا سبب الإيتلاف والنجاة من حفرة النار كما فى الآية الأولىٰ وبأن هذا شان المصلحين كما فى الآية الثانية وبأن هذا دليل الصراط المستقيم كما فى الآية الثالثة.

وهذه المنافع والفوائد لا تكون إلا فى الكلام الصادق المعجز. وهو القرآن الكريم.

والعاشر من وجوه صدق القرآن الكريم :
إيجاب تبليغ القرآن وتلاوته وترتيله والمدح بها.

قال الله تعالىٰ: ١ - يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته (المائدة : ٦٧).

هذه الآية تدل على أن القرآن رسالة الله تعالىٰ ولذا نفى تبليغ الرسالة بنفى تبليغ ما أنزل.

٢ - واتل ما أوحى إليك من الكتاب وأقم الصلاة (العنكبوت : ٤٥).

٣ - واتل ما أوحى أليك من كتاب ربك لا مبدل لكلماته ولن تجد من دونه ملتحداً (الا الكهف : ٢٧).

٤ - إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم لسرا

وعـلانية يـرجون تجارة لن تبور ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله إنه غفور شكور (الفاطر : ٢٩، ٣٠).

فـفـى هاتين الآيتين ذكر جزاءِ الذين يتلون الكتاب بأن تجارتهم غير بائرة وبأنهم يوفى أجور أعمالهم ويستحقون الفضل والزيادة من الله تعالىٰ.

٥ - ورتل القرآن ترتيلاً (المزمل : ٤).

فإيجاب تبليغه وتلاوته وترتيله والمدح بهذا يستلزم صدق القرآن بأنه من الله تعالىٰ.

والحادى عشر من وجوه صدق القرآن الكريم :

إيجاب التحكيم به.

١ - قـال الله تعالىٰ : وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله (المائدة : ٤٨).

٢ - وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهوائهم (المائدة : ٤٩).

فـالتـحكيم بالقرآن يدل على صدقه لأنه لا تحكيم ولا عدل فى الكذب.

وقد سمى القرآن حكماً كما مر فى بحث الأسماءِ.

والثانى عشر من وجوه صدق القرآن الكريم :

شهادة الله والملائكة و العلماءِ السابقين بانّه حق وصدق.

١ - قـال الله تـعـالـىٰ : والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين (الأنعام : ١١٤).

٢ - ومـا لـنـا لا نؤمن بالله وما جائنا من الحق ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين (المائدة : ٨٤).

٣ - والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما أنزل إليك (الرعد : ٣٦).

٤ - الـذيـن آتيـناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون واذا يتلىٰ عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين (القصص : ٥٢، ٥٣).

٥ - وقال تعالىٰ : لكن الله يشهد بما أنزل إليك أنزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيداً (النساء : ١٦٦).

٦ - فلا أقسم بمواقع النجوم وإنه لقسم لو تعلمون عظيم إنه لقرآن كريم في كتاب مكنون لا يمسه إلا المطهرون تنزيل من رب العالمين

(الواقعة : ٧٥ - ٨٠).

٧ - فلا أقسم بما تبصرون ومالا تبصرون إنه لقول رسول كريم

(الحاقة : ٣٨ - ٤٠).

والثالث عشر من وجوه صدق القرآن الكريم :

الفرح والإطمينان به مع الوجل والبكاءِ.

ولا تتأثر القلوب بهذه الآثار إلا بالكلام الصادق غاية صدق.

١ - قال الله تعالىٰ : قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون (يونس : ٥٨).

روى العوفى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن فضل الله القرآن. ورحمته أن جعلهم من أهل القرآن. وبه قال ابو سعيد الخدرى والحسن فى رواية (زاد المسير : ٤/٤٠).

٢ - والذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب (الرعد : ٢٨).

٣ - والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما أنزل إليك (الرعد : ٣٦).

٤ - إنما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً (الأنفال : ٢).

٥ - الله الذى نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثانى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله (الزمر : ٢٣).

٦ - واذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما

عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين (المائدة : ٨٣).

٧ – إن الذين أوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجدا ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولاً ويخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعاً (الإسراء : ١٠٧ – ١٠٩).

واعلم أن الفرح والإطمينان لا ينافيان الوجل والبكاء، لأن الفرح والإطمينان إما وقت الإستدلال والإحتجاج فلا يبرد قلب المؤمن بدليل وحجة سوى ما أنزل الله تعالىٰ. وكذلك الفرح والإطمينان والتثبت وقت سماع آيات الوعد. والوجل والبكاء إما لزيادة الخشعة أو سماع آيات الوعيد.

والرابع عشر من وجوه صدق القرآن الكريم :

قباحة الإشتراءِ وذم المشترين بالقرآن ومدح عدم الإشتراءِ به.

١ – قال الله تعالىٰ : إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلاً أولئك لا خلاق لهم فى الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم (آل عمران : ٧٧)

٢ – وإن من اهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما انزل اليكم وما انزل اليهم خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا أولئك لهم اجرهم عند ربهم إن الله سريع الحساب (آل عمران : ١٩٩).

٣ – اشتروا بآيات الله ثمنا قليلا فصدوا عن سبيله إنهم ساء ما كانوا يعملون (التوبة : ٩).

٤ – ولا تشتروا بعهد الله ثمنلا قليلا إن ما عند الله هو خير لكم ان كنتم تعلمون (النحل : ٩٥).

والثمن القليل على ما قال المفسرون : هو جميع الدنيا وما فيها وهى قليلة بالنسبة الى آيات الله تعالىٰ. وهى تستلزم الصدق الكامل.

والخامس عشر من وجوه صدق القرآن الكريم :
فوائد نزول القرآن والآيات

وما يترتب عليه من المنافع الجمة والحكم الكثيرة .

واعلم : أن كثيراً من أسماءِ القرآن التي مر ذكرها بل كلها دليل فوائده كما يظهر بأدنى ا التأمل. ونذكر هنا من الآيات ما فيها الفوائد بغير التسمية.

١ - قال الله تعالىٰ : كذلك يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون (البقرة : ١٨٧).

٢ - كذلك يبين الله لكم الأيات لعلكم تتفكرون (البقرة : ٢١٩).

٣ - و يبين الله أياته للناس لعلهم يتذكرون (البقرة : ٢٢١).

٤ - واذكروا نعمة الله عليكم وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به (البقرة : ٢٣١).

٥ - كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تعقلون (البقرة : ٢٤٢).

٦ - كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون (البقرة : ٢٢٦).

٧ - واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا. واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون (آل عمران : ١٠٣).

٨ - إنا أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيماً (النساء : ١٠٥).

٩ - يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور ويهديهم إلى صراط مستقيم (المائدة : ١٦).

١٠ - كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تشكرون (المائدة : ٨٩).

١١ - وأوحى إلى هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ (الأنعام : ١٩).

١٢ - وهذا كتاب مبارك مصدق الذى بين يديه ولتنذر أم القرىٰ ومن حولها (الأنعام : ٩٢).

١٣ - كتاب أنزل اليك فلا يكن فى صدرك حرج منه لتنذر به وذكرى للمؤمنين (الأعراف : ٢).

١٤ - إنما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً (الأنفال : ٢).

١٥ - واذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيماناً فاما الذين آمنوا فزادتهم إيماناً وهم يستبشرون وأما الذين فى قلوبهم مرض فزادتهم رجساً الى رجسهم وماتوا وهم كافرون (التوبة : ١٢٤، ١٢٥).

١٦ - الر كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير أن لا تعبدوا إلا الله (هود : ٢).

١٧ - فان لم يستجيبوا لكم فاعلموا أنما أنزل بعلم الله وأن لا اله الا هو فهل انتم مسلمون (هود : ١٤).

١٨ - إنا أنزلناه قرآنا عربياً لعلكم تعقلون (يوسف : ٢).

١٩ - الر كتب أنزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور باذن ربهم الى صراط العزيز الحميد (ابراهيم : ١).

٢٠ - هذا بلاغ للناس ولينذروا به وليعلموا أنما هو اله واحد وليذكر أولوا الألباب (ابراهيم : ٥٢).

٢١ - وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون (النحل : ٤٤).

٢٢ - وما انزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم الذى اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون (النحل : ٦٤).

٢٣ - قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى

وبشرى للمسلمين (النحل : ١٠٢).

٢٤ – ما انزلنا عليك القرآن لتشقىٰ الا تذكرة لمن يخشى (طه : ٢، ٣).

٢٥ – سورة انزلناها وفرضناها وأنزلنا فيها آيات بينات لعلكم تذكرون (النور : ١).

٢٦ – تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً (الفرقان : ١).

٢٧ – كتاب انزلناه اليك مبارك ليدبروا أياته وليتذكر أولوا الألباب (ص : ٢٩).

٢٨ – وكذلك أوحينا اليك قرآناً عربيا لتنذر أم القرى ومن حولها وتنذر يوم الجمع لاريب فيه فريق فى الجنة وفريق فى السعير (حم شورى : ٧).

فليعلم أن هذه الفوائد والمنافع ست وعشرون بحذف التكرار ونحوها هل تترتب على الكلام الكاذب ؟ كلا وحاشا ! بل وجودها دليل بين على صدقه.

والسادس عشر من وجوه صدق القرآن الكريم :

شناعة من كفر بالقرآن أو كذب أو كتمه أو خاض فيه أو اختلف فيه أو غفل عنه أو أعرض أو جحد أو سعى للإعجاز أو كره ما أنزل الله وقباحاتهم وعقوباتهم حجة واضحة علىٰ صدق القرآن لأنه لو كان كاذباً لكان تكذيبه والأمور المذكورة واجبة عند العقلاءِ.

١ – قال الله تعالىٰ : والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون (البقرة : ٣٩).

٢ – ولقد أنزلنا اليك أيات بينات وما يكفر بها إلا الفاسقون (البقرة : ٩٩).

٣ – الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته أولئك يؤمنون به ومن يكفر

به فأولئك هم الخاسرون (البقرة : ١٢١).

٤ - إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس فى الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون (البقرة : ١٥٩).

٥ - إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلاً أولئك لهم عذاب اليم (البقرة : ١٧٤).

٦ - ذلك بأن الله نزل الكتاب بالحق وإن الذين اختلفوا فى الكتاب لفى شقاق بعيد (البقرة : ١٧٦).

٧ - إن الذين كفروا بآيات الله لهم عذاب شديد والله عزيز ذو انتقام (آل عمران : ٤).

٨ - ومن يكفر بآيات الله فان الله سريع الحساب (آل عمران : ١٩).

٩ - إن الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب اليم (آل عمران : ٢١).

١٠ - إن الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم ناراً كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب إن الله كان عزيزاً حكيماً (النساء : ٥٦).

١١ - وقد نزل عليكم فى الكتاب أن اذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخضوا فى حديث غيره إنكم إذا مثلهم إن الله جامع المنافقين والكافرين فى جهنم جميعاً (النساء : ١٤٠).

١٢ - والذين كفروا و كذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم (المائدة : ١٠).

١٣ - والذين كذبوا بآياتنا يمسهم العذاب بما كانوا يفسقون (الأنعام : ٤٩).

١٤ - وإذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا

فى حديث غيره وإما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين (الأنعام : ٦٨).

١٥ - فمن أظلم ممن كذب بآيات الله وصدف عنها سنجزى الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب بما كانوا يصدفون (الأنعام : ١٥٧).

١٦ - والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون (الأعراف : ٣٦).

١٧ - إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح له أبواب السماءِ ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط وكذلك نجزى المجرمين لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش وكذلك نجزى الظالمين (الأعراف : ٤٠ - ٤١).

١٨ - والذين كذبوا بآياتنا ولقاءِ الآخرة حبطت أعمالهم هل يجزون إلا ما كانوا يعملون (الأعراف : ١٤٧).

١٩ - ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون (الأعراف : ١٧٦).

٢٠ - والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم من حيث لا يعلمون (الأعراف : ١٨٢).

٢١ - إنّ الذين لا يرجون لقائنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون (يونس : ٧، ٨).

٢٢ - ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله فتكون من الخاسرين (يونس : ٩٥).

٢٣ - ومن أظلم ممن ذكر بآيات الله فأعرض عنها ونسى ما قدمت يداه إنا جعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفى آذانهم وقراً وان تدعهم إلى

الهدى فلن يهتدوا اذا أبداً (الكهف : ٥٧).

٢٤ - أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً (الكهف : ١٠٥).

٢٥ - من أعرض عنه فإنه يحمل يوم القيامة وزراً خالدين فيه وساء لهم يوم القيامة حملاً (طه : ١٠٠ - ١٠١).

٢٦ - ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيامة أعمى (طه : ١٢٤).

٢٧ - والذين كفروا وكذبوا بآياتنا فأولئك لهم عذاب مهين (الحج : ٥٧).

٢٨ - بل هو آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم وما يجحد بآياتنا إلا الظالمون (العنكبوت : ٤٩).

٢٩ - وأما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا ولقاءِ الآخرة فأولئك فى العذاب محضرون (الروم : ١٦).

٣٠ - وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون فلنذيقن الذين كفروا عذاباً شديداً ولنجزينهم أسوء الذى كانوا يعملون ذلك جزاء أعداءِ الله النار لهم فيها دار الخلد جزاء بما كانوا بآياتنا يجحدون (حم السجدة : ٢٦ - ٢٨).

٣١ - هذا هدى والذين كفروا بآيات ربهم لهم عذاب من رجز أليم (حم جاثية : ١١).

٣٢ - ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم (محمد : ٩).

٣٣ - والذين كفروا وكذبوا بآياتا أولئك أصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير (التغابن : ١٠).

٣٤ - فما لهم عن التذكرة معرضين كأنهم حمر مستنفرة فرت من

فسورة (المدثر : ٤٩ - ٥١).

ففى هذه الآيات **سجل على** من كفر بآيات الله وكذب بها واستكبر وجحد عنها بتسعة عشر حكماً. بأنهم :

١ - أصحاب النار

٢ - وهم الفاسقون

٣ - والخاسرون

٤ - وأصحاب الجحيم

٥ - ويحضرون العذاب

٦ - ولهم رجز

٧ - وإن لهم عذاباً شديداً

٨ - وعذاباً أليماً

٩ - ومهيناً

١٠ - ولهم صلى فى النار

١١ - ومس العذاب

١٢ - ولا تفتح لهم أبواب السماءِ

١٣ - ويحرمون الجنة

١٤ - وتحبط أعمالهم

١٥ - وهم مثل الكلب

١٦ - والأظلم

١٧ - وأمر بالإعراض والتباعد عنهم

١٨ - وذكر استدراجهم

وسجل على من أعرض عن آيات الله أو غفل عنها بستة أحكام :

١ - مأواهم النار

٢ – وهم اظلمون

٣ – يحملون الوزر يوم القيامة

٤ – ولهم ضنك العيش

٥ – ويحشرون بحالة العمى

٦ – وهم مثل الحمر

وكذلك سجل على من كتم آيات الله بأنه :

١ – ملعون

٢ – ويأكل النار فى بطنه

٣ – ولايكلمه الله

٤ – ولا يزكيه

٥ – وله عذاب أليم.

وسجل على من اختلف فى كتاب الله أو خاض فيه بالباطل بأنه :

١ – فى شقاق بعيد

٢ – ويجب الإجتناب عنه والإعراض.

وسجل على من كره المنزل باحباط عمله وعلى من منع الناس عن كتاب الله تعالىٰ بأنه عدو الله ويجزىٰ بأسوءِ جزاء.

فهذه عقوبات نحو (٣٢) إثنين وثلثين بحذف التكرار تدل دلالة واضحة على أن كتاب الله صادق كامل فى الصدق لا شك فيه ولا ارتياب ولكن إنما يتذكر أولوا الألباب دون أصحاب الحجاب.

✲ ✲ ✲ ✲ ✲ ✲

شبهات المنكرين حول صدق الرسول صلى الله عليه وسلم وطرق إنكارهم والرد عليهم.

لما فرغنا عن ذكر وجوه صدق الرسول والقرآن فى القرآن فلا بد من ذكر شبهات المنكرين حولهما ليعلم أن بين يدى هذه الصداقة الكاملة ليست شبهاتهم وإنكارهم إلا مزخرفة واهية لاتسمعها أذن أولى الألباب ولا يلتفتون إليها لفتة فشبهاتهم الواهية دليل واضح على صدق الرسول والقرآن.

فلشبهاتهم وجحودهم وجوه شتى نفصلها من القرآن .

الوجه الأول : التكذيب.

١ - قال الله تعالى : فان كذبوك فقد كذب رسل من قبلك جاؤا بالبينات والزبر والكتاب المنير (آل عمران : ١٨٤).

٢ - فان كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين (الأنعام : ١٤٧).

٣ - وان كذبوك فقل لى عملى ولكم عملكم أنتم بريئون مما أعمل وأنا برئ مما تعملون (يونس : ٤١.

٤ - وان يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود (الحج : ٤٢).

٥ - وان يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم جائتهم رسلهم بالبينات وبالزبر وبالكتاب المنير (الفاطر : ٢٥).

٦ - وعجبوا أن جائهم منذر منهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب (ص : ٤).

٧ - أرأيت ان كذب وتولى ألم يعلم بأن الله يرىٰ (علق : ١٣ - ١٤).

ففى هذه الآيات ذكر تكذيبهم الرسول صلى الله عليه وسلم وذكر فى

مقابلته تشبيههم بالمكذبين السابقين والعقوبات الدنيوية والزواجر وبرائة الرسول صلى الله عليه وسلم منهم.

والوجه الثاني : نبذهم الكتاب وقت مجئ ذلك الرسول.

قال الله تعالىٰ : ولما جائهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون (البقرة : ١٠١).

والمراد بالكتاب المنبوذ إما كتابهم التوراة فالمراد بالنبذ ترك العمل به أى عناداً وإن كانوا أدرجوه فى الحرير والديباج كذا نقل عن سفيان (القرطبى) أو المراد من الكتاب المنبوذ القرآن فالمراد بالنبذ كفرهم به وهذا لمعاندتهم وضدهم.

والوجه الثالث : السؤال على الرسول صلى الله عليه وسلم.

١ - قال الله تعالىٰ : أتريدون أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل ومن يتبدل الكفر بالإيمان فقد ضل سواء السبيل (البقرة : ١٠٨).

٢ - قد سألها قوم من قبلكم ثم اصبحوا بها كافرين (المائدة : ١٠٢).

٣ - يسألونك عن الساعة أيان مرساها قل أنما علمها عند ربى لا يحليها لوقتها إلا هو. ثقلت فى السموات والأرض (الأعراف : ١٨٧).

٤ - ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربى نسفاً فيذرها قاعاً صفصفاً (طه : ١٠٥).

٥ - يسألك الناس عن الساعة قل أنما علمها عند الله (الاحزاب : ٦٢).

والوجه الرابع : المحاجة مع الرسول صلى الله عليه وسلم.

١ - قال الله تعالىٰ : فان حاجوك فقل أسلمت وجهى لله ومن اتبعن (آل عمران : ٢٠).

٢ - فمن حاجك فيه من بعد ما جائك من العلم فقل تعالوا ندع أبنائنا

وأبنـائكم ونسائنا ونسائكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين (آل عمران : ٦١).

٣ - هاأنتم هؤلاءِ حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم والله يعلم وأنتم لا تعلمون (آل عمران : ٦٦).

والوجه الخامس :

التولي عن اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم والإيمان به.

١ - قال الله تعالىٰ : فمن تولى بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون (آل عمران : ٨٢).

٢ - أفرأيت الذى تولى وأعطى قليلاً وأكدى (النجم : ٣٣، ٣٤).

٣ - أرأيت إن كذب وتولى (علق : ١٣).

والوجه السادس : طلب القربان منه

صلى الله عليه وسلم بشرط أن تأكله النار.

قـال الله تـعـالـىٰ : قـالـوا إن الله عهـد إلينا أن لا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار (آل عمران : ١٨٣).

فـقـد حـرفـوا فـى كـتـابهـم لأن اتيـان القربان المأكول بالنار كان شرطاً لـرسـول بـنـى إسرائيل فقط لا مطلقاً فجعلوه مطلقاً وأنكروا عن رسولنا صلى الله عليه وسلم بسبب فقدان هذا الشرط وهذا جهلهم.

والوجه السابع :

مخاطبتهم له بقولهم عارياً من الأدب والإحترام (غير مسمع وراعنا)

١ - قـال الله تـعـالـىٰ : مـن الـذيـن هـادوا يـحـرفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع وراعنا (النساء : ٤٦).

ونهـى الله تـعـالـىٰ المؤمنين عن هذا القول. قال الله تعالىٰ : يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا (البقرة : ١٠٤).

والوجه الثامن : الصد عن اتباعه صلى الله عليه وسلم

قال تعالىٰ : واذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدوداً (النساء : ٦١).

والوجه التاسع : انتساب السيئات اليه

والتطير به صلى الله عليه وسلم.

قال تعالىٰ : أينما تكونوا يدركم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة وإن تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك قل كل من عند الله فما لهؤلاءِ القوم لا يكادون يفقهون حديثاً (النساء : ٧٨).

الوجه العاشر : إضلال الرسول

إما عند طريق الصواب أونسبة الضلال إليه صلى الله عليه وسلم.

قال الله تعالىٰ : ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم أن يضلوك وما يضلون إلا أنفسهم وما يضرونك من شئ (النساء : ١١٣).

الوجه الحادى عشر : شبهة عدم إنزال الملك عليه

١ - قال الله تعالىٰ : وقالوا لولا أنزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكاً لقضى الأمر ثم لاينظرون (الأنعام : ٨).

٢ - فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك وضائق به صدرك أن يقولوا لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك إنما أنت نذير والله على كل شئ وكيل (هود : ١٢).

٣ - وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الأسواق لولا أنزل اليه ملك فيكون معه نذيراً (الفرقان : ٧).

والوجه الثانى عشر : طلب الآياتِ

والمعجزاتِ منه صلى الله عليه وسلم.

١ - قال الله تعالىٰ : وقالوا لولا نزل عليه آية من ربه قل إن الله قادرعلى

أن ينزل آية ولكن أكثرهم لا يعلمون (الأنعام : ٣٧).

٢ - واذا لم تأتهم بآية قالوا لولا اجتبيتها قل إنما اتبع ما يوحى الى من ربى (الأعراف : ٢٠٣).

٢ - فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك وضائق به صدرك أن يقولوا لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك إنما أنت نذير والله على كل شئ وكيل (هود : ١٢).

٤ - ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه إنما أنت منذر ولكل قوم هاد (الرعد : ٧).

٥ - ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه قل إن الله يضل من يشاء ويهدى من اليه من أناب (الرعد : ٢٧).

٦ - وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيراً أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً أو تأتى بالله والملائكة قبيلاً أو يكون لك بيت من زخرف او ترقى فى السماءِ ولن نؤمن لترقيك حتى تنزل علينا كتاباً نقرؤه قل سبحان ربى هل كنت الا بشرا رسولاً (الإسراء : ٩٠ - ٩٣).

٧ - وقالوا لولا تأتينا بآية من ربه أولم تأتهم بينة ما فى الصحف الأولىٰ (طه : ١٣٣).

٨ - فليأتنا بآية كما أرسل الأولون (الأنبياء : ٥).

٩ - أو يلقى اليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها (الفرقان : ٨).

والوجه الثالث عشر : الجحود عن الإنزال على بشر معاندة ومضادةً.

قال الله تعالىٰ : وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شئ قل من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى نوراً وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيراً وعلمتم مالم تعلموا أنتم ولا آباؤكم قل الله

(الأنعام : ٩١).

والوجه الرابع عشر :

مكرهم بالنبى صلى الله عليه وسلم لإخراجه أو قتله أو حبسه.

قال الله تعالىٰ : وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين (الأنفال : ٣٠).

والوجه الخامس عشر : تقليب الأمور للنبى صلى الله عليه وسلم وهو تدبير الحيل والأسباب لإضرار النبى صلى الله عليه وسلم.

قال الله تعالىٰ : لقد ابتغوا الفتنة من قبل وقلبوا لك الأمور حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون (التوبة : ٤٨).

والوجه السادس عشر :

اللمز به صلى الله عليه وسلم وهو التعييب والتنقيد عليه.

قال الله تعالىٰ ومنهم يلمزك فى الصدقات فان أعطوا منها رضوا وان لم يعطوا اذا هم يسخطون (التوبة : ٥٨).

والوجه السابع عشر : أذى النبى صلى الله عليه وسلم.

١ - قال الله تعالىٰ : ومنهم الذين يؤذون النبى ويقولون هو أذن قل أذن خير لكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين ورحمة للذين آمنوا منكم والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب اليم (التوبة : ٦١).

٢ - إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله فى الدنيا والآخرة وأعد لهم عذاباً اليماً (الأحزاب : ٥٧).

والوجه الثامن عشر : الإستهزاء بالنبى صلى الله عليه وسلم.

١ - قال الله تعالىٰ : ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن (التوبة : ٦٥).

٢ - واذا رآك الذين كفروا ان يتخذونك الا هزوا أهذا الذى يذكر آلتهم

وهم بذكر الرحمن هم كافرون (الأنبياء : ٣٦).

٣ - واذا رأوك إن يتخذونك الا هزواً أهذا الذى بعث الله رسولا (الفرقان : ٤١).

والوجه التاسع عشر : تعجبهم عن كونه صلى الله عليه وسلم رجلاً وإنكارهم عنه صلى الله عليه وسلم.

١ - قال الله تعالىٰ : أكان للناس عجباً ان أوحينا الى رجل منهم أن انذر الناس وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم (يونس : ٢).

٢ - وعجبوا أن جائهم منذر منهم (ص : ٣).

٣ - بل عجبوا أن جائهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شئ عجيب (ق : ٢).

والوجه العشرون : إتهامهم له بأنه ساحر.

١ - قال الله تعالىٰ : قال الكافرون ان هذا لساحر مبين (يونس : ٢).

٢ - وقال الكافرون هذا ساحر كذاب (ص : ٤).

والوجه الحادى والعشرون : افترائهم بأنه شاعر

قال الله تعالىٰ : بل هو شاعر فليأتنا بآية كما أرسل الأولون (الأنبياء : ٥).

٢ - أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون (الطور : ٣٠).

والوجه الثاني والعشرون : انتسابهم إليه بأنه مسحور .

١ - قال الله تعالىٰ : نحن أعلم بما يستمعون اذ يستمعون اليك وإذهم نجوىٰ اذ يقول الظالمين إن تتبعون إلا رجلاً مسحوراً (الإسراء : ٤٧).

٢ - وقال الظالمون إن تتبعون إلا رجلاً مسحوراً (الفرقان : ٨).

والوجه الثالث والعشرون : إعتراضهم بعدم نزول الكنز إليه.

١ - قال الله تعالىٰ : فلعلك تارك بعض ما يوحىٰ إليك وضائق به صدرك أن يقولوا لولا أنزل إليه كنز (هود : ١٢).

٢ – أو يلقىٰ إليه كنز او تكون له جنة ياكل منها (الفرقان : ٨).

والوجه الرابع والعشرون : إنتسابهم الإفتراء إليه.

١ – قال الله تعالىٰ : أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله (يونس : ٣٨).

٢ – أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات (هود : ١٣).

٣ – أم يقولون افتراه قل إن افتريته فعلى إجرامي وأنا برئ مما تجرمون (هود : ٣٥).

٤ – بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراه (الأنبياء : ٥).

٥ – وقال الذين كفروا إن هذا لا افك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون فقد جاؤا ظلماً وزوراً (الفرقان : ٤).

٦ – أم يقولون افتراه بل هو الحق من ربك (الم السجدة : ٣).

٧ – أفترىٰ على الله كذباً أم به جنة (سبأ : ٨).

٨ – أم يقولون افترى على الله كذباً فإن يشأ الله يختم على قلبك (حم الشورى : ٢٤).

٩ – أم يقولون افتراه قل أن افتريته فلا تملكون لي من الله شيئاً (الأحقاف : ٨).

والوجه الخامس والعشرون : تهكمهم به باستعجال العذاب عنه

١ – قال الله تعالىٰ : ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة وقد خلت من قبلهم المثلات (الرعد : ٦).

٢ – ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده وإن يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون (الحج : ٤٧).

والوجه السادس والعشرون : إنكارهم عن رسالته ﷺ

١ – قال الله تعالىٰ : ويقول الذين كفروا لست مرسلاً قل كفى بالله شهيداً بيني و بينكم ومن عنده علم الكتاب (الرعد : ٤٣).

٢ - أم لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون (المؤمنون : ٦٩).

والوجه السابع والعشرون : فتواهم عليه بالجنون والجِنة.

١ - قال الله تعالىٰ : وقالوا يا أيها الذى نزل عليه الذكر إنك لمجنون (الحجر : ٦).

٢ - أم يقولون به جنة بل جائهم الحق وأكثرهم للحق كارهون (المؤمنون : ٧٠).

٣ - افترىٰ على الله كذباً أم به جنة بل الذين لايؤمنون بالآخرة فى العذاب والضلال البعيد (سبأ :٨).

والوجه الثامن والعشرون : إفتراؤهم عليه بأنه يعلمه بشر وقوم آخرون.

١ - قال الله تعالىٰ : ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذى يلحدون اليه أعجمى وهذا لسان عربى مبين (النحل : ١٠٣).

٢ - وقال الذين كفروا إن هذا إلا افك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون فقد جاؤا ظلماً وزوراً (الفرقان : ٤).

والوجه التاسع والعشرون : صرف جهدهم فى افتتان النبى صلى الله عليه وسلم عن الوحى.

قال الله تعالىٰ : وإن كادوا ليفتنونك عن الذى أوحينا إليك لتفترى علينا غيره واذا لأتخذوك خليلاً (الإسراء : ٧٣).

والوجه الثلثون : إخراجهم الرسول من مكة

١ - قال الله تعالىٰ : وإن كادوا ليستفزونك من الأرض ليخرجوك منها وإذاً لا يلبثون خلافك إلا قليلاً (الإسراء : ٧٦).

٢ - وكأين من قرية هى أشد من قريتك التى أخرجتك أهلكناها فلا ناصر لهم (محمد : ١٣).

٣ - يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون إليهم

بالمودة وقد كفروا بما جائكم من الحق يخرجون الرسول وإياكم (الممتحنة : ١).

والوجه الحادى والثلثون : إعتراضهم وتعييبهم عليه بأنه بشر

١ - قال الله تعالىٰ : وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جائهم الهدى إلا أن قالوا أبعث الله بشراً رسولاً (الإسراء : ٩٤).

٢ - لاهية قلوبهم وأسروا النجوى الذين ظلموا هل هذا إلا بشر مثلكم أفتأتون السحر وأنتم تبصرون (الأنبياء : ٣).

والوجه الثانى والثلثون : جدالهم معه صلى الله عليه وسلم

قال الله تعالىٰ : وإن جادلوك فقل الله أعلم بما تعملون (الحج : ٦٨).

والوجه الثالث والثلثون :

إعتراضهم بلوازم البشرية والحاجات الإنسانية :

قال الله تعالىٰ : وقالوا مالهذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الأسواق لولا أنزل اليه ملك فيكون معه نذيراً (الفرقان : ٧).

والوجه الرابع والثلثون :

سؤالهم واعتراضهم عليه بعدم نزول القرآن جملة واحدة .

١ - قال الله تعالىٰ : يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتاباً من السماءِ (النساء : ١٥٣).

والمراد به الإنزال جملة واحدة كما ذكره المفسرون.

٢ - وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلاً (الفرقان : ٣٢).

والوجه الخامس و الثلثون : التحية له بالوجه الغير المشروع مثل السام عليك

قال الله تعالىٰ : وإذاجاؤك حيوك بما لم يحيك به الله ويقولون فى

أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير (المجادلة : ٨).

والوجه السادس والثلثون : إدعاء مثل رسالته وكتابه :

١ - قال الله تعالىٰ : ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو قال أوحى إلى ولم يوح إليه شئ ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله (الأنعام : ٩٣).

٢ - وإذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتى رسل الله الله أعلم حيث يجعل رسالته (الأنعام : ١٢٤).

والوجه السابع والثلثون :

منعه صلى الله عليه وسلم عن الصلاة والدعوة إلى الله تعالى :

قال الله تعالىٰ : أرأيت الذى ينهى عبداً اذا صلى (العلق : ٩، ١٠).

وأقول : لا إنحصار فى هذه الوجوه لأن غيرها كثير. نعم إنى اكتفيت بذكر الشبهات ووجوه الإنكار التى خص ذكرها بمقابلة رسولنا صلى الله عليه وسلم ولم ننقل ماورد من الشبهات والمطاعن على غيره من الأنبياءِ عليهم السلام. وليعلم أن الشبهات والمطاعن التى يوردها المخالفون على نبينا صلى الله عليه وسلم كثيرة بالنسبة إلى الأنبياءِ والرسل السابقين لأنه عليه الصلاة والسلام قال : لقد أوذى فى الله وما يؤذئ أحد (المشكاة : ٤٤٨).

●●●●●●

شبهات المنكرين حول

صدق القرآن الكريم وطرق إنكارهم والرد عليهم

وإذ قد انتهينا من ذكر شبهات المنكرين على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم نرى لزاماً علينا أن نذكر شبهات المنكرين حول صدق القرآن الكريم وطرق إنكارهم مع الرد عليهم. وسيعلم القارئ أن شبهاتهم مزخرفة واهية لا تسمعها أذن واعية.

الوجه الأول : إعراضهم عن الآيات والصرف عنها :

١ - قال الله تعالىٰ : وما تأتيهم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين (الأنعام : ٤).

٢ - فمن أظلم ممن كذب بآيات الله وصدف عنها (الأنعام : ١٥٧).

٣ - ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه فأعرض عنها (الكهف : ٥٧).

٤ - من أعرض عنه فإنه يحمل يوم القيامة وزراً (طه ١٠٠).

٥ - ومن اعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيامة أعمى (طه : ١٢٤).

٦ - وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث إلا كانوا عنه معرضين (الشعراء : ٥).

٧ - ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم أعرض عنها (السجدة : ٢٢).

٨ - وما تأتيهم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين (يس : ٤٦).

٩ - فما لهم عن التذكرة معرضين (المدثر : ٤٩).

والوجه الثاني : جحودهم عن الأيات:

١ - قال الله تعالىٰ : قد نعلم إنه ليحزنك الذى يقولون فإنهم لا

يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون (الأنعام : ٣٣).

٢ –وما يجحد بآياتنا إلا الكافرون (العنكبوت : ٤٧).

٣ – وما يجحد بآياتنا إلا الظالمون (العنكبوت : ٤٩).

٤ – وما يجحد بآياتنا إلا كل ختار كفور (لقمان : ٣٢).

٥ – كذلك يؤفك الذين كانوا بآيات الله يجحدون (حم مؤمن : ٦٣).

وإنكارهم عن الآيات.

قال الله تعالىٰ : والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما أنزل إليك ومن الأحزاب من ينكر بعضه (الرعد : ٣٦).

وإباؤهم عن الآيات. قال الله تعالىٰ :

١ – ولقد صرفنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل فأبى أكثر الناس الا كفورا (الإسراء : ٨٩).

والوجه الثالث : خوضهم فى الآيات :

قال الله تعالىٰ : واذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا فى حديث غيره (الأنعام : ٦٨).

والوجه الرابع : إدعاؤهم مثل إنزال القرآن :

١ – قال الله تعالىٰ : ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو قال أوحى إلى ولم يوح إليه شئ ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله (الأنعام : ٩٣).

٢ – واذا تتلىٰ عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا (الأنفال : ٣١).

والوجه الخامس : تكذيبهم بآيات الله تعالىٰ :

١ – قال الله تعالىٰ : ومن اظلم ممن افترى على الله كذباً أو كذب بآياته (الأنعام : ٢١).

٢ – ولو ترىٰ اذ وقفوا على النار فقالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيت ربنا

ونكون من المؤمنين (الأنعام : ٢٧).

٣ - فمن اظلم ممن كذب بآيات الله وصدف عنها (الانعام : ١٥٧).

٤ - والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها أولئك أصحاب النار (الأعراف : ٣٦.

٥ - فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو كذب بآياته (الأعراف : ٣٧).

٦ - إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماءِ (الأعراف : ٣٩).

٧ - والذين كذبوا بآياتنا ولقاءِ الآخرة حبطت أعمالهم (الأعراف : ١٤٧).

٨ - فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو كذب بآياته إنه لا يفلح المجرمون (يونس : ١٧).

٩ - ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله فتكون من الخاسرين (يونس : ٩٥).

١٠ - والذين كفروا وكذبوا بآياتنا فأولئك لهم عذاب مهين (الحج : ٥٧).

١١ - ألم تكن آياتي تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون (المؤمنون : ١٠٥).

١٢ - ثم كان عاقبة الذين أساؤا السوأى أن كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزؤن (الروم : ١٠).

١٣ - وأما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا ولقاءِ الآخرة فأولئك فى العذاب محضرون (الروم : ١٦).

١٤ - أفبهذا الحديث أنتم مدهنون وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون

(الواقعة : ٨١، ٨٢).

١٥ - والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم (الحديد : ١٩).

١٦ - والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير (التغابن : ١٠).

١٧ - إنهم كانوا لا يرجون حساباً وكذبوا بآياتنا كذاباً (النبأ : ٢٨).

والوجه السادس : الإشتراء بالآيات :

قال الله تعالىٰ : اشتروا بآيات الله ثمنا قليلاً فصدوا عن سبيله إنهم ساء ما كانوا يعملون (التوبة : ٩).

الوجه السابع : الغفلة عن الآيات :

قال الله تعالىٰ : إن الذين لا يرجون لقائنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون (يونس : ٧).

الوجه الثامن : أعمالهم القبيحة وأقوالهم وقت تلاوة القرآن :

١ - قال الله تعالىٰ : واذا تتلىٰ عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقائنا ائت بقرآن غير هذا أو بدله (يونس : ١٥).

٢ - واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للذين آمنوا أى الفريقين خير مقاماً وأحسن ندياً (مريم : ٧٣).

٣ - واذا تتلىٰ عليهم آياتنا بينات تعرف فى وجوه الذين كفروا المنكر يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا (الحج : ٧٢).

٤ - واذا تتلىٰ عليهم آياتنا ولى مستكبرا كأن لم يسمعها كأن فى أذنيه وقراً (لقمان : ٧).

٥ - واذا تتلىٰ عليهم آياتنا بينات قالوا ما هذا إلا رجل يريد أن يصدكم عما كان يعبد آباؤكم وقالوا ما هذا الا افك مفترى وقال الذين كفروا للحق

لما جائهم ان هذا الا سحر مبين (سبأ : ٦٣).

٦ – و اذا تتلىٰ عليهم آياتنا بينات ما كان حجتهم إلا أن قالوا ائتوا بآبائنا ان كنتم صادقين (الجاثية : ٢٥).

الوجه التاسع : قولهم في القرآن إنه مفترى وتقوله النبى صلى الله عليه وسلم من عند نفسه. قال الله تعالىٰ :

١ – أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين (يونس : ٣٨).

٢ – أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله (هود : ١٣).

٣ – أم يقولون افتراه قل إن افتريته فعلى اجرامى وأنا برئ مما تجرمون (هود : ٣٥).

٤ – ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل كل شيء الآية (يوسف : ١١١).

٥ – بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراه بل هو شاعر (الأنبياء : ٥).

٦ – وقال الذين كفروا إن هذا إلا افك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون فقد جاؤا ظلماً وزوراً (الفرقان : ٤).

٧ – أم يقولون افتراه بل هو الحق من ربك (السجدة : ٣).

٨ – أم يقولون افتراه قل ان افتريته فلا تملكون لى من الله شيئاً (الأحقاف : ٨).

٩ – أم يقولون تقوله بل لا يؤمنون (الطور : ٣٣).

الوجه العاشر : صدهم عن سبيل الله والنهى عنه :

١ – قال الله تعالىٰ : وهم ينهون عنه وينأون عنه (الأنعام : ٢٦).

٢ – الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجاً (هود : ١٩).

٣ – الـذيـن يستـحبون الحيوة الدنيا على الآخرة ويصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجاً (ابراهيم : ٣).

٤ – الـذيـن كـفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون (النحل : ٨٨).

٥ – إن الـذيـن كـفـروا ويـصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام الذى جـعـلـنـاه لـلـنـاس سواء العاكف فيه والباد ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب اليم (الحج : ٢٥).

٦ – وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون (فصلت : ٢٦).

٧ – إن الـذيـن كـفـروا وصدوا عن سبيل الله وشاقوا الرسول من بعد ما تبين لهم الهدى لن يضروا الله شيئاً وسيحبط أعمالهم (محمد : ٣٢).

٨ – إن الـذيـن كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم (محمد : ٣٤).

الوجه الحادى عشر : عدم إيمانهم بالقرآن :

١ – قـال الله تـعالىٰ : والذى أنزل اليك من ربك الحق ولكن أكثر الناس لا يؤمنون (الرعد : ١).

٢ – إن الـذيـن لايؤمنون بآيات الله لا يهديهم الله ولهم عذاب اليم إنما يفترى الكذب الذى لا يؤمنون بآيات الله وأولئك هم الكاذبون (النحل : ١٠٤، ١٠٥).

الوجه الثانى عشر : جعلهم القرآن عضين :

١ – قال الله تعالىٰ : الذين جعلوا القرآن عضين (الحجر : ٩١).

الوجه الثالث عشر : قولهم إن القرآن أساطير الأولين :

١ – قـال الله تـعـالـىٰ : حتـى اذا جاؤك يجادلونك يقول الذين كفروا إن

هذا الا أساطير الأولين (الأنعام : ٢٥).

٢ – واذا قيل لهم ماذا انزل ربكم قالوا أساطير الأولين (النحل : ٢٤).

٣ – وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهى تملى عليه بكرة وأصيلاً (الفرقان : ٥).

٤ – واذا تتلىٰ عليه آياتنا قال أساطير الأولين (القلم : ١٥).

الوجه الرابع عشر : كفرهم بالآيات :

١ – قال الله تعالىٰ : ذلك جزاؤهم بأنهم كفروا بآياتنا (الإسراء : ٩٨).

أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً ((الكهف : ١٠٥).

٣ – أفرأيت الذى كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولداً (مريم : ٧٧).

٤ – والذين كفروا و كذبوا بآياتنا فأولئك لهم عذاب مهين (الحج : ٥٧).

٥ – والذين كفروا بآيات الله ولقائه أولئك يئسوا من رحمتى وأولئك الآية (العنكبوت : ٢٣).

٦ – وأما الذين كفروا و كذبوا بآياتنا ولقاءِ الآخرة فأولئك فى العذاب محضرون (الروم : ١٦).

٧ – والذين كفروا و كذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم (الحديد : ١٩).

٨ – والذين كفروا و كذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير (التغابن : ١٥).

٩ – والذين كفروا بآياتنا هم أصحاب المشئمة (البلد : ١٩).

الوجه الخامس عشر : غطائهم عن الذكر.

قال الله تعالىٰ : الذين كانت أعينهم فى غطاءٍ عن ذكرى و كانوا لا

يستطيعون سمعاً (الكهف : ١٠١).

الوجه السادس عشر : استهزاؤهم بالآيات :

١ – قال الله تعالىٰ : ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا آياتى ورسلى هزواً (الكهف : ١٠٦).

٢ – ثم كان عاقبة الذين أساؤا السوأى أن كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزؤن (الروم : ١٠).

٣ – ومن الناس من يشترى لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزواً أولئك لهم عذاب مهين (لقمان : ٦).

٤ – واذا علم من آياتنا شيئاً اتخذها هزواً (الجاثية : ٩).

والوجه السابع عشر : لعبهم ولهوهم عند سَماع القرآن :

قال الله تعالىٰ : ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث الا استمعوه وهم يلعبون لاهية قلوبهم (الأنبياء : ٢، ٣).

والوجه الثامن عشر : قولهم فى القرآن إنه أضغاث أحلام :

قال تعالىٰ : بل قالوا أضغاث أحلام (الأنبياء : ٥).

الوجه التاسع عشر : سعيهم بالمعاجزة :

١ – قال الله تعالىٰ : والذين سعوا فى آياتنا معاجزين أولئك أصحاب الجحيم (الحج : ٥١).

٢ – والذين سعوا فى آياتنا معاجزين أولئك لهم عذاب من رجز اليم (سبأ : ٥).

الوجه العشرون : نكوصهم على الأعقاب :

قال الله تعالىٰ : قد كانت آياتى تتلىٰ عليكم فكنتم على أعقابكم تنكصون (المومنون : ٦٦).

الوجه الحادى والعشرون : إستكبارهم :

١ - قال الله تعالىٰ : مستكبرين به سامراً تهجرون (المؤمنون : ٦٧).

٢ - يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يصر مستكبراً كأن لم يسمعها (الجاثية : ٨).

٣ - وأما الذين كفروا أفلم تكن آياتي تتلىٰ عليكم فاستكبرتم وكنتم قوماً مجرمين (الجاثية : ٣١).

الوجه الثاني والعشرون : قولهم في القرآن إن هذا إفك :

١ - قال الله تعالىٰ : وقال الذين كفروا إن هذا إلا افك افتراه (الفرقان : ٤).

٢ - وقالوا ما هذا الا إفك مفترى (سبأ : ٤٣).

٣ - واذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا افك قديم (الأحقاف : ١١).

الوجه الثالث والعشرون : قولهم : إن النبي صلى الله عليه وسلم أعانه على القرآن قوم.

قال الله تعالىٰ : وأعانه عليه قوم آخرون (الفرقان : ٤).

الوجه الرابع والعشرون : جعلوا القرآن مهجوراً :

قال الله تعالىٰ : وقال الرسول يارب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً (الفرقان : ٣).

الوجه الخامس والعشرون : عدم يقينهم بالآيات :

قال الله تعالىٰ : واذا وقع القول عليهم اخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون (النمل : ٨٢).

الوجه السادس والعشرون : قولهم في القرآن إن هذا سحر :

١ - قال الله تعالىٰ : فلما جائهم الحق من عندنا قالوا لولا أوتي مثل ما أوتي موسى أولم يكفروا بما أوتي موسى من قبل قالوا سحران تظاهرا (القصص : ٤٨).

٢ – وقال الذين كفروا للحق لما جائهم ان هذا الا سحر مبين (سبأ : ٤٣).

٤ – فقال إن هذا الا سحر يؤثر (المدثر : ٢٤).

الوجه السابع والعشرون : إضلالهم :

١ – قال الله تعالىٰ : ومن الناس من يشترى لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم (لقمان : ٤).

الوجه الثامن والعشرون : إتباعهم الآباء :

١ – قال الله تعالىٰ : واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباؤنا (البقرة : ١٧٠).

٢ – واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباؤنا (لقمان : ٢١).

الوجه التاسع والعشرون : جدالهم فى القرآن :

١ – قال الله تعالىٰ : ما يجادل فى آيات الله الا الذين كفروا (مؤمن : ٤).

٢ – إن الذين يجادلون فى آيات الله بغير سلطان أتاهم إن فى صدورهم الا كبر ما هم ببالغيه (مؤمن : ٥٦).

٣ – ألم تر إلى الذين يجادلون فى آيات الله أنى يصرفون (مؤمن : ٦٩).

٤ – ويعلم الذين يجادلون فى آياتنا مالهم من محيص (الشورىٰ : ٣٥).

الوجه الثلثون : إلحادهم فى الآيات :

قال الله تعالىٰ : إن الذين يلحدون فى آياتنا لايخفون علينا (حم السجدة : ٤٠).

الوجه الحادى والثلثون :

قولهم فى القرآن : لولا أنزل على رجل عظيم:

قال اللّٰه تعالىٰ : وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم (الزخرف : ٣١).

الوجه الثاني والثلثون : قوله إن القرآن ليس بخير :

قال اللّٰه تعالىٰ : وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيراً ما سبقونا إليه (الأحقاف : ١١).

الوجه الثالث والثلثون : كراهتهم لما أنزل القرآن :

قال اللّٰه تعالىٰ : ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل اللّٰه فأحبط أعمالهم (محمد : ٩).

الوجه الرابع والثلثون : تعجبهم وضحكهم :

قال اللّٰه تعالىٰ : أفمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولا تبكون (النجم : ٥٩، ٦٠).

الوجه الخامس والثلثون : مداهنتهم :

قال اللّٰه تعالىٰ : أفبهذا الحديث أنتم مدهنون (الواقعة : ٨١).

الوجه السادس والثلثون : إنكارهم عن النزول :

قال اللّٰه تعالىٰ : قالوا بلى قد جائنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل اللّٰه من شئ (الملك : ٩).

الوجه السابع والثلثون : قولهم إن هذا قول البشر :

قال اللّٰه تعالىٰ : فقال إن هذا الا سحر يؤثر إن هذا الا قول البشر (المدثر : ٢٤، ٢٥).

* * * * * *

والاصل الرابع
من الأصول الستة الإيمان بالآخرة

كل رسول كما أنه دعا قومه إلى الإيمان بالله توحيداً كذلك دعاهم إلى الإيمان باليوم الآخر ولذلك أقر المشركون وقت نزول القرآن الكريم بأن هذا مما أخبر به الرسل ولكن كذبوا به مع أنهم لم يقروا بأن التوحيد من أنباءِ الصادقين السابقين. والقرآن شاهد بهذين الأمرين. قال الله تعالىٰ - حكاية عن المنكرين - (بل قالوا مثل ما قال الأولون قالوا أأذا متنا وكنا تراباً وعظاماً أأنا لمبعوثون لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل إن هذا الا أساطير الأولين (المؤمنون: ٨١ - ٨٣).

وقال تعالىٰ في شان التوحيد حكاية عنهم: ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة إن هذا الا اختلاق (ص: ٧).

فالقرآن الكريم ذكر هذا الأصل المهم في رد انكارهم بتعبيرات شتى.

الأول: جعل هذا من عقائد المؤمنين ومن ضروريات الدين وجعله منشأ لأحسن الصفات ومدار النجاة.

والثاني: أن الإنكار من الآخرة منشأ وأساس للمعائب وسبب للهلاك والمصائب.

والثالث: طرق انكار المنكرين وأنواع شبهاتهم.

والرابع: طرق إثبات الآخرة ودفع شبهاتهم.

والخامس: تسميتها بالأسماءِ الكثيرة والأوصاف العظيمة.

والسادس: أحوال يوم القيامة وأهوال الآخرة.

أما التعبير الأول: ففي آيات كثيرة.

١ - قال الله تعالىٰ : وبالآخرة هم يوقنون (البقرة : ٤).

واعلم أن لفظ الآخرة فى القرآن يطلق مرة على يوم البعث لأنه آخر الأيام المحدودة ومرة يطلق على الجنة كما سنبين إن شاء الله تعالىٰ فى بحث أسماءِ الآخرة.

٢ - الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم وأنهم اليه راجعون (البقرة : ٤٦).

٣ - إن الذين آمنوا والذين ها دوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولاهم يحزنون (البقرة : ٦٢).

٤ - ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر الآية (البقرة : ١٧٧).

٥ - ولا يحل لهن أن يكتمن ما خلق الله فى أرحامهن إن كن يؤمن بالله واليوم الآخر (البقرة : ٢٢٨).

٦ - ذلك يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر (البقرة : ٢٣٢).

٧ - قال الذين يظنون أنهم ملاقوا الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله (البقرة : ٢٤٩).

٨ - يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون فى الخيرات وأولئك من الصالحين (آل عمران : ١١٤).

٩ - وماذا عليهم لو آمنوا بالله و اليوم الآخر وأنفقوا مما رزقهم الله وكان الله بهم عليماً (النساء : ٣٩)

١٠ - فان تنازعتم فى شئ فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير و أحسن تاويلاً (النساء : ١٥٩).

١١ - إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلا خوف عليهم ولاهم يحزنون (المائدة : ٦٩).

١٢ - والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به وهم على صلاتهم يحافظون (الأنعام : ٩٢).

١٣ - لا يستأنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم والله عليم بالمتقين (التوبة : ٤٤).

١٤ - ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ ما ينفق قربات عند الله وصلوات الرسول ألا إنها قربة لهم سيدخلهم الله فى رحمته إن الله غفور رحيم (التوبة : ٩٩).

١٥ - فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولايشرك بعبادة ربه أحداً (الكهف : ١١٠).

١٦ - ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر (النور : ٢).

١٧ - رجال لا تلهيهم تجارة ولابيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاءِ الزكاة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار (النور : ٣٧).

١٨ - الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالأخرة هم يوقنون (النمل : ٣).

١٩ - من كان يرجو لقاء الله فإن أجل الله لآت وهو السميع العليم (العنكبوت : ٥).

٢٠ - الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون (لقمان : ٤).

٢١ - لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً (الأحزاب : ٢١).

٢٢ - لقد كان لكم فيهم أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم والآخر (الممتحنة : ٦).

٢٣ - ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر (الطلاق : ٢).

٢٤ - والذين يصدقون بيوم الدين (المعارج : ٢٦).

فمن تفكر في هذه الآيات وساقها علم أن الإيمان بالآخرة سبب كامل لتحصيل التقوى والخشوع والإحسان والإتعاظ بمواعظ القرآن الكريم وجلب المنافع الدنيوية والأخروية.

أما التعبير الثاني - أعني الإنكار من الآخرة منشأ وأساس للمعائب وسبب للهلاك والمصائب - ففي آيات كثيرة.

١ - قال الله تعالىٰ : ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالاً بعيداً (النساء : ١٣٦).

٢ - قد خسر الذين كذبوا بلقاءِ الله حتى اذا جائتهم الساعة بغتة قالوا يا حسرتنا على ما فرطنا فيها الآية (الأنعام : ٣١).

٣ - ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا والذين لايؤمنون بالآخرة وهم بربهم يعدلون (الأنعام : ١٥٠).

٤ - فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجاً وهم بالآخرة كافرون (الأعراف : ٤٤، ٤٥).

٥ - والذين كذبوا بآياتنا ولقاءِ الآخرة حبطت أعمالهم هل يجزون الا ما كانوا يعملون (الأعراف : ١٤٧).

٦ - قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر (التوبة : ٢٩).

٧ - إنما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون (التوبة : ٤٥).

٨ - إن الذين لا يرجون لقائنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون (يونس : ٧، ٨).

٩ - واذا تتلىٰ عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقائنا ائت بقرآن

غير هذا أو بدله (يونس : ٤٥).

١٠ - قد خسر الذين كذبوا بلقاءِ الله وما كانوا مهتدين (يونس : ٤٥).

١١ - ألا لعنة الله على الظالمين الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجاً وهم بالآخرة هم كافرون (هود : ١٩، ٢٠).

١٢ - إنى تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون (يوسف : ٣٧).

١٣ - فالذين لا يؤمنون قلوبهم منكرة وهم مستكبرون (النحل : ٢٢).

١٤ - للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوءِ ولله المثل الأعلىٰ وهو العزيز الحكيم (النحل : ٦٠).

١٥ - وإن الذين لا يؤمنون بالآخرة اعتدنا لهم عذاباً أليماً (الاسراء : ١٠).

١٦ - واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً مستوراً (الاسراء : ٤٥).

١٧ - أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً (الكهف : ٧٤).

١٩ - بل كذبوا بالساعة وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيراً (الفرقان : ١١).

٢٠ - إن الذين لا يؤمنون بالآخرة زينا لهم أعمالهم فهم يعمهون (النمل : ٤).

٢١ - وأما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا ولقاءِ الآخرة فأولئك فى العذاب محضرون (الروم : ١٦).

٢٢ - بل الذين لا يؤمنون بالآخرة فى العذاب والضلال البعيد (سبأ : ٨).

٢٣ - وإذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة (الزمر : ٤٥).

٢٤ - وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكوة وهم بالآخرة هم كافرون (حم السجدة : ٧).

٢٥ - إن الذين لا يؤمنون بالآخرة ليسمون الملائكة تسمية الأنثىٰ (النجم : ٢٧).

٢٦ - يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قوماً غضب الله عليهم قد يئسوا من الآخرة كما يئس الكفار من أصحاب القبور (الممتحنة : ١٣).

٢٧ - وكنا نكذب بيوم الدين (المدثر : ٥٣) فى جواب ما سلككم فى سقر. بل يريد كل امرئ منهم أن يؤتى صحفاً منشرة (المدثر : ٥٢).

٢٨ - كلا بل لا يخافون الآخرة (المدثر : ٥٣).

٢٩ - كلا بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة (القيامة : ٢٠، ٢١).

٣٠ - ويل يومئذٍ للمكذبين الذين يكذبون بيوم الدين وما يكذب به الا كل معتد أثيم اذا تتلىٰ عليه آياتنا قال أساطير الأولين (التطفيف : ١٠ - ١٣).

٣١ - أرأيت الذى يكذب بالدين فذلك الذى يدع اليتيم ولا يحض على طعام المسكين (الماعون : ١ - ٣).

فهذه آيات ذكر فى كل منها الإنكار من الآخرة مفرداً أو مع ذكر إنكار آخر من ضروريات الدين وذكر فى كل موضع وصفاً قبيحاً وعيباً شنيعاً مرتباً على ذلك الإنكار وهى بعد حذف التكرار ستة وثلثون فتدبر.

أما التعبير الثالث : أى طرق إنكار المنكرين من الآخرة.

وذكر شبهاتهم ففى آيات كثيرة نتلو عليك لتكون على بصيرة.

١ - قال الله تعالىٰ : وقالوا إن هى إلا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين (الأنعام : ٢٩).

٢ – يسألونك عن الساعة أيان مرساها قل إنما علمها عند ربى لا يجليها لوقتها إلا هو (الأعراف : ١٨٧).

٣ – ولئن قلت انكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا إن هذا الا سحر مبين (هود : ٧).

٤ – وان تعجب فعجب قولهم أءذا كنا تراباً أءنا لفى خلق جديد (الرعد : ٥).

٥ – وأقسموا بالله جهد إيمانهم لا يبعث الله من يموت (النحل : ٣٨).

٦ – وقالوا أإذا كنا عظاماً ورفاتاً أإنا لمبعوثون خلقاً جديداً (الاسراء : ٤٩).

٧ – وقالوا أإذا كنا عظاماً ورفاتا أإنا لمبعوثون خلقاً جديداً (الاسراء : ٩٨).

٨ – ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين (الأنبياء : ٣٨).

٩ – أيعدكم أنكم اذا متم وكنتم تراباً وعظاماً انكم مخرجون هيهات هيهات لما توعدون إن هى الا حيوتنا الدنيا نموت ونحيا وما نحن بمعوثين إن هو الا رجل افترى على الله كذباً وما نحن له بمؤمنين (المؤمنون : ٣٥ – ٣٨).

١٠ – قالوا أإذا متنا وكنا تراباً وعظاماً أإنا لمبعوثون لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل ان هذا الا أساطير الأولين (المؤمنون : ٨٢، ٨٣).

١١ وقال الذين كفروا أإذا كنا تراباً وآباؤنا أإنا لمخرجون لقد وعدنا هذا نحن وآباؤنا من قبل إن هذا الا أساطير الأولين (النمل : ٦٧، ٦٨).

١٢ – وقالوا أإذا ضللتم فى الأرض أإنا لفى خلق جديد بل هم بلقاءِ ربهم كافرون (الم السجدة : ١٠).

١٣ – وضرب لنا مثلاً ونسى خلقه قال من يحيى العظام وهى رميم

(يس : ٧٨).

١٤ - أإذا متنا وكنا تراباً وعظاماً انا لمبعوثون أوآباؤنا الأولون (صٰفٰت : ١٦، ١٧).

١٥ - قلتم ما ندرى ما الساعة إن نظن إلا ظناً وما نحن بمستيقنين (الجاثية : ٣٢).

١٦ - أإذا متنا وكنا تراباً ذلك رجع بعيد (ق : ٣).

١٧ - وكانوا يقولون أإذا متنا وكنا تراباً وعظاماً أإنا لمبعوثون أو آباؤنا الأولون (الواقعة ٤٧، ٤٨).

١٨ - زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا (التغابن : ٧).

١٩ - وأقسموا بالله جهد أيمانهم لايبعث الله من يموت (النحل : ٣٠).

٢٠ - أيحسب الإنسان أن لن نجمع عظامه بلىٰ قادرين على أن نسوى بنانه بل يريد الانسان ليفجر أمامه يسأل أيان يوم القيامة (القيامة : ٣ - ٦).

٢١ - يقولون أإنا لمردودون فى الحافرة أإذا كنا عظاماً نخرة قالوا تلك إذاً كرة خاسرة (النازعات : ١٠ - ١٢).

ففى هذه الأيات ذكر مرة انكارهم الصرف ومرة حلفهم على عدم البعث ومرة سؤالهم عن وعد الساعة استبعاداً وفى كلها يدور أمر انكارهم على استبعاد الحشر والبعث.

قال الشاه ولى الله رحمه الله فى بيان علة انكارهم البعث حيث قال :

قد بين الأنبياء السالفون الحشر والنشر لكن ليس ذلك البيان بشرح وبسط مثل ما تضمنه القرآن العظيم ولذلك ماكان جمهور المشركين مطلعين عليه وكانوا يستبعدونه آه (الفوز الكبير : ٤).

والتعبير الرابع : طرق إثبات البعث بعد الموت ودفع شبهات المنكرين.

أثبت القرآن الكريم هذا المقصد بطرق كثيرة تقربه إلى الأذهان الضعيفة والعقول السخيفة التى استبعدت البعث بعد الموت وتلك الطرق انحصرت عندى فى سبعة طرق.

الطريق الأول :

قياس الإعادة على الخلق ابتداءً بأن من يقدر على خلقكم وإحيائكم أولاً فكيف لا يقدر على خلقكم ثانياً مع أن العادة أن العمل فى المرة الثانية أهون من المرة الأولىٰ. وفيه آيات كثيرة.

١ - قال الله تعالىٰ : كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم اليه ترجعون (البقرة : ٢٨).

٢ - كما بدأكم تعودون (الأعراف : ٢٩).

٣ - فسيقولون من يعيدنا قل الذى فطركم أول مرة (الاسراء : ٤٩).

٤ - أولا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئاً (مريم : ٦٨).

٥ - يوم نطوى السماء كطى السجل للكتب كما بدأنا أول خلق نعيده (الأنبياء : ١٠٤).

٦ - وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه (الروم ٢٧).

٧ - قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم (يس : ٧٩).

٨ - وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثىٰ من نطفة اذا تمنىٰ وأن عليه النشأة الأخرىٰ (النجم : ٤٥ - ٤٧).

٩ - ألم يك نطفة من منى يمنىٰ ثم كان علقة فخلق فسوى فجعل منه الزوجين الذكر والأنثىٰ أليس ذلك بقادر على أن يحيى الموتىٰ
(القيامة : ٣٧ - ٤٠).

١٠ - فلينظر الإنسان مم خلق خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب انه على رجعه لقادر (الطارق : ٥ - ٨).

١١ - يا أيها الناس ان كنتم فى ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر فى الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلاً ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد الى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً (الحج : ٥).

والطريق الثانى :

قياس الإعادة على خلق السموات والأرض.

وهذا فى آيات كثيرة.

١ - قال الله تعالىٰ : أولم يروا أن الله الذى خلق السموات والأرض قادر على أن يخلق مثلهم وجعل لهم أجلا لا ريب فيه (الاسراء : ٩٩).

٢ - أولم يتفكروا فى أنفسهم ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما الا بالحق وأجل مسمى وان كثيراً من الناس بلقاءِ ربهم لكافرون (الروم : ٨).

٣ - أوليس الذى خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم (يس : ٨١).

والطريق الثالث :

قياس الإعادة على إحياءِ الأرض بعد موتها بإنزال الغيث وبالإنبات.

وفيه آيات كثيرة :

١ - قال الله تعالىٰ : وهو الذى يرسل الرياح بشراً بين يدى رحمته حتى اذا أقلت سحابا ثقالاً سقناه لبلد ميت فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون (الأعراف : ٥٧).

٢ - وترى الأرض هامدة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحيى الموتى وأنه على كل شئ قدير (الحج : ٥، ٦).

٣ - ويحيى الأرض بعد موتها وكذلك تخرجون (الروم : ١٩).

٤ - فانظر الى آثار رحمة الله كيف يحيى الأرض بعد موتها إن ذلك لمحيى الموتى وهو على كل شئ قدير (الروم : ٥٠).

٥ - والله الذى أرسل الرياح فتثير سحاباً فسقناه الى بلد ميت فأحيينا به الأرض بعد موتها كذلك النشور (الفاطر : ٩).

٦ - وأحيينا به بلدة ميتاً كذلك الخروج (ق : ١١).

٧ - والذى نزل من السماءِ ماء بقدر فانشرنا به بلدة ميتا كذلك تخرجون (الزخرف : ١١).

والطريق الرابع :

قياس الإعادة على البعث فى الدنيا على سبيل خرق العادة سواء كان البعث بعد الموت أو بعد النوم الطويل الغير المعروف.

وفى ذلك آيات عديدة.

١ - قال الله تعالىٰ : فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيى الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون (البقرة : ٧٣).

٢ - أو كالذى مر على قرية وهى خاوية على عروشها قال أنى يحيى هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه الآية (البقرة : ٢٥٩).

٣ - واذ قال إبراهيم رب أرنى كيف تحيى الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى قال فخذ أربعة من الطير الآية (البقرة : ٢٦٠).

٤ - وكذلك أعثرنا عليهم ليعلموا أن وعد الله حق وأن الساعة لاريب فيها (الكهف : ٢١).

والطريق الخامس :

إثبات البعث بالإستدلال بقدرته تعالىٰ وملكه وتصرفه.

وفيه آيات كثيرة.

١ - قال الله تعالىٰ : الله الذى رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجرى لأجل مسمى يدبر الأمر يفصل الآيات لعلكم بلقاءِ ربكم توقنون (الرعد : ٢).

قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون سيقولون لله قل أفلا تذكرون الآيات (المؤمنون : ٨٤ - ٨٩).

٣ - ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة إن الله سميع بصير (لقمان : ٢٨).

٤ - الذى جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً فاذا أنتم منه توقدون (يس : ٨٠).

٥ - إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون (يس : ٨٢).

أفلم ينظروا الى السماءِ فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج والأرض مددنا وألقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج تبصرة وذكرى لكل عبد منيب (ق : ٦ - ١١).

والطريق السادس :

إثبات البعث والحشر بالقسم والحلف تاكيداً لما أنكرالمنكرون عن البعث بالله تعالىٰ مرة واحدة مذكورة فى سورة النحل (٣٨).

ذكر الله تعالىٰ الحلف والقسم فى إثباته لدحض قسمهم أربع مرات.

١ - قال الله تعالىٰ : ويستنبئونك أحق هو قل إى وربى إنه لحق وما أنتم بمعجزين (يونس : ٦٨).

٢ - فوربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثياً (مريم : ٦٨).

٣ - وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلىٰ وربى لتأتينكم عالم الغيب الآية (سبأ : ٣).

٤ - زعم الذين كفروا أن لم يبعثوا قل بلىٰ وربى لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير (التغابن : ٧).

والطريق السابع :

ذكر الآخرة بالألفاظ المختلفة الكثيرة.

وهى ستة عشر لفظاً نعدها جملةً :

الأول : لفظ الرجوع. والإخبار بالرجوع إلى الله تعالىٰ وقع فى القرآن إحدى وخمسين مرة وله سبعة عنوانات. نذكر لكل عنوان آية واحدة تمثيلاً.

١ - قال الله تعالىٰ : كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم اليه ترجعون (البقرة : ٢٨).

٢ - هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله فى ظلل من الغمام والملائكة وقضى الأمر وإلى ترجع الأمور (البقرة : ٢١٠)

٣ - ثم إلى مرجعكم فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون (آل عمران ٥٥).

٤ - أفغير دين الله يبغون وله أسلم من فى السموات والأرض طوعاً وكرهاً واليه ترجعون (آل عمران : ٨٣).

٥ - ثم إلى ربهم مرجعهم فينبؤهم بما كانوا يعملون (الأنعام : ١٠٨).

٦ - ولله غيب السموات والأرض واليه يرجع الأمر كله فاعبده (هود : ١٢٣).

٧ - وتقطعوا أمرهم بينهم كل الينا راجعون (الأنبياء : ٩٣).

والثاني : مادة الرد إلى الله وهى فى القرآن ثمانى مرات بخمس طرق.

١ - قال الله تعالى : ثم ردوا الى الله مولاهم الحق الا له الحكم وهو اسرع الحاسبين (الأنعام : ٦٢).

٢ - ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون

(التوبة : ٩٤).

٣ – سنعذبهم مرتين ثم يردون الى عذاب عظيم (التوبة : ١٠١).

٤ – وستردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون (التوبة : ١٠٥).

٥ – وان مردنا الى الله وان المسرفين هم أصحاب النار (غافر : ٤٣).

والثالث : مادة الحشر.

وهي في القرآن اثنتان وثلثون مرة بثلاث عشرة طريقة.

١ – قال الله تعالىٰ : واتقوا الله واعلموا أنكم اليه تحشرون (البقرة : ٢٠٣).

٢ ويوم نحشرهم جميعاً ثم نقول للذين أشركوا أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون (الأنعام : ٢٢).

٣ – وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا الى ربهم (الأنعام : ٥١).

٤ – ما فرطنا في الكتاب من شئ ثم الى ربهم يحشرون (الانعام : ٣٨).

٥ – ويوم نسير الجبال وترى الأرض بارزة و حشرناهم فلم نغادر منهم أحداً (الكهف : ٤٠).

٦ – فوربكم لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثياً (مريم : ٦٨).

٧ – ونحشره يوم القيامة أعمى (طه : ١٢٤).

٨ – ويوم نحشر من كل أمة فوجاً ممن يكذب بآياتنا فهم يوزعون (النمل : ٨٣).

٩ – احشروا الذين ظلموا وأزاجهم وما كانوا يعبدون من دون الله (صافات : ٢٢).

١٠ – ويوم يحشر أعداء الله الى النار فهم يوزعون (فصلت : ١٩).

١١ - واذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين (الأحقاف : ٦).

١٢ - يوم تشقق الأرض عنهم سراعاً ذلك حشر علينا يسير (ق : ٤٤).

١٣ - ويوم يحشرهم جميعاً يا معشر الجن قد استكثرتم من الانس (الأنعام : ١٢٨).

والرابع : لفظ الجمع وصيغه.

وهو في القرآن سبع عشرة مرة باثنتي عشر طريقة.

١ - قال الله تعالىٰ : ربنا انك جامع الناس ليوم لاريب فيه ان الله لا يخلف الميعاد (آل عمران : ٩).

٢ - فكيف اذا جمعناهم ليوم لاريب فيه ووفيت كل نفس ما كسبت وهم لايظلمون (آل عمران : ٢٥).

٣ - الله لا اله الا هو ليجمعنكم الى يوم القيامة لا ريب فيه ومن اصدق من الله حديثاً (النساء : ٨٧).

٤ - يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم قالوا لا علم لنا انك انت علام الغيوب (المائدة : ١٠٩).

٥ - ليجمعنكم الى يوم القيامة لا ريب فيه (الأنعام : ١٢).

٦ - ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود (هود : ١٠٣).

٧ - ونفخ في الصور فجمعناهم جمعاً (الكهف : ٩٩).

٨ - ومن آياته خلق السموات والارض ومابث فيهما من دابة وهو على جمعهم اذا يشاء قدير (الشورى : ٢١).

٩ - وتنذر يوم الجمع لاريب فيه فريق في الجنة وفريق في السعير (الشورى : ٧).

١٠ - قل الله يحييكم ثم يميتكم ثم يجمعكم الى يوم القيامة لاريب فيه

(الجاثية : ٢٦).

١١ - لمجموعون الى ميقات يوم معلوم (الواقعة : ٥٠).

١٢ هذا يوم الفصل جمعناكم والأولين (المرسلات : ٣٨).

والخامس : مادة البعث بتصرفات شتى.

وهى فى القرآن إحدى وثلثون مرة بأحد عشر وجهاً.

١ - قال الله تعالىٰ : والموتى يبعثهم الله ثم اليه ترجعون (الأنعام : ٣٦).

٢ - قال انظرنى الى يوم يبعثون (الأعراف : ١٤).

٣ - ويوم نبعث من كل أمة شهيداً ثم لا يؤذن للذين كفروا ولاهم يستعتبون (النحل : ٨٤).

٤ - والسلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم ابعث حياً (مريم : ٣٣).

٥ - يا أيها الناس ان كنتم فى ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب الآية (الحج : ٥).

٦ - وأن الساعة آتية لاريب فيها وأن الله يبعث من فى القبور (الحج ٧).

٧ - ثم انكم يوم القيامة تبعثون (المؤمنون : ١٦).

٨ - ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة إن الله سميع بصير (لقمان : ٢٨).

٩ - قالوا ياويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا ماوعد الرحمن وصدق المرسلون (يس : ٥٢).

١٠ - زعم الذين كفروا ان لن يبعثوا قل بلى وربى لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير (التغابن : ٢٨).

١١ - الا يظن أولئك أنهم مبعوثون (التطفيف : ٤).

والسادس : لفظ الماضى من بعثر وهو على وجهين.

١ - قال الله تعالىٰ : واذا القبور بعثرت (الانفطار : ٤).

٢ - أفلا يعلم اذا بعثر ما فى القبور (العاديات : ٩).

والسابع : مادة النفخ فى الصور.

وهى فى القرآن اثنتا عشرة مرة على ثلثة طرق.

١ - قال الله تعالىٰ : قوله الحق وله الملك يوم ينفخ فى الصور (الأنعام : ٧٣).

٢ - ونفخ فى الصور فجمعناهم جمعاً (الكهف : ٩٩).

٣ - فاذا نفخ فى الصور نفخة واحدة (الحاقة : ١٣).

والثامن : الإعادة بخمس طرق.

وهى فى القرآن اثنتا عشرة مرة.

١ - قال الله تعالىٰ : كما بدأكم تعودون (الاعراف : ٢٩).

٢ - اليه مرجعكم جميعاً وعد الله حقا انه يبدأ الخلق ثم يعيده (يونس : ٤).

٣ - منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى. (طه : ٥٥).

٤ - كما بدأنا أول خلق نعيده وعداً علينا (الأنبياء : ١٠٤).

٥ - ثم يعيدكم فيها ويخرجكم اخراجا (نوح : ١٨).

والتاسع : مادة اللقاءِ بسبع صيغ مختلفة.

وهى فى القرآن خمس وثلثون مرة.

١ - قال الله تعالىٰ : الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم وانهم اليه راجعون (البقرة : ٤٦).

٢ - قد خسر الذين كذبوا بلقاءِ الله (الانعام : ٣١).

٣ - فاعقبهم نفاقا فى قلوبهم الى يوم يلقونه بما اخلفوا الله ما وعدوه

وبما كانوا يكذبون (التوبة : ٧٧).

٤ – رفيع الدرجات ذو العرش يلقى الروح من امره على من يشاء من عباده لينذر يوم التلاق (غافر : ١٥).

٥ – فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون (الزخرف : ٨٣).

٦ – انى ظننت انى ملاق حسابيه (الحاقة : ٢٠).

٧ – يا ايها الانسان انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه (الانشقاق : ٦).

والعاشر : مادة الإتيان بخمسة عشر وجهاً.

وهى وقعت فى القرآن (٣٥) مرة. قال اللّٰه تعالىٰ :

١ – يا أيها الذين آمنوا انفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتى يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة (البقرة : ٢٥٤).

٢ – قل أرأيتكم ان أتاكم عذاب اللّٰه أو اتتكم الساعة اغير اللّٰه تدعون ان كنتم صادقين (الانعام : ٤٠.

٣ – ان ما توعدون لآت وما انتم بمعجزين (الانعام : ١٣٤).

٤ – يسالونك عن الساعة ايان مرساها قل انما علمها عند ربى لا يجليها لوقتها الا هو ثقلت فى السموات والارض لا تاتيكم الا بغتة (الاعراف : ١٨٧).

٥ – يوم يأت لا تكلم نفسٌ الا باذنه فمنهم شقى وسعيد (هود : ١٠٥).

٦ – وان الساعة لآتية فاصفح الصفح الجميل (الحجر : ٨٥).

٧ – انه كان وعده مأتيا (مريم : ٦١).

٨ – وكلهم آتيه يوم القيامة فردا (مريم : ٩٥).

٩ – وكل أتوه داخرين (النمل : ٨٧).

١٠ – وليأتينهم بغتة وهم لا يشعرون (العنكبوت : ٥٢).

١١ – قل بلىٰ وربى لتأتينكم عالم الغيب الآية (سبأ : ٣).

١٢ – يوم ينفخ فى الصور فتأتون أفواجاً (النبأ : ١٨).

١٣ – يوم تأتى كل نفس تجادل عن نفسها وتوفى كل نفس ما عملت وهم لا يظلمون (النحل : ١١١).

١٤ – اسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا لكن الظالمون اليوم فى ضلال مبين (مريم : ٣٨).

١٥ – ونرثه ما يقول ويأتينا فرداً (مريم : ٨٠).

والحادى عشر : مادة الإخراج بسبعة وجوه وقعت فى ست عشرة مرة.

١ – قال الله تعالىٰ : فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون (الاعراف : ٢٥).

٢ – كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون (الاعراف : ٥٧).

٣ – منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى (طه : ٥٥).

٤ – ثم اذا دعاكم دعوة من الارض اذا انتم تخرجون (الروم : ٢٥).

٥ – وأحيينا به بلدة ميتاً كذلك الخروج (ق : ١١).

٦ – خشعا ابصارهم يخرجون من الاجداث كأنهم جراد منتشر (القمر : ٧).

٧ – ثم يعيدكم فيها ويخرجكم اخراجاً (نوح : ١٨).

٨ – والذى نزل من السماءِ ماء بقدر فانشرنا به بلدة ميتاً كذلك تخرجون (الزخرف : ١١).

والثانى عشر : مادة الصيرورة على وجهين. وقعت فى القرآن تسعاً وعشرين مرة.

١ – قال الله تعالىٰ : ويحذركم الله نفسه والى الله المصير

(آل عمران : ٢٨).

٢ – الا الى الله تصير الأمور (الشورى : ٥٣).

والثالث عشر : ذكر الوعد بالبعث.

وهو واقع فى القرآن خمسون مرة على عشرة وجوه.

١ – قال الله تعالىٰ : ربنا انك جامع الناس ليوم لاريب فيه إن الله لايخلف الميعاد (آل عمران : ٩).

٢ – اليه مرجعكم جميعاً وعد الله حقاً (يونس : ٤).

٣ – مثل الجنة التى وعد المتقون تجرى من تحتها الأنهار (الرعد : ٣٥).

٤ – جنات عدن التى وعد الرحمن عباده بالغيب انه كان وعده ماتياً (مريم : ٦١).

٥ – هذا يومكم الذى كنتم توعدون (الأنبياء : ١٠٣).

٦ – النار وعدها الله الذين كفروا وبئس المصير (الحج : ٧٢).

٧ – أيعدكم انكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاماً انكم مخرجون (المؤمنون : ٣٥).

٨ – قالوا ياويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون (يس : ٥٢).

٩ – فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون (الزخرف : ٨٣).

١٠ – بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر (القمر : ٤٦).

والرابع عشر : مادة الإحياءِ بعد الموت

وردت فى القرآن ست عشرة مرة على ثمانية أوجه.

١ – قال الله تعالىٰ : كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم اليه ترجعون (البقرة : ٢٨).

٢ – كذلك يحيى الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون (البقرة : ٧٢).

٣ – واذ قال ابراهيم رب ارنى كيف تحيى الموتى (البقرة : ٢٦٠).

٤ – والذى يميتنى ثم يحيين (الشعراء : ٨١).

٥ – انا نحن نحيى الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم الآية (يس : ١٢).

٦ – قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم (يس : ٧٩).

٧ – قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل الى خروج من سبيل (غافر : ١١).

٨ – إن الذين أحياها لمحيى الموتى انه على كل شئ قدير (فصلت : ٣٩).

والخامس عشر : الإخبار بقرب الساعة على أربعة أوجه.

وقع فى القرآن سبع مرات.

١ – قال الله تعالىٰ : وأن عسى ان يكون قد اقترب اجلهم فبأى حديث بعده يؤمنون (الاعراف : ١٨٥).

٢ – ويقولون متى هو قل عسى ان يكون قريباً (الاسراء : ٥١).

٣ – وما يدريك لعل الساعة قريب (الشورى : ١٧).

٤ – اقتربت الساعة وانشق القمر (القمر : ١).

والسادس عشر : الإخبار بقيام الساعة بوجوه خمسة.

وهو فى القرآن ثلث عشرة مرة. قال الله تعالىٰ :

١ – ذلك لمن خاف مقامى وخاف وعيد (ابراهيم : ١٤).

٢ – ربنا اغفر لى ولوالدى وللمؤمنين يوم يقوم الحساب (ابراهيم : ٤١).

٣ – ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الارض الا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون (الزمر : ٦٨).

٤ - ولمن خاف مقام ربه جنتان (الرحمن : ٤٦).

والتعبير الخامس : تسميتها بالأسماءِ الكثيرة.

وهى ثلثة وثلثون. ولكل اسم منها موافقة صادقة بذلك المسمى كما لا يخفى على المتدبر والمتدرب. ونذكرها مع بيان عدد وقوع كل منها فى القرآن الكريم مع المثال الواحد.

الاسم الأول : يوم الدين. وهو فى القرآن أربع عشرة مرة.

قال اللّٰه تعالىٰ : مالك يوم الدين (الفاتحة : ٣).

والثانى : الآخرة وهى فى القرآن - اذا كانت بمعنى يوم القيامة لا بمعنى الجنة - وقعت مائة وثلث مرات.

قال اللّٰه تعالىٰ : وبالآخرة هم يوقنون (البقرة : ٥).

والثالث : اليوم الآخر وهى فى القرآن ست وعشرون مرة.

قال اللّٰه تعالىٰ : ومن الناس من يقول آمنا باللّٰه وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين (البقرة : ٨).

والرابع : يوم القيامة وهو فى القرآن سبعون مرة.

قال اللّٰه تعالىٰ : ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب وما اللّٰه بغافل عما تعملون (البقرة : ٨٥).

والخامس : يوم عظيم وهو فى القرآن تسع مرات.

قال اللّٰه تعالىٰ : قل إنى أخاف إن عصيت عذاب يوم عظيم (الانعام : ١٥).

والسادس : الساعة وهى فى القرآن إحدى وأربعون مرة.

قال اللّٰه تعالىٰ : قل أرأيتم إن اتاكم عذاب اللّٰه أو اتتكم الساعة أغير اللّٰه تدعون ان كنتم صادقين (الانعام : ٤٠)

والسابع : يوم كبير. ذكر مرة واحدة.

قال الله تعالىٰ : وان تولوا فانى اخاف عليكم عذاب يوم كبير (هود : ٣).

والثامن : يوم مشهود وذكر مرة.

قال الله تعالىٰ : ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود (هود : ١٠٣)

والتاسع : يوم الحسرة وذكر مرة.

قال الله تعالىٰ : وأنذرهم يوم الحسرة اذا قضى الأمر وهم فى غفلة وهم لا يؤمنون (مريم : ٣٩).

والعاشر : يوم البعث وهو فى القرآن أربع مرات.

قال الله تعالىٰ : وقال الذين أوتوا العلم والإيمان لقد لبثتم فى كتاب الله الى يوم البعث فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم لا تعلمون (الروم : ٥٦).

والحادى عشر : يوم الفتح وذكر مرة واحدة.

قال الله تعالىٰ : قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا ايمانهم ولا هم ينظرون (الم السجدة : ٢٩).

والثاني عشر : يوم الفصل وهو فى القرآن ست مرات.

قال الله تعالىٰ : هذا يوم الفصل الذى كنتم به تكذبون (صافات : ٢١).

والثالث عشر : يوم الحساب وهو فى القرآن أربع مرات.

قال الله تعالىٰ : وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب ص : ١٦).

والرابع عشر : يوم التلاق وذكر مرة واحدة.

قال الله تعالىٰ : رفيع الدرجات ذو العرش يلقى الروح من امره على من يشاء من عباده لينذر يوم التلاق (غافر : ١٥).

والخامس عشر : الآزفة وهى فى القرآن مرتين.

قال الله تعالىٰ : وأنذرهم يوم الآزفة اذ القلوب لدى الحناجر كاظمين ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع (غافر : ١٨).

والسادس عشر : يوم التناد وهو ذكر مرة.

قال اللّٰه تعالىٰ : ويا قوم انى اخاف عليكم يوم التناد (غافر : ٣٢).

والسابع عشر : يوم الجمع وهو فى القرآن مرتان.

قال اللّٰه تعالىٰ : وتنذر يوم الجمع لا ريب فيه فريق فى الجنة وفريق فى السعير (الشورى : ٧).

والثامن عشر : يوم أليم.

قال اللّٰه تعالىٰ : فويل للذين ظلموا من عذاب يوم أليم (الزخرف : ٦٥).

والتاسع : يوم الوعيد وذكر مرة.

قال اللّٰه تعالىٰ : ونفخ فى الصور ذلك يوم الوعيد (ق : ٢٠).

والعشرون : يوم الخلود ذكر مرة.

قال اللّٰه تعالىٰ : أدخلوها بسلام ذلك يوم الخلود (ق : ٣٤).

والحادى والعشرون : يوم الخروج وذكر مرة.

قال اللّٰه تعالىٰ : يوم يسمعون الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج (ق : ٤٢).

والثانى والعشرون : الواقعة وذكر مرتين.

قال اللّٰه تعالىٰ : اذا وقعت الواقعة (الواقعة : ١) و كذا فى الحاقة (١٥).

والثالث والعشرون : يوم التغابن وذكر مرة.

قال اللّٰه تعالىٰ : يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن (التغابن : ٩).

والرابع والعشرون : الحاقة وذكرت ثلث مرات.

قال اللّٰه تعالىٰ : الحاقة ما الحاقة وما أدراك ما الحاقة (الحاقة : ١ - ٣).

والخامس والعشرون : القارعة وذكر خمس مرات.

قال اللّٰه تعالىٰ : كذبت ثمود وعاد بالقارعة (الحاقة : ٤)

وكذا فى سورة القارعة (١ - ٣).

السادس و العشرون : يوم عسير وذكر مرة.

قال اللّٰه تعالىٰ : فذلك يومئذ يوم عسير (المدثر : ٩).

والسابع والعشرون : يوم عبوس وذكر مرة.

قال اللّٰه تعالىٰ : انا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا (الدهر : ١٠).

والثامن والعشرون : يوم ثقيل وذكر مرة.

قال اللّٰه تعالىٰ : ان هؤلاءِ يحبون العاجلة ويذرون ورائهم يوماً ثقيلاً (الدهر : ٢٧).

والتاسع والعشرون : اليوم الحق وذكر مرة.

قال اللّٰه تعالىٰ : ذلك اليوم الحق فمن شاء اتخذ الى ربه مآباً (النبأ : ٢٩).

والثلثون : الطامة الكبرىٰ : وذكرت مرة.

قال اللّٰه تعالىٰ : فاذا جائت الطامة الكبرى (النازعات : ٣٤).

والحادى والثلثون : الصاخة وذكرت مرة.

قال اللّٰه تعالىٰ : فاذا جائت الصاخة (عبس : ٣٣).

والثاني والثلثون : الغاشية وذكرت مرة.

قال اللّٰه تعالىٰ : هل أتاك حديث الغاشية (الغاشية : ١).

والثالث والثلثون : اليوم الموعود وذكرت مرة.

قال اللّٰه تعالىٰ : والسماءِ ذات البروج واليوم الموعود (البروج : ٢).

التعبير السادس : أحوال يوم القيامة وأهواله.

لـقـد فصل القرآن الكريم هذا التعبير بما لا مزيد عليه وفيه كفاية لمن أراد علم الآخرة في الدنيا.

ولما كان القرآن الكريم بجميع ما فيه من الأخبار الماضية والآتية وغيرها صـادقـاً فـإخباره بأحوال يوم القيامة صادق قطعاً. فقرائة تلك الآيات والتأمل فيهـا تفيد يقيناً زائداً مؤكداً بوجود القيامة. وهذه الأحوال والأهوال مذكورة

فى أربع وخمسين سورة فى آيات كثيرة.

وكان تفصيل تلك الآيات يقتضى طول الكتاب لا تسعها هذه العجالة فلذا تركت ذكر تفصيلها واكتفيت بذكر بعضها تفصيلاً وأكثرها اجمالاً.

قال الله تعالىٰ: ١ – واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيئاً ولا يقبل منها شفاعة ولايؤخذ منها عدل ولا هم ينصرون (البقرة: ٤٨).

وفى (١١٣ – ١٢٣ – ٢٥٤ – ٢٨١).

٢ – ربنا إنك جامع الناس ليوم لاريب فيه ان الله لا يخلف الميعاد (آل عمران: ٩) وفى (٢٥) و (٣٠).

٣ – يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الأرض ولا يكتمون الله حديثاً (النساء: ٤٢) وفى (٨٧).

٤ – يوم يجمع الله الرسل فيقول ما ذا أجبتم قالوا لا علم لنا انك انت العلام الغيوب (المائدة: ١٠٩) وفى (١١٩).

٥ – ليجمعنكم الى يوم القيامة لا ريب فيه الذين خسروا انفسهم فهم لا يؤمنون (الانعام: ١٢) وفى (١٢٨).

٦ – والوزن يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا انفسهم بما كانوا بآياتنا يظلمون (الاعراف: ٨، ٩) وفى (٥٣) (١٨٧).

٧ – فأعقبهم نفاقاً فى قلوبهم الى يوم يلقونه بما اخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون (التوبة: ٧٧).

٨ – ويوم يحشرهم كأن لم يلبثوا الا ساعة من النهار يتعارفون بينهم قد خسر الذين كذبوا بلقاءِ الله وما كانوا مهتدين (يونس: ٤٥).

٩ – يوم يأت لا تكلم نفس الا باذنه فمنهم شقى وسعيد (هود: ١٠٥ – ١٠٨).

١٠ – قل لعبادى الذين آمنوا يقيموا الصلاة وينفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية من قبل ان يأتى يوم لا بيع فيه ولا خلال (ابراهيم: ٣١) و (٤٢) (١٤٨).

١١ – ويوم نبعث من كل أمة شهيداً ثم لايؤذن للذين كفروا ولا هم يستعتبون (النحل: ٨٤) وفى (٨٩).

١٢ – يوم ندعو كل أناس بإمامهم فمن أوتى كتابه بيمينه فأولئك يقرؤن كتابهم ولايظلمون فتيلاً ومن كان فى هذه أعمى فهو فى الآخرة اعمى وأضل سبيلا (الاسراء: ٧١، ٧٢).

١٣ – ويوم نسير الجبال وترى الارض بارزة وحشرناهم فلم نغادر منهم احدا وعرضوا على ربك صفا لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة بل زعمتم ان لن نجعل لكم موعدا ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا مال هذا الكتاب لايغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك احداً

(الكهف: ٧٤ – ٣٩) وفى (٥٢).

١٤ – يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفداً ونسوق المجرمين الى جهنم ورداً لايملكون الشفاعة الا من اتخذ عند الرحمن عهداً

(مريم: ٨٥ – ٨٧) وفى (٩٥).

١٥ – يومئذ يتبعون الداعى لاعوج له وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع الا همسا يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن ورضى له قولا

(طه: ١٠٨ – ١٠٩).

١٦ – يوم نطوى السماء كطى السجل للكتب كما بدأنا اول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين (الانبياء: ١٠٤).

١٧ – يا أيها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شئ عظيم يوم ترونها

تذهل كل مرضعة عما ارضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد

(الحج : ١، ٢) وفى (٦٩).

١٨ - فاذا نفخ فى الصور فلا انساب بينهم يومئذ ولا يتسائلون

(المؤمنون : ١٠١ - ١١٤).

١٩ - يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وارجلهم بما كانوا يعملون يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق ويعلمون ان الله هو الحق المبين

(النور : ٢٤، ٢٥) (٦٤).

٢٠ - ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلاً الملك يومئذ الحق للرحمن وكان يوماً على الكافرين عسيرا ويوم يعض الظالم على يديه يقول ياليتنى اتخذت مع الرسول سبيلاً يا ويلتى ليتنى لم اتخذ فلاناً خليلاً

(الفرقان : ٢٥ - ٢٩).

٢١ - يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم

(الشعراء : ٨٨ - ١٠٢).

٢٢ - ويوم ينفخ فى الصور ففزع من فى السموات ومن فى الأرض الا من شاء الله وكل أتوه داخرين (النمل : ٨٧ - ٩٠).

٢٣ - ويوم يناديهم فيقول أين شركائى الذين كنتم تزعمون

(القصص : ٦٢ - ٦٧) وفى (٧٤)

٢٤ - فأقم وجهك للدين القيم من قبل أن يأتى يوم لامرد له من الله يومئذ يصدعون (الروم : ٤٣).

٢٥ - فاليوم لا تظلم نفس شيئاً ولا تجزون الا ما كنتم تعملون

(يس : ٥٤) وفى (٥٩) و (٦٥) هذا ما ذكرنا بالتفصيل وانظر آيات أخر نعدها عدا ففى سور الزمر (٦٨) وحم مؤمن (١٦ - ٥١) والشورى (٤٧)

والجاثية (٢٧) والطور من (٩) الى (٢٨) (٤٥ - ٤٦) والقمر من (٦) الى (٨) والرحمن (٣٩) والواقعة: (١) الى (٤٤) والحديد من (١٢) الى (١٥) والمجادلة (٦) والتحريم (٨) والقلم (٤٢) والحاقة من (١٣) الى (٣٢) و (٣٥ - ٣٧) والمعارج (٤) ومن (٦) الى (١٧) و (٤٣، ٤٤) والمزمل (١٤) والمدثر (٩) والمرسلات (٣٥) والنبأ من (٧) الى (٣٩، ٤٠) والنازعات من (٦) الى (١٤) ومن (٣٤) الى (٤١) وعبس (٣٤) والتكوير من (١) الى (١٤) والانفطار من (١) الى (٥) ومن (٥) الى (١٩) والتطفيف (٦، ٣٤، ٣٥) والانشقاق من (١) الى (٥) ومن (٧) الى (١٣) والغاشية من (١) الى (١٦) والفجر من (٢١) الى (٢٦) والزلزال من (١) الى (٨) والقارعة من (١) الى (١١) والتكاثر (٨).

✲✲✲✲✲✲

والأصل الخامس
من الأصول الستة المهمة الجهاد في سبيل الله

اعلم أن الأربعة التي ذكرتها سابقاً كانت أصولاً وأركاناً أساسية للايمان وأما الجهاد والانفاق في سبيل الله عدا من الأصول باعتبار أنهما ممدان لتلك الأصول الأربعة لأن الجهاد في الحقيقة الشرعية كل عمل شاق على النفس ينشأ من أصل الايمان ويدل عليه ويؤيده ويؤكده ويظهره.

ثم إن الجهاد عرفاً العمل المتعدى الى الغير بأى قوة من القوى البشرية يحمله على الإنقياد لمدعى المجاهد. فكل دين ومذهب وفكر مداره على هذا العمل وكل حزب بما لديهم فرحون.

وأما نحن أى أهل التوحيد والسنة فجهادنا الجهاد الشرعى الذى فصله القرآن الكريم وأظهر النبى المصطفى صلى الله عليه وسلم معالمه ومشاعره بالعمل الأعلى والقول الأصفى فانا الآن بصدد مسئلة الجهاد على ترتيب آيات القرآن الكريم كما هو منهج كتابنا هذا .

ولعل فى علمك أنى الفت قبل عشر سنين من هذا الأوان كتاباً فى هذا الشان سميته (ترتيب الجهاد فى مقابلة أهل الإلحاد) وهو عندى كتاب كاف لطالبى هذا المرام إن شاء الله تعالى كما يظهر الحال من قبوليته الشائعة الذائعة لدى الإخوان والخلان. ولكن كان هذا بلغة البشتو (الأفغانية) فعلى أن ألخصه باللغة العربية فى هذا الكتاب.

فاعلم : أن القرآن الكريم ذكر مسئلة الجهاد بأتم تفصيل وأكمل ترتيل ونحن نلخصه فى ثمانية أبواب.

الباب الأول : فى بيان أنواع الجهاد المذكورة فى القرآن

إعلم أن الجهاد عام لغة وشرعاً والقتال خاص.

أما الجهاد لغة فقال فى مجمع البحار: هو المبالغة واستفراغ ما فى الوسع والطاقة من قول او فعل. يقال جهد الرجل فى الشئ أى جد فيه وبالغ انتهى (مجمع البحار: ١/٦٢٣).

وبالمعنى اللغوى ذكره القرآن الكريم سبع مرات.

قال الله تعالىٰ: وإن جاهداك على أن تشرك بى ماليس لك به علم (لقمان: ١٥).

وبهذا المعنى فى المائدة (٥٢) والأنعام: (١٠٩) والنحل (٣٨) والنور (٥٣) والفاطر (٤٢ والتوبة (٧٩).

وأما الجهاد شرعاً فذكرنا فى أول البحث.

والجهاد بالمعنى الشرعى ذكر فى القرآن اثنتين وثلثين مرة.

وأما القتال فمعناه واضح وذكره القرآن الكريم فى صفة المؤمنين أربعاً وستين مرة (٦٤)

ثم اعلم أن الجهاد له تقسيمان التقسيم الأول باعتبار ما به الجهاد وهى ثمانية فى القرآن الكريم.

الأول: الجهاد باللسان: وهو كل دعوة الى الله نثراً ونظما وكلاماً وخطبة.

قال الله تعالىٰ: إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً وانتصروا من بعد ما ظلموا (الشعراء: ٢٢٧).

ويدخل فى هذا النوع الترغيب والتحضيض على القتال.

قال الله تعالىٰ: يا أيها النبى حرض المؤمنين على القتال الآية (الانفال: ٦٥).

والثانى: الجهاد بالنفس. والمراد به معاندة الباطل بكل قوة تتعلق

بالنفس والبدن.

والثالث: الجهاد بالمال: وهو فى الأصل تعبير عن الإنفاق فى سبيل الله تعالىٰ وسيأتى تفصيله إن شاء الله تعالىٰ.

وهذان النوعان ذكرا فى القرآن معاً.

١ - قال الله تعالىٰ: فضل الله المجاهدين باموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة (النساء: ٩٥)

٢ - إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله (الانفال: ٧٢).

٣ - انفروا خفافا وثقالاً وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله (التوبة: ٤١).

والرابع: الجهاد بالقرآن: وهو المصداق للجهاد فى السور المكية.

قال الله تعالىٰ: فلا تطع الكافرين وجاهدهم به جهاداً كبيراً (الفرقان: ٥٢).

والخامس: الجهاد بالدفاع وتكثير جماعة المقاتلين المؤمنين.

قال الله تعالىٰ: وقيل لهم تعالوا قاتلوا فى سبيل الله أو ادفعوا (آل عمران: ١٦٧).

والسادس: الجهاد بالرباط: وهو على نوعين: مرابطة الخيل لقتال العدو وحراسة ثغور الاسلام.

١ - قال الله تعالىٰ: يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون (آل عمران: ٢٠٠)

٢ - وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم الآية (الانفال: ٦٠).

والسابع: الجهاد بالقوة. والمراد به إعداد جميع الأسباب والمواد

الضرورية للغلبة على العدو من المواد القديمة أو الحديثة.

١ - قال الله تعالىٰ : وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة (الانفال : ٦٠).

٢ - يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم فانفروا ثبات أو انفروا جميعاً (النساء : ٧١).

٣ - وأنزلنا الحديد فيه باس شديد ومنافع للناس (الحديد : ٢٥).

والثامن : الجهاد بالقتال : وهذا القسم هو المعروف وهو واقع فى القرآن بصيغة الأمر خمس عشرة مرة. قال الله تعالىٰ :

١ - فليقاتل فى سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة (النساء : ٧٤).

٢ - فقاتل فى سبيل الله لا تكلف الا نفسك (النساء : ٨٤).

٣ - وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم (البقرة : ١٩٠).

والتقسيم الثانى : باعتبار من يجاهد بضده أى الفرق الضالة الباطلة وهى فى القرآن خمس فرق.

الأولى : فرقة المشركين.

قال الله تعالىٰ : وقاتلوا المشركين كافة (التوبة : ٣٦).

والثانية : فرقة الكفرة سوى المشركين.

قال الله تعالىٰ : ١ - فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا ايمان لهم لعلهم ينتهون (التوبة : ١٢).

٢ - يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار (التوبة : ١٢٣).

والثالث : المنافقون. قال الله تعالىٰ :

١ - يا أيها النبى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم (التوبة : ٧٣) والتحريم (٩).

والمنافقون أنواع شتى، أمر بالقتال بعضهم واستثنى بعضهم قال الله

تعالىٰ :

١ - ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء فلا تتخذوا منهم أولياء حتى يهاجروا فى سبيل الله فان تولوا فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا (النساء : ٨٩).

٢ - الا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق او جاؤكم حصرت صدورهم ان يقاتلوكم او يقاتلوا قومهم ولو شاء الله لسلطهم عليكم فلقاتلوكم فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا اليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلاً ستجدون آخرين يريدون أن يأمنوكم ويأمنوا قومهم كلما ردوا الى الفتنة أركسوا فيها فان لم يعتزلوكم ويلقوا اليكم السلم ويكفوا أيديهم فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم وأولئكم جعلنا لكم عليهم سلطاناً مبيناً (النساء : ٩١).

والفرقة الرابعة : البغاة. قال الله تعالىٰ : وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فان بغت احداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفئ الى أمر الله فان فائت فاصلحوا بينهما بالعدل واقسطوا ان الله يحب المقسطين (الحجرات ٩).

والفرقة الخامسة : أهل الكتاب من اليهود والنصارى.

قال الله تعالىٰ : قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون (التوبة : ٢٩).

والفرق الباطلة سوى ذلك كثيرة ولكن ليس ذكرها فى القرآن صراحة فلذا طوينا ذكرها.

الباب الثانى : فى بيان فضيلة -

الجهاد والمجاهد والشهيد والتسلية له.

والآيـات فى هذا الباب كثيرة لا أحصيها فلذا اكتفى بذكر بعضها لإثبات العنوان.

فالآيات فى الفضائل:

١ - قـال الله تـعـالىٰ: ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رؤف بالعباد (البقرة: ٢٠٧).

فـى تـفـسيـر ابـن كثيـر: إن هـذه الآية فى المجاهد فى سبيل الله أعنى فى فضيلته.

٢ - إن الـذيـن آمـنـوا والـذيـن هـاجروا وجـاهدوا فى سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله والله غفور رحيم (البقرة: ٢١٨).

٣ - أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين (آل عمران ١٤٢).

٤ - لا يستـوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر والمجاهدون فى سبيـل الله بـأمـوالهـم وأنفسهم فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين اجرا عظيما درجات منه ومغفرة ورحمة وكان الله غفورا رحيماً (النساء: ٩٥، ٩٦).

٥ - والـذيـن آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقاً لهم مغفرة ورزق كريم (الأنفال: ٧٤).

٦ - الـذيـن آمـنـوا وهـاجـروا وجاهدوا فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم اعـظـم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنت لهم فيها نعيم مقيم خالدين فيها أبدا إن الله عنده اجر عظيم (التوبة: ٢٠ - ٢٢).

٧ - لـكـن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم وأنفسهم وأولئك لهـم الـخيـرات وأولـئك هـم المفلحون أعد الله لهم جنات تجرى من تحتها

الأنهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم (التوبة : ٨٨، ٨٩).

٨ - إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا فى التوراة والإنجيل والقرآن ومن اوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم (التوبة : ١١١).

٩ - ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب ان يتخلفوا عن رسول الله ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة فى سبيل الله ولا يطأون موطئاً يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلاً الا كتب لهم به عمل صالح إن الله لا يضيع اجر المحسنين ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون وادياً الا كتب لهم ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون (التوبة : ١٢٠ - ١٢١).

١٠ - إن الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص (الصف : ٤).

١١ - يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنت تجرى من تحتها الأنهار ومساكن طيبة فى جنات عدن ذلك هو الفوز العظيم وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين (الصف : ١٠ - ١٣).

فهذه إحدى عشرة آية بل فوقها فى فضائل المجاهدين وفضيلة الجهاد والهدف فيها الترغيب إلى الجهاد.

ففى الآية الأولى : ١ - كونه من خاصة عباده ٢ - وذكر الرأفة من الله تعالىٰ عليه. وفى الآية الثانية : ٢ - البشارة برجاءِ رحمة الله تعالىٰ. وفى الآية الثالثة ٣ - توقف دخول الجنة على الجهاد. وفى الآية الرابعة ٥ - فضيلة

المجاهدين بالدرجات تصريحاً ٦ - و ذكر الوعد بالحسنى ٧ - والمغفرة والرحمة. وفى الآية الخامسة ٨ - التسجيل بأنهم أهل الإيمان ٩ - والبشارة بالمغفرة والرزق الكريم. وفى الآية السادسة ١٠ - ذكر الفوز لهم والبشارة بالرحمة ١١ - والرضوانِ والجنةِ.

وفى الآية السابعة : الحكم بأنهم ١٢ - أهل الخيرات ١٣ - والبشارةِ بالفلاح والجنات.

وفى الآية الثامنة ١٤ : البشارة بالجنة المؤكدة بالوجوة العشرة تظهر بالتدبر والنظر.

وفى الآية التاسعة ١٥ : كتابة العمل الصالح بكل أمر مباح أو طاعة يكتسبه المجاهد فى سبيل الله فتأمل فى الآية.

وفى الآية العاشرة ١٦ : البشارة بمحبة الله لهم.

وفى الآية الحادية عشرة : البشارة للمجاهدين بالمغفرة ودخول الجنة ١٧ : والنصرةِ الإلهية والفتوح الغيبية.

وأما الآيات فى التسلى لأهل الجهاد فنذكر منها ستاً :

١ - قال الله تعالىٰ : الذين يظنون أنهم ملاقوا الله كم من فئة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين (البقرة : ٢٤٩).

ففى هذه الآية التسلية للمجاهدين بالنصرة الخاصة من الله تعالىٰ الدالة عليها حرف مع.

٢ - قد كان لكم آية فى فئتين التقتا فئة تقاتل فى سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثليهم رأى العين والله يؤيد بنصره من يشاء ان فى ذلك لعبرة لأولى الأبصار (آل عمران : ١٣).

ففى هذه الآية تسلية بتأييد الله ونصرته مع المجاهد.

٣ - قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف

صدور قوم مؤمنين ويذهب غيظ قلوبهم ويتوب الله على من يشاء والله عليم حكيم (التوبة : ١٥).

فى هذه الآية تسليات ست بالترتيب الجيد كما لا يخفى على المتدبر فى آيات الله.

٤ – إن الله يدافع عن الذين آمنوا إن الله لا يحب كل خوان كفور (الحج : ٣٨).

فى هذه الآية تسلية بمدافعة الله تعالىٰ أعداء الاسلام بمكايده القوية وتدبيراته البهية نشكر الله تعالىٰ على ذلك.

٥ – والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين (العنكبوت : ٦٩).

فى هذه الآية تسلية للمجاهدين بهداية السبل من الحجج المدحضة والدلائل المؤكدة وسبل معرفة الله تعالىٰ وتوحيده فى ذاته وصفاته وحقوقه وسبل السنة السنية.

٦ – يا أيها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم (محمد : ٧).

فى الآية تسلية ظاهرة صريحة بالنصرة الإلهية وتثبيت الأقدام بمقابلة أعداءِ دين الإسلام المفيد لتثبيت القلوب على الإيمان.

وأما الآيات فى فضيلة الشهيد المقتول فى سبيل الله فنتلو منها ستاً.

١ – قال الله تعالىٰ : ولا تقولوا لمن يقتل فى سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لاتشعرون (البقرة : ٥٤).

٢ – ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتاً بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم أن لاخوف عليهم ولا هم يحزنون يستبشرون بنعمة من الله وفضل

وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين (آل عمران : ١٦٩ - ١٧١).

فـي هـذه الآيـات أثبت لهم الحياة البرزخية بأن أرواحهم فى أجواف طير تسـرح فـى الجنة حيث شائت كما ورد به الحديث والقربة عند ربهم والرزق والفرح بنعم الله والإستبشار بمن بعدهم من اتباعهم والنعمة والفضل.

٣ - ولـئـن قتـلتـم فـى سبيـل الله أومتـم لـمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون (آل عمران : ١٥٧).

٤ - فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا فى سبيلى وقاتلوا وقتلوا لأكـفـرن عـنهـم سيئاتهم ولأدخلنهم جنت تجرى من تحتها الأنهار ثواباً من عند الله والله عنده حسن الثواب (آل عمران : ١٩٥).

فـى هـذه الآية أخبـر الله تـعـالـىٰ للمقتول فى سبيل الله بعد كونه مهاجراً بتـكـفـيـر السيـئـات وإدخـال الـجـنـات مع الثواب والعطيات من جانب منزل الآيات.

٥ - فـليـقاتل فى سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ومن يقاتل فى سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه اجراً عظيماً (النساء : ٧٤).

بشر فى هذه الآية بإعطاءِ الأجر العظيم والثواب الجسيم.

٦ - والذين قتلوا فى سبيل الله فلن يضل أعمالهم سيهديهم ويصلح بالهم ويدخلهم الجنة عرفها لهم (محمد : ٤ - ٦).

فـى هـذه الآيـات التبشيـر بـعـدم اضلال الأعمال والهداية واصلاح البال وإدخال الجنة مع تعريف الأحوال.

الباب الثالث : فى ذكر فرضية الجهاد وأسبابه

مـردانـا بـالـجهاد النوع الخاص وهو القتال وهو فرض عيناً وكفايةً علىٰ حسب تفاوت الأحوال أمر الله تعالىٰ به أمراً قطعياً فى آيات كثيرة نعدها.

١ - قـال الله تعالىٰ : وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان

الله لا يحب المعتدين (البقرة : ١٩٠).

٢ - وقاتلوا فى سبيل الله واعلموا أن الله سميع عليم (البقرة : ٢٤٤).

٣ - فقاتلوا أولياء الشيطان ان كيد الشيطان كان ضعيفاً (النساء : ٧٦).

٤ - فقاتلوا أئمة الكفر انهم لا ايمان لهم لعلهم ينتهون (التوبة : ١٢).

٥ - قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر الآية (التوبة ٢٩).

٦ - وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة (التوبة : ٣٦).

٧ - يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة (التوبة : ١٢٣).

٨ - قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم (التوبة : ١٤).

٩ - فقاتلوا التى تبغى حتى تفئ الى امرالله (الحجرات : ٩).

١٠ - وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله (البقرة : ١٢٣).

١١ - وقاتلوهم حتى لاتكون فتنة ويكون الدين كله لله (الأنفال : ٣٩).

١٢ - فقاتل فى سبيل الله لا تكلف الا نفسك وحرض المؤمنين (النساء : ٨٤).

١٣ - فليقاتل فى سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة (النساء : ٧٤).

هذه كانت بصيغة الأمر من مادة القتال.

وأما الأمر من مادة الجهاد أو النفير ففى آيات عديدة.

١ - قال الله تعالىٰ : يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة وجاهدوا فى سبيله لعلكم تفلحون (المائدة :٣٥).

٢ - يا أيها النبى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جنهم وبئس المصير (التوبة : ٧٣).

٣ – وكذا فى سورة التحريم (٩).

٤ – يا أيها الذين آمناوا خذوا حذركم فانفروا ثبات أو انفروا جميعاً (النساء: ٧١).

٥ – انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم (التوبة: ٤١).

وكذا فرضية الجهاد بعنوان آخر.

قال تعالىٰ: كتب عليكم القتال وهو كره لكم عسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون (البقرة: ٢١٦).

بيان أسباب فرضية الجهاد

سببُ فرضية الجهاد إنما هو غلبة القوى الطاغوتية ففى مضادتها ومعاندتها يجب الجهاد. نعم هذه الغلبة إنما تظهر فى كيفيات مختلفة ذكرها القرآن الكريم فى الآيات.

١ – قال الله تعالىٰ: يسئلونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام واخراج أهله منه أكبر عند الله والفتنة أكبر من القتل ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا (البقرة: ٢١٧).

٢ – أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الا ان يقولوا ربنا الله (الحج: ٣٩، ٤٠).

٣ – ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً (الحج: ٤٠).

ففى الآية الأولىٰ: ذكر من الأسباب الصد والكفر والإخراج والفتنة والمقاتلة للإرتداد من الدين. وفى الآية الثانية: ذكر مظلومية المؤمنين وإخراجهم من ديارهم بغير حق. وهذه كلها آثار غلبة أهل الضلال والطغيان.

وفى الآية الثالثة : ذكر منها دفع الفساد.

وفـى الآية الرابعة : ذكر حفاظة المعابد الإلهية التوحيدية للأمم السالفة أو هذه الأمة.

الباب الرابع : فى ذكر فوائد الجهاد ومقاصده

الـمراد بالفوائد هنا ما يتعلق بالحياة الدنيوية مع الإفادة فى الأخرة ونذكر لها أيات.

وأما الفوائد والمنافع الأخروية فقد مر ذكرها فى بيان فضيلة الجهاد.

١ – قـال الله تـعالىٰ : وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين (البقرة : ١٩٠).

فيها ذكر أن فائدة القتال دفع جارحية المقاتلين وو حشيتهم.

٢ – واقتـلوهـم حيث ثقفتموهـم وأخرجوهـم من حيث أخرجوكـم والفتنة أشد من القتل (البقرة : ١٩١).

فـى هـذه الآية ذكـر أن فـائـدة القتال معاندة الذين تجبر عليهم بالإخراج والمنع عن التوحيد والإيمان.

٣ – و قـاتلوهـم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فان انتهوا فلا عدوان الا على الظالمين (البقرة : ١٩٣).

٤ – وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله فان انتهوا فان الله بما يعملون بصير (الانفال : ٣٩).

علم منها أن دفع الفتنة وحصول غلبة الدين القويم من أهم منافع القتال

٥ – ومـالكم لا تقاتلون فى سبيل الله و المستضعفين من الرجال والنساءِ والـولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم اهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيراً (النساء : ٧٥).

الأية تـدل عـلى أن القتال لإعلاءِ كلمة الله تعالىٰ و هو المراد بقوله تعالىٰ

(فى سبيل الله) وعلى أن القتال لإنجاءِ المستضعفين المظلومين من أيدى الظلمة الكفرة الطاغية.

٦ - أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين.

٧ - أم حسبتم أن تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة والله خبير بما تعملون (التوبة : ١٦).

٨ - ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو اخباركم (محمد : ٣١).

فى هذه الآيات الثلث دلالة علىٰ أن مقاصد الجهاد حصول دار الثواب والإختبار للتمييز بين أهل الإخلاص وأهل النفاق والمحقين والمبطلين.

٩ - وقاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين ويذهب غيظ قلوبهم ويتوب الله على من يشاء والله عليم حكيم (التوبة : ١٤ - ١٥).

فى هاتين الأيتين من فوائد القتال ذكرت ست :

١ - إنزال العذاب الإلهى عليهم.

٢ - تذليل الإعداءِ.

٣ - وغلبة المسلمين عليهم.

٤ - وشفاء صدور المؤمنين.

٥ - وإذهاب غيظ قلوب الكفار الملحدين.

٦ - وإفاضة توفيق التوبة على بعض من يشاء الله إيمانه.

١٠ - ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين (البقرة : ٢٥١).

١١ - ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات و مساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً ولينصر الله من ينصره ان الله لقوى عزيز (الحج : ٤٠).

فى هاتين الآيتين ذكرمن فوائد القتال دفع الفساد فى الأرض وتحفظ معابد أهل الإيمان والتوحيد.

الباب الخامس : فى ذكر قبائح ترك القتال فى سبيل الله

مرجع جميع القبائح انعدام الفوائد والمقاصد التى مر ذكرها فى فضل الجهاد وتسلط القوى الطاغوتية على انهدام قواعد الإسلام.

والآن نعد الأيات التى تدل على القبائح فى وقت ترك الجهاد.

١ - قال الله تعالىٰ : وانفقوا فى سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة . وأحسنوا ان الله يحب المحسنين (البقرة : ١٩٥).

فيها دلالة علىٰ أن ترك الجهاد يفضى الى هلاك الأنفس والفساد.

٢ - ألم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهو ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم ان الله لذو فضل على الناس ولكن اكثر الناس لا يشكرون (البقر : ٢٤٣).

فى هذه القصة عبرة لمن ترك الجهاد بموت نفوسهم حقيقة أو باماتة قلوبهم وهممهم على ما رأى المفسرون.

٣ - ألم تر الى الذين قيل لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكوة فلما كتب عليهم القتال اذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو اشد خشية وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا اخرتنا الى أجل قريب قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلاً (النساء : ٧٧).

فى هذه الآية دلالة على أن ترك الجهاد وإظهار الجبن من آثار النفاق ويستلزمه.

٤ - يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التى كتب الله لكم ولا ترتدوا على ادباركم فتنقلبوا خاسرين (المائدة : ٢١).

فى قصة بنى إسرائيل التى تتضمنها هذه الآيات دليل على أن ترك الجهاد سبب الخسران .

٥ - قال فانها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون فى الأرض فلا تأس على القوم الفاسقين (المائدة : ٢٦).

فيها دليل على ان ترك الجهاد سبب التيه والتحير ومنشأ للفسق.

٦ - قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بأمره والله لا يهدى القوم الفاسقين (التوبة : ٢٤).

٧ - يا أيها الذين آمنوا مالكم اذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله اثاقلتم الى الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحيوة الدنيا فى الآخرة الا قليل (التوبة : ٣٨).

الا تنفروا يعذبكم عذاباً اليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيئاً والله على كل شئ قدير (التوبة : ٣٩).

فى هاتين الآيتين دلالة على أن ترك الجهاد من علامات النفاق وسبب لمحبة الدنيا ولعذاب العقبىٰ واستبدال قوم بقوم.

٩ - لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر ان يجاهدوا بأموالهم والله عليم بالمتقين انما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم فى ريبهم يترددون (التوبة : ٤٥، ٤٤).

دلت هذه الآية على أن ترك الجهاد شان الذين لا إيمان لهم هم مرتابون مترددون.

١١ – فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا ان يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله وقالوا لا تنفروا فى الحر قل نار جهنم اشد حراً لو كانوا يفقهون (التوبة : ٨١).

فى هذه الآية دلالة علىٰ أن أهل النفاق المخلفين هم تاركوا الجهاد والمانعون عنه.

١٢ – قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت أو القتل واذا لا تمتعون الا قليلاً (الاحزاب : ١٦).

تدل هذه الآية على أن الفرار من الجهاد ليس بنافع قط بل موجب للذل والهوان.

١٣ – ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة فاذا انزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال رأيت الذين فى قلوبهم مرض ينظرون اليك نظر المغشى عليه من الموت فأولى لهم (محمد : ٢١).

هذه الآية دالة على أن ترك الجهاد من عادات مرضىٰ القلوب والجبن وسبب للهلاك والتبار.

الباب السادس : فى شان أمير الجهاد

وصفاته مع صفات المجاهدين : وفيه فصلان

الفصل الأول : فى الأمور التى لا بد للأمير

الأمر الأول : ضرورة الأمير للمجاهدين.

قال الله تعالىٰ : ألم تر الى الملأ من بنى اسرائيل من بعد موسى اذ قالوا لنبى لهم ابعث لنا ملكا نقاتل فى سبيل الله (البقرة : ٢٤٦).

الأمر الثانى : وجوب طاعة الأمير.

قال الله تعالىٰ : يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم فان تنازعتم فى شئ فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله

واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً (النساء : ٥٩).

الأمر الثالث : صفات انتخاب الأمير.

قال الله تعالىٰ : وقال لهم نبيهم إن الله قد بعث لكم طالوت ملكاً قالوا أنى له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال قال ان الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة فى العلم والجسم والله يؤتى ملكه من يشاء والله واسع عليم (البقرة : ٢٤٧).

فى الأية دليل على أن الأمير الشرعى من كان ذا علم بالدين و السياسة وصاحب قوة وشجاعة وصلاحية وتقوىٰ.

الأمر الرابع : فرائض الأمير أى أخلاقه وأعماله :

١ - قال الله تعالىٰ : فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا ن حولك فاعف عنهم واستغفر لهم شاورهم فى الأمر فاذا عزمت فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين (آل عمران : ١٥٩).

فى هذه الآية بيان أخلاق النبى صلى الله عليه وسلم الحسنة والمخاطبة معه بالأوامر الإنتظامية ولكن لكل أمير من أمراءِ المسلمين عليه اتباع أوصاف النبى صلى الله عليه وسلم وأخلاقه. فهذه الآية تدل على أن الأمير لا بد أن يكون سهل الخلق ولين الطبع مع الرعية مع كونه مأموراً بالعفو عنهم والإستغفار والإستشارة منهم ثم التوكل على الله تعالىٰ.

٢ - وما كان لنبى أن يغل ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون (آل عمران : ١٦١).

فى هذه الأية إشارة الى أن أمير المؤمنين بسبب إطاعة النبى صلى الله عليه وسلم لا يكون غالاً فى مال المسلمين.

الفصل الثاني : فى فرائض المجاهدين وصفاتهم.

١ - قال الله تعالىٰ : ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله و الله

رؤف بالعباد (البقرة : ٢٠٧).

٢ - فليقاتل فى سبيل الله الذين يشرون الحيوة الدنيا بالآخرة (النساء : ٧٤).

٣ - قال الذين يظنون أنهم ملاقوا الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين (البقرة : ٢٤٩).

٤ - ولما برزوا لجالوت وجنوده قالوا ربنا أفرغ علينا صبراً وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين (البقرة : ٢٤٩).

٥ - وما كان قوله الا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا فى أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين (أل عمران : ١٤٧).

٦ - يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون (آل عمران : ٢٠٠).

٧ - يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة علي الكافرين يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم (المائدة : ٥٤).

٨ - يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين (الانفال : ٤٥، ٤٦).

٩ - الذين ان مكناهم فى الارض اقاموا الصلوة وآتوا الزكوة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور (الحج : ٤١).

١٠ - كبر مقتاً عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص (الصف : ٣، ٤).

ففى هذه الآيات ذكر من صفات المجاهدين وفرائضهم : أن منصب

أعينهم ابتغاء مرضاة الله وإيثار الآخرة على الدنيا والإعتقاد بمعية الله تعالىٰ ونصرته مع الصابرين والدعاء بما فى سورة البقرة (٢٤٩) وآل عمران (١٤٧) والصبر والمصابرة والمرابطة ومن أوصافهم: أنهم يحبون الله ويجاهدون فى سبيله ولا مخافة عليهم من لومة لائم والتراحم فيما بينهم والتشدد على أعدائهم والتثبت عند لقاءِ العدو وذكر الله فى الوقت وإطاعة الله والرسول وعدم التنازع وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والإصطفاف كالبنيان المرصوص.

الباب السابع: فى بيان الأمور التى يجب الإحتراز عنها للمجاهدين

المقصد الكبير الذى بين يدى المجاهد - أى دفع أهل الباطل - لا بد لحصوله من الإجتناب عن الأمور والأخلاق الخسيسة التى تستتبع الهزيمة والذلة.

نذكر منها ما تتضمنها الآيات الكريمة.

١ - قال الله تعالىٰ: وكأين من نبى قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم فى سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين (آل عمران: ١٤٦).

٢ - ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم باذنه حتى اذا فشلتم وتنازعتم فى الأمر وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون (آل عمران: ١٥٢).

٣ - يا أيها الذين آمنوا اذا ضربتم فى سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن القى اليكم السلام لست مؤمنا تبتغون عرض الحيوة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم فتبينوا ان الله كان بما تعملون خبيراً (النساء: ٩٤).

٤ - يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفاً فلا تولوهم الادبار

ومـن يـولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال او متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير (الانفال : ١٦، ١٧).

٥ - وأطيـعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا و تذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين (الانفال : ٤٦).

٦ - ولا تـكـونـوا كالذين خرجوا من ديارهم بطراً ورئاء الناس ويصدون عن سبيل الله والله بما تعملون محيط (الانفال : ٤٧).

٧ - لـقـد نصركم الله فى مواطن كثيرة ويوم حنين اذا أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً وضاقت عليكم الارض بما رحبت ثم وليتم مدبرين (التوبة : ٢٥).

فـفـى هـذه الآيـات الكريمة التحذير عما لا ينبغى للمجاهد فى سبيل الله فـفـى الأية الأولىٰ التـحذير عن الوهن لاجل المصائب والضعف عن المقابلة والمعاندة والإستكانة والخضوع للعدو. وفى الآية الثانية : التحذير عن الفشل والتـنـازع فى أمر الرسول والعصيان بسبب رؤية المحبوب الطبعى. وفى الآية الثـالثة : التـحـذيـر عن سفك دم من أقر بالتوحيد والإسلام ولم يصدر عنه بعد الإقرار شئ من اعمال الكفر والشرك مع الأمر بالتبيين والتحقيق.

وفى الآية الرابعة : النهى عن الإدبار الى العدو وقت القتال يوم الزحف.

وفـى الآية الـخـامسة : الـنهـى عن التنازع فيما بينهم المفضى إلى التفشل وذهاب شوكة الإسلام.

وفـى الآية الـسـادسة : الـتـحـذيـر عـن الـخـروج على سبيل البطر والرياءِ وللصد عن سبيل الله.

وفـى الآية السابعة : النهى عن العجب والفخر بالكثرة والغفلة عن التوكل على الله تعالىٰ.

الباب الثامن : فى بيان الآداب للجهاد

لا وصول إلى الأرب إلا بالأدب. فرب عابد لله من غير أدب صائر إلى النيران. ورب مجاهد بلا أدب راجع إلى الخسران. فلذا ذكر الله تعالىٰ ورسوله ﷺ الآداب لكل عبادة سيما الجهاد. فلذا نتلو عليك من الأيات التى فيها ذكر الآداب للجهاد.

الأدب الأول :

النية فى الجهاد لإعلاءِ كلمة الله تعالىٰ، لا لغرض وعرض وعوض.

قال الله تعالىٰ : وقاتلوا فى سبيل الله (البقرة : ١٩٠).

وهذا ذكر مع القتال والجهاد فى القرآن الكريم ستا وعشرين مرة.

والمراد بالجهاد فى سبيل الله مفسر فى الحديث المرفوع الصحيح. وفيه: (من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله).

والأدب الثانى :

الإحتراز عن القتال فى المسجد الحرام وكل الحرم نعم ! يجوز للمدافعة.

قال الله تعالىٰ : ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فان قاتلوكم فيه فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين (البقرة : ١٩١).

والأدب الثالث : التقوى.

قال الله تعالىٰ : يا أيها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم (الانفال : ٢٩).

وفى هذه الآية مع الآيات التالية فوائد التقوى وآثاره وجوداً وعدماً فتأمل.

والأدب الرابع : التشدد والتضلع فى القتال.

قال الله تعالىٰ : فاما تثقفنهم فى الحرب فشرد بهم من خلفهم لعلهم يذكرون (الانفال : ٥٧).

والأدب الخامس : التحرز عن الغدر والخيانة مع المعاهد.

قـال الله تعالىٰ : وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء ان الله لا يحب الخائنين (الانفال : ٥٨).

والأدب السادس :

عدم الميل والدعوة الى صلح العدو لعارض الجبن و الوهن.

قـال الله تـعـالـىٰ : فـلا تهنوا وتدعوا الى السلم وأنتم الأعلون والله معكم ولن يتركم أعمالكم (محمد : ٣٥).

نعم لو دعا العدو الى السلم فالخيار إلى أمير المؤمنين.

قـال تعالىٰ : وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله انه هو السميع العليم (الانفال : ٦١).

والأدب السابع : التجنب عن التاسير قبل الإثخان.

قـال الله تـعـالـىٰ : مـا كان لنبى ان يكون له أسرى حتى يثخن فى الارض (الانفال : ٦٧).

والأدب الثامن : وفاء العهد مع المعاهدين غير الناقضين.

قـال الله تـعـالـىٰ : الا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئاً ولـم يـظـاهـروا عـليـكـم أحـدا فأتموا اليهم عهدهم الى مدتهم ان الله يحب المتقين (التوبة : ٤).

والأدب التاسع : التاكيد فى مقابلة الحربى المقاتل وتوابعها.

قـال الله تـعـالـىٰ : فـاذا انسـلـخ الأشهـر الـحـرم فاقتلوا المشركين حيث وجـدتـموهـم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فان تابوا واقاموا الصلوة وآتو الزكوة فخلوا سبيلهم ان الله غفور رحيم (التوبة : ٥).

والأدب العاشر : إعطاء الأمن للحربى وعدم الخيانة وقت إجارته وهذا ليطلع على كتاب الله ودعوة الإسلام.

قـال الله تـعـالـىٰ : وان احـد مـن المشركين استجارك فاجره حتى يسمع

كلام الله ثم ابلغه مأمنه ذلك بأنهم قوم لا يعلمون (التوبة : ٦).

والأدب الحادى عشر : تنقيح الجيش عن المداهنين بالإبتلاءِ والإمتحان دل عليه قصة طالوت عند ابتلاءِ جيشه بالنهر.

قال الله تعالىٰ : فلما فصل طالوت بالجنود قال ان الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس منى ومن لم يطعمه فانه منى الا من اغترف بيده (البقرة : ٢٤٩).

والأدب الثانى عشر : انفاذ الحكم الشرعى فى الاسر بعد الإثخان.

قال الله تعالىٰ : حتى اذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فاما مناً بعد وإما فداء حتى تضع الحرب أوزارها (محمد : ٤).

والأدب الثالث عشر :

إهتمام الصلاة وقت القتال وأداؤها بالطريقة الشرعية.

قال الله تعالىٰ : اذا ضربتم فى الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبيناً واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم فاذا سجدوا فليكونوا من ورائكم ولتأت طائفة اخرى لم يصلوا فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم الأية (ثم قال تعالىٰ :) فاذا قضيتم الصلاة فاذكروا الله قياماً و قعوداً وعلى جنوبكم فاذا اطمأننتم فأقيموا الصلاة ان الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً (النساء : ١٠١ - ١٠٣).

والأدب الرابع عشر : ذكر الله تعالىٰ عند لقاءِ العدو والإتقاء عن ذكر غير الله تعالىٰ والإستعانة بغيره.

قال تعالىٰ : ياأيها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون (الانفال : ٤٥).

والأدب الخامس عشر : إعداد آلات الحرب قبل القتال بنية الجهاد فى

سبيل الله، وتركه من علامات النفاق.

قـال الله تعالىٰ: وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون بـه عـدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شئ فى سبيل الله يوف اليكم وانتم لا تظلمون (الانفال: ٦٠).

وقال تعالىٰ فى شان المنافقين:

ولـو أرادوا الـخـروج لأعدوا له عدة ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين (التوبة: ٤٦).

تتمة فى مبحث أهمية الجهاد

ومـن أهـمية الجهاد أن سورة الأنفال وسورة التوبة وسورة محمد وسورة الـفتـح نـزلـت لهـذه الـمسئلة والأيات فى هذه كثيرة كما مرت فى الأبواب الماضية.

واعـلـم أن مبـنى الجهاد على القوانين من تهذيب الأخلاق وتدبير المنزل والسيـاسة الـمـدنية وهـذه ذكـرت فى سورة البقرة من (١٧٧) الى (٢٥٤). وفـى سـورة النساءِ من الإبتداءِ إلى (٢٣٦) وعلى القوانين الضرورية فى وقت القتال. وهى موجودة فى سورة الانفال نحو ستة عشر للمجاهدين وأميرهم.

ثم لا بد من الأمور الإنتظامية لتأسيس جماعة المجاهدين المسلمين.

هـذه الأمـور ذكـرت أربـعة فى سورة آل عمران من (١٠٢) إلى (١٢٠) وذكرت سبعة فى سورة الحجرات من الإبتداءِ إلى (١٣) فانظر وتأمل !!

٭٭٭٭٭٭

والأصل السادس
من الأصول الستة الإنفاق فى سبيل الله

إعلم أن الإنفاق فى سبيل الله هو بذل المال فى إشاعة كلمة الله تعالىٰ. وهو فى الأصل نوع من أنواع الجهاد بالمال. ولكن جعلناه أصلاً مستقلاً لأن مبنى القتال فى سبيل الله تعالىٰ الذى هو رأس أنواع الجهاد على الإنفاق. ولذا جعل الإنفاق فى سبيل الله تعالىٰ دعوى وموضوعاً لبعض السور مثل سورة الحديد وآخر سورة البقرة والأيات فى هذه المسألة كثيرة سنتلو بعضها.

ثم اعلم أن القرآن ذكر الإنفاق بعناوين مختلفة يرجع جلها الى الثمانية.

العنوان الأول : الترغيب إلى الإنفاق وكونه من محاسن الصفات.

١ - قال الله تعالىٰ : الذين يؤمنون بالغيب و يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون (البقرة : ٣).

٢ - مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم (البقرة : ٢٦١).

٣ - الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله ثم لا يتبعون ما انفقوا مناً ولا أذى لهم اجرهم عند بهم ولا خوف عليهم ولاهم يحزنون (البقرة : ٢٦٢).

٤ - ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله و تثبيتاً من أنفسهم كمثل جنة بربوة أصابها وابل فآتت أكلها ضعفين فان لم يصبها وابل فطل والله بما تعملون بصير (البقرة : ٢٦٥).

٥ - وما أنفقتم من نفقة أو نذرتم من نذر فان الله يعلمه وما للظالمين من أنصار (البقرة : ٢٧٠).

٦ – ليس عليك هداهم ولكن الله يهدى من يشاء وما تنفقوا من خير فلأنفسكم وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله وما تنفقوا من خير يوف اليكم وأنتم لا تظلمون (البقرة : ٢٧٢).

٧ – وما تنفقوا من خير فان الله به عليم (البقر: ٢٧٣).

٨ – الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون (البقرة : ٢٧٤).

٩ – الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالأسحار (آل عمران : ١٧).

١٠ – الذين ينفقون فى السراءِ والضراءِ والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين (آل عمران : ١٣٤).

١١ – وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر وأنفقوا مما رزقهم الله وكان الله بهم عليماً (النساء : ٣٩).

١٢ – الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون (الانفال : ٣).

١٣ – وما تنفقوا من شئ فى سبيل الله يوف اليكم وأنتم لا تظلمون (الانفال : ٦٠).

١٤ – ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ ما ينفق قربات عند الله وصلوات الرسول الا انها قربة لهم سيدخلهم الله فى رحمته ان الله غفور رحيم (التوبة : ٩٩).

١٥ – ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون وادياً الا كتب لهم ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون (التوبة : ١٢١).

١٦ – والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية ويدرؤن بالحسنة السيئة أولئك لهم عقبى الدار (الرعد : ٢٢).

١٧ - قل لعبادى الذين آمنوا يقيموا الصلاة وينفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية من قبل أن يأتى يوم لا بيع فيه ولا خلال (ابراهيم : ٣١).

١٨ - الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمى الصلاة ومما رزقناهم ينفقون (الحج : ٣٥).

١٩ - أولئك يؤتون أجورهم مرتين بما صبروا ويدرؤن بالحسنة السيئة ومما رزقناهم ينفقون (القصص : ٥٤).

٢٠ - تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون (الم السجدة : ١٦).

٢١ - وما أنفقتم من شئ فهو يخلفه وهو خير الرازقين (سبأ : ٢٩).

٢٢ - إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوامما رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور (الفاطر : ٢٩).

٢٣ - والذين استجابوا لربهم واقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون (حم شورى : ٣٨).

٢٤ - ها أنتم هؤلاءِ تدعون لتنفقوا فى سبيل الله (محمد : ٣٨).

٢٥ - آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فالذين آمنوا منكم وانفقوا لهم اجر كبير (الحديد : ٧).

٢٦ - ومالكم ان لا تنفقوا فى سبيل الله ولله ميراث السموات والارض (الحديد : ١٠).

فانظر فى هذه الآيات من الترغيب والتحضيض على الإنفاق فى سبيل الله وجعله من صفات أهل الكمال من أهل الإيمان. وهذه الآيات مختصة بذكر مادة الإنفاق.

وأما التحضيض بلفظ التصدق والإقراض فأيضاً مذكور فى الآيات الكثيرة.

الكثيرة.

العنوان الثاني : ذكر أنواع الإنفاق فى القرآن الكريم.

وإن كان مقصودنا بالتفصيل هو الإنفاق فى سبيل الله أى للقتال والجهاد ولكن ذكر أنواع الإنفاق الأخر لا يخلو عن الفائدة. فلذا أذكر فى هذا المقام من أنواع الإنفاق الشرعى المشار اليها فى الأيات.

١ – قال الله تعالىٰ : وأنفقوا فى سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة (البقرة : ١٩٥).

هذا هو الإنفاق لإشاعة كلمة الله تعالىٰ.

٢ – يسألونك ماذا ينفقون قل ما أنفقتم من خير فللوالدين والأقربين واليتمىٰ والمساكين وابن السبيل وما تفعلوا من خير فان الله به عليم (البقرة : ٢١٥).

فى هذه الآية ذكر المصارف وإشارة الى نوع الإنفاق الواجب للمصارف المذكورة عند ضرورتهم واحتياجهم.

٣ – الرجال قوامون على النساءِ بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم الآية (النساء : ٣٤).

فيها ذكر نوع إنفاق الزوج على الزوجة وهو الإنفاق الواجب أيضاً.

٤ – لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا الآية (الحديد : ١٠).

فى هذه الأية ذكر النوعين من الإنفاق فى القتال أحدهما : فى بدء الأحوال وقبل الفتح. وثانيهما : بعد الفتح فى ثانى الأحوال.

٥ – وآتوهم ما انفقوا ولاجناح عليكم ان تنكحوهن اذا آتيتموهن أجورهن ولا تمسكوهن بعصم الكوافر واسألوا ما انفقتم وليسألوا ما انفقوا (الممتحنة : ١٠).

فيها المراد من الإنفاق إعطاء المهر للزوجة كما هو المتبارد وهو نوع من الإنفاق.

٦ - وان كن أولات حمل فأنفقوا عليهن حتى يضعن حملهن (الطلاق : ٦).

فى هذه الآية نوع الإنفاق الواجب فى حالة العدة للحامل اتفاقاً ولغيرها اختلافاً.

٧ - لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه اللّٰه (الطلاق : ٧).

المراد من الإنفاق فى هذه الأية الإنفاق على المرضعة عوض الإرتضاع وهو نوع مستقل.

العنوان الثالث : كيفية الإنفاق الشرعى

الكيفية الأولىٰ: الإنفاق من العفو أى الزائد عن الحاجة الضرورية.

قال اللّٰه تعالىٰ : ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو كذلك يبين اللّٰه لكم الآيات لعلكم تتفكرون (البقرة : ٢١٩).

والكيفية الثانية والثالثة : الإنفاق سراً فى بعض الأحيان وعلانية فى بعض الأحيان.

قال اللّٰه تعالىٰ : الذين ينفقون أموالهم باليل والنهار سرا وعلانية فلهم اجرهم عند ربهم ولاخوف عليهم ولا هم يحزنون (البقرة : ٢٧٤).

٢ - والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم واقاموا الصلاة وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية (الرعد: ٢٢)

والكيفية الرابعة : الإقتصاد فى الإنفاق بعدم التقتير والإسراف.

قال اللّٰه تعالىٰ : والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً (الفرقان : ٦٧).

٢ – ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً مسحوراً (الاسراء : ٢٩).

العنوان الرابع : شروط الإنفاق.

هذه شروط لقبولية الإنفاق عند الله منها سلبية ومنها ثبوتية.

فالشرط الأول : عدم المن والأذىٰ بعد الإنفاق.

قال الله تعالىٰ : الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى له اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولاهم يحزنون (البقرة : ٢٦٢).

والشرط الثانى : انفاق الطيب والإجتناب عن إنفاق الخبيث أى الردى.

قال الله تعالىٰ : يا أيها الذين آمنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الارض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه الا ان تغمضوا فيه واعلموا أن الله غنى حميد (البقرة : ٢٦٧).

والشرط الثالث : الإنفاق لابتغاءِ وجه الله تعالىٰ ومرضاته.

قال الله تعالىٰ : ليس عليك هداهم ولكن الله يهدى من يشاء وما تنفقوا من خير فلأنفسكم وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله (البقرة : ٢٧٢).

٢ – وقال الله تعالىٰ : وما لأحد عنده من نعمة تجزىٰ الا ابتغاء وجه ربه الأعلىٰ ولسوف يرضىٰ (واليل : ١٩ – ٢١).

والشرط الرابع : الإنفاق بالمحبوب من المال.

قال الله تعالىٰ : لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وما تنفقوا من شئ فان الله به عليم (آل عمران : ٩٢).

وقال الله تعالىٰ : وآتى المال على حبه ذوى القربىٰ واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب (البقرة : ١٧٧).

والشرط الخامس : الإنفاق قبل نزول الموت عليه.

قال الله تعالىٰ : وأنفقوا مما رزقناكم من قبل ان يأتى احدكم الموت فيقول رب لولا أخرتنى الى اجل قريب فاصدق واكن من الصالحين (المنافقون : ١٠).

العنوان الخامس : ذكر موانع قبولية الإنفاق.

المانع الأول : المن والأذىٰ :

قال الله تعالىٰ : يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذىٰ (البقرة : ٢٦٤).

والمانع الثانى : غرض الحياة الدنيا وعرضها.

قال الله تعالىٰ : مثل ما ينفقون فى هذه الحياة الدنيا كمثل ريح فيها صر اصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم فاهلكته (آل عمران : ١١٧).

والمانع الثالث : الرياء.

قال الله تعالىٰ : كالذى ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر فمثله كمثل صفوان عليه تراب فاصابه وابل فتركه صلدا (البقرة : ٢٦٤).

وقال الله تعالىٰ : والذين ينفقون اموالهم رئاء الناس ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ومن يكن الشيطان له قريناً فساء قريناً (النساء : ٣٨).

والمانع الرابع : الإنفاق للصد عن سبيل الله أى فى معاندة الحق من التوحيد والسنة.

قال الله تعالىٰ : إن الذين كفروا ينفقون اموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون حسرة ثم يغلبون (الانفال : ٣٦).

والمانع الخامس : الفسق الكامل أى اعتقاداً وهو النفاق.

قال الله تعالىٰ : قل انفقوا طوعاً او كرها لن يتقبل منكم انكم كنتم قوما فاسقين (التوبة : ٥٣).

والمانع السادس : الكفر.

وبرسوله ولا يأتون الصلاة الا وهوم كسالىٰ (التوبة : ٥٤).

والمانع السادس : كراهية الإنفاق واتخاذه مغرماً :

١ - قال الله تعالىٰ : ولا ينفقون الا وهم كارهون (التوبة : ٥٤).

٢ - ومن الأعراب من يتخذ ما ينفق مغرما ويتربص بكم الدوائر عليهم دائرة السوءِ والله سميع عليم (التوبة : ٩٨).

العنوان السادس : عقوبة ترك الإنفاق وكونه من أوصاف أهل الكفر والنفاق.

١ - قال الله تعالىٰ : ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة ولله ميراث السموات والارض والله بما تعملون خبير (آل عمران : ١٨٠).

وورد في كيفية التطويق انه يكون شجاعاً أقرع له زبيبتان. والبخل هو ترك الإنفاق ففي مواضعه الواجبة.

٢ - والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوىٰ بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون

(التوبة : ٣٤، ٣٥).

هذا نوع من العذاب العظيم منكر بسبب ترك الإنفاق الواجب.

٣ - الذين يبخلون ويامرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله واعتدنا للكافرين عذابا مهيناً (النساء : ٣٧).

في هذه الآية أن البخل من اوصاف الكفرة ولهم عذاب مع الإهانة والتذليل.

٤ - واذا قيل لهم انفقوا مما رزقكم الله قال الذين كفروا للذين آمنوا أنطعم من لو يشاء الله اطعمه ان انتم الا في ضلال مبين (يس : ٤٧).

أنطعم من لو يشاء الله اطعمه ان انتم الا فى ضلال مبين (يس : ٤٧).

إشارة إلى أن هذا العذر الباطل فى ترك الإنفاق فى سبيل الله من أخلاق الكفرة المتمردة.

٥ - هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا (المنافقون : ٧).

فيها بيان المنع من الإنفاق على أهل الإيمان هم المنافقون ولايضرونهم شيئاً.

العنوان السابع : ذكر الإنفاق بصيغة الأمر.

والأصل الثابت : أن الأمر المطلق للإيجاب إلا اذا صرف عنه صارف. فالله تعالىٰ ذكر الإنفاق فى سبيله بصيغة الأمر للإيجاب.

١ - قال الله تعالىٰ : وانفقوا فى سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة واحسنوا ان الله يحب المحسنين (البقرة : ١٩٥).

٢ - يا أيها الذين آمنوا انفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتى يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة والكافرون هم الظالمون (البقرة : ٢٥٤).

٣ - يا أيها الذين آمنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض (البقرة : ٢٦٧).

٤ - انفقوا مما رزقناكم من قبل ان يأتى احدكم الموت فيقول رب لولا اخرتنى الى أجل قريب فاصدق واكن من الصالحين (المنافقون : ١٠).

٥ - آمنوا بالله ورسوله وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فالذين آمنوا منكم وانفقوا لهم اجر كبير (الحديد : ٧).

٦ - فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا واطيعوا وانفقوا خيرا لأنفسكم ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون (التغابن : ١٦).

العنوان الثامن : ذكر المصارف.

شرعاً.

قال الله تعالىٰ : وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب (البقرة : ١٧٧).

٢ - يسألونك ماذا ينفقون قل ما أنفقتم من خير فللوالدين والاقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل وما تفعلوا من خير فان الله به عليم (البقرة : ٢١٥).

٣ - للفقراءِ الذين احصروا فى سبيل الله لا يستطيعون ضرباً فى الارض يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس الحافاً وما تنفقوا من خير فان الله به عليم (البقرة : ٢٧٣).

٤ - انما الصدقات للفقراءِ والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم (التوبة : ٦٠).

●●●●●●

تتمة المقصد الأول

فيها تفصيل الفرق التى رد عليها القرآن الكريم

إعلم أن معظم الفرق التى رد عليها الله فى القرآن وسماهم ستة :

المشركون واليهود والنصارىٰ والصابئون والمجوس والمنافقون.

أما المشركون والصابئون فقد مر ذكرهم تفصيلاً فى بحث أصناف المشركين فلا نعيده.

وأما اليهود والنصارىٰ وان كان بعض ذكرهم فى تشريح لفظ الإبن والولد. ولكن الضرورة داعية الى ذكرهم التفصيلى. وكذا المجوس والمنافقون. فإنى أذكر خبائث تلك الفرق التى ذكرها القرآن الكريم. والغرض من ذكرها علم حقيقتهم والتحذير عما ارتكبوا من القبائح

والفضائح والمثالب والمعايب.

البحث الأول: فى الرد على اليهود وذكر قبائحهم

إنك تدرى أن الإلتزام فى هذا الكتاب بيان نهج القرآن الكريم فى شان هؤلاءِ المعاندين فلذا نتلو عليك الآيات الدالة على معائب اليهود ونعد على حسبها تلك القبائح.

قال الله تعالىٰ: فى سورة البقرة:

ثم اتخذتم العجل من بعده وانتم ظالمون (٥١، ٩٢).

واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وانتم تنظرون (٥٥). وما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم يظلمون (٥٧).

فبدل الذين ظلموا قولاً غير الذى قيل لهم فانزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماءِ بما كانوا يفسقون (٥٩).

واذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الارض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها قال اتستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير اهبطوا مصراً فان لكم ما سألتم وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباؤا بغضب من الله ذلك بانهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون (٦١).

ثم توليتم من بعد ذلك فلولا فضل الله عليكم ورحمته لكنتم من الخاسرين (٦٤).

ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم فى السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين (٦٥).

واذ قال موسى لقومه ان الله يأمركم ان تذبحوا بقرة قالوا ا تتخذنا هزواً قال اعوذ بالله أكون من الجاهلين (٦٧).

فذبحوها وما كادوا يفعلون (٧١)

فذبحوها وما كادوا يفعلون (٧١)

واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون (٧٢).

ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهى كالحجارة أو اشد قسوة (٧٤).

أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون (٧٥)

واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلا بعضهم الى بعض قالوا أتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به عند ربكم أفلا تعقلون (٧٦).

ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب الا أما أمانى وان هم الا يظنون (٧٨).

فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون (٧٩).

وقالوا لن تمسنا النار الا أياما معدوة قل أتخذتم عند الله عهداً فلن يخلف الله عهده أم تقولون على الله ما لا تعلمون (٨٠).

ثم توليتم الا قليلاً منكم وانتم معرضون (٨٣).

ثم أنتم هؤلاءِ تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقاً منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالإثم والعدوان وان يأتوكم أسارىٰ تفادوهم وهو محرم عليكم اخراجهم أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من من يفعل ذلك منكم الا خزى فى الحيوة الدنيا ويوم القيامة يردون الى اشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون (٨٥).

أولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون (٨٦).

أفكلما جائكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقاً كذبتم وفريقا تقتلون (٨٧).

وقالوا قلوبنا غلف بل لعنهم الله بكفرهم فقليلاً ما يؤمنون (٨٨).

فلما جائهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين (٨٩).

بسئما اشتروا به أنفسهم ان يكفروا بما أنزل الله بغيا ان ينزل الله من فضله علـى مـن يشـاء مـن عبـاده فباؤا بغضب على غضب وللكافرين عذاب مهين (٩٠).

واذا قيـل لهـم آمنـوا بـما أنزل الله قالوا نؤمن بما أنزل علیناويكفرون بما ورائـه وهـو الـحق مصدقاً لما معهم قل فلم تقتلون أنبياء الله من قبل ان كنتم مؤمنين (٩١).

ولن يتمنوه أبداً بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين (٩٥).

واشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم قل بئسمايأمركم به ايمانكم ان كنتم مؤمنين (٩٣).

ولتجـدنهـم أحـرص الـناس على حياة ومن الذين اشركوا يود احدهم لو يـعـمر الف سنة وما هو بمزحزحه من العذاب ان يعمر والله بصير بما يعملون (٩٦).

قـل مـن كـان عـدوا لجبرئيل فانه نزله على قلبك باذن الله مصدقا لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين (٩٧).

أو كلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم بل أكثرهم لا يؤمنون (١٠٠).

ولما جائهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون (١٠١).

واتبعـوا مـا تـتـلـو الشيـاطيـن عـلى ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشيـاطيـن كـفـروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت ومـاروت ومـا يـعـلمان من احد حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منـهـما ما يفرقون به بين المرءِ وزوجه وما هم بضارين به من أحد الا باذن الله ويتـعـلـمون ما يضرهم ولا ينفعهم ولقد علموا لمن اشتراه ماله في الآخرة من

مـايـود الـذيـن كـفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم من خير من ربكم والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم (١٠٥).

أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل (١٠٨).

ود كثير مـن أهـل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفاراً حسدا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق (١٠٩).

وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارىٰ تلك أمانيهم (١١١).

وقـالـت اليهـود ليست النصارى على شئ وقالت النصارى ليست اليهود على شئ وهم يتلون الكتاب كذلك قال الذين يعلمون مثل قولهم (١١٣).

وقالوا اتخذ الله ولداً سبحانه (١١٦).

ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل ان هدى الله هو الهدى (١٢٠).

وقالوا كونوا هوداً او نصارى تهتدوا قل بل ملة ابراهيم حنيفاً وما كان من المشركين (١٣٥)

قل أتحاجوننا فى الله وهو ربنا وربكم (١٣٩).

أم تـقـولون إن ابراهيم واسمعيل واسحاق ويعقوب والاسباط كانوا هوداً او نصارىٰ قل أأنتم أعلم أم الله (١٤٠).

سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها (١٤٢).

ولـئـن اتيـت الـذيـن أوتـوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك وما أنت بتابع قبلتهم وما بعضهم بتابع قبلة بعض (١٤٥).

وان فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون (١٤٦).

إن الـذيـن يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس فى الكتاب أولئك يلعنهم الله و يلعنهم اللاعنون (١٥٩).

إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمناً قليلاً أولئك ما

إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمناً قليلاً أولئك ما يأكلون فى بطونهم الا النار (١٧٤).

ألم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم (٢٤٣).

ألم تر الى الملأ من بنى اسرائيل من بعد موسى اذ قالوا النبى لهم ابعث لنا ملكاً نقاتل فى سبيل الله (الى قوله) فلما كتب عليهم القتال تولوا الا قليلاً منهم والله عليم بالظالمين (٢٤٦).

وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكاً قالوا أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعةً من المال (٢٤٧).

فاعلم أن فى هذه الآيات **من سورة البقرة** إحدىٰ وسبعين قباحة من قبائح اليهود واثنى عشر نوعاً من أنواع العذاب النازل عليهم.

تفصيل القبائح

١ – اتخاذ العجل إلهاً

٢ – سؤالهم رؤية الله تعالىٰ

٣ – الظلم على أنفسهم بالخيانة فى نعمتى المن والسلوىٰ

٤ – تبديل القول الشرعى

٥ – الفسق

٦ – عدم الصبر على نعمتى المن والسلوىٰ

٧ – الكفر بآيات الله

٨ – قتل الأنبياءِ

٩ – العصيان

١٠ – الإعتداء عن حدود الله

١١ – التولى عن إيفاءِ العهد بالكتاب

١٢ - التحيل فى السبت وفيه تحليل الحرام بالحيلة

١٣ - جعل أمر الله والرسول هزواً

١٤ - عدم الإمتثال لأمر الله بالحيل

١٥ - قتل النفس بغير الحق

١٦ - إتهام البرئ بالتدارئ

١٧ - الجهل بالكتاب

٢١ - إتباع الظن فى العقائد

٢٢ - التحريف اللفظى باختراع الكتاب من عند أنفسهم

٢٣ - نسبة الكذب الى الله تعالىٰ

٢٤ - إشتراء الثمن القليل أى متاع الدنيا بالمسائل المخترعة

٢٥ - إدعاء النجاة عن مس النار مع ارتكاب الكفر والشرك

٢٦ - التقول على الله تعالىٰ

٢٧ - التولى والإعراض عن إيفاءِ العهود بالتوحيد والأحكام الإلهية

٢٨ - القتال فى ما بينهم

٢٩ - إخراج أمثالهم عن ديارهم

٣٠ - التظاهر والتعاون بالإثم والعدوان

٣١ - الإيمان ببعض الكتاب والكفر بالبعض

٣٢ - إشتراء الحياة الدنيا بالآخرة

٣٣ - الإستكبار عما لا يوافق أهوائهم فى شرع الأنبياءِ

٣٤ - تكذيب الأنبياءِ

٣٥ - قولهم : قلوبنا غلف أى مغطاة بالغلاف لا تفقه بما يقول أهل الحق. أو أوعية لكل علم فلا نحتاج الى علم الأنبياءِ

٣٦ - عدم الإيمان الا قليلاً

٣٨ – اشتراء الأنفس أى بذلها وإهلاكها بالكفر بما أنزل اللّٰه

٣٩ – البغى و العناد فى الحق

٤٠ – إدعاء الإيمان بكتابهم مع الكفر بغيره وان كان حقاً

٤١ – إشراب محبة العجل فى القلوب

٤٢ – عدم قبول دعوة المباهلة.

٤٣ – الحرص على الحياة الدنيا.

٤٤ – التمنى بكثرة العمر.

٤٥ – العداوةلجبرئيل.

٤٦ – نبذ العهود.

٤٧ – عدم الإيمان بالعهود.

٤٨ – نبذ كتاب اللّٰه تعالىٰ وراء ظهورهمْ.

٤٩ – إتباع السحر.

٥٠ – التفريق بالسحر بين الزوجين.

٥١ – تعلم ما يضرهم فى الدين.

٥٢ – شراء النفوس بالأمر المنكر.

٥٣ – عدم ودادهم نزول الخير.

٥٤ – الإعتراض على الأنبياءِ.

٥٥ – صرف الجهد لارتداد الناس بعد الإيمان.

٥٦ – إدعاء تخصيص الجنة لأهل دينهم فقط.

٥٧ – تكذيب الحق فيما بينهم.

٥٨ – عقيدة إتخاذ الولد للّٰه تعالىٰ.

٥٩ – عدم رضاهم سوى اتباع ملتهم وان كان باطلاً.

٦٠ – الدعوة الى دينهم الباطل.

٦١ – الإشراك بالله تعالىٰ.

٦٢ – الإحتجاج والجدل فى توحيد الله تعالىٰ.

٦٣ – نسبة الأنبياءِ الى اليهودية والنصرانية.

٦٤ – سفاهتهم بالإعتراض على الأنبياءِ والصحابة رضى الله عنهم.

٦٥ – وعدم اتباع القبلة الحقة عناداً.

٦٦ – التعاند والتضاد فى مابينهم.

٦٧ – كتمان الحق.

٦٨ – إشتراء الدنيا بسبب الكتمان.

٦٩ – إظهار الجبن عن الجهاد.

٧٠ – التولى عن القتال.

٧١ – التنقيد والجرح على الله بإنتخاب الملك.

تفصيل أنواع العذاب

١ – إنزال الصاعقة.

٢ – إنزال الرجز.

٣ – ضرب الذلة والمسكنة.

٤ البوء بغضب الله.

٥ – مسخهم قردةً.

٦ – الويل لهم ثلث مرات.

٧ – الخزى لهم فى الحياة الدنيا.

٨ – الرد الى أشد العذاب يوم القيامة.

٩ – عدم تخفيف العذاب وعدم النصرة.

١٠ – إنزال اللعنة عليهم.

١١ – البوء بكثرة الغضب.

١١ - البوء بكثرة الغضب.

١٢ - إهانة العذاب الأليم.

والأيات من سورة آل عمران :

قال الله تعالىٰ : وما اختلف الذين أوتوا الكتاب الا من بعد ما جائهم العلم بغيا بينهم (١٩).

إن الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب اليم (٢١).

أولئك الذين حبطت أعمالهم فى الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين (٢٢).

ألم تر الى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولىٰ فريق منهم وهم معرضون (٢٣)

ذلك بأنهم قالوا لن تمسنا النار الا أياما معدودات وغرهم فى دينهم ما كانوا يفترون (٢٤).

ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين (٥٤).

يا أهل الكتاب لم تحاجون فى ابراهيم وما أنزلت التوراة والإنجيل الا من بعده افلا تعقلون (٦٥).

هاأنتم هؤلاءِ حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم والله يعلم وأنتم لاتعلمون (٦٦).

ودت طائفة من أهل الكتاب لويضلونكم وما يضلون الا أنفسهم وما يشعرون (٦٩).

يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله وأنتم تشهدون (٧٠).

يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون (٧١).

وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذى أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون (٧٢).

ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم قل ان الهدى هدى الله أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم او يحاجوكم عند ربكم (٧٣).

ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده اليك ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده اليك الا ما دمت عليه قائماً ذلك بأنهم قالوا ليس علينا فى الأميين سبيل ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون وان منهم لفريقاً يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون (٧٨).

قل يا أهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجاً وأنتم شهداء وما الله بغافل عما تعملون (٩٩).

يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين (١٠٠).

ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم (١٠٥). ولو آمن أهل الكتاب لكان خيراً لهم منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون (١١٠).

لن يضروكم الا أذى وان يقاتلوكم يولوكم الأدبار ثم لا ينصرون (١١١). ضربت عليهم الذلة اينما ثقفوا الا بحبل من الله وحبل من الناس وباؤا بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الأنبياء بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون (١١٢).

لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء سنكتب ماقالوا

(١٨١)

الذين قالوا إن الله عهد الينا أن لا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله

الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا أذى كثيراً (١٨٦).

وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون (١٨٧).

لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب اليم (١٨٨).

إعلم أن في هذه الآيات من سورة آل عمران ذكر اليهود وأن لهم سبعة أنواع من العقاب :

١ - العذاب الأليم.

٢ - حبط أعمالهم بالكلية.

٣ - العذاب العظيم.

٤ - ضرب الذلة عليهم.

٥ - إنزال الغضب من الله.

٦ - إلزام المسكنة.

٧ - عدم المفازة من العذاب.

وأربعين من معايبهم كما هي ظاهرة مما كتبنا من الآيات فانظر وتأمل فيها، ولا حاجة الى التفصيل لخوف التطويل.

والآيات من سورة النساءِ :

قال الله تعالىٰ : ألم ترالى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يشترون الضلالة ويريدون أن تضلوا السبيل (٤٤).

والله اعلم بأعدائكم وكفى بالله ولياً وكفى بالله نصيراً (٤٥).

ومن الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع وراعنا ليابألسنتهم وطعنا في الدين ولو أنهم قالوا سمعنا وأطعنا واسمع وانظرنا لكان خيراً لهم وأقوم ولكن لعنهم الله بكفرهم فلا

يؤمنون الا قليلاً (٤٦).

ألـم تر الى الذين يزكون أنفسهم بل الله يزكى من يشاء ولا يظلمون فتيلاً (٤٩). انظر كيف يفترون على الله الكذب وكفى به اثما مبيناً(٥٠).

ألـم تـر الـى الـذيـن أوتـوا نـصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاءِ أهدى من الذين آمنوا سبيلاً (٥١).

أم لهم نصيب من الملك فاذا لا يؤتون الناس نقيراً ٥٣).

أم يـحسـدون الـنـاس عـلـى مـا آتـاهم الله من فضله فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكاً عظيماً (٥٤).

فمنهم من آمن به ومنهم صد عنه وكفى بجهنم سعيراً (٥٥).

إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلاً (١٥٠).

أولئك هم الكافرون حقاً وأعتدنا للكافرين عذاباً مهيناً (١٥١).

يسـألك أهـل الـكتـاب أن تنزل عليهم كتاباً من السماءِ فقد سألوا موسىٰ أكبـر مـن ذلك فـقـالـوا أرنـا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة بظلمهم ثم اتخذوا الـعـجـل من بعد ما جاءتهم البينات فعفونا عن ذلك وآتينا موسى سلطاناً مبيناً (١٥٣).

فبـما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون الا قليلاً (١٥٥).

وبكفرهم وقولهم على مريم بهتاناً عظيماً (١٥٦).

وقولهم : انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم الآية (١٥٧).

فبـظـلـم مـن الـذيـن هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيراً (١٦٠).

واخـذهـم الـربـا وقـد نهـوا عـنـه وأكـلهـم أمـوال الناس بالباطل واعتدنا

للكافرين منهم عذاباً اليماً (١٦١).

إعلم أن فى هذه الآيات ذكر من قبائح اليهود خمساً وثلثين بحذف التكرار. فانظر فى الآيات التى قدمنا.

وذكر من أنواع العذاب سبعة: اللعنة وجهنم السعير والعذاب المهين ونزول الصاعقة والطبع على القلوب وتحريم الطيبات عليهم والعذاب الأليم.

والآيات من سورة المائدة:

قال الله تعالىٰ: فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظاً مما ذكروا به ولا تزال تطلع على خائنة منهم الا قليلاً منهم (١٣).

يا أهل الكتاب قد جائكم رسولنا يبين لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير (١٥).

وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلق (١٨).

قالوا يا موسىٰ ان فيها قوما جبارين وانا لن ندخها حتى يخرجوا منها فان يخرجوا منها فانا داخلون (٢٢).

قالوا يا موسىٰ انا لن ندخلها أبدا ما داموا فيها فاذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون (٢٤).

ولقد جائتهم رسلنا بالبينات ثم إن كثيرا من الناس بعد ذلك فى الارض لمسرفون (٣٢).

يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم ومن الذين هادوا سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين لم يأتوك يحرفون الكلم من بعد مواضعه يقولون ان أوتيتم هذا فخذوه وان لم تؤتوه فاحذروا ومن يرد الله فتنته فلن تملكِ له من الله شيئاً أولئك

وان لـم تـؤتـوه فـاحـذروا ومـن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئاً أولئك الـذيـن لـم يرد الله أن يطهر قلوبهم لهم فى الدنيا خزى ولهم فى الآخرة عذاب عظيـم (٤١).

سماعون للكذب أكالون للسحت (٤٢).

وكيف يـحكموك وعندهم التوراة فيها حكم الله ثم يتولون من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين (٤٣).

يـا أيهـا الـذيـن آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعباً من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار اولياء (٥٧).

واذا نـاديتـم الـى الـصـلاة اتخذوها هزواً ولعباً ذلك بأنهم قوم لا يعقلون (٥٨). قـل يـا أهـل الـكتاب هل تنقمون منا الا ان آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل من قبل وأن أكثرهم فاسقون (٥٩).

قـل هـل أنبـئـكـم بشـر مـن ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجـعـل مـنهـم الـقردة والخنازير وعبد الطاغوت أولئك شر مكانا وأضل عن سواءِ السبيل (٦٠).

واذا جـاؤكـم قـالـوا آمنا وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به والله أعلم بما كانوا يكتمون (٦١).

وتـرى كثيرا منهم يسارعون فى الإثم والعدوان وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يعملون (٦٢).

لـولا يـنهـاهـم الربانيون والأحبار عن قولهم الإثم وأكلهم السحت لبئس ماكانوا يصنعون (٦٣).

وقـالـت اليهـود يـد الله مـغـلـولة غـلـت أيـديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسـوطتان ينفق كيف يشاء وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل اليك من ربك طغياناً وكفراً والقينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة كلما أوقدوا ناراً للحرب

قل يا أهل الكتاب لستم على شئ حتى تقيموا التوراة والإنجيل وما أنزل اليكم من ربكم (٦٨).

كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون (٧٩).

لتجدن اشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا (٨٢).

واذ كففت بنى اسرائيل عنك اذ جئتهم بالبينات فقال الذين كفروا منهم ان هذا الا سحر مبين (١١٠).

إعلم أن فى هذه الآيات ذكر من معايب اليهود خمساً وأربعين المذكورة فى تلك الآيات. وذكر من أنواع العقوبات سبعة: اللعنة، وقساوة القلب، والخزى فى الدنيا، والعذاب الأليم فى الآخرة، وإنزال الغضب ومسخهم قردة وخنازير والقاءِ العداوة والبغضاءِ يوم القيامة.

والآيات من سورة الأعراف :

قال الله تعالىٰ : واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا له خوار ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلاً اتخذوه وكانوا ظالمين (١٤٨). فبدل الذين ظلموا قولاً غير الذى قيل لهم فارسلنا عليهم رجزاً من السماءِ بما كانوا يظلمون (١٦٢).

واسئلهم عن القرية التى كانت حاضرة البحر اذ يعدون فى السبت اذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعاً ويوم لا يسبتون لا تأتيهم كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون (١٦٣).

فلما نسوا ما ذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوءِ وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون (١٦٥).

فلما عتوا عما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين (١٦٦).

فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى ويقولون سيغفر لنا وان يأتهم عرض مثله يأخذوه.

ويقولون سيغفر لنا وان يأتهم عرض مثله يأخذوه.

فـي هـذه الآيـات ذكر من قبائح اليهود إحدى عشرة المرقومة ومن أنواع الـعـذاب أربـعة إرسـال الرجز من السماءِ - الأخذ بالعذاب البئيس ومسخهم قردة وخسؤهم.

والآيات من سورة التوبة :

قـاتـلـوا الـذيـن لا يـؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسـوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون (٢٩).

وقـالـت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون (٣٠).

اتـخـذوا أحبـارهـم ورهبـانهـم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا الا ليعبدوا الهاً واحداً الا اله الا هو سبحانه عما يشركون (٣١)

يـريـدون ان يـطـفـئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون (٣٢).

يـا أيهـا الـذيـن آمـنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بـالبـاطل ويصدون عن سبيل الله والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقوها في سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم (٣٤).

ففي هذه الآيات ذكر من معايب اليهود اثنا عشر كما تظهر من الآيات.

ومـن أنـواع العذاب أربعة : إعطاء الجزية والصغار والدعاء عليهم بالقتال من الله تعالىٰ والعذاب الأليم.

والآيات من سور مختلفة :

قـال الله تـعـالىٰ : ولقد بوّأنا بني اسرائيل مبوّأ صدق ورزقناهم من الطيبات فما اختلفوا حتى جاءهم العلم (يونس : ٩٣).

فيها ان الاختلاف بعد العلم من قبائح اليهود.

إنما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه وان ربك ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون (النحل : ١٢٤).

العدول من الجمعة الى السبت بسبب الأختلاف من قبائحهم.

وقضينا الى بنى اسرائيل فى الكتاب لتفسدن فى الأرض مرتين ولتعلن علوا كبيراً (الاسراء : ٤).

فى هذه الآية أنهم من أهل الفساد بمخالفة الشريعة ومن أهل العلو والظلم بسبب افساد حقوق العباد.

قال فانا قد فتنا قومك من بعدك وأضلهم السامرى (طه : ٨٥).

قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع الينا موسىٰ (طه : ٩١).

فى الأية الأولى : اضلال السامرى إياهم وفى الثانية العكوف على العجل ومخالفتهم نبى الله هارون عليه السلام :

إن قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم (القصص : ٧٦).

قال إنما أوتيته على علم عندى (القصص : ٧٨).

فخرج على قومه فى زينته (القصص : ٧٩)

فى هذه الآيات من قبائح واحد منهم (وهو قارون) البغى والتكبر بعلمه والخروج فى الزينة والمشى تبختراً.

وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم وقذف فى قلوبهم الرعب فريقا تقتلون وتأسرون فريقاً (الاحزاب : ٢٦).

فيها أنهم يظاهرون ويعاونون الكفرة المشركين بمعاندة أهل الإيمان.

وآتيناهم بينات من الأمر فما اختلفوا الا من بعد ما جائهم العلم بغيا بينهم ان ربك يقضى بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون (الجاثية : ١٧).

وهذه القبيحة مرت مكررة.

ظننتم أن يخرجوا وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدى المؤمنين فاعتبروا يا أولى الأبصار (الحشر : ٢).

ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاق الله فان الله شديد العقاب (الحشر : ٤).

فى الأية الأولىٰ : بيان كفرهم وظنهم ان حصونهم مانعتهم من الله. وبيان أنواع العذاب عليهم : من إخراجهم وقذف الرعب فى قلوبهم وتخريب بيوتهم بأيديهم.

وفى الثانية : بيان شقاقهم مع الله ورسوله.

واذ قال موسى لقومه يا قوم لم تؤذوننى وقد تعلمون أنى رسول الله اليكم فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم والله لا يهدى القوم الفاسقين (الصف : ٥).

فيها أنهم كانوا يؤذون نبيهم موسىٰ عليه السلام وكانوا من أهل الزيغ وصفا وعذاباً. مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفاراً بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله والله لا يهدى القوم الظالمين (الجمعة : ٥).

ولا يتمنونه أبداً بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين (٧).

فى هاتين الآيتين ذكر من قبائحهم أنهم مثل الحمر لا يعلمون ولا ينتفعون بعلمهم وأنهم لا يتمنون الموت للحرص على العمر.

لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة (البينة : ١).

وما تفرق الذين أوتوا الكتاب الا من بعد ما جائتهم البينة (٤).

فى هاتين الآيتين ذكر من قبائحهم انفكاكهم بعد البينة وتفرقهم بعد مجئ البينة.

مجئ البينة.

تم بحث قبائح اليهود وذكر أنواع العذاب عليهم.

******

البحث الثانى: فى ذكر
معايب النصارىٰ والزجر لهم فى القرآن الكريم
الآيات من سورة البقرة:

١ - قال الله تعالىٰ: وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هوداً او نصارىٰ تلك أمانيهم قل هاتوا برهان كم ان كنتم صادقين (١١١).

٢ - وقالت اليهود ليست النصارى على شئ وقالت النصارى ليست اليهود على شئ وهم يتلون الكتاب (١١٣)

٣ - وقالوا اتخذ الله ولداً سبحانه بل له ما فى السموات والأرض (١١٦).

٤ - وقالوا كونوا هوداً او نصارىٰ تهتدوا قل بل ملة ابراهيم حنيفاً وما كان من المشركين (١٣٥).

٥ - أم تقولون ان ابراهيم واسمٰعيل واسحق ويعقوب والاسباط كانوا هوداً او نصارىٰ قل ءأنتم أعلم أم الله ومن اظلم ممن كتم شهادة عنده من الله وما الله بغافل عما تعلمون (١٤٠)

٦ - ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل أية ما تبعوا قبلتك وما أنت بتابع قبلتهم وما بعضهم بتابع قبلة بعض (١٤٥).

فى الآية الأولىٰ: ادعاؤهم الجنة لأنفسهم بالأمانى الصرفة

وفى الثانية ابطال الحق وانكارهم ضداً ومعاندةً.

وفى الثالثة: انتسابهم الولد الى الله تعالىٰ.

وفى الرابعة: دعوتهم الى الدين الباطل أى النصرانية مخالفاً للدين

الباطل وكتمانهم الحق. وفى السادسة : تضادهم فى مابينهم فى أمر القبلة وعدم اتباع الدليل.

والآيات من سورة آل عمران :

١ - قال الله تعالىٰ : فمن حاجك فيه من بعد ماجائك من العلم فقل تعالوا ندع أبنائنا وأبناؤكم ونسائنا وأنفسنا وأنفسنا ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين (٦١).

٢ - يا أهل الكتاب لم تحاجون فى ابراهيم وما أنزلت التوراة والانجيل الا من بعده افلا تعقلون (٦٥).

٣ - هأنتم هؤلاءِ حاججتم فى مالكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم والله يعلم وأنتم لا تعلمون (٦٦).

فى الآية الأولى : دعوتهم الى المباهلة وإعلان أنهم كاذبون.

وفى الثانية : محاجتهم فى شان ابراهيم عليه السلام انه كان نصرانياً.

وفى الثالثة : محاجتهم بغير علم.

ومن سورة النساءِ :

قال الله تعالىٰ : يا أهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته القاها إلى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلثة انتهوا خيرا لكم (١٧١).

فى هذه الآية من معايبهم الغلو فى الدين، والتقول على الله بغير الحق، وعقيدة التثليث.

ومن سورة المائدة : قال الله تعالىٰ :

١ - ومن الذين قالوا انا نصارىٰ أخذنا ميثاقهم فنسوا حظاً مما ذكروا به فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة (١٤).

٢ - لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم (١٧، ٧٢).

٣ - وقالت اليهود والنصارىٰ نحن أبناؤ الله وأحباؤه (١٨).

٤ - لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلثة (٧٣).

٥ - قل أتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا والله هو السميع العليم (٧٦).

٦ - قل يا أهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواءِ السبيل (٧٧)

ففى الآية الأولى : نسيانهم حظا من كتاب الله وتعذيبهم باغراءِ العداوة والبغضاءِ.

وفى الآية الثانية : كفرهم بقولهم ان الله هو المسيح بالحلول والإتحاد كما هو المعروف أو بالتشكل، أو ان المتصرف هو المسيح بن مريم.

وفى الآية الثالثة : قولهم باننا أبناؤ الله وأحباؤه أى نحن معصومون ولا نعذب ولا نحاسب.

وفى الرابعة : كفرهم بعقيدة التثليث.

وفى الخامسة : اتخاذهم عيسىٰ وأمه معبودين من دون الله وهما مما لا يملكان نفعاً ولا ضراً. وفى السادسة : غلوهم فى الدين واتباعهم المضلين وضلال الآباءِ.

ومن سورة التوبة :

١ - قال الله تعالىٰ : وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون (٣٠).

٢ - اتخذوا أحبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما امروا الا ليعبدوا آلهاً واحدا لا اله الا هو سبحانه عما يشركون (٣١).

٣ - يريدون أن يطفئوا نور الله بافواههم ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو

٣ – يريدون أن يطفئوا نور الله بافواههم ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون (٣٢).

٤ – يا أيها الذين آمنوا إن كثيراً من الأحبار والرهبان ليأكلون اموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم (٣٤).

ففى الآية الأولى : قوله بأن المسيح ابن الله ومضاهاتهم قول الكفرة الطاغين السابقين.

وفى الثانية : إتخاذهم الأحبار والرهبان أربابا وكذا المسيح ابن مريم وكونهم مشركين.

وفى الثالثة : إرادتهم اطفاء نور الله تعالىٰ.

وفى الرابعة : ان احبارهم ورهبانهم يأكلون الاموال بالطريق الغير الشرعية من الحيل فى الدين أو بكتمان الحق ويصدون عن التوحيد واتباع الرسول الحق ويبخلون بمنع الزكوة والواجبات المالية.

ومن سورة مريم : قال الله تعالىٰ :

١ – ذلك عيسى بن مريم قول الحق الذى فيه يمترون (٣٤).

٢ – فاختلف الأحزاب من بينهم فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم (٣٧).

ففى الآية الأولى : امتراؤهم فى الحق.

وفى الآية الثانية : اختلافهم فى مابينهم اختلافاً فى العقائد والأصول.

ومن سورة الزخرف :

قال الله تعالىٰ : فاختلف الأحزاب من بينهم فويل للذين ظلموا من عذاب يوم اليم (٦٥).

فى هذه الآية ذكر الإختلاف كما مر فى سورة مريم مع بيان انهم ظالمون.

مستحقون للعذاب الأليم.

ومن سورة الحديد : قال الله تعالىٰ :

ثم قفينا على آثارهم برسلنا وقفينا بعيسى بن مريم وآتيناه الإنجيل وجعلنا فى قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم الا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايته فآتينا الذين آمنوا منهم اجرهم وكثير منهم فاسقون (٢٧).

فى هذه الآية ذكر من معايبهم : ابتداعهم الرهبانية وعدم رعاية مرضاة الله تعالىٰ (على تفسير) وكون كثيرهم فاسقين أى اعتقاداً.

تم بحث معايب النصارىٰ.

ثم اعلم : أن هذه القبائح المذكورة سابقاً فى اليهود والنصارى انتقلت الى هذه الأمة حسب تصديق ما أخبر به الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم : (لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً بشبر وذراعا بذراع حتى لودخلواجحر ضب تبعتموهم قيل يارسول الله ! اليهود والنصارى ؟ قال : فمن ؟ (متفق عليه) ورواه فى مشكوة المصابيح باب تغير الناس)

وصدق العلماء الراسخون السالفون حيث جعلوا الأحبار السوء من هذه الأمة شبه اليهود والعباد الجاهلين المبتدعين شبه النصارىٰ، وجعلوهم مصداقاً للآيات التى نزلت فى قبح اليهود والنصارىٰ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالىٰ فى كتاب (إقتضاء الصراط المستقيم) :

من أفسد من علمائنا ففيه شبه من اليهود ومن أفسد من عُبّادنا ففيه شبه من النصارى ص (٥).

وقال الإمام الرازى فى تفسير آية : (يا أيها الذين آمنوا ان كثيراً من الاحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله

ولعمري: من تأمل أحوال أهل الناموس والتزوير في زماننا وجد هذه الأبيات كأنها ما أنزلت إلا في شأنهم وفي شرح أحوالهم فترى الواحد منهم يدعي أنه لا يلتفت إلى الدنيا ولا يتعلق خاطره بجميع المخلوقات وأنه في الطهارة والعصمة مثل الملائكة المقربين حتى إذا آل الأمر إلى الرغيف الواحد يتهالك عليه ويتحمل نهاية الذل والدناءة في تحصيله

(التفسير الكبير: ٤١ - ٦١).

وقال الإمام ولي الله الدهلوي: فإن شئت أن ترى أنموذج اليهود فانظر إلى العلماء السوء من الذين يطلبون الدنيا وقد اعتادوا تقليد السلف وأعرضوا عن نصوص الكتاب والسنة وتمسكوا بتعمق عالم وتشدده واستحسانه فأعرضوا عن كلام الشارع المعصوم وتمسكوا بأحاديث موضوعة وتأويلات فاسدة كانت سبب هلاكهم (الفوز الكبير في أصول التفسير: ٩).

وقال أيضاً: وإن شئت أن ترى أنموذجاً لهذا الفريق (أي النصارى) فانظر إلى أولاد المشائخ الأولياء ماذا يظنون بآبائهم فتجدهم قد أفرطوا في إجلالهم كل الإفراط ص (١١).

وأقوال أهل الحق والتحقيق كثيرة لا نحصيها.

* * * * * *

المبحث الثالث: في ذكر علامات أهل النفاق وخبائثهم

القرآن الكريم ذكر معايب المنافقين بطول وكثرة بالنسبة إلى غيرهم لأنهم أعدى عدو لأهل الإيمان، لكون عداوتهم خفية وخباثتهم غريزة. ولطول هذا المبحث اكتفيت بذكر علاماتهم مع ذكر المأخذ برقم الآية فقط مع حذف التكرار:

فمن سورة البقرة: من (٨) إلى (١٦) فيها خمس عشرة من خبائثهم: الإيمان باللسان دون القلب، الخداع، عدم الشعور، مرض القلب

الإيمان باللسان دون القلب، الخداع، عدم الشعور، مرض القلب، الكذب عادة واستمرار، تسمية الفساد بالإصلاح مثل تسمية الشرك توحيداً والبدعة سنة، الإفساد، تسفيه أهل الحق، عدم العلم بالسفاهة وهو الجهل المركب، معية الشياطين الأنسية، الإستهزاء بأهل الإيمان، العمه والطغيان، إشتراء الضلالة بالهداية، عدم الإهتداء.

ومن سورة آل عمران: من (١١٨) إلى (١٢٠) ومن (١٥٤) إلى (١٦٨) فيها سبعة عشر من قبائحهم:

عدم قصورهم في خبال المؤمنين، مودتهم عنت أهل الإيمان، التفوه بالبغضاء، إخفاء الحقد الأكبر في الصدور، عدم المحبة بأهل الإيمان، عض الأنامل من الغيظ، المساءة بحسنة أهل الإيمان، الفرح بإصابة السيئة إليهم، هم أنفسهم، الظن بالله غير الحق، الإخفاء خلاف الإبداء، استعمال كلمة لو بمقابلة التقدير، التعييب على أخوة الشهداء في سبيل الله، إعتراضهم على الله بإصابة المصيبة، جهلهم بالقتال، التقرب على الكفر، القول خلاف ما في القلوب.

ومن سورة النساء:

من (٣٧) ومن (٦٠) إلى (٦٦ - ٧٧ - ٧٨ - ٨١ - ٨٢ - ٨٣ - ٨٨ - ٨٩ - ٩٠ - ٩١) ومن (١٠٧) إلى (١١٤) ومن (١٣٧) إلى (١٤٣)

فيها ثلاثون من معايبهم: البخل بالمال وبالعلم وأمر الناس بالبخل وكتمان فضل الله، الإنفاق رئاء الناس، عدم الإيمان بالله واليوم الآخر، التحاكم إلى الطاغوت مع ادعاء الإيمان، صدودهم عن كتاب الله واتباع الرسول، الحلف بالكذب، الخشية من الناس، عدم الرضاء بأمر القتال في سبيل الله، نسبة السيئة تطيراً إلى الرسول، عدم قناعتهم بحديث الله، التبييت بخلاف قول الرسول، عدم تدبرهم في القرآن، إذاعة الأمور من غير إذن الرسول وأولي

العلم، اركاسهم بأعمالهم، مودتهم ارتداد الناس، الإركاس فى الفتنة، خيانة الأنفس، الإستخفاء من الناس لامن اللّٰه تعالىٰ، التبييت بما لايرضى من القول، همهم بإضلال الرسول، إضلال أنفسهم، الإنتقال من الإيمان الى الكفر وبالعكس مراراً، إتخاذ الكفار بالولاية، ابتغاء العزة من الكفار، التربص بأحوال المؤمنين، القيام، إلىٰ الصلاة بالتكاسل، قلة ذكر اللّٰه، التذبذب بين الفريقين.

ومن سورة المائدة : فى (٤١- ٥٢ - ٨٠ - ٨١).

فيها من عيوبهم أربعة : المسارعة فى الكفر فى موالاة الكفرة، خشية إصابة الدائرة، حلفهم باللّٰه بأنهم معكم، فسقهم.

وفى سورة الإنفال : فى (٤٩) ذكر من صفاتهم صفة واحدة وهى قولهم فى شان أهل الإيمان غرهم دينهم.

ومن سورة التوبة : من (٣٨) الى (١٠١،١٠٧ - ٢٥،١٢٦).

فيها من علامات نفاقهم خمس وسبعون :

التثاقل الى الارض وقت الأمر بالتنفير، الرضاء با لحيوة الدنيا من الآخرة، اتباع الرسول وقت سهولة المال وقرب السفر، الإستئذان عن القتال، ارتياب القلوب، التردد عدم ارادة الجهاد، اخبال المؤمنين، النميمة بين أهل الإيمان، ابتغاء الفتنة، التجسس، عدم الإعداد للجهاد، تقليب الأمور بمخالفة الرسول، كراهتهم ظهور أمر اللّٰه تعالىٰ، ظنهم أن فى اتباع النبى فتنة، سقوطهم فى الفتنة، مسائتهم وقت إصابة الحسنة للنبى، الفرح بتدبيرهم وقت إصابة المصيبة للنبى صلى اللّٰه عليه وسلم، عدم قبولية نفقاتهم، كفرهم باللّٰه والرسول، كراهة الإنفاق، تعذيبهم بكثرة الأموال والأولاد، موتهم على الكفر، خوفهم من المؤمنين، جبنهم وفرارهم الى المغارات وغيرها، اللمز والتعييب على النبى فى تقسيم الصدقات، الرضاء وقت الإعطاءِ لهم والسخط وقت عدم الإعطاءِ، الأذىٰ للنبى بقولهم : هو أذن، إرضاء الناس وترك إرضاء

الله تعالىٰ والرسول، حذرهم وقت نزول القرآن، الإستهزاء بالله والرسول والآيات، الأمر بالمنكر، النهى عن المعروف، قبض الأيدى عن الإنفاق والطاعة، نسيانهم الله تعالىٰ، الإستماع بالخلاق، الخوض مثل السابقين، نقمهم إغناء الله والرسول، نقض العهد، نفاق القلوب إلى الموت، اللمز بالمؤمنين، السخرية بهم، فرحهم بمخالفة رسول الله، كراهية الجهاد فى سبيل الله، منع الناس عن الجهاد، الرضاء بالقعود، عدم استحقاق الصلاة عليهم، الرضاء بمعية الخوالف، طبع القلوب، عمد فقههم ، المعاذير الكاذبة لترك الجهاد، رجسهم، عدم علمهم بحدود الله والرسول، اتخاذ الإنفاق مغرماً،تربص الدوائر بالمؤمنين، اتخاذ مسجد الضرار، التفريق بين المؤمنين، الإرصاد للمحاربين، ازدياد الرجس بنزول القرآن، عدم التوبة والتذكر.

ومن سورة النور :

من (١١) إلىٰ (٢٣) ومن (٤٧) إلىٰ (٥٠ - ٦٢ - ٦٣).

فيها من مثالبهم ثمانية : الإفك على عائشة رضى الله عنها، حب إشاعة الفاحشة، التولى عن إطاعة الرسول، الإعراض عن التحاكم إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، الإذعان للرسول وقت حصول الفائدة، ارتيابهم، خوفهم عن حيف الله ورسوله، التسلل والتلوذ.

وفى سورة العنكبوت : ذكر قبيحة واحدة من قبائحهم وهى جعلهم فتنة الناس مثل عذاب الله وقت الأذى فى الله.

ومن سورة الأحزاب :

من (١٢) إلى (٢٠) ذكر عيوبهم ثمانية :

جعلهم وعد الله والرسول غروراً، إرجاع المؤمنين عن موضع القتال، قولهم : إن بيوتنا عورة كاذباً، إرادة الفرار، الإتيان بالفتنة، الشح، الجبن، مودتهم الإقامة فى الإعراب خوف القتال.

فيها من أوصافهم القبيحة عشرة : عدم فهمهم ما قال الرسول، إتباع الأهواءِ، عدم تدبر القرآن، إقفال القلوب، الإرتداد بعد الهدى، إطاعة من كره ما أنزل الله، إتباع ما أسخط الله، كراهية رضوان الله، الضغن، لحن القول.

ومن سورة الفتح من (١١) إلى (١٦).

فيها من معايبهم ستة : الشغل بالأموال والأهل، ظن الهلاك بالنبى صلى الله عليه وسلم و الصحابة رضى الله عنهم في واقعة الحديبية، الظن السوء، الإنطلاق إلى الجهاد بإرادة الغنيمة، تبديل كلام الله، نسبية الحسد إلى النبى والصحابة رضى الله عنهم.

ومن سورة الحجرات : من (١٤) إلىٰ (١٧).

من نقائصهم إثنتان : دعوى الإيمان باللسان رياءً، الإمتنان على النبى صلى الله عليه وسلم بالإسلام.

ومن سورة المجادلة (٨) ومن (١٤) إلىٰ (٢١).

فيها من معايبهم ستة : التناجى بالإثم والعدوان، الولاية مع المغضوب عليهم، الصدّ عن سبيل الله، استحواذ الشيطان عليهم، حزب الشيطان، المحادة مع الله والرسول.

ومن سورة الحشر : من (١١) إلىٰ (١٤) فيها من قبائحهم خمس :

وعد الموافقة مع اليهود، النصرة معهم، الإختلاف والتنازع بينهم، تشتيت القلوب، عدم العقل.

ومن سورة المنافقين : من (١) إلىٰ (٨) : ذكر فيها من معايبهم تسعة :

كثرة الأيمان، سيئ الأعمال، سمن الأجسام المماثلة مع الخشب، حسبان الصيحة على أنفسهم ، لىّ الرأس عن الرسول، الإستكبار، المنع عن الإنفاق على أتباع الرسول، نسبة الأذلية إلى الرسول.

ومن سورة الماعون : من (٥) الى (٧) ذكر فيها من أوصافهم القبيحة

ثلثة : سهوهم عن الصلاة، الرياء بالأعمال، منع الماعون.

علامات النفاق التى ذكرت بحذف التكرار كلها مأتان وثلث ولا حصر فيها.

ولو تأمل متامل فى أحوال أكثر جهلاءِ زماننا لوجد هذه العلامات كلها فيهم بل وجدنا أكثرهم معتقدين بالعقائد الشركية. واذا نبهوا بالكتاب والسنة لا يتنبهون بل يسخرون ويكذبون ويفترون على أهل الحق بالإفتراءات التى تمجها أسماع العقلاءِ مع أنهم ينطقون بكلمتى الشهادة وعن معناها غافلون إنا لله وإنا اليه راجعون.

نبذة من أحوال المجوس

ذكر المجوس فى القرآن الكريم مرة واحدة فى سورة الحج (١٧) :

إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا إن الله يفصل بينهم يوم القيامة ان الله على كل شئ شهيد.

فنذكر فى معرفة المجوس ما كتبه أهل اللغة وما زبره العلماء المؤرخون.

قال فى المختار من صحاح اللغة : المجوس بالفتح نحلة (أى مذهب ادعائى) والمجوسى منسوب إليها، والجمع المجوس وتمجس الرجل صار منهم ومجسه غيره. وفى الحديث : فأبواه يمجسانه (٤٨٨).

وقال الفيروز أبادى : مجوس كصبور رجل صغير الأذنين وضع ديناً ودعا اليه معرب ميخ كوش رجل مجوسى مجوس كيهودى ويهود ومجسه تمجيسا صيره مجوسيا فتمجس والنخلة المجوسية (قاموس : ٢/٢٦٠).

وقال المفسر الآلوسى : المجوس هم على ما روى عن قتادة أيضاً : قوم يعبدون الشمس والقمر والنيران واقتصر بعضهم على وصفهم بعبادة الشمس والقمر وآخرون على وصفهم بعبادة النيران. وقيل : هم قوم اعتزلوا النصارى ولبسوا المسوح. وقيل : قوم أخذوا من دين النصارى شيئاً ومن دين اليهود شيئاً وهم قائلون بأن للعالم أصلين نوراً وظلمةً . وفى كتاب الملل والنحل للشهرستانى من الجلد الأول (٢٣٢) : ما حاصله : إنهم طوائف وأنهم كانوا قبل اليهود والنصارى وأنهم يقولون بالشرائع على خلاف الصابئة وأن لهم شبهة كتاب وأنهم يعظمون النار. وفيه أن بيوت النيران للمجوس كثيرة فأول بيت بناه أفريدون بيت نار بطوس وآخر بمدينة بخارى هوبر درسون. واتخذ بهمن بيتاً بسجستان يدعى كركو. ولهم بيت نار ببخارى أيضاً يدعى قبادان وبيت نار يسمى كونشه بين فارس وأصفهان بناه كيخسرو وآخر بقومش

يسمى جرير وبيت نار كيكدر بناه فى مشرق الصين وآخر بارجان من فارس اتخذه أرجان جد كشتاس.

وكل هذه البيوت كانت قبل زرداشت ثم جدد زرداشت بيت نار بئيسا بعد كشتاسف أن تطلب النار التى كان يعظمها جم فوجدوها بمدينة خوارزم فنقلها الى دار أبجرد والمجوس يعظمونها أكثر من غيرها وكيخسرو. ولما غزا أفراسياب عظمها وسجد لها ويقال إن انوشروان هو الذى نقلها الى كارشان فتركوا بعضها هناك وحملوا بعضها الى نسا وفى بلاد الروم على باب قسطنطينية بيت نار اتخذه شابور بن أزدشير فلم تزل كذلك الى أيام المهدى. وبيت نار باسفيثا على قرب مدينة السلام لبوران بنت كسرىٰ وفى الهند والصين بيوت نيران أيضاً.

والمجوس إنما يعظمون النار لمعان :

منها : أنها جوهر شريف علوى يظنون ان ذلك ينجيهم من عذاب نار يوم القيامة. ولم يدروا أن ذلك السبب الأعظم لعذابهم.

وذكر بعضهم أن مجوس معرب موكوش واطلق على أولئك القوم لانهم كانوا يرسلون شعور رؤسهم الى أذانهم. ونقل فى البحر أن الميم بدل من النون واطلق ذلك عليهم لاستعمالهم النجاسات وهو قول لا يعول عليه، انتهى (تفسير روح المعانى : سورة الحج : ١٧/١٢٩).

وقال الشهرستانى : إنهم ثلث طوائف :

١ - الكيومرثية

٢ - الزردانية

٣ - الزردشتية.

قال : اما الفريق الأول : فيقولون المبدأ الأول من الأشخاص كيومرث هو آدم عليه السلام ومعناه الحى الناطق وهم أثبتوا أصلين يزدان وأهرمن. وقالوا :

يـزدان أزلـي قديم، وأهرمن محدث مخلوق. وقالوا : إن سبب خلق أهرمن أن يـزدان فـكـر فـي نفسه أنه لو كان له منازع كيف يكون ؟ وهذه الفكرة كانت رؤية غيـر مـنـاسبة لـطبيعة النور فحدث الظلام من هذه الفكرة وسمى أهرمن، وكـان مـطبـوعـاً على الشر والفتنة والفساد والفسق والضرر والإضرار فخرج عـلـى الـنـور وخـالـفـه طبيعة وفعلاً وجرت محاربة بين عسكر النور وعسكر الظلمة ثم ان الملائكة توسطوا فصالحوا على أن يكون العالم السفلى خالصة لأهـرمن سبعة آلاف سنة، ثم يخلى العالم ويسلمه الى النور. والذين كانوا فى الـدنيـا قبـل الـصـلـح أبادهم وأهلكهم ثم بدأ برجل يقال له كيومرث وحيوان يـقـال لـه ثور، فقتلهما فنبت من مسقط الرجل ريباس وخرج من أصل ريباس رجل يسمى ميشه وامرأة تسمى ميشانه وهما أبو البشر ونبت من مسقط الثور الانعام وسائر الحيوانات.

وقـالـت الـفـرقة الثـانية الـزردانية : إن الـنـور أبدع أشخاصاً من نور كلها روحـانية نـورانية ربـانية ولكن الشيخ الأعظم الذى اسمه زوران شك فى شئ من الأشياءِ فحدث أهرمن الشيطان يعنى ابليس من ذلك الشخص.

والـفـرقة الثـالثة أصـحـاب زردشـت بـن يـورشب الذى ظهر فى زمـان كشتاسب بن لهراسب الملك وأبوه كان من أذربيجان وأمه من الريّ واسمها دغـدوية. زعـمـوا أن لهـم أنبياء وملوكاً أولهم كيو مرث وكان اول من ملك الأرض وكـان مـقـامـه بـاصـطـخر وبعده أشنهك بن فرادك ونزل أرض الهند وكـانت له دعوة ثمة وبعده طمهورث وظهرت الصابية فى اول سنة من ملكه وبـعـده أخـوه جـم الملك ثم بعده أنبياء وملوك منهم منوجهر نزل ببابل وأقام بهـا وزعـمـوا أن مـوسـىٰ عـلـيـه السلام ظهر فى زمانه حتى انتهى الملك الى كشتـاسـب بـن لهـراسب وظهر فى زمانه زرداشت الحكيم ويقولون : إن اللّه تـعالىٰ بعثه على رأس ثلثين سنة نبياً ورسولاً الى الخلق فدعا كشتاسب الملك

فـاجـابـه الـى ديـنـه و كان دينه عبادة الله و الكفر بالشيطان و الأمر بالمعروف والـنهـى عن المنكر و اجتناب الخبائث. وله كتاب قد صنفه وقيل: أنزل عليه وهو زند اوستا.

هـذا مـختـصـر مـاذكـره الشهـرستـانـى فى كتاب الملل والنحل. وذكر بـالتـفـصيـل مقالات زردشت فى المبادى وغيرها. فان شئت التفصيل فعليك بذلك الكتاب.

أقول: لـو تـفـكـر عـاقل فى عقائد طوائف المجوس و كذا من عرف الله سبحانه وتعالىٰ بجلاله و كبريائه لم يسمح بهذه الترهات عقله ولم يسمع مثل هذه الترهات سمعه. ولما كانت المجوس أبعد منزلاً من موضع نزول الكريم وعـقـائـدهـم وأقـوالهـم أبعد من مدارك العقل فلذا لم يذكرهم القرآن الكريم بالكثرة.

أعاذنا الله وأجارنا من جميع الفرق الخبيثة.

******

بسم الله الرحمن الرحيم

المقصد الثانى من المقاصد الثلاثة :

فى بيان الأمور التى تتعلق بفهم

كل سورة وهى مباحث الدعوىٰ والدلائل فى كل سورة.

أما بحث الدعوىٰ : فاعلم أن فى كل سورة يكون مقصد يحوم جميع آيات السورة حوله بطرق مختلفة وتجمع السورة. فلم لم يعلم مقصد كل سورة لاشكل فهمها كما لا يخفى و نسمى ذلك المقصد دعوى السورة وموضوعها. كما أن لكل علم موضوعاً يبحث فى ذلك العلم عن عوارضه الذاتية وإثباتها للموضوع أو كالمحور للكرة بأن مدارها على المحور كذلك مدار كل سورة على دعواها، أو كالحب والبذر للنبات والزرع والشجر بأن أثر ذلك الحب والبذر كما يظهر فى أصل الزرع والشجر وفى الأغصان والأوراق كذلك يكون ارتباط كل أية من السورة مع ذلك الدعوىٰ:

دعوى السورة ماهى ؟

ما يذكر لإثباتها الدلائل والتخويف للمنكرين والبشارة لمجيبها.

ودعوى السورة قد تكون مفردة وقد تكون متعددة.

مثال الأول : سورة (الكافرون) دعواها التبرئ عن الشرك وسورة (الإخلاص) دعواها تجريد التوحيد. وسورة (يس) دعواها الشفاعة القهرية.

ومثال الثانى : سورة البقرة وآل عمران دعواهما التوحيد وصدق الرسول والجهاد والإنفاق فى سبيل الله وسورة الأعراف دعواها التشجيع على التبليغ واتباع الكتاب والسنة ورد الشرك الإعتقادى. وسورة هود دعواها نفى الشرك فى العبادة ونفى الشرك فى العلم والتشجيع على التبليغ وتسلية النبى

صلى الله عليه وسلم.

أنواع الدعوىٰ :

الدعوىٰ في السور كلها وفق تحقيق مشائخنا الكرام ستة وعشرون نوعاً بحذف التكرار.

الأول : التوحيد :

وله تعبيرات مختلفة. وقد بيناها قبل فلا نعيدها فارجع.

والثاني : صدق الرسول.

كما في سورة البقرة (١١٩) وفي سورة الضحىٰ والماخذ (٣) وسورة الكوثر.

والثالث : صدق القرآن.

كما في سورة العلق (١) وفي سورة القدر (١).

والرابع : الإيمان بالآخرة.

وهي في سور كثيرة بعنوانات مختلفة. مثل سورة القيامة (٣).

والخامس : الجهاد في سبيل الله.

كما في سورة البقرة (١٩٠) وفي سورة الأنفال (٣٩) وسورة التوبة (١٤).

والسادس : الإنفاق في سبيل الله.

كما في سورة البقرة (٢٥٤) وفي سورة الحديد (٧).

والسابع : بيان الأمور الإنتظامية والآداب.

كما في سورة النساءِ وسورة الحجرات وسورة الطلاق.

والثامن : التشجيع.

كما في سورة الأعراف (٢) وسورة طه والقصص واقعة موسى عليه السلام.

والتاسع : التذكير بأيام الله تعالىٰ أى الوقائع الدنيوية والأخروية.

كما فى سورة ابراهيم (٥).

والعاشر : التخويف الدنيوى.

كما فى سورة الحجر (٤)

وكما فى سورة تبت الآية الأولىٰ وسورة الفيل.

والحادى عشر : سد طرق العذاب الأربعة.

كما فى سورة بنى إسرائيل : الإنكار من التوحيد (٥) والإنكار من آيات الله (٥٩) وإخراج الرسول (٧٦) والإستهزاء بالرسول (١٠١).

والثانى عشر : سد أبواب الفحشاءِ.

كما فى سورة النور من (٢) إلى (٩) والمنع عن الأخلاق الذميمة المفضية إلى الفحشاءِ من (٢٧) إلىٰ (٣٣).

والثالث عشر : التسلية للرسول ولأهل الإيمان.

كما فى سورة الشعراءِ (٣) وسورة القصص (٣).

والرابع عشر : وعد النصرة مع أهل الإيمان.

كما فى سورة الروم (٥) وسورة النصر.

والخامس عشر : التحضيض على التبليغ واتباع الرسول ورد الرسوم.

كما فى سورة الأحزاب وسورة المجادلة.

والسادس عشر : البشارة بالفتح وإنزال السكينة.

كما فى سورة الفتح وسورة النصر.

والسابع عشر : الحث على القرآن الكريم تلاوةً وتبليغاً.

كما فى سورة المزمل وسورة المدثر.

والثامن عشر : الترغيب إلى الإيمان والأعمال الصالحة.

كما فى سورة التطفيف (٢٦) وسورة الإنشقاق (٦).

والتاسع عشر: التخويف والبشارة الأخرويان.

كما فى سورة الغاشية (٢ - ٨).

والعشرون: التزهيد فى الدنيا بذكر المرض وسببه وعلاجه.

كما فى سورة الفجر والعاديات.

والحادى والعشرون: إصلاح البلد بالمكابدة الصالحة والإنفاق فى المصارف الصحيحة كما فى سورة البلد.

والثانى والعشرون: التفرقة فى الإعتقاد والأعمال وآثارهما.

كما فى سورة الشمس وسورة الليل.

والثالث والعشرون: الزجر بحب الدنيا.

كما فى سورة التكاثر.

والرابع والعشرون: الزجر بالأوصاف القبيحة والأعمال الفاسدة كما فى سورة الهمزة وقريش والماعون.

والخامس والعشرون: التبرئ من أعداءِ الله تعالىٰ كما فى سورة الممتحنة وسورة الكافرون.

والسادس والعشرون: التعوذ والحفاظة لخزانة الإيمان.

كما فى المعوذتين.

* * * * * *

وأما بحث الدلائل

فاعلم أن تقرير الدعوى بالدليل أمر متفق عليه بين جميع أولى النهىٰ ولا إعتبار لمجرد الدعوىٰ لا عقلاً كما هو الظاهر ولانقلاً. ولذا قال النبى صلى الله عليه وسلم: (لو يعطى الناس بدعواهم لادعى ناس دماء رجال وأموالهم ولكن اليمين على المدعى عليه (رواه مسلم)

ولما كان الله تعالىٰ لم يترك عذراً للعباد فلذا أورد الدلائل المتنوعة لإثبات ما ادعى ولتقريبه إلى الأذهان.

فالمراد بالدليل فى القرآن الكريم ما يفيد أو يستلزم المدعى عقلاً أو نقلاً أو وحياً فالدليل عندنا ثلثة أقسام.

الدليل العقلى والدليل النقلى والدليل الوحيى

أما الدليل العقلى: فالمراد به ذكر المقدمات التى لا تردها العقول السليمة بشرط النظر والفكر فيها.

ثم هو على نوعين: الدليل العقلى المحض. والدليل الإعترافى.

أما الأول: فهو ذكر المقدمات العقلية المستلزمة للدعوى فقط من غير تعرض إلى الاعتراف بوجه مَّا، ومرجع هذه المقدمات ترجع الى إمرين:

١ - إثبات التصرف المطلق لله تعالىٰ وحده.

٢ - و إثبات العلم بكل شئ لله تعالىٰ وحده.

وأشار الى هذا الإرجاع قوله تعالىٰ: الله الذى خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن لتعلموا أن الله على كل شئ قدير وأن الله قد أحاط بكل شئ علماً (سورة الطلاق: ١٢).

والمعنى: أن خلق العالم العلوى والسفلى يدل على قدرة الله تعالى على كل شئ وعلمه تعالىٰ بكل شئ.

الأمثلة من الآيات :

١ - قال الله تعالىٰ : يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون (البقرة : ٢١).

٢ - الذى جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماءِ ماءً فاخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون (البقرة : ٢٢).

ففى هاتين الآيتين ذكر كونه تعالىٰ خالقا وموجداً ومتصرفا فى جميع الأمور.

٣ - كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم اليه ترجعون (البقرة : ٢٨).

٤ - هو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعاً ثم استوى الى السماءِ فسواهن سبع سموات وهو بكل شئ عليم (البقرة : ٢٩).

ففى هاتين الآيتين ذكر كونه تعالىٰ متصرفا خالقاً. ثم ذكر كونه تعالىٰ عالماً بكل شئ

وقال الله تعالىٰ : ١ - الحمد لله الذى خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون (الانعام : ١).

هو الذى خلقكم من طين ثم قضى اجلا واجل مسمى عنده ثم انتم تمترون (الانعام : ٢) وهو الذى فى السموات وفى الأرض يعلم سركم وجهركم ويعلم ماتكسبون (الانعام : ٣).

ففى الآيتين الأليين : ذكر كونه تعالىٰ خالقاً ومتصرفاً وفى الأخيرة : ذكر علمه بكل شئ وكذا الدلائل العقلية فى سورة يونس وسورة الرعد وسورة النحل وسورة الإسراءِ وغيرها مشتملة على هذين المضمونين.

وهذه الدلائل هى المحضة كما ترىٰ. ثم هى على قسمين : آفاقية،

وأنـفسية. ففى الأولىٰ ذكر العالم السماوى والارضى والوسطى. وفى الثانية : ذكـر نفس الإنسان وأشير الى الإستدلال به فى قوله تعالىٰ : وفى أنفسكم أفلا تعقلون (الذاريات : ٢١).

والآفاقية ثلثة أقسام : علوية يذكر فيها العالم الأعلىٰ. وسفلية : يذ كر فيها النـظـام الأسـفـل أى الارض. ووسـطية : يـذكر فيها النظام الذى بين السماءِ والارض من الرياح والأمطار وهى الجوية أيضاً.

وهذه الأربعة مذكورة فى سورة البقرة (٢١، ٢٢) فتأمل. وكذا فى سورة الأنـعـام فـى أولهـا كـمـا مـر وفـى سورة الرعد (١) الله الذى رفع السموات بغيرعمد ترونها ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر (الرعد : ٢).

فيها ذكر النظام العلوى.

٢ - وهـو الـذى مد الأرض وجعل فيها رواسى وأنهاراً ومن كل الثمرات جـعـل فيهـا زوجين اثنين يغشى الليل النهار ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون (٣).

فيها ذكر العالم السفلى دليلاً.

٣ - هو الذى يريكم البرق خوفاً وطمعاً وينشئ السحاب الثقال (١٢).

فيها ذكر النظام الجوى. وفى سورة النحل قال الله تعالىٰ :

١ - خلق السموات والارض بالحق تعالى عما يشركون (٣).

فيها ذكر النظام العلوى والسفلى.

٢ - خلق الإنسان من نطفة فاذا هو خصيم مبين (٤).

فيها ذكر الدليل الأنفسى وهو خلق الإنسان.

٣ - والانعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون (٥).

وفى هذه الأية وما بعدها ذكر العالم الوسطى.

وفـى سـورة المؤمنون قال الله تعالىٰ : ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من

طين (١٢).

من هذه الأية الى (١٥) ذكر خلق الإنسان بالأطوار المختلفة وهو الدليل النفسي.

وقال تعالىٰ: ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق وما كنا عن الخلق غافلين (١٧ - ٢١) الدلائل الأفاقية السماوية والأرضية والجوية والأمثال كثيرة.

وأما الثاني: وهو الدليل الإعترافي

فهو الدليل العقلي الذي يذكر فيه اعتراف الخصم صراحة وهو الإعترافي الصريحي أو يكتفي فيه على سكوت الخصم وقت السؤال عنه والسكوت في مثل هذ الموضع دليل الرضاءِ والإعتراف فهو الدليل الإعترافي السكوتي.

أمثلة النوع الأول:

١ - قال الله تعالىٰ: قل من يرزقكم من السماءِ والأرض أمن يملك السمع والابصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الامر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون (يونس: ٣١).

قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون (٨٤).

٣ - سيقولون لله قل أفلا تذكرون (٨٥)

٤ - قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم (٨٦).

٥ - سيقولون لله قل أفلا تتقون (٨٧)

٦ - قل من بيده ملكوت كل شئ وهو يجير ولايجار عليه ان كنتم تعلمون (٨٨).

٧ - سيقولون لله قل فأنى تسحرون (٨٩).

٨ - ولئن سألتهم من خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فأن تؤفكون (العنكبوت: ٦١).

٩ - ولئن سألتهم من نزل من السماءِ ماء فأحيىٰ به الارض من بعد موتها

ليقولن الله قل الحمد لله بل اكثرهم لا يعقلون (٦٣).

١٠ - ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله قل الحمد لله بل اكثرهم لا يعقلون (لقمان : ٢٥).

١١ - ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم (حم الزخرف : ٩).

١٢ - ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله فأنى يؤفكون (٨٧).

أمثلة النوع الثاني :

١ - قال الله تعالىٰ : قل لمن مافى السموات والارض قل لله كتب على نفسه الرحمة (الانعام : ١٢).

٢ - قل ارأيتكم ان اتاكم عذاب الله او اتتكم الساعة اغير الله تدعون ان كنتم صادقين (٤٠).

٣ - بل اياه تدعون فيكشف ما تدعون اليه ان شاء وتنسون ما تشركون (٤١).

٤ - قل هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده فأنى تؤفكون (يونس : ٣٤).

٥ - قل هل من شركائكم من يهدى الى الحق قل الله يهدى للحق أفمن يهدى الى الحق أحق ان يتبع أمن لايهدى الا أن يهدى فما لكم كيف تحكمون (يونس : ٣٥).

٦ - أمن خلق السموات والارض وانزل لكم من السماءِ ماء فانبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم ان تنبتوا شجرها أإله مع الله بل هم قوم يعدلون (النمل : ٦٠).

٧ - أمن جعل الارض قرارا وجعل خلالها أنهاراً وجعل لها رواسى وجعل بين البحرين حاجزاً أإله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون (٦١).

٨ - أمن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الارض أإله مع الله قليلاً ما تذكرون (٦٢).

٩ - أمن يهديكم فى ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته أإله مع الله تعالىٰ الله عما يشركون (٦٣).

١٠ - أمن يبدأ الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماءِ والارض أإله مع الله قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين (٦٤).

فالحاصل: أن أنواع الدليل العقلى ستة محض، آفاقى علوى وسفلى ووسطى ومحض أنفسى واعترافى صريحى وسكوتى.

وأما الدليل النقلى:

فالمراد به الإستدلال بالنقل عن شخص مكرم عند المخاطب أو فى الواقع أو كتاب مسلم كذلك أو شئ لا يتوهم عليه التعصب لجانب الباطل.

وهذا فى الأصل يفيد التأييد والتاكيد فى ثبوت الدعوىٰ وان كان فى الظاهر مثبتاً أيضاً فافهم. ثم الدليل النقلى فى القرآن الكريم على ستة أنواع.

النوع الأول: النقلى من الأنبياءِ عليهم السلام:

وهو ذكر أقوالهم وأحوالهم لإثبات دعوى التوحيد. وهو على قسمين:

إجمالى: وهو نقل قول الأنبياءِ ووحيهم على سبيل الإجمال من غير تعيين احد. مثاله قول الله تعالىٰ:

١ - يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم قالوا لا علم لنا انك انت علام الغيوب (المائدة: ١٠٩).

فيها نفى علم الغيب عن جميع الأنبياءِ عليهم السلام.

٢ - ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله جائتهم رسلهم بالبينات فردوا أيديهم فى أفواههم وقالوا إنا كفرنا بما أرسلتم به وانا لفى شك مما تدعوننا اليه مريب

(ابراهيم: ٩).

قالت لهم رسولهم أفى الله شك فاطر السموات والارض يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم الى اجل مسمى (١٠) إلى (١٤).

فى هذه الآيات ذكر المكالمة والمباحثة بين الأنبياءِ عليهم السلام وأقوامهم المكذبة.

٣- ولقد بعثنا فى كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت (النحل: ٣٦).

فى هذه الآية بيان أن دعوة جميع الرسل عليهم السلام كانت الى عبادة الله تعالىٰ والإجتناب عن عبادة كل معبود من دون الله

٤ – وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحى اليه أنه لا إله الا أنا فاعبدون (الأنبياء:٥)

فيها ذكر أن وحى جميع الأنبياءِ عليهم السلام هو التوحيد.

٥ – إنهم كانوا يسارعون فى الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين (الانبياء: ٩٠).

فيها شان جميع الأنبياءِ عليهم السلام بالمسارعة الى كل الخيرا ودعاء الله تعالىٰ فى الرغبة والرهبة مع الخشوع له تعالىٰ.

٦ – واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون (الزخرف: ٤٥).

فيها خلاصة دين كل الأنبياءِ عليهم السلام بأنه ما كانت عبادة من دون الله آلهة مجعلوة فى دينهم.

الدليل النقلى التفصيلى من الأنبياءِ عليهم السلام.

والمراد به ذكر قصصهم تفصيلاً بذكر دعوة كل نبى من الأنبياءِ عليهم السلام إلى توحيد الله تعالىٰ. وهى فى القرآن كثيرة.

١ - قال الله تعالىٰ فى سورة الأعراف :

لقد أرسلنا نوحاً الى قومه فقال : يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره إنى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم (الأعراف : ٥٩) إلى (٦٤).

فيها ذكر دعوة نوح عليه السلام إلىٰ عبادة الله تعالىٰ وحده وتوحيد الألوهية.

٢ - وإلىٰ عاد أخاهم هودا قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره أفلا تتقون (الاعراف : ٦٥) الى (٧٢).

فيها بيان دعوة هود عليه السلام مشركى عاد إلىٰ توحيد الله تعالىٰ فى العبودية والألوهية.

٣ - وإلىٰ ثمود أخاهم صالحاً قال : يا قوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره (الاعراف : ٧٣) الى (٩٣).

وفى سورة هود عن هذه الأنبياءِ عليهم السلام.

قال الله تعالىٰ : ولقد أرسلنا نوحاً الى قومه إنى لكم نذير مبين أن لا تعبدوا إلا الله إنى أخاف عليكم عذاب يوم اليم (هود : ٢٥، ٢٦).

وإلى عاد أخاهم هوداً قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره ان الا أنتم مفترون (٥٠) الى (٦٠).

٣ - وإلى ثمود أخاهم صالحاً قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره هو أنشأكم من الارض واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا اليه ان ربى قريب مجيب (٦١) الى (٦٨).

٤ - وإلىٰ مدين أخاهم شعيباً قال يا قوم اعبدوا مالكم من اله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان إنى أراكم بخير وإنى أخاف عليكم عذاب يوم محيط (٨٤) الى (٩٥).

وفى سورة مريم عن عيسى عليه السلام : قال الله تعالىٰ وان الله ربى

وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم (مريم : ٣٦). وكذا فى آل عمران (٥١) بغير ذكر الواو فى الإبتداءِ. وفى حم الزخرف (٦٤) بذكر لفظ (هو).

وعن ابراهيم عليه السلام : واذكر فى الكتاب ابراهيم انه كان صديقا نبياً اذ قال لأبيه يا أبت لم تعبد ما لايسمع ولا يبصر ولا يغنى عنك شيئاً (٤٢).

وفى سورة المؤمنون قال الله تعالىٰ :

١ - ولقد أرسلنا نوحاً الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره أفلا تتقون (٢٣) الى (٣٠).

٢ - فأرسلنا فيهم رسولا منهم أن اعبدوا الله مالكم من اله غيره أفلا تتقون (٣٢) الى (٤١).

والمراد بهذا الرسول إما هود عليه السلام أوصالح عليه السلام والثانى هو الأصح بقرينة قوله تعالىٰ فى ما بعد فأخذتهم الصيحة. والنازل على عاد قوم هود عذاب الريح العقيم.

وفى سورة الشعراءِ عن ابراهيم عليه السلام.

١ - واتل عليهم نبأ ابراهيم اذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون قالوا نعبد أصناماً فنظل لها عاكفين قال هل يسمعونكم اذ تدعون أو ينفعونكم أو يضرون (٦٩) الى (٧٣).

٢ - كذبت قوم نوح المرسلين اذ قال لهم اخوهم نوح الا تتقون إنى لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون (١٠٧) الى ١٢٢).

٣ - كذبت عاد المرسلين اذ قال لهم أخوهم هود الا تتقون انى لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون (١٣٣) الى (١٤٠).

كذبت قوم لوط المرسلين اذ قال لهم أخوهم لوط ألا تتقون إنى لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون (من ١٦٠ إلىٰ ١٧٥).

٥ - كذبت أصحاب الأيكة المرسلين اذ قال لهم شعيب الا تتقون انى

لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون. من (١٧٦، إلىٰ : ١٩١).

وفى سورة النمل : ولقد أرسلنا الى ثمود اخاهم صالحا ان اعبدوا الله فاذا هم فريقان يختصمون (٤٥).

وفى سورة العنكبوت :

١ - وابراهيم اذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون (١٦).

٢ - والى مدين أخاهم شعيباً فقال يا قوم : اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر ولا تعثوا فى الارض مفسدين (٣٦).

وفى سورة الصافات : وان الياس لمن المرسلين اذ قال لقومه الا تتقون أتدعون بعلا وتذرون أحسن الخالقين الله ربكم ورب آبائكم الأولين (الصافات : ١٢٣، الى : ١٢٦).

وفى سورة نوح قال الله تعالىٰ :

إنا ارسلنا نوحا الى قومه ان انذر قومك من قبل ان يأتيهم عذاب اليم قال يا قوم انى لكم نذير مبين ان اعبدوا الله واتقوه وأطيعون (نوح : ١، ٢، ٣).

فهذه الآيات ذكر فيها دعوة التوحيد ورد الشرك نقلاً عن الأنبياءِ عليهم السلام الثمانية بحذف التكرار نوح وهود وصالح وشعيب وابراهيم وعيسى والياس ولوط على نبينا وعليهم الصلاة و السلام.

******

بحث قصص الأنبياءِ عليهم السلام فى القرآن الكريم :

إعلم أن كل قصة من قصصهم المذكورة فى القرآن الكريم ذات حكم وعبر ومقاصد ما لايحيط بها علم الإنسان. ولكن المقاصد التى سيقت لها تلك القصص أمور تسعة.

الأمر الأول : كونها دلائل نقلية على التوحيد كما مر.

والأمر الثاني : التخويف الدنيوى بذكر نزول العذاب فى الدنيا على الأقوام المكذبة للأنبياءِ السابقين كما فى سورة يونس واقعة نوح عليه السلام من (٧١) وواقعة موسى عليه السلام من (٧٥).

وفى سورة الحجر واقعة لوط عليه السلام من (٥١) وواقعة شعيب عليه السلام من (٧٨) وواقعة صالح عليه السلام من (٨٠).

وفى سورة المؤمنون واقعة نوح عليه السلام من (٢٣) وواقعة صالح عليه السلام من (٣١) وواقعة موسى وهارون عليهما السلام من (٤٥).

وفى سورة الشعراءِ القصص السبع قصة موسىٰ وابراهيم ونوح وهود وصالح ولوط وشعيب عليهم السلام.

والأمر الثالث : التشجيع على التبليغ لقوله تعالىٰ : وكلا نقص عليك من أنباءِ الرسل ما نثبت به فؤادك وجائك فى هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين (هود : ١٢٠).

ففى كل قصة نبى جاهد قومه فى الإيمان والتوحيد وكابد المصائب تشجيع وتسلية لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم وسيما قصة موسى عليه السلام تفصيلاً فى سورة الأعراف وسورة طه وسورة الشعراءِ وسورة القصص تفيد التشجيع ظاهراً.

والأمر الرابع : التسلية بنجاة الصالحين وعقاب الأعداءِ الكافرين كما فى سورة الشعراءِ والقصص السبع لهذا المقصد. وفى سورة النمل قصة صالح ولوط عليهما السلام.

والأمر الخامس : بيان احتياجهم فى السلامة وجميع الأمور الى الله تعالىٰ. كما فى سورة النمل قصة صالح ولوط عليهما السلام وفى سورة الأنبياءِ.

والأمر السادس : الدليل على نفى علم الغيب عن غير الله تعالىٰ بنفى

علم الغيب عنهم، كما في سورة هود قصة ابراهيم ولوط عليهما السلام و في سورة يوسف حال يعقوب عليه السلام. وفي سورة النمل واقعة موسىٰ وسليمان عليهما السلام. وفي سورة الكهف واقعة موسىٰ وخضر وذي القرنين عليهم السلام.

والأمر السابع : الدليل علىٰ نفي الشرك في الدعاءِ كما في سورة الأنبياءِ.

والأمر الثامن : دفع الشبهات الشركية بواقعات الأنبياءِ كما في سورة مريم واقعة زكريا وعيسى عليهما السلام. وفي سورة سبأ واقعة داؤد وسليمان عليهما السلام.

والأمر التاسع : صدق الرسول باخباره عن أحوال الأنبياءِ السابقين مطابقة للواقع بوحي الله تعالى. كما مر في دلائل صدق الرسول مثل قصة يوسف وقصة ذي القرنين حسب سؤال المشركين واليهود.

الدليل النقلي من الملائكة :

المراد به أن يذكر من أقوالهم أو احوالهم الدالة على إثبات التوحيد لله تعالىٰ ونفي الألوهية عنهم وعن غيرهم وهو على أنحاء شتى.

النحو الأول : قولهم الدال على نفي علم الغيب عن غير الله تعالىٰ.

١ - قال الله تعالىٰ : قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علتمنا انك انت العليم الحكيم (البقرة : ٣٢).

والنحو الثاني : ذكر عجزهم واحتياجهم إلى الله تعالىٰ.

١ - قال الله تعالىٰ مخبراً عنهم : وما نتنزل الا بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسياً (مريم : ٦٤).

٢ - وهم من خشيته مشفقون (الأنبياء : ٢٨).

٣ - والصّٰفّٰت صفا فالزاجرات زجراً فالتاليات ذكرا ان الهكم لواحد

(الصافات : ١ - ٤).

٤ - وما منا الا له مقام معلوم وانا لنحن الصافون

(الصافات : ١٦٤، ١٦٥).

٥ - والنازعات غرقا والناشطات نشطا والسابحات سبحا فالسابقات سبقا فالمدبرات امراً (النازعات : ١ - ٥).

والنحو الثالث : وصفهم بالعبدية لله تعالىٰ.

١ - قال الله تعالىٰ : لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم اليه جميعاً (النساء : ١٧٢).

٢ - إن الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون (الاعراف : ٢٠٦).

٣ - ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون (الأنبياء : ١٩، ٢٠).

بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون ولا يشفعون الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون (الأنبياء : ٢٦).

والنحو الرابع :

كونهم رسلاً ووسائط في الوحي إلى الأنبياءِ عليهم السلام.

قال الله تعالىٰ : قال إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاما زكياً

(مريم : ١٩).

٢ - الحمد لله فاطر السموات والارض جاعل الملائكة رسلا أولى أجنحة مثنى وثلث ورباع يزيد في الخلق مايشاء ان الله على كل شئ قدير

(الفاطر : ١).

٣ - قل من كان عدواً لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله مصدقا لما

بين يديه وهدى و بشرى للمؤمنين (البقرة : ٩٧).

٤ - قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى و بشرى للمسلمين (النحل : ١٠٢).

٥ - وانه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين (الشعراء : ١٩٢) الى (١٩٤).

والنحو الخامس : طاعتهم لأمر الله تعالىٰ وعدم عصيانهم له تعالىٰ.

١ - قال الله تعالىٰ : لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون (الانبياء : ٢٧).

٢ - يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون (التحريم : ٦).

٣ - بأيدى سفرة كرام بررة - أى مطيعة - (عبس : ١٥، ١٦).

والنحو السادس : نفى الشفاعة القهرية (أى بلا إذن الله تعالىٰ) عنهم.

١ - قال الله تعالىٰ : يعلم مابين ايديهم وما خلفهم ولا يشفعون الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون (الانبياء : ٢٨).

٢ - ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له حتى اذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلى الكبير (سبأ : ٢٣).

٣ - وكم من ملك فى السموات لا تغنى شفاعتهم شيئاً الا من بعد ان يأذن الله لمن يشاء ويرضى (النجم : ٢٦).

والنحو السابع : كونهم مأمورين ومبتلين بالسجود لآدم عليه السلام والواقعة هذه مذكورة فى سورة البقرة من (٣٤) وفى سورة الأعراف من (١١) وسورة الحجر من (٢٩) وسورة الإسراء من (٦١) وسورة الكهف من (٥٠) وسورة طه من (١١٦) وسورة ص (من (٧٢).

والنحو الثامن : كونهم حفظة كاتبين.

قال الله تعالىٰ : وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليك حفظة (الانعام : ٦١).

٢ – لـه معـقبـات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من امر الله ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم (الرعد : ١١).

٣ – وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون (الانفطار : ١٠ – ١٢)

والنحو التاسع : كونهم مامورين بقبض الأرواح.

١ – قـال الله تعالىٰ : ولو ترىٰ اذا الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم اخرجوا انفسكم الآية (الانعام : ٩٣).

٢ – وهـو الـقـاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة حتى اذا جاء احدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون (الانعام : ٦١).

٣ – قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم ثم الى ربكم ترجعون (الم السجدة : ١١).

٤ – ان الـذيـن تـوفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الارض الآية (النساء : ٩٧).

والـنحو العاشر : كـونهـم على ابواب الجنة أو على أبواب النار والتسليم منهم على أهل الجنة والتوبيخ والتنقيم على أهل النار.

وهذه في آيات كثيرة.

قال الله تعالىٰ : وسيق الذين كفروا الى جهنم زمراً حتى اذا جاؤها فتحت ابـوابهـا وقـال لهـم خزنتهـا الـم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم ويـنـذرونـكـم لـقـاء يـومـكـم هذا قالوا بلىٰ ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين (الزمر : ٧١).

وقال تعالىٰ: وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمراً حتى اذا جاؤها وفتحت ابوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين (الزمر: ٧٣).

إعلم أن هذه الأحوال المذكورة للملائكة تدل على عجز الملائكة وعبديتهم المستلزمة لنفى الشرك فى التصرف والعبادة والدعاء عن غير الله تعالىٰ. وهذا نعنى الدليل النقلى عنهم.

الدليل النقلى من الأولياءِ: وهم المؤمنون السابقون.

والمراد به ذكر دعوتهم الى التوحيد والمجاهدة له أو التصديق للتوحيد والرسالة منهم. وهذا مذكور فى القرآن الكريم بتعبيرات شتى كما سيظهر فى الآيات المتلوة بعد. وترجع هذه الىٰ عنوانين.

العنوان الأول: ذكر أهل الكتاب السابقين بالصفات الإيمانية من التوحيد وتصديق الرسول والكتاب.

١ - قال الله تعالىٰ: الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته أولئك يؤمنون به و من يكفر به فأولئك هم الخاسرون (البقرة: ١٢١).

٢ - الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبنائهم وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون (البقرة: ١٤٦).

٣ - ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون فى الخيرات وأولئك من الصالحين (آل عمران: ١٣ - ١٤).

٤ - لكن الراسخون فى العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك والمقيمى الصلاة والمؤتون الزكوة والمؤمنون بالله واليوم الآخر أولئك سنؤتيهم أجراً عظيما (النساء: ١٦٢).

٥ - واذا سمعوا ما أنزل الى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما

عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين وما لنا لا نؤمن بالله وما جائنا من الحق ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين (المائدة : ٨٣، ٨٤).

٦ - الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبنائهم الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون (الانعام : ٢٠).

٧ - ومن قوم موسىٰ أمة يهدون بالحق وبه يعدلون (الاعراف : ١٥٩).

٨ - ويقول الذين كفروا لست مرسلاً قل كفى بالله شهيداً بينى وبينكم ومن عنده علم الكتاب (الرعد : ٤٣).

٩ - قل آمنوا به أولا تؤمنوا إن الذين أوتوا العلم من قبله اذا يتلىٰ عليهم يخرون للأذقان سجداً ويقولون سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا ويخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعاً (الإسراء : ١٠٧، ١٠٨).

١٠ - الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون واذا يتلىٰ عليهم قالوا آمنا به انه الحق من ربنا انا كنا من قبله مسلمين (القصص : ٥٢).

١١ - وكذلك أنزلنا اليك الكتاب فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به ومن هؤلاءِ من يؤمن به (العنكبوت : ٤٧).

١٢ - وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون (الم السجدة : ٢٤).

١٣ - إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور (الفاطر : ٢٩).

والعنوان الثانى :

ذكر أحوال الأولياءِ السابقين على سبيل التخصيص والتعيين من أعمال توحيدهم لله ومجاهداتهم وابلاغهم وهجرتهم أو شهادتهم لذلك.

الأول : منهم امرأة عمران عليهم السلام فى قصتها دليل واضح على ان

النذر انما يكون لله تعالىٰ لا لغيره تعالىٰ، لأنه عبادة، والعبادة لا تكون للمخلوق.

قال الله تعالىٰ : اذ قالت امرأة عمران رب انى نذرت لك ما بطنى محرراً فتقبل منى انك انت السميع العليم (آل عمران : ٣٥).

والثانى : منهم السحرة الذين آمنوا بموسى عليه السلام.

١ - قال الله تعالىٰ حاكياً عنهم : وألقى السحرة ساجدين قالوا آمنا برب العالمين رب موسىٰ وهارون (الاعراف : ١٢٠ - ١٢١ - ١٢٢) فيها ذكر سجودهم وإيمانهم بالله تعالىٰ.

٢ - قالوا إنا الىٰ ربنا منقلبون وما تنقم منا الا أن آمنا بآيات ربنا لما جائتنا ربنا افرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين (الاعراف : ١٢٥ - ١٢٦).

فى هذه الآيات ذكر ايمانهم بالآخرة والرجوع الى الله تعالىٰ والإيمان بآيات الله تعالىٰ مع الدعاءِ بالصبر والتوفى على الإسلام من الله تعالىٰ خاصة.

٣ - فألقى السحرة سجداً قالوا آمنا برب هارون وموسى (طه : ٧٠)

قالوا : لن نؤثرك على ما جائنا من البينات و الذى فطرنا فاقض ما أنت قاض انما تقضى هذه الحياة الدنيا انا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايا وما أكرهتنا عليه من السحر والله خير وأبقى (طه : ٧٢، ٧٣).

فى هذه الآية بعد ذكر السجدة لله تعالى والإيمان ذكر شجاعتهم العالية بمقابلة الفرقة الغالية من فرعون واتباعه العاتية.

٤ - فألقى السحرة ساجدين قالوا آمنا برب العالمين رب موسىٰ وهارون (الشعراء : ٤٦ - ٤٨).

قالوا لا ضير انا الى ربنا منقلبون انا نطمع ان يغفر لنا ربنا خطايانا ان كنا أول المؤمنين (الشعراء : ٥٠ - ٥١).

فيها ما يقرب الى ما فى سورة طه.

والثالث : أصحاب الكهف : ذكرت قصتهم فی سورة الكهف بالتفصيل الضروری، وفيها ذكر شجاعتهم بمخالفتهم الكفرة الطاغوتية الدقيانوسية وإعلامهم بربوبية اللّٰه تعالىٰ مع رد الشرك فی الدعاءِ.

قال اللّٰه تعالىٰ : وربطنا على قلوبهم اذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والارض لن ندعوا من دونه الهاً لقد قلنا اذا شططاً (الكهف : ١٤).

وكذا ذكر فرارهم للدين ومهاجرتهم.

قال اللّٰه تعالىٰ : واذ اعتزلتموهم وما يعبدون الا اللّٰه فأووا الى الكهف ينشرلكم ربكم من رحمته ويهيئ لكم من أمركم مرفقاً (الكهف : ١٦).

وكذا حالهم يدل على نفی علم الغيب عنهم بل عن جميع الأولياءِ.

قال اللّٰه تعالىٰ : وكذلك بعثناهم ليتسائلوا بينهم قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم قالوا ربكم أعلم بما لبثتم (الكهف : ١٩).

والرابع : منهم ذو القرنين ذكر اللّٰه تعالىٰ فی سورة الكهف قصته تفصيلا وفيها ذكر مسيره الى الجوانب الثلثة وأسفاره لغرض إشاعة دين اللّٰه تعالىٰ والدعوة اليه والمجاهدة له وسد المفاسد والقوى الطاغية المفسدة عن دين اللّٰه تعالىٰ كما فی الكهف (٨٣) إلی (٩٨).

والخامس : منهم لقمان (وذكر أكثر المفسرين أن أصح الأقوال فی لقمان وذی القرنين أنهما كانا من أولياءِ اللّٰه تعالىٰ دون الأنبياءِ) وقصته مذكورة فی سورة لقمان من (١٢) إلی (١٩) وفيها من الحكم ما لا تحصى.

لكن الحكمة الظاهرة الضرورية للنجاة فی الدارين هی التوحيد ونفی الإشراك.

ذكرها أولاً : قال تعالىٰ : واذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بنی لا تشرك باللّٰه ان الشرك لظلم عظيم (لقمان : ١٣).

والسادس : منهم الرجل المؤمن المذكور حاله فی سورة يس وهو

المشهور على الألسنة بصاحب يس ذكر حاله من آية (٢٠) إلىٰ (٣٠) ففى هذه الآيات أولاً: دعوته إلى اتباع الرسول بذكر ما يقتضى اتباعهم.

وثانياً : دعوته إلىٰ التوحيد فى العبادات بوجه أحسن.

وثالثا : الرد الشديد الواضح على الشفاعة الشركية المطلوبة عند المشركين عن معبوديهم سوى الله تعالىٰ.

ورابعاً : ذكر قتله وشهادته لله تعالىٰ فى سبيل الله تعالىٰ اكرمه تعالىٰ ورفع درجته فى أعلىٰ عليين.

والسابع منهم : الرجل المؤمن من آل فرعون فى زمن موسى عليه السلام الذى ذكرت قصته فى سورة حم المؤمن من (٢٨) إلىٰ (٤٤).

وفيها ذكر شجاعته وحماسته ومجاهدته أولاً بدفع الفراعنة عن قتل موسى عليه السلام بالحكمة الحسنة. وثانياً : التخويف لهم بنزول العذاب الدنيوى بتمثيل الأقوام المكذبة السابقة والتخويف الأخروى. وثالثاً : الترغيب إلى اتباعه الذى هو فى نفس الأمر اتباع موسى عليه السلام والتزهيد فى الدنيا. ورابعاً : ذكر المحاكمة بين الدعوتين دعوة الموحد الداعى إلى التوحيد والجنة، ودعوة المشرك الداعى إلى الشرك والنار.

الدليل النقلى من الكتب السابقة المنزلة :

وهى التورلة والإنجيل والزبور وصحف ابراهيم عليه السلام وغيرها من الصحف والمراد به أن فى تلك الكتب والصحف تصديق التوحيد وما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم وكذا كونها هداية منزلة من الله تعالىٰ مثل القرآن الكريم تصديق لكون القرآن حقاً. ولهذا تعبيرات مختلفة تظهر من الآيات المتلوة.

١ - قال الله تعالىٰ : نزل عليكم الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه وأنزل التوراة والانجيل من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان (آل عمران : ٣، ٤).

فيهـا بيـان أن التوراة والانجيل والفرقان وهى الصحف الأخر المنزلة على تفسير واحد أنزلت لتهدى الناس الى التوحيد والإيمان.

٢ - كـل الطعام كان حلاً لبنى اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه من قبل ان تنزل التوراة قل فأتوا بالتوراة ان كنم صادقين (آل عمران : ٩٣).

فيهـا ذكـر تـصديق التوراة لبيان ما فى القرآن الكريم لدفع اعتراض اليهود على نبينا صلى الله عليه وسلم.

٣ - وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله ثم يتولونه من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين (آل عمران : ٤٣).

فى هذه الآية ذكر أن فى التوراة أيضاً حكم الله تعالىٰ.

٤ - إنـا أنـزلـنـا التـورلـة فيهـا هدى ونور يحكم بها النبيون الذين اسلموا لـلـذيـن هادوا والربانيون والاحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء (المائدة : ٤٤).

فيهـا إظهـار أن التـوراة كانت مشتملة على الهداية والنور وكانت الأنبياء والربانيون والاحبار يحكمون بها.

٥ - وآتيـنـاه الإنـجـيـل فيـه هـدى ونـور ومصدقا لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين (المائدة : ٤٦).

فيها ذكر صدق الإنجيل وكونه هادياً ونوراً ومصدقاً.

٦ - ولـو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما انزل اليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم (المائدة : ٦٦).

فيهـا دلالة عـلىٰ أن الـعمل بالتوراة والإنجيل كان سبباً لفيضان البركات السماوية والأرضية مثل أن العمل بالقرآن الكريم سبب عظيم للبركات.

٧ - قـل يـا أهل الكتاب لستم على شئ حتى تقيموا التوراة والانجيل وما انزل اليكم من ربكم (المائدة : ٦٨).

فيها ذكر انه لا اعتبار لدين أهل الكتاب الا بالعمل بالكتب السابقة مع القرآن الكريم.

٨ - الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوباً عندهم فى التوراة والانجيل (الاعراف : ١٥٧).

فيها بيان أن التورلة والانجيل مشتملان على صفات النبى آخر الزمان عليه السلام.

٩ - إن اللّٰه اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل اللّٰه فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا فى التوراة والانجيل والقرآن الآية (التوبة : ١١١).

فيها بيان أن فى الكتب السابقة أيضاً ترغيبا الى الجهاد فى سبيل اللّٰه تعالىٰ مثل القرآن الكريم.

١٠ - وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبنى اسرائيل ان لا تتخذوا من دونى وكيلاً (الاسراء : ٢).

فيها بيان أن فى كتب موسى عليه السلام هداية بأن لا وكيل ولا متصرف ولا مالك للنفع والضر إلا اللّٰه تعالىٰ. وهذه خلاصة مضامينه.

١١ - محمد رسول اللّٰه والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجدا يبتغون فضلا من اللّٰه ورضواناً سيماهم فى وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الإنجيل كزرع اخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد اللّٰه الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة واجرا عظيماً (الفتح : ٢٩).

فى هذه الآية ذكر أوصاف الصحابة رضى اللّٰه عنهم وبيان أن تلك الصفات مذكورة فى التوراة مع وجود التمثيل فى الانجيل.

١٢ - أم لم ينبأ بما فى صحف موسىٰ وابراهيم الذى وفى أن لا تزر وازرة

وزر أخرىٰ الآيات (النجم : ٣٦ - ٣٨).

فـي هـذه الآيـات ذكـر مـوافـقة الـمـضامين المذكورة في هذا المقام من القرآن لمضامين الصحف السابقة المنزلة.

١٣ - إن هـذا لـفـي الـصحف الأولىٰ صحف ابراهيم وموسى (الأعلىٰ : ١٨، ١٩).

فيهـا ذكـر أن مضمون سورة الأعلىٰ من التوحيد في صفة الخالقية والعلم والتـزهيـد فـي الدنيا والترغيب إلى الآخرة وتصديق القرآن الكريم موجود في صحف ابراهيم وموسى على نبينا وعليهم الصلاة والسلام.

الدليل النقلي من الجن :

وله تعبيرات ثلثة :

الأول : بيان عجزهم .

والثاني : نفي علم الغيب عنهم.

والثـالـث : دعـوتهـم الى التوحيد والقرآن واتباع الرسول صلى الله عليه وسلم. أما بيان عجزهم ففي آيات كثيرة :

١ - قـال الله تـعـالـىٰ : قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً (الاسراء : ٨٨).

٢ - ومـن الجن من يعمل بين يديه باذن ربه ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير (سبأ : ١٢).

٣ - وما خلقت الجن والإنس الا ليعبدون (الذاريات : ٥٦).

٤ - يـا مـعـشـر الـجن والإنس ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات والارض فانفذوا لا تنفذون الا بسلطان (الرحمن : ٣٣).

فـعـجـزهم عن الإتيان بمثل القرآن وعجزهـم بالخدمة والأعمال بين يدي سـلـيـمـان عـلـيـه الـسـلام بـاذن الله تعالىٰ وعـجـزهـم بخلقهـم لعبودية الله تعالىٰ

وعجزهم بعدم استطاعتهم النفوذ عن ملك الله تعالىٰ يدل دلالة واضحة على عدم شركهم مع الله تعالىٰ.

أما نفي علم الغيب عنهم :

١ - فقال الله تعالىٰ : فلما قضينا عليه الموت مادلهم على موته الا دابة الارض تأكل منسأته فلما خر تبينت الجن ان لو كان يعلمون الغيب مالبثوا فى العذاب المهين (سبأ : ١٤).

على تفسير أن الضمير فى يعلمون راجع الى الجن أى ظهر أن الجن لا يعلمون الغيب.

أما دعوتهم إلى التوحيد والحق :

١ - فقال الله تعالىٰ : واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا انصتوا فلما قضى ولوا الى قومهم منذرين قالوا يا قومنا انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى مصدق لما بين يديه يهدى الى الحق والى طريق مستقيم يا قومنا أجيبوا داعى الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب اليم ومن لا يجب داعى الله فليس بمعجز فى الارض وليس له من دونه أولياء أولئك فى ضلال مبين (الاحقاف : ٢٩ - ٣٢).

فى هذه الآيات بيان استماعهم القرآن والإنذار للقوم وتصديقهم للقرآن الكريم والدعوة إلى اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم.

وقال الله تعالىٰ : قل أوحى الى أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجباً يهدى الى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحداً وأنه تعالىٰ جد ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولداً (الجن : ١، ٢، ٣).

فى هذه الآيات تصديق الجن بهداية القرآن إلى الرشد وعدم إشراك أحد مع الله وعدم اتخاذ الله صاحبة وولداً.

الدليل النقلى من الوحوش والطيور :

وهـى وإن لـم تكن من ذوات العقول ولكن لا ينكر من شعورهم وعلمهم بـخـالـقها ومالكها ورازقها كما تدل عليه النصوص الكثيرة لسنا الآن بصدد تفصيلها.

فـالـقـرآن الـكـريـم قـد يذكر من وقائعها وأحوالها ما يدل على نفى علم الغيب عن الأنبياءِ عليهم السلام. وهذا مرادنا بالدليل النقلى فى هذا المقام.

١ - قـال الله تـعالىٰ : حتى اذا أتوا على واد النمل قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون (النمل : ١٨).

فيهـا دلالة عـلـى أن فـى اعتـقاد النملة أن سليمان عليه السلام وجنوده لا يشـعـرون بما تحت أرجلهم من النمل. ولذا قال أهل التفسير : أن لا يشعرون عذر من جانب سليمان عليه السلام وقت حطمه النمل.

٢ - فـمـكـث غيـر بعيد فقال أحطت بما لـم تحط به وجئتك من سبأ بنبأ يقين (النمل : ٢٢)

ظهـر أن مـن اعتـقـاد الهدهد ان سليمان عليه السلام ما كان عالماً بحال أهل سبأ وحال المرأة الملكة وماكان من شركهم.

فالحاصل : أن الدليل النقلى ستة أنواع :

- الدليل من الأنبياءِ اجمالاً وتفصيلاً
- والدليل من الملائكة.
- والدليل من الأولياءِ السابقين.
- والدليل من الكتب السابقة.
- والدليل من الجن.
- والدليل من الوحوش والطيور.

وأما الدليل الوحيى :

فـاعلم أن أنواع الدلائل العقلية والنقلية التى مرت وان كانت أيضاً وحيية مـن حيث أنها مذكورة فى وحى الله تعالى الذى هو القرآن الكريم لكن ليس مـرادنـا ههـنا هذا المعنى. بل المراد به أن مسألة التوحيد مما أمر به الله تعالىٰ وأوحـى بـه فليس للنبى صلى الله عليه وسلم أن يتركها لأنه لا يقولها من عند نفسه بل هو داع اليها وليس بمدع لأنه اذا ترك ترك كما عرف الفقهاء.

ثـم له تعبيرات مختلفة مشتركة فى المعنى الذى ذكر كما ستظهر لك من الأيات المتلوة.

١ - قال الله تعالىٰ : نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يده (آل عمران : ٣).

٢ - شهد الله أنه لا اله الا هو (آل عمران : ١٨).

٣ - قـل أى شـئ أكبـر شهادة قل الله شهيد بينى وبينكم وأوحى الى هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ (الانعام : ١٩).

٤ - اتبع ما أوحى اليك من ربك لا اله الا هو واعرض عن المشركين (الانعام : ١٠٦)

٥ - ان اتبـع الا ما يوحى الى انى اخاف إن عصيت ربى عذاب يوم عظيم (يونس : ١٥). ٦ - واتبـع مـا يـوحـى اليك واصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين (يونس : ١٠٩).

٧ - وكـذلك أرسـلـناك فى أمة قد خلت من قبلها أمم لتتلوا عليهم الذى أوحينا اليك وهم يكفرون بالرحمن قل هو ربى لا اله الا هو عليه توكلت واليه متاب (الرعد : ٣٠).

٨ - وقـال الله لا تتـخـذوا الهيـن اثـنيـن انما هو اله واحد فاياى فارهبون (النحل : ٥١).

٩ - ونـزلـنـا عـليك الـكتـاب تبيـانـا لكل شئ وهدى ورحمة وبشرى

للمسلمين (٨٩)

١٠ - وقضى ربك أن لا تعبدوا الا اياه (الاسراء : ٢٣).

١١ - انما امرت أن اعبد رب هذه البلدة التى حرمها وله كل شئ وأمرت ان اكون من المسلمين (النمل : ٩١).

١٢ - قل انى أمرت ان اعبد الله مخلصاً له الدين وأمرت لان اكون أول المسلمين (الزمر : ١١، ١٢)

١٣ - وقال ربكم ادعونى استجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين (حم مؤمن : ٦٠).

١٤ - قل انى نهيت أن اعبد الذين تدعون من دون الله لما جائنى البينات من ربى وأمرت ان اسلم لرب العالمين (حم مؤمن : ٦٦).

ومثله فى الأنعام (٥٦).

١٥ - فلذلك فادع واستقم كما أمرت ولا تتبع أهوائهم وقل آمنت بما انزل الله من كتاب وأمرت لاعدل بينكم الآية (حم شورى : ١٥).

ففى هذه الآيات بيان ان دعوى التوحيد منزل من الله تعالىٰ.

وثابت بشهادته تعالىٰ ومما أوحى الى النبى صلى الله عليه وسلم ومما أمره النبى صلى الله عليه وسلم باتباعه وحكم قضى الله تعالىٰ به وأمر به الله نبيه ونهى عن مخالفته وهذه عنوانات مختلفة للدليل الوحيى.

* * * * * *

المقصد الثالث من المقاصد الثلثة :

الأمور والإصطلاحات المتعلقة بالآيات الفذة.

وهى قسمان الأول : مايذكر لتاكيد دعوى السورة. والثانى : ما يفيد البصيرة فى فهم مراد الآيات الكريمة.

القسم الأول أمور سبعة :

الأول : الزواجر والشكوىٰ.

وبينهما فرق فى الإرادة وفرق فى الإستعمال :

بيان الفرق الأول : أن الزجر لغة الطرد بصوت والمنع عن ارتكاب المأثم (المفردات للامام الراغب : ٢١١) وفى إصطلاحنا : طرد المنكرين على أفعالهم وأقوالهم وأحوالهم الشنيعة والقبيحة.

والشكوىٰ والشكاية شكى من باب عداه أى أخبر عنه بسوء فعله به (المختار من صحاح اللغة : ٢٧١). وفى اصطلاحنا : ذكر قول من أقوال المنكرين الشنيعة والرد عليه. وليس المراد ان اللّٰه شاك عنهم ولكن المراد أن قولهم على سبيل الشكاية من الحق.

والفرق فى الإستعمال أن الشكوىٰ يكون مصدّراً بقال أو قالوا ونحوهما مما يسند الى المنكرين. والزجر لايكون مصدرا بمثله وهذا من إفادات شيخنا المتوفى سنة (١٤٠٠) المرحوم غلام اللّٰه خان مؤلف تفسير جواهر القرآن.

وأما الشيخ شيخنا الثانى العلامة الشيخ محمد طاهر الفنج فيرى ماحى الشرك والبدع فقال : إن الزجر والشكوىٰ واحد. لا يعتبر الفرق المذكور بينهما وقال إن نسبة الشكوىٰ الى اللّٰه تعالىٰ لا يناسب.

بحث الزجر

الزجر يتنوع الى أنواع شتى بحسب تعدد من لهم الزجر من الناس وبحسب تعدد أفعالهم وأعمالهم القبيحة.

النوع الأول : الزجر للمؤمنين بالأفعال والأقوال التى لاتنبغى لهم.

قال الله تعالىٰ : ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم باذنه حتى اذا فشلتم وتنازعتم فى الأمر وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد عفا الله عنكم والله ذو فضل على المؤمنين (آل عمران : ١٥٢).

وقال الله تعالىٰ : يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لاتفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون (الصف : ٢، ٣).

فى الأية الأولىٰ : زجر بالفشل والتنازع فى أمر الرسول والعصيان بعد رؤية الغنيمة فى غزوة أحد. والواقعة مشهورة ولكن لا تكن غافلاً عن قوله تعالىٰ : ولقد عفا عنكم ولقد عفا الله عنهم.

وفى الآية الثانية : زجر بعدم موافقة القول للعمل وهذا فى نفسه من ديدن أهل النفاق.

والنوع الثانى : الزجر للمنافقين علىٰ أفعالهم القبيحة وأقوالهم الشنيعة وهى كثيرة والآيات فى ذلك عديدة نعدها بالإجمال لأن أكثرها ذكر فى خبائث المنافقين.

ففى سورة البقرة من (٨) الى (١٦ - ٢٠٤ - ٢٠٥ - ٢٠٦).

وفى سورة آل عمران : (١٥٢ - ١٦٥ - ١٦٧ - ١٦٨).

وفى سورة النساء : (٣٧ - ٣٨ - ٣٩ - ٦٠ - ٦١ - ٦٢ - ٦٣ - ٦٤ - ٧٢ - ٧٣ - ٧٧ - ٧٨ - ٨١ - ٨٢ - ٨٣ - ٨٨ - ٨٩ - ١٠٨ - ١٠٩ - ١١٤ - ١٣٧ - ١٣٩ - ١٤١ - ١٤٢).

وفي سورة المائدة: (٥٢ - ٨٠) وفي سورة التوبة: من (٣٨) الى (٩٩، ١٠٧، ١٢٥، ١٢٦، ١٢٧).

وفي سورة النور: من (١٢) الى (١٦) ومن (٤٧ - ٥٣) وفي سورة الحج (١١).

وفي سورة العنكبوت (١٠) وفي سورة الأحزاب من (١٢) الى (٢٠).

وفي سورة محمد (١٦) ومن (٢٠) الى (٣١ - ٣٨) وفي سورة الفتح من (١١). وفي سورة الحجرات (٤).

وفي سورة المجادلة من (٥) ومن (١٤) وفي سورة الحشر من (١١) وفي المنافقون من (١).

والنوع الثالث: الزجر لليهود والنصارىٰ وهي أيضاً على أفعالهم وأقوالهم الشنيعة ونكتفي بتعداد الآيات الكريمة لأن قبائحهم وخبائثهم قد مرت بالتفصيل.

ففي سورة البقرة: (٤٤ - ٥١ - ٥٥ - ٧٢ - ٧٤ - ٧٦ - ٧٨ - ٨٣ - ٨٧ - ٨٨ - ٨٩ - ٩١ - ٩٢ - ٩٣ - ٩٦ - ١٠٠ - ١٠١ - ١٠٢ - ١٠٥ - ١٠٩ - ١١٣ - ١١٦ - ١٤٠ - ١٤٦ - ١٥٩ - ٢٤٣ - ٢٤٦).

وفي سورة آل عمران: (٢٣ - ٦٥ - ٦٦ - ٦٩ - ٧٠ - ٧١ - ٧٢ - ٧٣ - ٧٥ - ٧٨ - ٨٣ - ٨٦ - ٩٤ - ٩٨ - ٩٩ - ١٨١ - ١٨٣ - ١٨٧ - ١٨٨).

وفي سورة النساء: (٤٢ - ٤٥ - ٤٦ - ٤٩ - ٥٠ - ٥١ - ٥٣ - ٥٤ - ١٥٠ - ١٥٣ - ١٥٥ - ١٥٦ - ١٥٧ - ١٦٠ - ١٦١).

وفي سورة المائدة: (١٣ - ١٤ - ١٧ - ٢٢ - ٤١ - ٤٢ - ٤٣ - ٥٨ - ٥٩ - ٦٠ - ٦١ - ٦٢ - ٦٣ - ٦٤ - ٧٢ - ٧٣ - ٧٦ - ٧٧ -

٧٩).

وفي سورة الأعراف : ١٦٩ . وفي سورة التوبة : (٣٠ - ٣١ - ٣٢).

وفي سورة المجادلة : (٨) وفي سورة الجمعة (٥).

والنوع الرابع : الزجر للمشركين والكفرة :

وهي على ماعددنا سبعة عشر صنفاً.

الصنف الأول : الزجر على الشرك.

١ - قال الله تعالىٰ : ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حباً لله (البقرة : ١٦٥)

٢ - وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون (الانعام : ١٠٠).

٣ - وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيباً فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل إلى الله وما كان لله فهو يصل الى شركائهم ساء ما يحكمون (الانعام : ١٣٦).

٤ - وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم ليردوهم وليلبسوا عليهم دينهم ولو شاء الله ما فعلوه فذرهم وما يفترون (الانعام : ١٣٧)

٥ - وقالوا هذه انعام وحرث حجر لا يطعمها الا من نشاء بزعمهم وانعام حرمت ظهورها وانعام لا يذكرون اسم الله عليها افتراء عليه سيجزيهم وصفهم بما كانوا يفترون (الانعام : ١٣٨).

٦ - وقالوا ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم علىٰ ازواجنا وان يكن ميتة فهم فيه شركاء سيجزيهم وصفهم انه حكيم عليم (١٣٩).

٧ - ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله (يونس : ١٨).

٨ – وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون (يوسف : ١٠٦)

٩ – قل من رب السموات والارض قل الله قل أفاتخذتم من دونه اولياء لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضراً (الرعد : ١٦).

١٠ – وجعلوا لله انداداً ليضلوا عن سبيله قل تمتعوا فان مصيركم الى النار (ابراهيم : ٣٠)

١١ – ويجعلون لما لا يعلمون نصيبا مما رزقناهم تالله لتسألن عما كنتم تفترون (النحل : ٥٦).

١٢ – ويعبدون من دون الله مالا يملك لهم رزقاً من السموات والارض شيئاً ولا يستطيعون (النحل : ٧٣).

١٣ – أم اتخذوا آلهة من الارض هم ينشرون (الانبياء : ٢١).

١٤ – أم اتخذوا من دونه آلهة قل هاتوا برهانكم (الانبياء : ٢٤).

١٥ – أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا لا يستطيعون نصر أنفسهم ولاهم منا يصحبون (الانبياء : ٤٣).

١٦ – واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئا وهم يخلقون ولا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا ولا يملكون موتا ولا حيوة ولا نشورا (الفرقان : ٣).

١٧ – ويعبدون من دون الله مالا ينفعهم ولا يضرهم وكان الكافر على ربه ظهيرا (الفرقان : ٥٨).

١٨ – يدعو من دون الله مالا يضره ومالا ينفعه ذلك هو الضلال البعيد (الحج : ١٢).

١٩ – واتخذوا من دون الله آلهة لعلهم ينصرون (يس : ٧٤).

٢٠ – الا لله الدين الخالص والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفىٰ (الزمر : ٣).

٢١ – والذين اتخذوا من دونه اولياء الله حفيظ عليهم وما أنت عليهم

بوكيل (الشورى : ٦).

٢٢ - أم اتخذوا من دونه أولياء فالله هو الولى وهو يحيى الموتى وهو على كل شئ قدير (الشورى : ٩).

٢٣ - أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله (الشورى : ٢١).

٢٤ - ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون (الاحقاف : ٥).

٢٥ - أفرأيتم اللات والعزى ومنات الثالثة الأخرى (النجم : ١٩، ٢٠).

الصنف الثاني : الزجر بنسبة الولد والإبن والبنت إلى الله تعالىٰ :

١ - قال الله تعالىٰ : وقالوا اتخذ الله ولداً سبحانه بل له مافى السموات والارض كل له قانتون (البقرة : ١١٦).

٢ - وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم سبحانه وتعالىٰ عما يصفون (الانعام : ١٠٠).

٣ - ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون (النحل : ٥٧).

٤ - أفأصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة إناثا انكم لتقولون قولا عظيماً (الإسراء : ٤٠).

٥ - وقالوا اتخذ الرحمن ولدا (مريم : ٨٨).

٦ - وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون (الانبياء ٢٦، ٢٧).

٧ - فاستفتهم ألربك البنات ولهم البنون أم خلقنا الملئكة إناثا وهم شاهدون (الصافات : ١٤٩).

٨ - وجعلوا له من عباده جزء ان الانسان لكفور مبين أم اتخذ مما يخلق بنات وأصفاكم بالبنين (الزخرف : ١٥، ١٦).

٩ - أم له البنات ولكم البنون (الطور : ٢٩).

الصنف الثالث : الزجر بالشرك بعد دعاءِ الله تعالىٰ فى المصائب :

كما فى سورة يونس : ٢٢ وعنكبوت : ٦٥ والروم : ٣٢، ٣٣. ولقمان : ٣٢ والزمر : ٨، ٤٩).

الصنف الرابع : الزجر بالكفر وعدم الإيمان وعدم الركوع والسجود لله تعالىٰ. كما فى الانعام (١٠٩) ومريم (٧٧) والشعراء (١٩٨) والمرسلات (٤٨) وعبس (١٧) والإنشقاق (٢٠ - ٢١).

الصنف الخامس : الزجر بالإعراض والإنكار من التوحيد.

كما فى يونس : ٤٢ ويوسف ١٠٥ والنحل ٢٢ و الإسراء ٤٦ والشعراء ٥ والصافات ٣٥ وص ٥ والزمر ٤٥ والطور ٤٣.

الصنف السادس : الزجر بالإستدلال باتباع الآباءِ ونسبة الشك إلى مشية الله. كما فى سورة البقرة : ١٧٠ والمائدة : ١٠٤ ولقمان ٢١ والزخرف : ٢٣ والانعام : ١٤٨ والنحل : ١٣٥ والزخرف : ٢٠).

والصنف السابع : الزجر باتباع الهوىٰ :

كما فى الفرقان : ٤٣ والروم : ٢٩ واتباع ابليس كما فى سبأ : ٢٠).

الصنف الثامن : الزجر بالإفتراءِ والتكذيب.

كما فى الانعام : ٧ - ٢١ - ٣٩ - ٦٦ - ٩٣. والاعراف : ٣٧ ويونس : ١٧ وهود : ١٨ والعنكبوت : ٦٨ وص : ٣٢ والاحقاف : ٨ والطور : ١١ والإنفطار : ٩ والقيامة : ٣١ والإنشقاق : ٢٢ والبروج : ١٩.

الصنف التاسع : الزجر بانكار الرسالة و الإستهزاء والإفتراء عليه صلى الله عليه وسلم كما فى الأنعام : ٨ - ٣٦ - ٩١ - ٢٤ - والحجر : ٦ ويونس : ٢ و الاسراء : ٤٧ والانبياء : ٣٦ والمؤمنون : ٦٩ - ٧٠ والفرقان : ٦ - ٤١ والصافات : ١٢ - ٣٦ وص : ٤ ويس : ٤٧ والجاثية : ٩ والحاقة :

٣٠ والبينة : ١).

الصنف العاشر : الزجر بطلب الآيات من الرسول صلى الله عليه وسلم.

كما فى البقرة : ١١٨ ويونس : ٢٠ والرعد : ٧ - ٢٧ والاسراء : ٩٤ والفرقان : ٢١).

الصنف الحادى عشر : الزجر بانكار القرآن والإعراض عن الآيات والاعتراض عليه.

كما فى الأنعام : ٤ - ٤٦ - ٧ والنحل : ٢٤ - ١٠٣ والاسراء : ٤٥ - ٨٩ - ٥٧ والحج : ٧٢ والمؤمنون : ٦٦ والفرقان : ٤ - ٥ - ٥٠ وسبأ : ٣١ والجاثية : ٢٥ والاحقاف : ٧ والمدثر : ١١ - ٤٩.

والصنف الثانى عشر : الزجر بانكار البعث.

كما فى الانعام : ٢٩ والرعد : ٥ والنحل : ٣٨ والاسراء : ٤٩ ومريم : ٦٦ والنمل : ٦٧ ويس : ٧٨ والصافات : ١٦ وق : ٢ والقيامة ٣ - ٣٦ والواقعة : ٤٨ والنبأ : ١).

والصنف الثالث عشر : الزجر بسؤال الوعد وتعجيل العذاب.

كما فى النمل : ٧١ وسبأ : ٢٩ ويس : ٤٨ والانبياء : ٣٧ والملك : ٢٥ والمعارج : ١ ويونس : ١١ والرعد : ٦ والحج : ٤٧ والعنكبوت : ٥٣ والشعراء : ٢٠٤ والاسراء : ١١ والماعون : ١).

والصنف الرابع عشر : الزجر بالجدال.

كما فى الانعام ٢٥ والاسراء : ٥٤ - ٥٦ وحم مؤمن : ٤ - ٥٦ - ٦٩ والحج : ٣ - ٨ ولقمان : ٢٠).

والصنف الخامس عشر : الزجر بحب الدنيا.

كما فى البقرة : ٢١٢ وآل عمران : ١٤ والروم : ٧ والقيامة : ٢٠ والدهر : ٢٧ والاعلىٰ : ١٠٦ والتكاثر : ١ وقريش : ١).

والصنف السادس عشر : الزجر بعدم الإستقلال فى حالتى الضيق والرخاء. كما فى هود : ٨ - ٩ والاسراء : ٨٣ والروم : ٢٦ وحم السجدة : ٤٩ - ٨١).

والصنف السابع عشر : الزجر بالأمور المتفرقة والأوصاف القبيحة مثل تحليل الربا.

كما فى البقرة : ٢٧٥ وعدم التفكر كما فى الاعراف : ١٨٤ والروم : ٨ و الاشتراء بالدين وعدم الرقابة كما فى التوبة : ٩، ١٠. وتزيين السوءِ كما فى الفاطر : ٨ والأوصاف القبيحة : كما فى سورة العاديات والهمزة والماعون.

بحث الشكوىٰ

وهو إما على اليهود كما فى البقرة : ٨٠ - ١١١ - ١٣٥ والمائدة : ١٨.

وإما على المشركين والكفرة : كما فى الانعام : ٣٧ - ٩١ والاعراف : ٢٨ ويونس : ١٥ ومريم : ٧٣، ٣٨، ٤٨، ٥٣ والرعد : ٤٣ والنحل : ١٠١ والإسراء ٩٠ ومريم : ١٣٣ والمؤمنون : ٨١ والفرقان : ٣٢ والقصص : ٤٨ - ٥٧ والعنكبوت : ١٢ - ٥٠ والروم : ٥٨ والسجدة : ٣ - ١٠ - ٢٨ وسبأ : ٣ - ٧ - ٤٣ والصافات ١٦ وحم السجدة : ٥ - ٢٦ وحم شورى : ٢٤ وحم الزخرف : ٣١ والجاثية : ٢٤ والاحقاف : ١١ والحجرات : ١٤ والقمر : ٤٤ والفجر : ١٥).

******

الأمر الثانى من الأمور السبعة : التخويف

والمراد به الإنذار بذكر العذاب الدنيوى على الأمم المكذبة والأخروى على المنكرين لتأييد الدعوىٰ ترهيباً.

وهو نوعان: التخويف الدنيوى والتخويف الأخروى.

وسماهما ولى الله الدهلوى رحمه الله تعالىٰ فى كتاب (الفوز الكبير) بالتذكير بأيام الله تعالىٰ والتذكير بما بعد الموت ولا مشاحة فى الإصطلاح.

التخويف الدنيوى:

ففى آيات كثيرة نكتفى بذكر أرقام الآيات مخافة طول الكتاب.

فمن سورة البقرة: ٥٩ - ٦٠. ومن سورة آل عمران فى: ١١ - ١٢. ومن سورة الانعام فى: ٦ - ٤٢ - ٤٣ - ٦٥ - ١٥٨. ومن سورة الاعراف فى: ٤ - ٩٥ - ١٥٢ - ١٦٢ - ١٦٣. ومن سورة الانفال: ٥٢ - ٥٣ - ٥٤. ومن سورة يونس: ١٣ - ٥٠ - ٩٠. ومن سورة يوسف فى: ١٠٧. ومن سورة الرعد: ٣٤ - ٤١. ومن سورة الحجر: ٤. ومن سورة النحل: ٢٦ - ٣٣ - ٣٤ - ٤٥ - ٤٦ - ٤٧ - ١١٢. ومن سورة الاسراء فى: ٤ - ١٥ - ١٦ - ٥٨ - ٦٨ - ٦٩. ومن سورة الكهف فى: ٤٢ - ٤٣ - ٥٩. ومن سورة مريم فى: ٧٤. ومن سورة طه فى: ٢٨. ومن سورة الانبياءِ فى: ١١، إلىٰ ١٥. ومن سورة الحج من: ٤٢، إلىٰ ٤٦. ومن سورة المؤمنون فى: ٤١ - ٤٣ - ٤٤ - ٤٨ - ٦٤. ومن سورة النور فى: ١٩ - ٦٣. وفى سورة الفرقان من: ٣٦، إلىٰ: ٤٠. ومن سورة الشعراءِ فى: ٦- ٢٠٠ - ٢٢٧. ومن سورة النمل فى: ٥١ - ٥٢ - ٥٨ - ٦٩. ومن سورة القصص فى: ٤٠ - ٥٨ - ٨١. ومن سورة العنكبوت فى: ٣٤ - ٣٧ - ٤٠ - ٥٣. ومن سورة الروم فى: ٩ - ٤١ - ٤٢. ومن سورة السجدة فى: ٢٦. ومن سورة سبأ فى: ٩، ومن ١٦، إلىٰ: ١٩. ومن سورة الفاطر فى: ٢٦ - ٤٧ - ٤٤ - ٤٥. ومن سورة يس فى: ٢٩. ومن سورة الصافات فى: ١٧٧. ومن سورة ص فى: ٣ - ١٢ - ١٣. ومن سورة الزمر فى: ٢٥ - ٢٦ - ٣٩ - ٤٠ - ٥١. ومن سورة حم مؤمن: ٥ - ٢١ - ٢٣. ومن: ٨٢، إلىٰ: ٨٥.

ومن حم السجدة فى: ١٣. ومن حم الشورى فى: ٣٠. ومن سورة الزخرف فى: ٨- ٥٥. ومن سورة الدخان: ١٠ - ٣٧. ومن سورة الاحقاف فى: ٢٥. ومن سورة محمد فى: ١٠ - ١٣. ومن سورة ق فى: ١٤ - ٣٦. وفى سورة الذاريات من: ٣٧، إلىٰ: ٤٦. ومن سورة الطور فى: ٤٧. وفى سورة النجم من: ٥٠، إلى: ٥٤. وفى سورة القمر من: ٩، إلىٰ: ٤٣ و: ٥٢. ومن سورة الحشر فى: ٢. ومن سورة التغابن فى: ٥. ومن سورة الملك فى: ١٦، ١٧. ومن سورة القلم من: ١٧، إلىٰ: ٣٢. ومن سورة الحاقة من: ٤ - ١٤. ومن سورة نوح فى: ٢٥. ومن سورة المزمل فى: ١٦. ومن سورة المرسلات فى: ١٦ - ١٧. وفى سورة النازعات من: ١٥، إلىٰ: ٢٦. ومن سورة البروج فى: ٤. وفى سورة الفجر من: ٦، إلىٰ: ١٣. وفى سورة الشمس من: ١١، إلىٰ: ١٥. ومن سورة التين فى: ٥. وسورة الفيل إلى الآخر. ومن سورة تبت فى: ١.

هذه الآيات المرقومة نحو مائتين وثمان وثلاثين ولا حصر فيها.

أما التخويف الأخروى:

ففى آيات أكثر من الأول نذكرها بالأرقام.

فمن سورة البقرة

فى: ٧ - ٢٤ - ٣٩ - ٤٨ - ٨١ - ٨٥ - ٨٦ - ٩٠ - ١١٤ - ١٢٣ - ١٦١ - ١٦٦ - ١٦٧ - ١٧٤ - ٢١٧ - ٢٥٤ - ٢٧٥.

ومن سورة آل عمران فى: ٤ - ٢١ - ٢٢ - ٣٠ - ٥٦ - ٧٧ - ٨٧ - ٩١ - ١٠٦ - ١١٦ - ١٦١ - ١٨٠).

ومن سورة النساءِ فى: ١٠ - ١٤ - ١٨ - ٣٠ - ٤١ - ٤٢ - ٥٦ - ٩٣ - ١١٥ - ١٢١ - ١٥١ - ١٦١ - ١٦٧ - ١٦٨ - ١٧٣).

ومن سورة المائدة فى: ٣٦ - ٣٧ - ٨٦).

ومـن سورة الانعام فى : ٢٢ - ٢٧ - ٤٩ - ٥١ - ٧٠ - ٩٣ - ٩٤ - ١٢٤ - ١٢٨ - ١٦٠)

ومن سورة الاعراف فى : ٦ - ٣٦ - ٣٧ - ٣٨ - ٤٠ - ٤١ - ١٧٩).

ومن سورة الانفال : ٣٦ - ٣٧ - ٥٠).

ومن سورة التوبة فى : ١٧ - ٣٥ - ٦٣ - ٦٨).

ومن سورة يونس فى : ٤ - ٧ - ٢٧ - ٢٨ - ٥٤ -٧٣).

ومن سورة هود فى : (١٨) ومن : ١٠٣، إلىٰ : ١٠٧).

ومن سورة الرعد : فى (٥ - ١٨ - ٢٥ - ٣٤).

ومن سورة ابراهيم

فى : ٢ - ١٥ - ١٦ - ٢١ - ٢٨ . ومن : ٤٨، إلىٰ : ٨٩).

ومن سورة الحجر فى : ٤٣ .

ومن سورة النحل فى : ٢٥ ومن ٢٧، إلىٰ ٢٩ ومن ٨٤ إلىٰ ٨٩.

ومن سورة الاسراءِ فى : ١٠ - ١٣ - ١٨ - ٧١ - ٧٢ - ٩٧.

ومن سورة الكهف فى : ٢٩ - ٤٧ - ٤٨ - ٤٩ - ٥٢ -٥٣.

ومن (١٠٠ إلىٰ : ١٠٦)

ومن سورة مريم فى : (٣٧ - ٣٨ - ٥٩) ومن (٦٨) الى (٧١، ٨٦).

ومن سورة طه فى : ٧٤ ومن ١٠٠ الى ١٠٩ و ١٢٤.

ومن سورة الأنبياءِ فى : ٣٩ - ٤٠ - ٤٦ - ٤٧ - ومن ٩٧ إلى ١٠٠.

ومن سورة الحج فى : (١ - ٢) ومن ١٩ الى ٢٢ - ٥٧.

ومن سورة المؤمنون : ١٠١ ومن ١٠٣ الى ١١٤.

ومن سورة النور فى : ١٩ - ٢٣.

ومن سورة الفرقان

من ١١ الى ١٤. ومن ٢٧ الى ٣٠ - ٣٤ - ٦٨- ٦٩.

ومن سورة الشعراءِ : من ٩١ الى ١٠٢.

وفى سورة النمل : من ٨٢ الى ٨٥ ومن ٨٧ الى ٩٠.

وفى سورة القصص من ٦٢ الى ٦٦ - ٧٤ - ٧٥.

ومن سورة العنكبوت فى : ١٣ - ٢٥ - ٥٤.

ومن سورة الروم فى : ١٢ - ١٣ - ١٤ - ٥٥ - ٣٣.

ومن سورة السجدة من ١٢ الى ١٤ - ٢٠.

ومن سورة الأحزاب فى : ٦٣.

ومن سورة سبأ

فى : ٥ ومن ٣١ الى ٣٣ - ٣٨ - ٤٠ - ٤١ - ٤٢ - ٥١.

ومن سورة الفاطر فى : ٧ - ١٠ - ٣٦ - ٣٧.

ومن سورة يس من ٥١ الى ٥٤ ومن ٥٩ الى ٦٧.

ومن سورة ص : من ٥٥ الى ٦٤.

ومن سورة الزمر : فى ٧ - ١٥ - ١٦ - ٢٤ - ٣٢ - ٤٧ - ٤٨ - ٦٠
ومن ٦٨ الى ٧٢.

ومن سورة حم مؤمن : ١٠ - ١١ - ومن ١٦ الى ١٩ ومن ٤٦ الى ٥٠
- ٦٠ ومن ٧٠ الى ٧٦.

وفى سورة حم السجدة :

من ١٩ الى ٢٤ ومن ٢٧ الى ٢٩ - ٤٠ - ٤٧ - ٤٨.

ومن سورة حم الشورى فى : ٢١ - ٢٦ - ٤٤ - ٤٥.

ومن سورة حم الزخرف فى : ٣٨ - ٦٥ - ٦٦ ومن ٧٤ - الى ٧٧.

ومن سورة حم الدخان من ٤٠ الى ٥٠.

ومن سورة الجاثية فى : ٧ - ٨ - ٩ - ١٠ - ١١. ومن ٢٧ - الى ٢٩
ومن ٣١ الى ٣٥.

ومن سورة الاحقاف فى : ١٨ - ١٩ - ٢٠ .

ومن سورة محمد فى : ١٢ - ١٥ .

ومن سورة الفتح فى : ١٦ - ١٣ .

وفى سورة ق من ٢٠ الى ٣٠ ومن ٤١ الى ٤٤ .

ومن سورة الذرايات فى ١٣ - ١٤ - ٥٩ - ٦٠ .

وفى سورة الطور من ٧ الى ١٦ .

ومن سورة النجم فى : ٥٧ - ٥٨ .

ومن سورة القمر من ٦ الى ٨ ومن ٤٦ الى ٥٠ .

وفى سورة الرحمن من ٣٥ الى ٤٤ .

وفى سورة الواقعة من ١ الى ٨ ومن ٤١ الى ٥٦ ومن ٩٢ الى ٩٥ .

ومن سورة الحديد فى ١٣ - ١٤ - ١٥ - ١٩ .

ومن سورة المجادلة فى : ٤ - ٥ - ٦ . ومن ١٥ - الى ١٨ .

ومن سورة الحشر فى : ١٧ - ١٨ . ومن سورة التغابن فى ١٠ .

ومن سورة التحريم فى : ٦ - ٧ .

وفى سورة الملك من ٦ الى ١١ - ٢٧ .

ومن سورة قلم فى ٣٣ - ٤٢ - ٤٣ .

ومن سورة الحاقة فى : ١ - ٢ - ٣ . ومن ١٣ الى ١٨ ومن ٢٥ الى ٣٧ .

ومن سورة المعارج من ٨ الى ١٨ ومن ٤٢ الى ٤٤ .

ومن سورة الجن فى : ٢٣ .

وفى سورة المزمل من ١٢ الى ١٤ - ١٧ - ١٨ .

وفى سورة المدثر من ٨ الى ١٠ - ١٧ . ومن ٢٦ الى ٣١ .

وفى سورة القيامة من ٧ الى ١٥ - ٢٤ . ومن سورة الدهر فى : ٤ .

وفى سورة المرسلات من ٧ الى ١٥ . ومن ٢٩ الى ٣٨ .

وفى سورة النبأ من ٢١ إلىٰ ٣٠. ومن ٣٨ إلىٰ ٤٠.

وفى سورة النازعات من ٦ الى ٩ ومن ٣٤ الى ٣٩.

وفى سورة عبس من ٣٤ الى ٣٧ ومن ٤٠ الى ٤٢.

وفى سورة التكوير من ١ الى ١٤.

وفى سورة الانفطار من ١ الى ٥ ومن ١٤ الىٰ ١٩.

ومن سورة التطفيف فى : ٤ - ٥ - ٦ - ١٥ - ١٦ - ١٧ - ٣٤ - ٣٥ - ٣٦.

ومن سورة الانشاق من ١ الى ٥ - ١٠ - ١١ - ١٢ - ٢٤.

ومن سورة البروج فى : ١٠. ومن سورة الطارق فى : ٩ - ١٠.

ومن سورة الأعلىٰ فى : ١٢ - ١٣.

وفى سورة الغاشية من ١ الى ١٧ ومن ٢٣ الى ٢٦.

وفى سورة الفجر من ٢١ الى ٢٦.

ومن سورة البلد فى : ١٩ - ٢٠. ومن سورة والشمس ١٠.

ومن سورة والیل من ١٤ - الى ١٦.

وفى سورة العلق من ١٥ الى ١٨. وفى سورة البينة ٦.

وسورة الزلزال كلها وهى ٨ آية وفى سورة العاديات من ٩ الى ١١

وفى سورة القارعة من ١ الى ٥ ومن ٨ الى ١١.

ومن سورة التكاثر فى ٦ - ٧ - ٨.

وفى سورة الهمزة من ٤ الى ٩.

ومن سورة تبت فى : ٣ - ٤ - ٥.

وهذه الآيات نحو ستمائة وسبع وتسعين آية ولها مزيد.

* * * * * *

الأمر الثالث من الأمور السبعة البشارة :

وهو بكسر الباءِ وضمها. ويقال بشره بكذا بالتخفيف فأبشر ابشاراً أى سر والبشارة المطلقة لا تكون الا بخير. وانما تكون بالشر اذاكانت مقيدة به كقوله تعالىٰ : فبشرهم بعذاب اليم. وأما البشارة بفتح الباءِ فبمعنى الجمال (المختار من صحاب اللغات ٣٩).

وأقول : إن البشارة لغة الإخبار بمحبوب يظهر أثره فى البشرة. وفى إصطلاح القرآن الكريم التذكير بالنعم الدنيوية أو الأخروية للترغيب إلى الإيمان. ولذلك هى نوعان : البشارة الدنيوية والبشارة الأخروية. ولكن لعدم وفاءِ نعم الدنيا وفنائها البشارة الدنيوية فى القرآن قليل الذكر.

البشارة الدنيوية

١ - قال الله تعالىٰ : ولو أنهم أقاموا التوراة والانجيل وما أنزل اليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم منهم أمة مقتصدة وكثير منهم ساء ما يعملون (المائدة : ٦٦).

فى هذه الآية التبشير بالتوسع من السماءِ والارض فضلاً ورزقاً بسبب اقامة كتب الله.

٢ - والذين هاجروا فى الله من بعد ما ظلموا لنبوئنهم فى الدنيا حسنة ولأجر الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون (النحل : ٤١).

فى هذه الآية البشارة بسبب الهجرة بالتبوئة الحسنة فى الدنيا.

٣ - الذين اخرجوا من ديارهم بغير الا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز (الحج : ٤٠).

فيها البشارة بالنصرة من الله تعالىٰ.

٤ - وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى

الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدوننى لا يشركون بى شيئاً ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون (النور : ٥٥).

فى هذه الآية بشارة بالإستخلاف الدنيوى وتمكين دين الإسلام فى البلاد وتبديل الخوف بالأمن.

٥ - ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الارض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين (القصص : ٥).

فى هذه الآية التبشير بالامتنان على الضعفاءِ وجعلهم أئمة وأصحاب الوراثة.

٦ - قل يا عبادى الذين آمنوا اتقوا ربكم للذين أحسنوا فى هذه الدنيا حسنة و ارض الله واسعة (الزمر : ١٠).

فى هذه الآية البشارة بالمعيشة الحسنة مع التوسع فى ارض الله.

٧ - إنا فتحنا لك فتحا مبيناً ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطاً مستقيما وينصرك الله نصرا عزيزاً هو الذى أنزل السكينة فى قلوب المؤمنين ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم الآية (الفتح : ١ - ٢ - ٣ - ٤).

٨ - لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما فى قلوبهم فانزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريباً ومغانم كثيرة يأخذونها فعجل لكم هذه وكف ايدى الناس عنكم ولتكون آية للمؤمنين ويهديكم صراطا مستقيما وأخرى لم تقدروا عليها قد احاط الله بها وكان الله على كل شئ قديراً (الفتح : ١٨ - ١٩ - ٢٠ - ٢١).

فى هذه الآيات البشارة بالفتح والنصر وانزال السكينة ورضا الله تعالىٰ واعطاء المغانم الكثيرة بالفعل والمغانم الأخر بحسب الوعد.

٩- وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين (الصف : ١٣).

فيها التبشير بالنصر والفتح القريب.

١٠ - ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه ان الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شئ قدراً (الطلاق : ٣، ٤).

فيها البشارة بالمخرج والنجاة من المصائب والرزق من غير حسبان .

١١ - اذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا (النصر : ١، ٢).

فيها البشارة بالنصر والفتح وقبول أفواج الناس دين الله تعالىٰ .

البشارة الأخروية :

فيها آيات كثيرة نكتفى بذكرها مجملة مرقومة بلا ادعاءِ الحصر فيها.

فمن سورة البقرة فى : ٢٥ - ٣٨ - ٦٢ - ٨٢ - ١١٢ - ٢١٨ - ٢٧٤ - ٢٧٧).

ومن سورة آل عمران : ١٥ - ٥٧ - ١٠٧ - ١٣٦ - ١٦٩ - ١٧٠ - ١٧١ - ١٩٥ - ١٩٨)

ومن سورة النساءِ فى : ١٣ - ٣١ - ٥٧ - ٦٩ - ٩٥ - ١٢٢ - ١٥٢ - ١٦٢ - ١٧٣).

ومن سورة المائدة فى : ٩ - ١٢ - ٦٥ - ٦٩ - ٨٥ - ١١٩.

ومن سورة الانعام فى : ٤٨ - ١٦٠.

ومن سورة الاعراف فى : ٣٥ - ٤٢ - ٤٣ .

ومن سورة الانفال فى : ٤ - ٧٤).

ومن سورة التوبة : ٢٠ - ٢١ - ٧١ - ٧٢ - ٨٩ - ١٠٠ - ١١١).

ومن سورة يونس فى : ٢ - ٩ - ١٠ - ٢٥ - ٢٦ - ٦٣).

ومن سورة هود فى : ١١ - ٢٣ - ١٠٨.

ومن سورة الرعد ف : ٢٢ - ٢٣ - ٢٤ - ٣٥.

ومن سورة ابراهيم فى : ٢٣.

ومن سورة الحجر فى : ٤٥.

ومن سورة النحل فى : ٣٠ - ٣١ - ٤١ - ٩٧ - ١١٠).

ومن سورة الاسراءِ فى : ٩ - ١٩.

ومن سورة الكهف فى : ٣٠ - ٣١ - ١٠٧ - ١٠٨.

ومن سورة مريم فى : ٦١ - ٦٢ - ٧٦ - ٨٥ - ٩٦).

ومن سورة طه فى : ٧٥ - ٧٦.

ومن سورة الأنبياءِ فى : ٩٠ - ١٠١ - ١٠٢ - ١٠٣).

ومن سورة الحج فى : ١٤ - ٢٣ - ٢٤ - ٥٦ - ٥٩.

ومن سورة المؤمنون فى : ١٠ - ١١ - ١٠٢.

ومن سورة النور فى : ٢٦.

ومن سورة الفرقان فى : ١٥ - ١٦ - ٢٤ - ٧٠ - ٧٥ - ٧٦).

ومن سورة العنكبوت فى : ٧ - ٩ - ٥٨.

ومن سورة الروم فى : ١٥ - ٤٤.

ومن سورة لقمان فى : ٨.

ومن سورة السجدة فى : ١٥ - ١٦ - ١٧ - ١٩.

ومن سورة الاحزاب فى : ٣٥ - ٤٤.

ومن سورة سبأ فى : ٤ - ٣٧.

ومن سورة فاطر فى : ٧ - ٢٩ - ٣٠ - ٣١ - ٣٣ - ٣٤ - ٣٥.

ومن سورة يس فى : ١١ - ٥٥ - ٥٦ - ٥٧ - ٥٨.

ومن سورة الصافات فى : ٤١ - ٤٢ - ٤٣ - ٤٤ - ٤٥ - ٤٦ - ٤٧ - ٤٨ - ٤٩ - ٥٠ - ٥١.

ومن سورة ص فى : ٢٠ - ٤٩ - ٥٠ - ٥١ - ٥٢ - ٥٣ - ٥٤.

ومن سورة الزمر فى :: ٣٤ - و من ٦١، الى ٧٣ - ٧٤ - ٧٥.

ومن سورة حم مؤمن : ٧ - ٨ - ٩).

ومن سورة حم السجدة فى : ٨ - ٣٠ - ٣١ - ٣٢.

ومن سورة حم الشورى فى : ٢٢ - ٢٦.

ومن سورة حم الزخرف من ٦٨ - ٦٩ - ٧٠ - ٧١ - ٧٢ - ٧٣.

ومن سورة حم الدخان من : ٥١ - ٥٢ - ٥٣ - ٥٥ - ٥٦ - ٥٧.

ومن سورة حم الجاثية فى : ٣٠.

ومن سورة الاحقاف فى : ١٣ - ١٤.

ومن سورة محمد فى : ٦ - ١٢ - ١٥.

ومن سورة الفتح فى : ٥ - ١٠ - ١٧ - ٢٩.

ومن سورة ق فى : ٣١ - ٣٢ - ٣٣ - ٣٤ - ٣٥.

ومن سورة الذاريات فى : ١٥ - ١٦.

ومن سورة الطور فى : ١٧ - ١٨ - ١٩ - ٢٠ - ٢١ - ٢٢ - ٢٣ - ٢٤ - ٢٥ - ٢٦ - ٢٧ - ٢٨).

ومن سورة القمر فى : ٥٤ - ٥٥.

ومن سورة الرحمن من ٤٦ الى ٧٧.

ومن سورة الواقعة من ١٠ الى ٤٠ - ومن ٨٨ الى ٩١.

ومن سورة المجادلة فى : ٢٢.

ومن سورة الصف فى : ١٠ - ١١ - ١٢.

ومن سورة التغابن فى : ٩.

ومن سورة الطلاق في : ١١.

ومن سورة التحريم في : ٨.

ومن سورة الملك في : ١٢.

ومن سورة القلم في : ٣٤.

ومن سورة الحاقة في : ١٩ - ٢٠ - ٢١ - ٢٢ - ٢٣ - ٢٤.

ومن سورة المعارج في : ٣٥.

ومن سورة المدثر في : ٣٩- ٤٠ - ٤١.

ومن سورة القيامة في : ٢٢ - ٢٣.

ومن سورة الدهر من : ٥ إلىٰ ٢٢.

ومن سورة المرسلات في : ٤١ - ٤٢ - ٤٣ - ٤٤.

ومن سورة النبأ في : ٣١ - ٣٢ - ٣٣ - ٣٤ - ٣٥ - ٣٦.

ومن سورة النازعات في : ٤٠ - ٤١.

ومن سورة عبس في : ٣٨ - ٣٩.

ومن سورة الانفطار في : ١٣.

ومن سورة التطفيف : ٢٢ - ٢٣ - ٢٤ - ٢٥ - ٢٦ - ٢٧ - ٢٨.

ومن سورة الانشقاق في : ٧ - ٨ - ٩ - ٢٥.

ومن سورة البروج في : ١١.

ومن سورة اعلىٰ : ١٤.

ومن سورة الغاشية : ٨ - ٩ - ١٠ - ١١ - ١٢ - ١٣ - ١٤، ١٥، ١٦

ومن سورة الفجر في : ٢٧ - ٢٨ - ٢٩ - ٣٠.

ومن سورة الشمس في : ٩.

ومن سورة اليل في : ١٧ - ١٨ - ١٩ - ٢٠ - ٢١.

ومن سورة التين في : ٦.

ومن سورة البينة فى : ٧ - ٨).

ومن سورة القارعة فى : ٦ - ٧.

وهذه الآيات المرقومة نحو ثلث مائة وخمس وسبعين آية.

* * * * * *

الأمر الرابع من الأمور السبعة : التسلى والتسلية

وهو فى اللغة إزالة الهم والغم يقال سلاه من همه تسلية واسلاه أى كشفه عنه (مختار الصحاح : ٢٤٦. وفى إصطلاحنا إزالة اللّٰه تعالىٰ الهم بسبب نزول المصائب على أهل الحق بالأمر بالصبر والإستقامة وانتظار الفرج من اللّٰه تعالىٰ والنصرة منه.

وهو فى آيات كثيرة من السور المختلفة.

فمن سورة البقرة فى : ١١٩.

ومن سورة آل عمران فى : ١٤٠ - ١٥١ - ١٥٢ - ١٥٥.

ومن سورة النساءِ فى : ١١٢.

ومن سورة الانعام : ١٠ - ٣٣ - ٣٤ - ٣٥.

ومن سورة يونس فى : ٤١ - ٩٦.

ومن سورة هود فى : ١١٢ - ١١٥.

ومن سورة يوسف فى : ١١٠.

ومن سورة الرعد فى : ٣٢.

ومن سورة الحجر فى : ٨٥ - ٨٦ - ٨٧ - ٩٧).

ومن سورة النحل فى : ١٠٣ - ١٢٧ - ١٢٨.

ومن سورة الكهف فى : ٦ - ٢٨.

ومن سورة مريم فى : ٨٤ - ١٣٠.

ومن سورة الانبياءِ في : ٤١.
ومن سورة الفرقان في : ٥٨.
ومن سورة الشعراءِ في : ٣.
ومن سورة النمل في : ٧٠ - ٧٩.
ومن سورة القصص في : ٨٥.
ومن سورة الروم في : ٦٠.
ومن سورة لقمان في : ٢٣.
ومن سورة الاحزاب في : ٤٨.
ومن سورة فاطر في : ٤ - ٢٤ - ٢٥.
ومن سورة يس في : ٧٦.
ومن سورة الصافات في : ١٧٤ - ١٧٥ - ١٧٨ - ١٧٩.
ومن سورة ص في : ١٧.
ومن سورة الزمر في : ٣٦.
ومن سورة الزمر في : ٣٦.
ومن سورة حم مؤمن في : ٥١ - ٥٥.
ومن سورة حم السجدة في : ٤٣.
ومن سورة حم الشورى : ٤٨.
ومن سورة حم الزخرف في : ٤١ - ٨٩.
ومن سورة حم الاحقاف في : ٣٥.
ومن سورة الذاريات في : ٥٤.
ومن سور الطور في : ٢٩ - ٤٨.
ومن سورة النجم في : ٢٩.
ومن سورة القمر : ٦.

ومن سورة قلم: ٢ - ٣ - ٨ - ٤٨.

ومن سورة المعارج فى: ٥ - ٦.

ومن سورة المزمل فى: ١٠.

ومن سورة المدثر: ٧.

ومن القيامة: ١٦ - ١٧ - ١٨ - ١٩.

ومن الدهر: ٢٤. ومن الغاشية: ٢١ - ٢٢.

ومن الضحى: ١ - ٢ - ٣ - ٤ - ٥.

ومن الانشراح: ١ - ٢ - ٣ - ٤ - ٥ - ٦ - ٧ - ٨.

ومن الكوثر: ١ - ٣.

هذه ثمان وثمانون آية للتسلية بعنوانات شتى.

* * * * * *

الأمر الخامس من الأمور السبعة : الترغيب والتشجيع

قد يذكر لتاكيد الدعوىٰ ما يرغب اليها والى مايمدها (من القرآن و التبليغ والجهاد والهجرة وغيرها) أو ما يثبت الداعى الى التوحيد والإيمان ويشجعه لئلا يترك الدعوى ولا يداهن.

ولهما عناوين مختلفة

الأول : الترغيب الى القرآن.

وقد ذكر ما يرغب الى القرآن فى بحث صدق القرآن. فلذا نكتفى بالإجمال فى هذا المقام.

فمن سورة البقرة فى : ٢ - ٢٤٢.

ومن سورة الانعام فى : ٩٢ - ١١٥.

ومن سورة الاعراف فى : ٢.

ومن سورة يونس فى : ١ - ٥٧ - ١٠٨.

ومن سورة هود فى : ١ - ١٢٠.

ومن سورة يوسف فى : ١ - ١١١.

ومن سورة الرعد فى : ١.

ومن سورة ابراهيم فى : ١ - ٥٢.

ومن سورة الحجر فى : ١.

ومن سورة الاسراءِ فى : ١٠٥.

ومن سورة طه فى : ١١٣.

ومن سورة الانبياءِ فى : ٥٠.

ومن سورة النور فى : ١ - ٣٤ - ٤٦.

ومن سورة الشعراءِ فى : ١ - ١٩٢.

ومن سورة النمل فى : ١ - ٢ - ٧٦.

ومن سورة القصص فى : ٢ - ٥٢.

ومن سورة لقمان فى : ٢ - ٣.

ومن سورة الم السجدة فى : ٢.

وفى سورة الزمر : ١ - ٤١.

وفى سورة حم مؤمن : ٢.

وفى سورة حم السجدة : ٢ - ٣.

وفى سورة الزخرف : ٣ - ٤ - ٤٣.

وفى سورة الجاثية : ٢ - ٦ - ٢٠.

ومن سورة القمر فى : ١٧ - ٢٢ - ٣٢ - ٤٠.

ومن سورة الواقعة فى : ٧٧.

ومن سورة العلق فى : ١ - ٣.

والثانى : الترغيب والتشجيع على الجهاد.

وقد مر منه كثيرا فى بحث الجهاد من هذا الكتاب.

فلذا نكتفى بالاختصار.

فمن سورة البقرة : فى ٢٠٨ - ٢١٣ - ٢١٤ ٢٤٣ - ٢٤٦.

ومن سورة آل عمران فى : ١٣٩ - ١٤٢ - ١٤٥.

ومن سورة النساءِ فى : ٧٤ - ٨٤ - ٩٥.

ومن سورة الانفال فى : ٢٦ - ٧٢.

ومن سورة التوبة فى : ١٦ - ١١١ - ١٢٠.

ومن سورة محمد فى : ٤ - ٣٥.

ومن سورة الصف فى : ٤.

والثالث : التشجيع على التبليغ

ولكثرة الآيات نكتفى بالاقتصار على الأرقام للآيات.

ومن سورة آل عمران : ١٨٦.

ومن سورة المائدة فى : ١٠٥.

ومن سورة الاسراءِ فى : ٧٣.

ومن سورة طه فى : ٢ - ٩ - ٩٩ - ١١٤.

ومن سورة الحج فى : ٦٧.

ومن سورة الفرقان فى : ٥٢ - ٥٦ - ٥٧.

ومن سورة الشعراءِ فى : ٢١٤.

ومن سورة النمل فى : ٧٩.

ومن سورة القصص فى : ٢ - ٨٧.

ومن سورة العنكبوت فى : ٢ - ٦ - ٦٩.

ومن سورة الاحزاب فى : ١ - ٣ - ٤٨.

ومن سورة حم الشورى فى : ١٥.

ومن سورة ق فى : ٤٥.

ومن سورة الذاريات فى : ٥٥.

ومن سورة الطور فى : ٢٩.

ومن سورة القلم : ٨ - ٩.

ومن سورة المزمل فى : ٢ - ٣ - ٤.

ومن المدثر من ١ إلىٰ ٧. ومن سورة الاعلىٰ فى : ٩.

ومن سورة الغاشية فى : ٢١.

والرابع : الترغيب إلى إطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم :

قد ذكرنا فى بحث صدق الرسول من هذا الشان كثيراً. فللتمثيل نذكر بعض الآيات.

فمن سورة آل عمران فی : ٣١ - ١٦٤ .

ومن سورة النساءِ فی : ٨٠ - ١٧٠ .

ومن سورة الاحزاب فی : ٢١ .

والخامس : الترغيب إلى تعميل الأحكام الإلهية

فمن سورة النساءِ فی : ١ - ٢٦ - ٢٧ - ٢٨ .

ومن سورة الانعام فی : ١٦٥ .

ومن سورة الاعراف : ١٠ .

ومن سورة الاسراءِ فی : ٧٠ .

ومن سورة الزمر فی : ١٠ - ٥٣ .

ومن سورة الحشر فی : ١٨ .

والسادس : الترغيب إلى الهجرة .

فمن سورة النساءِ فی : ١٠٠ .

ومن سورة الانفال فی : ٧٢ .

ومن سورة الحج فی : ٥٨ .

ومن سورة العنكبوت : ٥٦ .

والسابع : الترغيب الى الانفاق فی سبيل الله

وقد مر كثير من هذا فی بحث الانفاق فی سبيل اللّٰه .

ففی سورة الحديد : ٧ - ١٠ - ١١ .

وفی سورة المنافقون : ١٠ .

وفی سورة التغابن : ١٦ .

والثامن : الترغيب الى التعليم كما فی سورة التوبة : ١٢٢ .

******

الأمر السادس من الأمور السبعة :

التزهيد فى الدنيا وذكر ذلتها

الزهد ضد الرغبة يقال زهد فيه وعنه (مختار) فالتزهيد فى الدنيا ذكر قلتها وفنائها وكون محبتها سبباً لزوال محبة الله تعالىٰ وللعذاب لئلا يرغب فيها وفى القرآن الكريم له آيات كثيرة نعدها.

١ - قال الله تعالىٰ : زين للناس حب الشهوات من النساءِ والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب (آل عمران : ١٤).

٢ - مثل ما ينفقون فى هذه الحيوة الدنيا كمثل ريح فيها صر أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم فاهلكته وما ظلمهم الله ولكن أنفسهم يظلمون (آل عمران : ١١٧).

فى الآية : تقبيح الانفاق رغبة فى الحيوة الدنيوية معرضا عن ابتغاءِ مرضاة الله.

٣ - وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور (آل عمران : ١٨٥).

٤ - لا يغرنك تقلب الذين كفروا فى البلاد متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد (آل عمران : ١٩٦ - ١٩٧).

٥ - قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلاً (النساء : ٧٧).

٦ - وما الحياة الدنيا الا لعب ولهو وللدار الآخرة خير للذين يتقون افلا تعقلون (الانعام : ٣٢).

٧ - أرضيتم بالحيوة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا فى الآخرة الا قليل (التوبة : ٣٨)

٨ - انما مثل الحياة الدنيا كماء انزلناه من السماءِ فاختلط به نبات الارض مما ياكل الناس والانعام حتى اذا اخذت الارض زخرفها وازينت وظن أهلها انهم قادرون عليها اتاها أمرنا ليلاً او نهارا فجعلناها حصيداً كان لم تغن بالامس كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون (يونس : ٢٤).

في هذه الآية بيان فناءِ الدنيا وعدم وفائها بطريق التمثيل.

٩ - الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر وفرحوا بالحياة الدنيا وما الحياة الدنيا في الآخرة الا متاع (الرعد : ٢٦).

١٠ - ما عندكم ينفد وما عند الله باق ولنجزين الذين صبروا اجرهم باحسن ما كانوا يعملون (النحل : ٩٦).

١١ - انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا وانا لجاعلون ما عليها صيعدا جرزا (الكهف : ٧ - ٨).

١٢ - واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء انزلناه من السماءِ فاختلط به نبات الارض فاصبح هشيما تذروه الرياح وكان الله على كل شئ مقتدرا المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا (الكهف : ٤٥ - ٤٦).

١٣ - ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وابقى (طه : ١٣١).

وما أوتيتم من شئ فمتاع الحياة الدنيا وزينتها وما عند الله خير وأبقى أفلا تعقلون (القصص : ٦٠).

١٥ - وما هذه الحياة الدنيا الا لهو ولعب وان الدار الآخرة لهى الحيوان لو كانوا يعلمون (العنكبوت : ٦٤).

١٦ - يا أيها الناس ان وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور (فاطر : ٥).

١٧ يا قوم انما هذه الحياة الدنيا متاع وان الآخرة هى دار القرار (غافر: ٣٩).

١٨ - من كان يريد حرث الآخرة نزد له فى حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وماله فى الآخرة من نصيب (الشورى: ٢٠).

١٩ - ولولا ان يكون الناس امة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون ولبيوتهم ابوابا وسررا عليها يتكئون وزخرفا وان كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين (الزخرف: ٣٣ - ٣٤ - ٣٥).

٢٠ - اعلموا انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فى الأموال والاولاد كمثل غيث اعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما وفى الآخرة ع عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور (الحديد: ٢٠).

٢١ - كلا بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة (القيامة: ٢٠ - ٢١).

٢٢ - إن هؤلاءِ يحبون العاجلة ويذرون ورائهم يوما ثقيلا (الدهر: ٢٧).

٢٣ - بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وابقىٰ (الاعلىٰ: ١٦ - ١٧).

٢٤ - الهكم التكاثر حتى زرتم المقابر (التكاثر: ١ - ٢).

●●●●●●

ومما يتعلق بالتزهيد فى الدنيا :

الأمور المصلحة لمنكر التوحيد

وهى أمور ثلثة تتعلق بحال الدنيا.

١ - تحقير الدنيا.

٢ - و كون حب الدنيا سببا للعذاب الدنيوى.

٣ - وكونها سببا للعذاب الأخروى.

كما فى سورة الكهف من قوله تعالىٰ : واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لاحدهما جنتين الآية من (٣٢) إلىٰ (٤٤).

فيها بيان أن محبة الدنيا سبب للعذاب فى الدنيا.

وفى (٤٥) بيان حقارة الدنيا وقلتها ومن (٤٧) الى (٤٩) بيان أن حب الدنيا سبب للعذاب فى الآخرة.

وهذه أمور ثلثة لاصلاح منكرى الدعوى و كذا فى سورة مؤمن فى (٤) فيها ذكر تقلب الدنيا وتذللها وفى (٥) بيان أن حب الدنيا سبب للعذاب الدنيوى. وفى (٦) ذكر أن محبة الدنيا سبب للعذاب الأخروى.

******

الأمر السابع من الأمور السبعة :

الأمور المدافعة للعذاب

وهذا يتعلق بالتخويف الدنيوى والأخروى بأنه اذا ذكر العذاب من أحد هذين النوعين فيذكر للتحفظ منه أمور ثلثة وهى عدم الإشراك بالله تعالىٰ ،عدم ظلم العباد والإحسان بالعباد.

قال الله تعالىٰ: لا تجعل مع الله إلهاً آخر فتقعد مذموماً مخذولاً وقضى ربك أن لا تعبدوا الا اياه وبالوالدين إحساناً (الاسراء : ٢٢، ٢٣).

فيها نهى عن الإشراك بالله والأمر بعبادة الله تعالىٰ وحده وقال تعالىٰ: وبالوالدين الآية (الاسراء: ٢٥) وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا (الاسراء: ٢٦)

فى هذه الآيات الأمر بالاحسان بعباد الله تعالىٰ المستحقين للإحسان.

وقال تعالىٰ: ولا تقتلوا أولادكم خشية املاق الآية

(الإسراء: ٣١، إلىٰ: ٣٧).

فى هذه الآيات نهى عن المظالم وهى قتل الأولاد وقربان الزنا وقتل النفس بغير حق وقربان مال اليتيم واقتفاء مالا دليل عليه والمرح فى الأرض وهذه الأمور الثلثة لدفع العذاب الأخروى.

وقال الله تعالىٰ: قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون (المؤمنون: ١، إلىٰ: ٩)

فيها ذكر هذه الأمور الثلثة أيضاً.

وقال الله تعالىٰ: وما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون (من: ٣٦، الى: ٤٣).

فى هذه الآيات أيضاً بيان تلك الأمور الثلثة.

وقال الله تعالىٰ: إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاءِ ذى القربى وينهى عن الفحشاءِ والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون (النحل: ٩٠)

فى هذه الآية أيضا ذكر تلك الأمور الثلثة التى تظهر بالتدبر والتأمل لدفع العذاب فى الدنيا والآخرة.

تم إلى هذا المقام القسم الأول من المقصد الثالث فى بيان ما يؤكد الدعوىٰ فى السورة.

✲✲✲✲✲✲

القسم الثاني من المقصد الثالث

في بيان أمور تفيد البصيرة في فهم مراد الآيات الكريمة

وهي أيضا سبعة ونسميها إصطلاحات وقواعد :

القاعدة الأولىٰ : طرق التعليم.

أكثر ما تكون الآية مصدرة بلفظ (قل) خطاباً للنبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم.

وهو في موضع يكون سؤالا مقدرا واعتراضا مخدرا من جانب المنكرين فيعلم الله تعالىٰ نبيه صلى الله عليه وسلم جوابا وهو أحسن طريق الدعوة.

وهذا موجود في سورة الأنعام وسورة سبأ كثيراً.

١ - قال الله تعالىٰ : قل أغير الله أتخذ وليا فاطر السموات والارض وهو يطعم ولا يطعم قل انى أمرت أن اكون اول من اسلم ولا تكونن من المشركين (الانعام : ١٤).

اذا كان المشركون يدعون الى الشرك والى اتخاذ الأولياءِ من دون الله تعالىٰ فيجابون بجواب قل الأول.

ثم يقولون ليس في هذا الفعل عصيان فكن معنا، فالجواب بـ(قل) ثانياً.

٢ - قل إني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم (الانعام : ١٥).

في هذه الآية جواب قولهم إن هذا الفعل لو فرض انه عصيان فليس أمرا كبيرا يكون فيه العذاب فأجيب.

٣ - قل أي شيء اكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم وأوحي الى هذا القرآن لانذركم به ومن بلغ أإنكم لتشهدون أن مع الله آلهة أخرى قل لا اشهد قل انما هو اله واحد وانني بريء مما تشركون (الانعام : ١٩).

في هذه الآية أولا جواب عن سؤالهم الشهادة على التوحيد وثانياً جواب

عن شهادتهم بالإشراك فافهم.

٤ - قل لا أقول لكم عندى خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم انى ملك ان اتبع الا ما يوحى الىّ قل هل يستوى الاعمى والبصير افلا تتفكرون (الانعام: ٥٠).

فى هذه الآية تعليم الأجوبة عن الأسئلة الثلثة للمشركين:

١ - السؤال الأول: لو كنت نبيا مقربا الى الله لكانت رفقاؤك متمولين أثرياء أغنياء ببركة صحبتك كما هى عقيدة أهل الشرك والأوهام أن فى مجاورة العظماءِ وصحبة الأولياءِ يحصل الغناء وكثرة الأموال.

فأجيب (قل لا أقول لكم عندى خزائن الله).

والسؤال الثانى: لو كنت من المقربين الى الله تعالىٰ لكنت عالم الغيوب باعتقادهم علم الغيب فى الأنبياءِ والأولياءِ، كما هو المشهور فيهم. فأجيب: (ولا أعلم الغيب).

٣ - والثالث: لو كنت نبياً مقرباً الى الله تعالىٰ لكانت الصفات البشرية مفقودة فيك من الأكل والشرب وغيرهما لأن المشركين يعتقدون فى ما يعبدون من دون الله تعالىٰ أنهم متصفون بالصفات الملكية متعالون عن الحوائج البشرية. فأجيب: (ولا أقول لكم إنى ملك).

ثم إنهم قد يدعون التسوية بين الموحد والمشرك. فأجيب: (قل هل يستوى الأعمى والبصير أفلا تتفكرون).

٥ - قل إنى نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله قل لا اتبع اهوائكم قد ضللت اذا وما أنا من المهتدين (الانعام: ٥٦).

٦ - قل انى على بينة من ربى وكذبتم به ما عندى ما تستعجلون به ان الحكم الا لله يقص الحق وهو خير الفاصلين (الانعام: ٥٧).

٧ - قل لو ان عندى ما تستعجلون به لقضى الامر بينى وبينكم والله اعلم

بالظالمين (الانعام : ٥٨).

٨ - قل أندعو من دون الله ما لاينفعنا ولا يضرنا الآية (الانعام : ٧١).

فى هذه الآيات تعليم جواب لاعتراضات المشركين.

يقولون أولا : لم لاتعبد مثل عبادتنا لغير الله.

وثانياً : فما علة النهى عن اتباع طريقنا.

وثالثاً : فما وجه كون طريقك حقاً.

ورابعاً : لوكنا على الباطل فلم لا تأتى بالعذاب علينا عاجلاً.

وخامساً : ما قباحة دعاءٍ غير الله تعالىٰ.

وكذلك من (١٦١) إلى (١٦٤) فى سورة الانعام وتقدير الأسألة مبنى على التفكرُ.

وكذا فى سورة سبأ من (٢٤) إلىٰ (٢٧) ومن (٤٦) إلىٰ (٥٠) كل منها جواب لسؤال مقدر يعلم بالتدبر.

والقاعدة الثانية : الادماج والإندماج

يقال دمج الشئ دخل فى غيره واستحكم فيه. وبابه دخل و كذا اندمج وادمج بتشديد الدال وادمج الشئ لفه فى ثوبه (مختار الصحاح : ١٦٦).

والمراد به ههنا حذف بعض الكلام أو بعض القصة غير المقصود بالذكر لدلالة المذكور عليه. ولا بد فى فهم المراد وتفصيل القصة من الإشارة إلىٰ ذلك المحذوف.

وله أمثلة كثيرة فى القرآن الكريم.

المثال الأول : قوله تعالىٰ (بسم الله الرحمن الرحيم) فيه ادماج معنى الربوبية والمالكية كما فصلنا فى تفسير الفاتحة. فانظر هناك.

والمثال الثانى : قوله تعالىٰ : (مثلهم كمثل الذى استوقد ناراً) فيه ادماج على توجيهٍ واحد أى توجيه تطبيقه على الكفار وهو (وفى هذا الموضع رجال

رجال قاعدون مندمج لإرجاع ضمائر الجمع فيما بعد وتتمة المعنى.

والمثال الثالث : (أو كصيب من السماءِ فيه ظلمات ورعد وبرق) فى هذه الآية ادماج لإرجاع ضمائر الجمع ولا بد من مرجع. فعند أكثر المفسرين المضاف محذوف اى ذوى صيب. وعند الشيخ (حسين على) الفنجابى شيخ مشائخنا الكرام رحمه الله تعالىٰ هنا لفظ (وفى هذا الموضع رجال) مندمج.

والمثال الرابع : قوله تعالىٰ : (ويعلمه الكتاب والحكمة والتورات والانجيل) آل عمران : ٤٨ .

فى هذه الآية وما قبلها ذكر بشارة الملائكة مريم بولادة عيسى عليه السلام الموصوف بالصفات الجميلة المذكورة فبعدها فى الكلام ادماج أى لما ولد وأرسل إلى بنى اسرائيل وأعطى الخوارق الدالة على نبوته فقال لهم : أرسلت رسولاً الى بنى اسرائيل إلى آخر الآيات.

والمثال الخامس: قال الله تعالىٰ :

يا يحيىٰ خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكمة صبياً (مريم : ١٢).

ففى الآيات السابقة البشارة بولادة يحيى مع بيان العلامة. ففى الكلام ادماج أى أن يحيىٰ ولد وبلغ إلى وقت النبوة ثم نبئ فقال له : يا يحيىٰ خذ الكتاب بقوة إلى آخر الآيات.

وهذه القاعدة تجرى فى أكثر القصص القرآنية كما لا يخفى على المتدبر فى القرآن.

والقاعدة الثالثة : إعادة اللفظ لبعد العهد

وهى ذكر الشئ مرة ثانية لبعد عهد ذكره. والمراد بها ههنا أن يذكر شئ لبيان بعض ما يتعلق به ثم بعد طول التفاريع يذكر ذلك الشئ مرة ثانية لبيان متعلقات أخر. وعلى هذا لا حاجة لبيان فائدة التكرار كما يذكرها

المفسرون. وأمثلتها كثيرة.

المثال الأول : قال الله تعالىٰ : (قلنا اهبطوا منها جميعاً فاما يأتينكم منى هدى فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولاهم يحزنون (البقرة : ٣٨).

لما قال سابقاً : (وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو (البقرة : ٣٦) وذكر بعض ما يتعلق بالهبوط من العداوة فيما بينهم وصورة الحياة الدنيا وانجر الكلام إلى تلقى آدم كلمات و بيان التوبة : أعاد كلمة الهبوط ثانياً. وذكر باقى ما يتعلق به من الأحكام التشريعية الدنيوية.

والمثال الثانى :

(واذ قال الله يا عيسىٰ بن مريم أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى الهين من دون الله الآية (المائدة : ١١٦).

وقال الله تعالىٰ قبلها فى المائدة : ١١٠، أيضاً وذكر ما يتعلق به من تذكير النعم عليه وغيره من الأمور الكثيرة فأعاد ثانياً هذه الكلمة لذكر متعلقات أخر.

والمثال الثالث :

قال الله تعالىٰ : فلولا ان كنتم غير مدينين ترجعونها ان كنتم صادقين (الواقعة :٨٦، ٨٧).

قال سابقا : فلولا اذا بلغت الحلقوم (٨٢) فلم يذكر مدخولا للفظ (لولا) ولاجزاء له وذكر مايتعلق بلفظ (لولا) من بلوغ الروح الى الحلقوم ونظر الأقرباءِ الجالسين إليه وقربان الله تعالىٰ أو ملائكة الموت إلى الميت، ثم أعاد لفظ (لولا) لبيان متعلقات أخر.

والمثال الرابع : قال الله تعالىٰ : إقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم علم الانسان مالم يعلم (العلق : ٣، ٤، ٥) قال أولاً : اقرأ بسم ربك الذى خلق. فأعاد ثانياً (اقرأ) لبيان متعلقا ت أخر بعد ذكر المتعلقات مع (اقرأ) أولاً.

القاعدة الرابعة : الإدخال الإلهى.

وهو على طريقين

الأول : ذكر بعض الكلام تبعاً للسابق ويقال له التنوير أيضاً، لأن السابق مستلزم للاحق فتسليم المقدم يستلزم تسليم المتأخر.

١ – قال الله تعالىٰ : قال علمها عند ربى فى كتاب لا يضل ربى ولا ينسى (طه : ٥٢). ذكر موسى عليه السلام من بعض صفات ربه تعالىٰ. ثم بعده ذكر الله من صفات نفسه دليلاً على توحيده من (٥٣) إلى (٥٥).

٢ – ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم (الزخرف : ٩) ثم بعدها ذكر من صفات الفعلية التى يلزم تسليمها من تسليم الأول.

والثانى : ذكر كلام فى درج قصص لفوائد وحكم وهذا مثل الجملة المعترضة.

قال الله تعالىٰ فى درج قصص الرجل المؤمن من آل فرعون :

١ – إن الله لا يهدى من هو مسرف كذاب (حم مؤمن : ٢٨).

فهذا جواب سؤال مقدر : هل انتفع فرعون بما وعظه رجل مؤمن ؟ فأجيب.

٢ – وما الله يريد ظلماً للعباد (٣١).

جواب سؤال مقدر : أليس إهلاك هذه الأقوام ظلماً ؟

٣ – ومن يضلل الله فما له من هاد (٣٣).

جواب لما يقال تقديرا :

هل تأثر فرعون من التخويف الأخروى المذكور؟

٤ – وما كيد فرعون الا فى تباب (٣٧).

جواب لما يقال تقديراً :

هل أفاد بناء الصرح لفرعون وهل نجع كيده ؟ فأجيب.

القاعدة الخامسة :

من قبيل علفتها تبناً وماءً بارداً.

والمراد بها أن يكون الفعلان مثلاً مختلفى المتعلقين. أى يكون لكل واحد منهما مفعول عليحدة فحذف الفعل الثانى للإختصار وأبقى متعلقه للقرينة عليه. ففى هذه الجملة المشهورة كان الأصل علفتها (أى الدابة) تبناً وسقيتها ماءً بارداً. فحذف (سقيتها) للإختصار لدلالة المتعلق عليه. ولها أمثلة كثيرة فى القرآن الكريم نتلو عليك بعضها. قال الله تعالىٰ :

١ – وله ما سكن فى الليل والنهار وهو السميع العليم (الانعام : ١٣).

فلفظ سكن اذا كان من السكون وهو الوجه الراجح فهو لايناسب النهار لأن النهار ليس للسكون بل للنشور بدليل قوله تعالىٰ : وهو الذى جعل لكم الليل لباسا والنهار نشوراً (الفرقان : ٤٧) فعلم أن فى آية سورة الأنعام لفظ (نشر) مقدر قبل النهار. والمعنى : وله ماسكن فى اليل ونشر فى النهار.

٢ – قل من ذا الذى يعصمكم من الله ان اراد بكم سوء أواراد بكم رحمة (الاحزاب ١٧)

ففى هذه الآية لفظ (يعصمكم) لايناسب مع قوله (أوأراد بكم رحمة) كما هو الظاهر فعلم أن قبل (أو أراد بكم رحمة) تقدير يناسبه وهوان من ذا الذى يمنع عنكم الرحمة ان اراد بكم رحمة.

٣ – اذ الأغلال فى أعناقهم والسلاسل يسحبون (حم مؤمن : ٧١).

فلفظ السلاسل لا يناسب الأعناق لأن السلاسل ما يقيد بها الارجل فعلم ان مع السلاسل لفظ فى أرجلهم محذوف.

٤ – ان يشأ يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره ان فى ذلك لآيات لكل صبار شكور أو يقهن بما كسبوا ويعف عن كثير (الشورى : ٣٣، ٣٤).

فلفظ يوبقهن لا يحمل على قوله يسكن الريح كما لا يخفى فعلم أن ههنا تقدير أى أو إن يشأ يعصف الريح فيوبقهن بما كسبوا . اه‍.

ومن هذا القبيل قوله تعالى : يوم يأتى بعض آيات ربك لا ينفع نفساً ايمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى ايمانها خيراً (الانعام : ١٥٨) على توجيه واحد وهو أن قبل (كسبت) تقدير مناسب أى ولا ينفع نفساً عملها (إذا كان مؤمنا) لم تكن كسبت فى ايمانها خيراً. والظاهر أن المراد من العمل التوبة عن المعاصى فانها غير مفيدة وقت غرغرة الروح ووقت طلوع الشمس من المغرب.

وفى الآية توجيهات أخر وتحقيق لايسعها هذا المقام.

القاعدة السادسة : فى لفظ ثم وبعد

إعلم أن لفظ (ثم) فى القرآن الكريم يستعمل لأربعة معان :

١ – الأول : للتراخى مع المهلة والزمان.

٢ – والثانى : للإستبعاد.

٣ – و الثالث : للتفاوت بين الأمرين.

٤ – والرابع : للتعقيب الذكرى.

أما المعنى الأول : فمشهور بين النحاة والأصوليين. والمراد به كون ما بعد (ثم) متراخياً بالزمان عما قبلها. وأمثلة هذا المعنى كثيرة،

١ – قال الله تعالىٰ : كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم اليه ترجعون (البقرة : ٢٨).

٢ – وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئونى بأسماءِ هؤلاءِ الآية (البقرة : ٣١).

٣ – واذا واعدنا موسى أربعين ليلة ثم اتخذتم العجل من بعده وانتم ظالمون (البقرة : ٥١).

ففى هذه الآيات ثم للتراخى كما هو الواضح.

وأما المعنى الثانى : فالمراد به ان وقت وجود الأمر السابق كون الأمر اللاحق يستبعده العقل السليم.

١ - قال الله تعالىٰ : الحمد لله الذى خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون (الانعام : ١).

فالمراد ان مع ثبوت كونه تعالىٰ خالقاً للسموات والارض وخالق الظلمات والنور بعيد من العقل السليم الصافى أن يعدل به تعالىٰ أحد غيره.

٢ - هو الذى خلقكم من طين ثم قضى أجلاً وأجل مسمى عنده ثم انتم تمترون (٢).

فى هذه الآية لفظ ثم الثانى للإستبعاد أى حين كونه خالقا لكم مع الاجل يستبعد أن تشكوا أو تجادلوا فى ربوبيته تعالىٰ.

وأما المعنى الثالث :

فحاصله أن بين المعطوف عليه والمعطوف تفاوتا وبونا بعيدا وفرقا مديداً لاتناسب بينهما من أى وجه، وإن لم يكن المعطوف متراخيا بالزمان.

وهذا فى قوله تعالىٰ : هو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعاً ثم استوى إلى السماءِ فسواهن سبع سموات وهو بكل شئ عليم (البقرة : ٢٩).

على توجيه بعض المفسرين . مثل المفسر البيضاوى أن ثم هنا للتفاوت بين الخلقين.

وكذا فى حم السجدة : ١١ على قول. وأمثلة المعنى الثانى أيضاً تناسب هذا المعنى فافهم.

وأما المعنى الرابع : فالمراد به كون ما بعد ثم مؤخراً فى الذكر عما قبلها سواء كان مؤخرا فى الزمان أو مقدماً.

١ - قال الله تعالىٰ : ثم آتينا موسى الكتاب تماما على الذى أحسن

وتفصيلا لكل شئ (الآية : الانعام : ١٥٤).

ليس المراد أن إيتاء موسى الكتاب كان مؤخرا عن نزول القرآن المذكور في الآية المقدمة ولكن المراد أن بعد ذكر القرآن ينبغي أن يسمع ذكر التوراة.

٢ - ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس لمن يكن من الساجدين (الاعراف : ١١).

في هذه الآية اذا لم يأول بخلق أبيكم وتصويره يرد إشكال صراحة بأنه لايصح كون أمر الملائكة بالسجود لآدم بعد خلق جميع المخاطبين وتصويرهم لأنهم لم يخلقوا ولم يصوروا وقت السجود لآدم عليه السلام. فعلم أن ثم الثاني للتعقيب الذكري فقط أي أنعمنا عليكم بالخلق والتصوير وبعد ذكر هذا الإنعام يناسب أن تسمعوا إنعاماً آخر وهو سجود الملائكة لأبيكم آدم عليه السلام.

وكذا لفظ بعد يأتي لمعان كثيرة لا يتعلق غرضنا بتفصيل تلك المعاني هنا ولكن قد يستعمل لمعنى التعقيب الذكري مثل ثم. وهذا في قوله تعالىٰ : والارض بعد ذلك دحاها (النازعات : ٣٠).

عند من يقول : إن خلق الارض مقدم على خلق السموات كما هو الموافق لظاهر ما في البقرة : ٢٩. وما في حم السجدة : ١١. وهو الراجح عند مشائخنا رحمهم الله تعالىٰ في هذه الآية (أي آية النازعات) لفظ بعد للتعقيب الذكري أي بعد ذكر دلائل خلق السماءِ وما فيها يناسب ذكر انعام وهو دحو الارض وإخراج الماءِ والمرعىٰ منها. فعلى هذا يدفع التعارض الظاهري في تلك الآيات على أسهل وجه وأحسنه فافهم! أو يقال : ان بعد بمعنى مع كما قال القرطبي.

والقاعدة السابعة : استعمال لفظ كذلك

وهو على أربعة اوجه : ١ - الأول : للتمثيل ٢ - والثاني : للتعليل ٣ -

والثالث : لبيان الكمال ٤ - والرابع : لبيان الإستمرار والدوام.

أما الأول فهو ظاهر لأن الكاف للتمثيل والتشبيه وذلك لبيان المشبه به والمشبه قد يكون مقدما وقد يكون مؤخراً والأخير معه الأكثر. وهذا في القرآن كثير الوقوع.

١ - قال الله تعالىٰ : فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيى الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون (البقرة : ٧٣).

٢ - كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم (البقرة : ١١٣).

٣ - كذلك يريهم الله اعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار (البقرة : ١٦٧).

٤ - كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا (الانعام : ١٤٨).

وأما الثاني : أي كونه للتعليل فهو بمعنى اللام أي لذلك.

١ - قال الله تعالىٰ : كذلك يضل الله من هو مسرف كذاب (غافر : ٣٤). كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار (غافر : ٣٥).

وأما الثالث : أي كونه لبيان الكمال فالمراد به انه يكون ما بعده في مرتبة الكمال ولايراد به التشبيه.

قال الله تعالىٰ : وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس (البقرة : ١٤٣).

والمفسرون جعلوه للتشبيه ولكن قال الشيخ غلام الله خان المرحوم :.إن هذا لبيان الكمال أي كونه أمة عدلاً في مرتبة الكمال.

٢ - كذلك يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون (البقرة : ١٨٧). أي ليس البيان مثل هذا البيان في الكمال.

٣ - كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تعقلون (البقرة : ٢٤٢).

وأما الرابع : فهو في سورة الانعام في بيان عقبات التبليغ على ما نبين ان

شاء الله تعالىٰ في تفسير سورة الأنعام. والمراد به ان هذه عادة جارية مستمرة.

١ - قال الله تعالىٰ: وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاءِ من الله عليهم من بيننا (الانعام: ٥٣) وكذا في (٥٥، ١٠٥، ١١٢، ١٢٣، ١٢٩).

******

تتمة في المباحث السبعة

البحث الأول: في أنواع إستفتاح السور:

إعلم أن جميع سور القرآن مائة وأربع عشرة سورة وفيها يلغز فيقال: أي شئ اذا عددته زاد على المائة واذا عددت نصفه كان دون العشرين. فيقال في حله: إنها سور القرآن الكريم لأنها إلى سورة الكهف نصف القرآن ولم تبلغ إلى عشرين وجميعها يزيد على المائة.

وقد افتتح الله تعالىٰ سور كتابه بعشرة أنواع من الكلام.

الأول: الإستفتاح بالثناءِ وهو إما على سبيل ثبوت الصفات الكاملة وإما على سبيل التنزيه عن صفات النقص.

أما الأول: فالحمد في افتتاح خمس سور: الفاتحة والأنعام والكهف وسبأ وفاطر. وتبارك في سورتين: الفرقان والملك.

أما الثاني: أي التنزيه والتسبيح ففي سورة الأسراءِ بصيغة المصدر.

وفي سورة الحديد والحشر والصف بصيغة الماضي.

وفي سورة الجمعة والتغابن بصيغة المستقبل.

وفي سورة الاعلىٰ بصيغة الأمر.

وهذا استيعاب لكلمة التسبيح من جميع جهات التصريف.

والثاني: الإستفتاح بحروف التهجي من المقطعات

وهـي فـي تسـع وعشـريـن سـورـة وهي كلها ثمانية وسبعون حرفاً بعدد شعب الإيمان ذكرت بهذا العدد المذكور في البيت.

كن واحد عيهق اثنان ثلثة صاد : الطاء أربعة والسين خمس علا

والراء ست وسبع الحاء ال ودج : وميمها سبع عشر تم واكتملا

وجـمـلة هـذه الـحـروف بحذف التكرار أربعة عشر حرفاً يجمعها قولك (نـص حـكيم قاطع له سر) أو قولك (لم يسطع نور حق كره) أو قولك (طرق سـمـعك الـنـصيـحة) أو قـولك (صراط على حق نمسكه) وهذا التعبير على مرضى أهل الرفض.

وقال أهل السنة : صح طريقك مع السنة.

والثالث : الإستفتاح بالنداءِ لعامة المؤمنين.

كما في المائدة والحجرات والممتحنة.

أو بـالـنـداءِ لـلنبي صلى الله عليه وسلم كما في سورة الاحزاب والطلاق والتحريم والمزمل والمدثر.

والرابع : الإستفتاح بالجملة الخبرية.

وهـو فـي ثـلـث وعشـريـن سـورـة : الأنفال، والبرائة، والنحل، والأنبياء، والـمـؤمنون، والنور، والزمر، ومحمد، والفتح، والقمر، والرحمن، والمجادلة، والـحـاقة، والـمـعـارج، ونـوح، والـقـيـامة، والبلد، وعبـس، والقدر، والبينة، و القارعة، والتكاثر، والكوثر.

والخامس : الإستفتاح بالقسم.

وهـو فـي خـمـس عشـرـة سـورـة : والصّٰفّٰت والذاريات والطور و النجم والـمرسلات والنازعات والبروج والطارق والفجر والشمس والليل والضحى والتين والعاديات والعصر.

والسادس : الإستفتاح بالشرط.

وهو فى سبع سور: الواقعة والمنافقون والتكوير والانفطار والانشقاق والزلزال والنصر.

والسابع: الإستفتاح بالأمر.

وهو فى ست سور: سورة الجن وسورة العلق و الكافرون والإخلاص والفلق والناس.

والثامن: الإستفتاح بالدعاءِ أى دعاءِ الشر.

وهو فى ثلث سور: التطفيف والهمزة وتبت.

والتاسع: الإستفتاح بالإستفهام.

وهو فى ست سور: الدهر والنبأ والغاشية والانشراح والفيل والماعون.

والعاشر: الإستفتاح بالتعليل. وهو فى سورة قريش.

وهذا ما نظمه أحد فى البيتين.

اثنى علىٰ نفسه سبحانه بثبوت: المدح والسلب لما استفتح السور

والأمر شرط النداء التعليل والقسم: الدعاء حروف التهجى استفهم الخبر

••••••

البحث الثانى: فى بيان التفسير والتأويل

وفيه ثلثة مقامات

الأول: بيان معانيهما اللغوية

إعلم أن التفسير تفعيل من الفسر وهو البيان و الكشف وبابه ضرب والتفسير مثله. ويقال هو مقلوب السفر تقول أسفر الصبح اذا أضاء. وقيل: ماخوذ من التفسرة وهى اسم لما يعرف به الطبيب المرض.

وقال الإمام الزركشى: وأما التفسير فى اللغة فهو راجع الى معنى الإظهار والكشف وأصله فى اللغة من التفسرة وهى القليل من الماءِ الذى ينظر فيه

الأطباء فكما أن الطبيب بالنظر فيه يكشف عن علة المرض فكذلك المفسر يكشف عن شان الآية وقصصها ومعناها والسبب الذى أنزلت فيه وكأنه تسمية بالمصدر، لأن مصدر فعل جاء أيضاً على تفعلة نحو : جرب تجربة، وكرم تكرمة.

وقال الأنبارى : قول العرب : فسرت الدابة وفسرتها اذا ركضتها محصورة لينطلق حصرها وهو يؤول إلى الكشف أيضاً (البرهان : ٢/١٤٧).

والتأويل : أصله فى اللغة من الأول ومعنى قولهم : ما تأويل هذا الكلام ؟ أى الام تؤول العاقبة فى المراد به كما قال تعالىٰ : يوم يأتى تاويله أى تكشف عاقبته ويقال : آل الأمر الى كذا أى صار اليه. وقال تعالىٰ : ذلك تاويل ما لم تسطع عليه صبراً. وأصله من المآل وهو العاقبة والمصير. وقد أولته فآل أى صرفته فانصرف فكان التاويل صرف الأية الى ما تحتمله من المعانى. وقيل أصله من الإيالة وهى السياسة فكأن المؤول للكلام يسوس الكلام ويضع المعنى فيه موضعه (البرهان : ٢/ ١٤٧).

وقال الإمام الراغب : التأويل من الأول أى الرجوع إلى الأصل. ومنه الموئل الموضع الذى يرجع اليه. وذلك هو رد الشئ إلى الغاية المرادة منه علماً أو فعلاً. ففى العلم نحو قوله تعالىٰ : وما يعلم تاويله الا الله.

وفى الفعل كقول الشاعر :

وللنوىٰ قبل يوم البين تاويل (مرجع)

وقوله تعالىٰ : هل ينظرون الا تاويله أى بيانه الذى هو غايته المقصودة منه. والأول السياسة التى تراعى مالها يقال أول لنا وايل علينا.

(المفردات للراغب : ٣٠).

والمقام الثانى : فى بيان الفرق بين التفسير والتاويل اصطلاحاً.

الفرق بينهما فى اللغة يدل على أن بينهما فرقا فى المعنى الإصطلاحى

المنقول اليه ضرورة. فلا وجه لقول من قال : إن التفسير والتاويل واحد بحسب عرف الإستعمال. كما قال أبو عبيد. وقد بالغ فى رد هذا القول ابن حبيب النيسابورى فقال : قد نبغ فى زماننا مفسرون لو سئلوا عن الفرق بين التفسير والتاويل لم يهتدوا اليه.

ثم فى الفرق أقوال مختلفة متقاربة. نقلها الزركشى فى البرهان والسيوطى فى الإتقان.

فقيل : التفسير كشف المراد عن اللفظ المشكل ورد أحد الإحتمالين إلى ما يطابق الظاهر. وقال الراغب : التفسير أعم من التاويل وأكثر استعماله فى الألفاظ. وأكثر استعمال التاويل فى المعانى كتأويل الرؤيا وأكثره يستعمل فى الكتب الإلهية والتفسير يستعمل فى غيرها. والتفسير أكثر ما يستعمل فى معانى مفردات الألفاظ.

وقيل : التفسير علم نزول الآية وسورتها وأقاصيصها والإشارات النازلة فيها ثم ترتيب مكيتها ومدنيتها ومحكمها ومتشابهها وناسخها ومنسوخها وخاصها وعامها ومطلقها ومقيدها ومجملها ومفسرها. وزاد فيها قوم فقالوا علم حلالها وحرامها ووعدها ووعيدها وأمرها ونهيها وعبرها وأمثالها. وهذا الذى منع فيها القول بالرأى. والتاويل صرف الآية إلىٰ ما تحتمله من المعانى.

وقيل : التاويل كشف الغلق من المعنى. ولهذا قال البجلى : التفسير يتعلق بالرواية والتاويل يتعلق بالدراية.

وقال أبو نصر القشيرى : يعتبر فى التفسير الاتباع والسماع. والتاويل يتعلق بالإستنباط.

وقال أكثر المفسرين : التفسير الكشف بالنقل والتاويل صرف الآية الى معنى موافق لما قبلها وما بعدها تحتمله الآية غير مخالف للكتاب والسنة من طريق الإستنباط. وهذا غير محظور على العلماءِ بالتفسير.

وقد رخص فيه أهل العلم.

وقيل: التفسير بيان لفظٍ لا يحتمل الا وجها واحدا والتاويل توجيه لفظ متوجه إلى معان مختلفة إلىٰ واحد منها بما ظهر من الأدلة.

وقال الماتريدى: التفسير القطع على أن المراد من اللفظ هذا والشهادة على الله تعالىٰ انه عنى باللفظ هذا. فان قام دليل مقطوع به فصحيح والا فتفسير بالرأى.

وهو المنهى عنه (كما سيأتى) والتاويل ترجيح أحد المحتملات بدون القطع والشهادة على الله تعالىٰ.

وقال ابو طالب التغلبى: التفسير بيان وضع اللفظ إما حقيقة أو مجازاً. والتاويل: تفسير باطن اللفظ.

وقيل: التفسير كشف ما هو المراد باعتبار الظاهر. والتاويل ذكر ما يرجع اليه باعتبار الباطن. ويؤيده قوله عليه السلام: لكل آية ظهر وبطن ولكل حد مطلع.

فهذه الأقوال جلها يرجع إلىٰ أن التفسير بالرواية والتاويل بالدراية والعقل.

والمقام الثالث: بيان ماهو المراد بالتفسير بالرأى

وهو المنهى عنه بقوله عليه السلام: عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من قال فى القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار. وفى رواية: من قال فى القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار (رواه الترمذى).

وعن جندب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من قال فى القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ (رواه الترمذى وابو داود).

وفى اسناد الحديث الثانى سهيل بن ابى حزم وهو متكلم فيه. قال الذهبى

فى الميزان : قال ابن معين : صالح وقال ابو حاتم : ليس بالقوى. و كذا قال البخارى و النسائىٓ. وروى احمد : زهير عن ابن معين ضعيف.

(ميزان الاعتدال : ٢/٢٤٤).

ويمكن الفرق بين المراد فى الحديثين ان الأول فى شان من فسر بالرأى لإثبات هواه وبدعته و الثانى فى شان من يفسر المفرد أو الجملة مخالفا عن تفسير السلف و المفسرين الثقات وان لم يرد اثبات البدعة.

وأما الحديث الأول : فصحيح سالم عن الكلام.

ولما كان الغافلون الثرثارون لم يفرقوا بين التاويل و التفسير بالرأى وجعلوا أحدهما منزلة الآخر تصدى العلماء الراسخون لبيان المراد بالتفسير بالرأى فرقا بينه وبين التاويل.

فقال العلامة المفسر الخازنٓ: قال العلماء : النهى عن القول فى القرآن بالرأى انما ورد ففى حق من يتأول القرآن على مراد نفسه وهو تابع لهواه كما يحتج ببعض آيات القرآن على تصحيح بدعته وهو يعلم أن المراد من الآية غير ذلك لكن غرضه ان يلبس على خصمه بما يقوى حجته على بدعه كما يستعمله الباطنية والخوارج وغيرهم من أهل البدعة فى المقاصد الفاسدة (تفسير الخازن : ١/٦).

وقال السيوطىٓ: ولا يجوز تفسير القرآن بمجرد الرأى والإجتهاد من غير أصل.

قال الله تعالىٰ : ولا تقف ما ليس لك به علم (الاسراء : ٣٦) وقال : أن تقولوا على الله مالا تعلمون (البقرة : ١٦٩) وقال : لتبين للناس مانزل اليهم (النحل : ٤٤) فاضاف البيان إليه صلى الله عليه وسلم. وقال صلى الله عليه وسلم : من تكلم فى القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ. وقال : من قال فى القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار. قال البيهقى فى الحديث الأول : ان صح

فـانـمـا أرادوا – والله أعـلـم – الرأى الذى يغلب من غير دليل قام عليه. وأما الذى يسنده برهان فالقول به جائز (الاتقان : ٤/ ٢١٠).

وقال الامام أبو الحسن الماوردى : قد حمل بعض المتورعة هذا الحديث عـلـى ظـاهـره وامتـنـع مـن أن يستـنـبـط مـعانى القرآن باجتهاده ولو صحبتها الشـواهـد ولم يعارض شواهدها نص صريح. وهذا عدول عما تعبدنا بمعرفته مـن الـنـظـر فـى الـقـرآن واستـنـبـاط الأحـكـام كـما قال تعالىٰ : لعلمه الذين يستـنـبـطـونـه مـنهم. ولو صح ما ذهب اليه لم يعلم بشئ الا بالإستنباط. ولما فهـم الأكثرون من كتاب الله شيئاً، وإن صح الحديث فتأويله أن من تكلم فى الـقـرآن بـمـجـرد رأيـه ولـم يـعرج على سوى لفظه وأصاب الحق فقد أخطأ الطريق وأصابته اتفاقية اذا الغرض أنه مجرد رأى لا شاهد له.

(تفسير الماوردى).

وقـال ابـن الأنبـارى فـى الـحديث الأول : حمله بعض أهل العلم على أن الـرأى معنى به الهوى فمن قال فى القرآن قولا يوافق هواه فلم يأخذه عن أئمة السلف وأصاب فقد أخطأ (الاتقان : ٤/٢١٢).

والإمـام محمد بن أحمد القرطبى الأندلسى المتوفى (٦٧١) هـ عقد باباً فـى الـوعـيـد فـى تـفـسيـر القرآن بالرأى فقال : روى عن عائشة قالت : ما كان رسـول الله صـلـى الله عـليه وسلم يفسر من كتاب الله الا آيا بعد علمه إياهن جبريل قال ابن عطية : ومعنى هذا الحديث فى مغيبات القرآن وتفسير مجمله ونـحـو هـذا مـما لاسبيل إليه إلا بتوفيق من الله تعالىٰ ومن جملة مغيباته ما لم يـعـلـم الله بـه كـوقـت قيـام السـاعة ونـحوها مما يستقرى من الفاظه كعدد النفخات فى الصور وكرتبة خلق السموات والأرض.

وروى الـتـرمـذى عـن ابـن عبـاس عـن الـنبـى صـلـى الله عليه وسلم قال : لاتـقـولـوا الـحـديـث إلا مـا علمتم فمن كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من

النار. ومن قال فى القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار.

وروى أيضاً عن جندب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من قال فى القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ. قال هذا حديث غريب وأخرجه أبوداود وتكلم فى أحد رواته. وزاد رزين: ومن قال برأيه فأخطأ فقد كفر.

قال ابن الأنبارى فى كتاب الرد: فسر حديث ابن عباس رضى الله عنهما بتفسيرين أحدهما: من قال فى مشكل القرآن بمالا يعرف من مذهب الأوائل من الصحابة والتابعين فهو متعرض لسخط الله تعالىٰ. والجواب الآخر وهو أثبت القولين وأصحها معنى: من قال فى القرآن قولا يعلم أن الحق غيره فليتبوأ مقعده من النار. وقال فى حديث جندب: فحمل بعض أهل العلم هذا الحديث على أن الرأى معنى به الهوىٰ من قال فى القرآن بما لايعرف أصله ولايقف على مذاهب أهل الأثر والنقل فيه وليس يدخل فى هذا الحديث أن يفسر اللغويون لغة والنحويون نحوه والفقهاء معانيه ويقول كل واحد باجتهاده المبنى على قوانين علم ونظر. فان القائل على هذه الصفة ليس قائلاً بمجرد رأيه (تفسير القرطبى: ١/٣١، ٣٢).

فالحاصل: أن تفسير الفاظ القرآن مخالفاً عن تفسير السلف الصالح لإثبات بدعته وهواه كما هو ديدن المبتدعة الخرافيين اعتقاداً وعملاً تفسير بالرأى المذموم المنهى عنه فى الشرع الشريف.

✲✲✲✲✲✲

البحث الثالث : القسم في القرآن الكريم

لما كان في مواضع من القرآن القسم بغير الله تعالىٰ وصفاته وارداً بحرف الواو نحو قوله تعالىٰ : والصّٰفّٰت صفاً (الآيات) والعصر إن الانسان لفي خسر وقد يجعل الحلف بغير الله شركاً قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من حلف بغير الله فقد أشرك. رواه الترمذي.

فلدفع هذا القلق نقول : إن القسم أنواع.

النوع الأول : القسم باعتقاد أن المقسم به متصف بصفة الألوهية من علم الغيب والتصرف والإختيار الكلي والملك لكل نفع وضر واعتقاد الحالف أن المقسم به قادر علىٰ إضراري وإهلاكي اذا كنت كاذباً في المقسم عليه. وهذا النوع مختص بالله تعالىٰ والحلف بهذا الاعتقاد بغيره تعالىٰ شرك كما أن الخرافيين الجهلة في هذا الزمان يجيئون وقت الحلف إلى قبر معظم عندهم أو يتوجهون وقت الحلف إلى جهة أولئك المعظمين ويقولون : لو كنت كاذباً فيهلكني فلان الولي المعظم ويدمرني. ومشركوا العرب كانوا أحسن حالاً من هؤلاءِ لأنهم وقت الجهد والتوكيد في اليمين كانوا يقسمون بالله تعالىٰ.

قال الله تعالىٰ : وأقسموا جهد أيمانهم (الأنعام : ١٠) والنحل (٣٨).

وليس يراد في اقسام القرآن الكريم هذا النوع لوجهين.

الوجه الأول :

أن الله تعالىٰ منزه عن مثل هذا الإعتقاد في شان غيره تعالىٰ.

والوجه الثاني : أن القرآن الكريم لا يأمر ولا يأذن أحداً بالشرك قط.

والنوع الثاني : القسم بمعنى الشاهد والدليل لوجود معنى التاكيد فيه كما هو في القسم.

وهذا قد يذكر لإثبات دعوى من الدعاوى على سبيل الشهادة والتاكيد

كما قال السيوطي في الإتقان : والقصد بالقسم تحقيق الخبر وتوكيده حتى جعلوا مثل قوله تعالىٰ : والله يشهد إن المنافقين لكاذبون قسماً وإن كان فيه إخبار بشهادة لأنه لما جاء توكيداً للخبر سمى قسماً (الإتقان : ٤/٥٣). وانظر التحقيق في تفسير السراج المنير للشربيني في تفسير سورة يس.

والأقسام المذكورة في القرآن بغير الله تعالىٰ بهذا المعنى.

فقوله تعالىٰ : يس والقرآن الحكيم إنك لمن المرسلين : معناه إن القرآن بحكمته وفصاحته شاهد بأنك رسول حق.

وقوله تعالىٰ : والصّٰفّٰت صفا فالزاجرات زجرا فالتاليات ذكرا إن الهكم لواحد : معناه إن أحوال الملائكة المذكورة من عجزهم وعبادتهم وتلاوتهم وذكر الله تعالىٰ شاهدة على تجريد الألوهية لله تعالىٰ وتوحيده.

وقوله تعالىٰ : والضحىٰ والليل اذا سجى ما ودعك ربك وما قلىٰ : المعنى : إن تفاوت أحوال الزمان بالنور والظلمة شاهدة بأنه قد ينزل عليك الوحى من الله تعالىٰ وقد ينفصم. ليس هذا توديع الله إياك ولا عداوته لك.

وقوله تعالىٰ : والعصر إن الانسان لفى خسر : والمعنى ما مر من تاريخ الأقوام في العصر أى الدهر والزمان من تدمير الله المكذبين وتوقيره المؤمنين يدل علىٰ أن الانسان المكذب في الخسران. والفوز بالمراد والفلاح لأهل الإيمان. وعلى هذا القياس .

وبهذا يؤل ما ورد في الحديث وأبيك الجوع، فافهم.

والنوع الثالث : القسم بالعمر

وهو وإن كان بضم العين ولكن كثرة الإستعمال خفف بالفتح. يقال لعمرك بفتح العين. فمن العلماءِ من أوله بالحلف بصفة الله تعالىٰ بحذف المضاف أى لواهب عمرك.

ويحتمل أن يرجع إلى النوع الثاني أى عمرك شاهد.

والأولىٰ: أن يجعل هذا دعاءً بطول العمر فيكون نوعاً مستقلاً من القسم قال الله تعالىٰ: لعمرك انهم لفى سكرتهم يعمهون (الحجر: ٧٢).

ولا يقال: إن فى هذين النوعين سوى التاويلات السابقة قسما بغير الله تعالىٰ وهو لايشرع. لأنا نقول بوجوه:

الأول: أن الله تعالىٰ شانه من أن يومر بشئ أو ينهى بل المكلف شرعاً هو العبد دون الله تعالىٰ.

والوجه الثاني: أنه على حذف مضاف أى رب التين ورب الشمس وكذا الباقى.

والوجه الثالث: أن العرب كانت تعظم هذه الأشياء وتقسم بها أى بغير الإعتقاد الذى ذكر فى النوع الأول فنزل القرآن على ما يعرفون.

فان قيل: ما معنى القسم من الله تعالىٰ فانه إن كان لأجل المؤمن فهو مصدقه بمجرد الإخبار بغير قسم، وإن كان لأجل الكافر فلا يفيده.

أجيب: بأن القرآن نزل بلغة العرب ومن عادتهم القسم اذا أرادت أن تؤكد أمرا.

وأجاب أبو القاسم القشيرى: بأن الله ذكر القسم لكمال الحجة وتاكيدها وذلك أن الحكم يفصل باثنين إما بالشهادة، وإما بالقسم. وفى القرآن ذكر النوعين لإقامة الحجة وإزاحة الشبهة.

وقد أقسم الله تعالىٰ بنفسه فى القرآن فى سبعة مواضع:

فى سورة يونس: ٥٣.

٢ - و سورة مريم: ٦٨.

٣ - وسورة النساءِ: ٦٥.

٤ - والتغابن: ٧.

٥ - والمعارج: ٤٠.

٦ - والحجر : ٩٢.
والباقى كله قسم بمخلوقاته.
والقسم قد يذكر على التوحيد كما فى الصّٰفّٰت : ٤.
وتارة يذكر على صدق القرآن كما فى سورة الواقعة : ٧٥ - ٧٦ - ٧٧).
وقد يقسم على أن الرسول حق كما فى يونس : ١، ٢، ٣).
وتارة على الجزاءِ والوعد والوعيد كما فى سورة الذاريات : ١، ٦ والمرسلات : ١، ٧.

وتارة يقسم على أحوال الإنسان كما فى سورة والليل : ١ - ٤) سورة العاديات : ١ - ٦) وسورة العصر : ١، ٢) وسورة التين : ١ - ٤) وسورة البلد : ١ - ٤).

وأكثر ما يحذف الجواب للقسم اذاكان نفس المقسم به دلالة على المقسم عليه، فان المقصود يحصل بذكره فيكون حذف جواب القسم أبلغ وأوجز كقوله تعالىٰ :

ص والقرآن ذى الذكر والجواب إن القرآن لحق فكونه متصفاً بالذكر للعباد يدل على كونه حقا من الله تعالىٰ وهكذا.

******

البحث الرابع : فى أسباب النزول

نوزع البيان فى هذا الباب على تنبيهات ستة

التنبيه الأول :

إعلم أن نزول القرآن على قسمين :
قسم نزل ابتداء فلا يحتاج الى سبب نزول.
وقسم نزل عقيب واقعة أو سوال. قال الواحدى : لا يحل القول فى

أسباب النزول الا بالرواية والسماع ممن شاهدوا التنزيل ووقفوا على الأسباب وبحثوا عن علمها وقد قال محمد بن سيرين : سألت عبيدة عن آية من القرآن فقال : اتق الله وقل سدادا ذهب الذين يعلمون فيم أنزل الله القرآن (أسباب النزول للواحدى : ٤).

وقال غيره : معرفة سبب النزول امر يحصل للصحابة بقرائن تحتف بالقضايا وربما لم يجزم بعضهم فقال : أحسب هذه الآية نزلت فى كذا. فعلم أن العقل الصرف والإجتهاد المطلق لا يغنى فى هذا الباب. واذا كان مبناها على الرواية والنقل فلا بد فى اثباتها من صفات الراوى التى تشترط لصحة الحديث ولولا الاسناد لقال من شاء ما شاء فيلزم فى هذا الباب من النقل من كتب المفسرين الذين التزموا ذكر الاسناد ثم من تحقيقه وتوثيقه.

والتنبيه الثانى : فوائد أسباب النزول

ولا عبرة بقول من قال : لا طائل تحت هذا الفن مطلقا لجريانه مجرى التاريخ الصرف وأخطأ فى ذلك.

فمن الفوائد : معرفة وجه الحكمة الباعثة على تشريع الحكم.

ومنها : الوقوف على المعنى وإزالة الإشكال. قال الواحدى : لايمكن تفسير الآية دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها. وقال ابن دقيق العيد : بيان سبب النزول طريق قوى فى فهم معانى القرآن. وقال ابن تيمية معرفة سبب النزول يعين على فهم الآية فان العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب.

ومنها : ان اللفظ قد يكون عاما ويقوم الدليل على تخصيصه فاذا عرف السبب قصر التخصيص على ما عدا صورته.

ومنها : أن الآيات أو السور التى فيها تخصيص اسم شخص او قبيلة كسورة فيل وقريش وتبت ومثلها لا تفهم الا بذكر تفصيل واقعة النزول.

ومنها : تخصيص الحكم به عند من يرى ان العبرة بخصوص السبب لا

بعموم اللفظ وان كان هذا القول مرذولاً.

والتنبيه الثالث :

قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله : قولهم : نزلت هذه الآية فى كذا يراد به تارة سبب النزول ويراد به تارة ان ذلك داخل فى الآية وان لم يكن السبب. وكذا قال الزركشى رحمه الله فى البرهان : قد عرف من عادة الصحابة والتابعين ان احدهم اذا قال : نزلت هذه الآية فى كذا يريد بذلك ان هذه الآية تتضمن هذا الحكم. لا أن هذا كان السبب فى نزولها. فحاصله : ان مصداق الآية قد يعبر عنه بقوله : نزلت فى كذا. وان كان ذلك المصداق بعد نزول تلك الآية بمدة كثيرة كما فى آيات اللعان فانها نزلت فى هلال بن أمية حين قذف امرأته بشريك بن سحماء كما ورد فى الجامع للبخارى والمشكاة (٢/٢٨٢) ثم إن عويمر العجلانى لما قذف امرأته وأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قد أنزل الله فيك وفى صاحبتك فاذهب فأت بها ... الحديث) رواه البخارى ومسلم.

فالمراد بقوله عليه السلام : قد أنزل فيك آه - و الله اعلم - أن حكمهما موجود منزل فى سورة النور. ولذا قال الامام ولى الله الدهلوى رحمه الله : وقد تحقق عند الفقير أن الصحابة والتابعين كثيرا ما يقولون : نزلت الآية فى كذا وكذا وكان غرضهم تصوير ما صدقت عليه الآية وذكر بعض الحوادث التى تشبهها الآية بعمومها سواء تقدمت القصة او تأخرت اسرائيليا كان ذلك او جاهلياً او اسلاميا استوعبت جميع قيود الآية أو بعضها والله اعلم (الفوز الكبير : ٤٤).

نعم قد تكون لنزول الآية أسباب متعددة فتحمل على تكرار النزول كما قيل فى سور الفاتحة انها نزلت مرتين مرة بمكة ومرة بالمدينة وان كان قولا غير ثابت. وكما ثبت فى الصحيحين عن ابى عثمان النهدى عن ابن مسعود

رضي الله عنه أن رجلا اصاب من امرأة قبلة فأتى النبى صلى الله عليه وسلم فاخبره فأنزل الله تعالىٰ ﴿ وأقم الصلاة طرفى النهار وزلفاً من الليل ان الحسنات يذهبن السيئات (هود : ١١٤) فقال الرجل : ألى هذا ؟ فقال : بل لجميع أمتي. فهذا كان فى المدينة والرجل كان أبا اليسر وسورة هود مكية بالاتفاق. ولهذا أشكل على بعضهم لهذا الحديث مع ما ذكرنا ولا إشكال لانها نزلت مرة بمكة ومرة بالمدينة.

وكذلك ما ورد فى الصحيحين من حديث المسيب لماحضرت ابا طالب الوفاة دخل عليه النبى صلى الله عليه وسلم وعنده ابو جهل وعبد الله بن أبى أمية. فقال النبى صلى الله عليه وسلم : أى عم ! قل لااله الا الله أحاج لك بها عند الله فقال أبو جهل وعبد الله بن أبى أمية : يا أبا طالب ! أترغب عن ملة عبد المطلب ؟ فقال النبى صلى الله عليه وسلم : لاستغفرن لك ما لم أنه عنك فنزلت : ماكان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربىٰ الآية (التوبة : ١١٣). رواه البخارى بهذا اللفظ.

وكذا أنزل الله تعالىٰ فى أبى طالب : انك لاتهدى من احببت (سورة القصص : ٥٦) فموت أبى طالب بمكة اتفاقا وآية التوبة نزلت بالمدينة فيمكن إنها نزلت مرتين مرة بمكة ومرة بالمدينة. وكذا فى نزول المعوذتين بتكرار النزول.

ففى هذه الصورة يستعمل لفظ نزلت فى كذا على الحقيقة.

هذا التفصيل انما هو فى سبب النزول فلا بد من تقديمه اذا كان سببا واقعياً. وأما الحكم والمصداق فيجوز تقديم الآية على كليهما مثل قوله تعالىٰ : قد افلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى (الاعلىٰ : ١٤).

روى البيهقى بسنده الى ابن عمر رضى الله عنهما موقوفاً ومرفوعاً : أنها نزلت فى زكوة رمضان. وروى انها نزلت فى صلاة العيد مع أن الآية مكية

بالاتفاق.

فليس هذا الا استنباط الحكم من الآية. وكذا الاستنباط بها عليه ومثل هذا قوله تعالىٰ: سيهزم الجمع ويولون الدبر (القمر: ٤٥). نزلت بمكة واتفق مصداقها يوم بدر. ولذا قال عمر ابن الخطاب - رضى الله عنه - : كنت لا أدرى أى الجمع يهزم فلما كان يوم بدر رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: سيهزم الجمع ويولون الدبر.

والتنبيه الرابع: طلب المناسبة مقدم وأهم من بيان سبب النزول

جرى الاختلاف فى أن البداية بذكر مناسبات الآيات فيما بينها أولىٰ أم البداية بذكر سبب النزول. وعادة اكثر المفسرين الذين شانهم الاشتغال بذكر أسباب النزول الإعراض عن بيان المناسبة.

والمحاكمة فيه أنه اذا كان وجه المناسبة متوقفاً على سبب النزول فينبغى فيه تقديم ذكر السبب كقوله تعالىٰ فى إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى اهلها (النساء: ٥٨) فقال بعض أهل التفسير فى مناسبة هذه الآية بالآيات السابقة: أن كعب بن الأشرف لما قدم الى مكة وشاهد قتلىٰ بدر حرض الكفار على الأخذ بثأرهم وغزو النبى صلى الله عليه وسلم فسألوه من أهدى سبيلاً؟ النبى صلى الله عليه وسلم أم هم؟ فقال: أنتم. كذباً منه وضلالة لعنه الله. فتلك الآية فى حقه وحق من شاركه فى تلك المقالة وهم أهل الكتاب يجدون عندهم فى كتابهم بعث النبى صلى الله عليه و سلم صفته وقد أخذت عليهم المواثيق الا يكتموا ذلك وأن ينصروه وكان ذلك أمانة لازمة فلم يؤدوها وخانوا فيها وذلك مناسب لقوله تعالىٰ: ﴿ان الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات الى اهلها﴾ واذا لم يكن وجه المناسبة متوقفا على بيان سبب النزول. فالبداية ببيان المناسبة أولىٰ وأرجح وانها المصححة لنظم الكلام وهى سابقة على النزول وكذا فى ذكر المناسبات حكم ولطائف كما سيأتى

فی بحث معرفة المناسبات بین الآیات ان شاء اللّٰه.

والتنبیه الخامس :

قال الامام ولی اللّٰه الدهلوی رحمه اللّٰه : والمحقق أن المقصد الأصلی من نزول القرآن تهذیب النفوس البشریة ودمغ العقائد الباطلة ونفی الأعمال الفاسدة فوجود العقائد الباطلة سبب لنزول أیات الاحکام وعدم تیقظهم بما عدا ذکر آلاء اللّٰه تعالیٰ وأیام اللّٰه ووقائع الموت ومابعده سبب لنزول آیات التذکیر. وعامة المفسرین یربطون کل آیة من آیات المخاصمة وآیات الأحکام بقصة ویظنون أن تلك القصة سبب لنزولها. وتکلفوا من خصوصیات القصص الجزئیة لا مدخل له یعتد به الا فی بعض الآیات حیث وقع التعریض فیها لواقعة من وقائع وجدت فی زمنه صلی اللّٰه علیه وسلم أو قبل ذلك ولایزول ما یعرض للسامع من الإنتظار عند سماع ذلك التعریض الا ببسط القصة فیلزم شرح تلك الآیات بوجه لا یستلزم إیراد القصص الجزئیة (انتهی الفوز الکبیر بتغییر یسیر : ٢).

وأیضاً : سبب النزول علی قسمین :

الأول : أن تقع حادثة یظهر فیها إیمان المؤمنین ونفاق المنافقین کماوقع فی أحد والاحزاب انزل اللّٰه تعالیٰ مدح هؤلاءِ وذم أولئك لیکون فیصلا بین الفریقین. وربما یقع فی مثل هذا من التعریض بخصوصیات الحادثة ما یبلغ جد الکثرة فیجب أن یذکر شرح الحادثة بکلام مختصر لیتضح سوق الکلام علی القاری.

والقسم الثانی : أن یتم معنی الآیة بعمومها من غیر احتیاج الی العلم بالحادثة التی هی سبب النزول. وقد ذکر قدماء المفسرین تلك الحادثة بقصد الإحاطة بالآثار المناسبة للآیة أو بقصد بیان ما صدق علیه العموم. ولیس ذکر هذا القسم من الضروریات.

والتنبيه السادس : العبرة لعموم اللفظ لا لخصوص السبب

وهذا هو الصحيح. ولا عبرة لقول من قال : العبرة لخصوص السبب وتدل على أصحية الأول دلائل **منها** : أن الآيات قد نزلت في سبب ذكرها المفسرون ولكن اتفقوا على تعديتها الى غير أسبابها كنزول آية الظهار في سلمه بن صخر - رضي الله عنه - وآية اللعان في شان هلال بن أمية وحد قذف في رماة عائشة رضى الله عنها ثم تعدى حكم كل آية من هذه الآيات إلى غير المذكورين اتفاقاً.

ومنها : أن الصحابة رضى الله عنهم وغيرهم من السلف المجتهدين احتجوا واستدلوا في الوقائع الحديثة بعموم الآيات نزلت على أسباب خاصة شائعاً ذائعاً بينهم قال ابن جرير بالإسناد إلى سعيد المقبرى يذاكر مع محمد بن كعب القرظى فقال سعيد إن في بعض كتب الله أن لله لعباداً ألسنتهم أحلى من العسل وقلوبهم أمر من الصبر لبسوا مسوك الضأن من اللين يجترون الدنيا بالدين. فقال محمد بن كعب القرظي : هذه في كتاب الله : ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام (البقرة : ٢٠٤) فقال سعيد : قد عرفت فيمن أنزلت؟ (أى في أخنس بن شريك المنافق) فقال محمد بن كعب : إن الآية تنزل في الرجل ثم تكون عامة بعده. (تفسيرابن جرير الطبرى : ٣١/٤).

ومنها : أنه لو كانت العبرة لخصوص السبب لم تكن حاجة ماسة إلى ذكر الآية باللفظ العام فذكرها بلفظ العام دليل ظاهر على أن لاإعتبار لخصوص السبب.

ولذا بعض أهل التحقيق من المفسرين لم يتعرضوا الذكر سبب النزول إلا أقل قليل مالا بد منه إظهاراً لأن الاعتبار لعموم اللفظ. فلو تعرض لسبب النزول في تفسير كل آية لتوهم أن الآية خاصة. وعلم من هذا أن الآيات

المتضمنة للتوحيد ورد مشركى العرب وإن كانت عبادة الأصنام سبب نزولها ولكن لعموم صيغها والفاظها تشمل لرد المشركين بالقبور والأحياءِ ذوى الخطور.

وبعض الجهلة المتغفلين جعلوا هذا التعميم من التحريف والتفسير بالرأى. وما هذا إلا جهل وعمى عن عموم هداية الكتاب العظيم بل أكثر الصيغ إنما هى لذوى العقول وضعاً والأصنام مجازاً فكيف تركوا الحقيقة بالكلية. وقد مر ما يتعلق بهذا فى بحث المشركين بالعباد الصالحين.

فائدة:

نعم اذا كان فى الآية دليل علىٰ الخصوص فلا تدل على العموم كما يقول أهل الحق فى تفسير آية: ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيماً (النساء: ٦٤): إن هذه الآية خاصة بأهل النفاق ومن حذا حذوهم فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم ولا تتعدى إلى ما بعد موته صلى الله عليه وسلم، لأن الضمير باتفاق النحاة وأهل العربية تدل على الذات المخصوصة.

قال محمد بن أحمد بن عبد الهادى المتوفى سنة: ٧٤٤ هـ: ولم يفهم من هذه الآية أحد من السلف والخلف إلا المجئ إليه فى حياته صلى الله عليه وسلم ليستغفر لهم وقد ذم الله تعالىٰ من تخلف عن هذا المجئ اذا أظلم نفسه وأخبر أنه من المنافقين فقال تعالىٰ:

واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤسهم ورأيتهم يصدون وهم مستكبرون (المنافقون: ٥) كذلك هذه الآية إنما هى فى المنافق الذى رضى بحكم كعب بن الأشرف وغيره من الطواغيت دون حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فظلم نفسه بهذا أعظم ظلم ثم لم يجئ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليستغفر له فإن المجئ إليه ليستغفر له توبة وتنصل من

الـذنـب وهذه كانت عادة الصحابة رضى الله عنهم معه صلى الله عليه وسلم أن أحـدهم متى صدر منه ما يقتضى التوبة جاء إليه فقال : يارسول الله ! فعلت كذا وكذا فاستغفر لى.

وكـان هـذا فرقاً بينهم وبين المنافقين. فلما استأثر الله نبيه صلى الله عليه وسـلـم ونـقله من بين أظهرهم إلى دار كرامته لم يكن أحد منهم قط يأتى إلى قبـره ويـقـول : يا رسول الله ! فعلت كذا وكذا فاستغفر لى. ومن يقل هذا عن أحـد مـنهم فقد جاهر بالكذب والبهت. أفترىٰ عطل الصحابة والتابعون وهم خير الـقـرون على الإطلاق هذا الواجب الذى ذم الله سبحانه من تخلف عنه وجـعـل التخلف عنه من جملة أمارات النفاق ووفق له من لا توبة له من الناس ولا يـعـد فـى أهـل الـعلم وكيف أغفل هذا الأمر أئمة الإسلام وهداة الأنام من أهل الحديث والفقه والتفسير ومن له لسان صدق فى الأمة فلم يدعوا إليه ولم يـحـضـوا عـليه ولم يرشدوا اليه ولم يفعله أحد منهم ألبتة. بل المنقول الثابت عـنهم ما قد عرف مما يسوء الغلات فيما يكرهه وينهى عنه من الغلو والشرك الجفاة عما يحبه ويأمر به من التوحيد والعبودية.

ولما كان هذا المنقول شجى فى قلوب البغاة وقذى فى عيونهم وريبة فى قـلوبهم قابلوه بالتكذيب والطعن فى الناقل. ومن استحيىٰ منهم من أهل العلم بـالآثـار قابله بالتحريف والتبديل ويأبى الله الا أن يعلى منار الحق ويظهر أدلته ليهتـدى الـمستـرشـد وتـقـوم الـحجة على المعاند فيعلى الله بالحق من يشاء ويـضـع برده وبطره من يشاء. ويالله العجب ! أكان ظلم الأمة لانفسها ونبيها حـى بيـن أظهـرها موجود وقد دعيت اليه الى المجئ اليه ليستغفر لها وذم من تـخـلف عـن الـمـجئ فـلما توفى صلى الله عليه وسلم ارتفع ظلمها لانفسها بـحيـث لا يـحتـاج أحـد منهم إلى المجئ إليه ليستغفر له ؟ وهذا يبين أن هذا التـأويـل الذى تأول عليه المعترض هذه الآية تأويل باطل قطعاً. ولو كان حقا

لسبقونا اليه علماً وعملاً وارشاداً ونصيحةً ولايجوز إحداث تأويل فى آية أو سنة لم يكن على عهد السلف ولا عرفوه ولايبينوه للأمة فان هذا يتضمن أنهم جهلوا الحق فى هذا وضلوا عنه واهتدى اليه هذا المعترض المتأخر فكيف إذا كان التأويل يخالف تأويلهم ويناقضه.

وبطلان هذا التأويل أظهر من أن يطنب فى رده.

وإنما ننبه عليه بعض التنبيه .

ومما يدل على بطلان تأويله قطعاً أنه لايشك مسلم أن من دعىٰ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حياته وقد ظلم نفسه ليستغفر له فأعرض عن المجئ وأباه مع قدرته عليه كان مذموماً غاية الذم مغموصاً بالنفاق ولاكذلك من دعا إلى قبره ليستغفر له. ومن سوى بين الأمرين وبين المدعوين وبين الدعوتين فقد جاهر بالباطل وقال على الله وكلامه ورسوله وأمناء دينه غير الحق.

حكاية العتبى

وأما حكاية العتبى التى أشار إليه فإنها حكاية ذكرها بعض الفقهاءِ والمحدثين والمفسرين وليست بصحيحة ولا ثابتة إلى العتبى.

وقد رويت عن غيره باسناد مظلم كما بينا ذلك فى ما تقدم. وهى فى الجملة حكاية لا يثبت بها حكم شرعى لاسيما فى مثل هذا الأمر الذى لو كان مشروعاً مندوباً لكان الصحابة رضى الله عنهم والتابعون رحمهم الله تعالىٰ أعلم به وأعمل به من غيرهم وبالله التوفيق.

لايقال : إنه قد روى أبو الحسن برواية بن الهيثم عن على رضى الله عنه قال : قدم علينا أعرابى بعد ما دفنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بثلاثة أيام فرمى بنفسه الى قبر النبى صلى الله عليه وسلم وحثى على رأسه من ترابه وقال : يا رسول الله قلت فسمعنا قولك ووعيت عن الله عز وجل فما وعينا عنك

وكان فيما أنزل الله عز وجل عليك: ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيماً. وقد ظلمت نفسي وجئتك تستغفر لي. فنودي من القبر أنه قد غفر لك. رواه البيهقي في شعب الإيمان (١٠٨/٨).

لأنا نقول في الجواب: إن هذا خبر منكر موضوع وأثر مختلق مصنوع واسناده ظلمات بعضها فوق بعض. والهيثم جد أحمد بن محمد بن الهيثم أظنه ابن عدي الطائي. فان يكن هو فهو متروك كذاب، وإلا فهو مجهول. وقال يحيى بن معين: الهيثم بن علي كوفي ليس بثقة كان يكذب. وقال العجلي وابوداود: كذاب. وقال أبو حاتم الرازي والنسائي والدولابي والأزدي: متروك الحديث. وقال السعدي: ساقط قد كشف قناعه. وقال ابوزرعة: ليس بشئ قال البخاري: سكتوا عنه.

(الصارم المنكي في الرد على السبكي من: ٢٧٣، إلىٰ: ٢٧٦).

فما نقل بعض أهل التفسير من هذه الحكاية فلا إعتبار لنقلها فقط إذا كان عليه هذا الجرح التفصيلي.

*****

البحث الخامس في بيان النسخ

وفيه فصول:

الفصل الأول: ضرورة هذا العلم وأهميته

قال الزركشي رحمه الله في البرهان:

قال الأئمة: ولا يجوز لأحد أن يفسر كتاب الله تعالىٰ إلا بعد أن يعرف منه الناسخ والمنسوخ. وقد قال علي بن أبي طالب لقاص: أتعرف الناسخ والمنسوخ؟ قال: الله أعلم. قال: هلكت وأهلكت. والعلم به عظيم الشان وقد صنف فيه جماعة كثيرون منهم قتادة بن دعامة السدوسي المتوفى سنة:

١١٨ هـ وأبو عبيد القاسم بن سلام المتوفى سنة : ٢٢٣ هـ وابوداود السجستاني المتوفى سنة : ٢٧٥ هـ وأبو جعفر النحاس المتوفى سنة : ٢٣٨ هـ وهبة الله بن سلام الضرير المتوفى سنة : ٤١٠ هـ تقريباً وأبو بكر بن العربي المتوفى سنة : ٥٤٦ هـ وأبو الفرج ابن الجوزى المتوفى سنة : ٥٩٧ هـ وأبو بكر بن الأنبارى المتوفى سنة : ٣٢٨ هـ ومكى بن أبى طالب المتوفى سنة : ٣١٣ هـ.

وقال أبو عبد الله محمد القرطبي المتوفى سنة : ٦٧١ هـ : معرفة هذا الباب أكيدة وفائدته عظيمة لا يستغنى عن معرفته العلماء ولاينكره إلا الجهلة الأغبياء لما يترتب عليه من النوازل فى الأحكام ومعرفة الحلال والحرام.

روى أبو البخترى قال : دخل على رضى الله عنه المسجد فاذا رجل يخوف الناس فقال : ما هذا ؟ قالوا : رجل يذكر الناس. فقال : ليس برجل يذكر الناس لكنه يقول : أنا فلان بن فلان فاعرفونى. فأرسل إليه فقال : أتعرف الناسخ من المنسوخ ؟ قال : لا، قال : فاخرج من مسجدنا ولا تذكر فيه. وفى رواية أخرى : أعلمت الناسخ من المنسوخ ؟ فقال : لا، قال : هلكت وأهلكت. ومثله عن ابن عباس رضى الله عنهما (القرطبى : ٦٢/١).

وأقول : أكثر ما يرى من التعارض بين الآيات ظاهراً طريق دفعه معرفة الناسخ والمنسوخ. وما أخبر الله تعالى فى كتابه المجيد من وقوع النسخ والتبديل يوجب هذا العلم إيجابا لأنه لو لم يعلم أو جعله متروكاً فيصير هذا الاخبار سدى وعبثاً والعياذ بالله من هذا.

الفصل الثاني : بيان معاني النسخ لغةً واستعمالاً وشرعاً

قال الإمام الراغب الأصفهانى رحمه الله ما حاصله : أن النسخ إزالة شئ بشئ يتعقبه كنسخ الشمس الظل والظل الشمس والشيب الشباب. فتارة يفهم منه الإزالة. وتارة يفهم منه الاثبات. وتارة يفهم منه الأمران معاً.

ونسخ الكتاب إزالة الحكم بحكم يتعقبه وكذا نقل صورته المجردة إلى كتاب آخر. وقد يعبر عن النسخ بالإنتساخ. والمناسخة فى الميراث هو أن يموت ورثة بعد ورثة والميراث قائم لم يقسم. والقائلون بالتناسخ قوم ينكرون البعث على ما أثبته الشريعة ويزعمون أن الأرواح تنتقل إلى الأجسام على التابيد (المفردات : ٥٠٩).

وفى المختار من صحاح اللغة : نسخت الشمس الظل أزالته ونسخت الريح آثار الديار غيرتها. ونسخ الكتاب وانتسخ سواء. ونسخ الآية بالآية إزالة مثل حكمها وباب الكل قطع. (المختار : ٥٢٠).

واستعمل فى القرآن بمعنى الكتابة قال الله تعالىٰ : إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون (الجاثية : ٢٩) ومنه قوله تعالىٰ : وفى نسختها هدى ورحمة (الاعراف : ١٥٤).

أى فى مكتوبها الأصلى. وبمعنى الإزالة والمحو. قال الله تعالىٰ : فينسخ الله ما يلقى الشيطان (الحج : ٥٢) وبالمعنى الشرعى أى : تبديل الآية أو الحكم أو كليهما. قال الله تعالىٰ : ما ننسخ من آية أو ننسها (البقرة : ١٠٦) نعم فى المعنى الشرعى عبارات شتى.

قال القرطبى - ناقلاً عن الحذاق من أهل السنة - : إنه إزالة ما قد استقر من الحكم الشرعى بخطاب وارد متراخياً لولاه لكان السابق ثابتاً. وقال البعض : النسخ بيان انتهاءِ التعبد بقرائتها أو الحكم أو بهما جميعاً.

وقال ولى الله الدهلوى رحمه الله من المواضع الصعبة فى فن التفسير التى ساحتها واسعة جداً والإختلاف فيها كثير معرفة الناسخ والمنسوخ. وأقوىٰ الوجوه الصعبة اختلاف اصطلاح المتقدمين والمتأخرين.

وما علم فى هذا الباب من استقراءِ كلام الصحابة والتابعين أنهم كانوا يستعملون النسخ بإزاءِ المعنى اللغوى الذى هو إزالة شئ بشئ لابازاءِ

نعم فى المعنى الشرعى عبارات شتى.

قال القرطبى - ناقلاً عن الحذاق من أهل السنة - : إنه إزالة ما قد استقر من الحكم الشرعى بخطاب وارد متراخياً لولاه لكان السابق ثابتاً. وقال البعض : النسخ بيان انتهاءِ التعبد بقراتها أو الحكم أو بهما جميعاً.

وقال ولى الله الدهلوى رحمه الله من المواضع الصعبة فى فن التفسير التى ساحتها واسعة جداً والإختلاف فيها كثير معرفة الناسخ والمنسوخ. وأقوىٰ الوجوه الصعبة اختلاف اصطلاح المتقدمين والمتأخرين.

وما علم فى هذا الباب من استقراءِ كلام الصحابة والتابعين أنهم كانوا يستعملون النسخ بإزاءِ المعنى اللغوى الذى هو إزالة شئ بشئ لابازاءِ مصطلح الأصولين فمعنى النسخ عندهم إزالة بعض الأوصاف من الآية بآية أخرىٰ. إما بانتهاءِ مدة العمل أو بصرف الكلام عن المعنى المتبادر إلى غير المتبادر أو بيان كون قيد من القيود اتفاقيا أو تخصيص عام أو بيان الفارق بين المنصوص وما قيس عليه ظاهراً أو إزالة عادة الجاهلية أو الشريعة السابقة (الفوز الكبير : ١٨)

ولما كان النسخ عند المتقدمين بالمعنى الاعم كما عبر عنه الإمام ولى الله الدهلوى رحمه الله تعالىٰ فعندهم الآيات المنسوخة تتجاوز عن خمس مائة كما تظهر من تفاسير المتقدمين وبعض المتأخرين.

وأما اذا كان بالمعنى الخاص الذى ذكره الإمام القرطبى فالمنسوخ من الآيات قليل عدها الإمام السيوطى فى الإتقان نحو عشرين آية ونظمها فى قصيدة لا يخلو نقلها عن إفادة فقال :

قد أكثر الناس فى المنسوخ من عدد ❊ وأدخلوا فيه آياً ليس تنحصر
وهاك تحرير آى لا مزيد لها ❊ عشرين حررها الحذاق والكبر
أى التوبة حيث المرء كان وان ❊ يوصىٰ لأهليه عند الموت محتضر

وحق لقواه فيما صح من أثر ❁ وفى الحرام قتال للأولى كفروا
والاعتداد بحول مع وصيتها ❁ وان يدان حديث النفس والفكر
والحلف والحبس للزانى وترك أولى ❁ وكفروا شهادتهم والصبر والنفر
ومنع عقد لزانى او لزانية ❁ وما على المصطفى فى العقد محتظر
ودفع مهر لمن جائت واية نجواه ❁ كذاك قيام الليل مستظر
وزيد آية استيذان من ملكت ❁ وآية القسمة الفضلىٰ لن حضروا

فهذه من سورة البقرة : ١٨٠، ١٨٤، ١٨٧، ٢١٧، ٢٣٤، ٢٧٤.

ومن آل عمران : ١٠٢. ومن سورة النساءِ : ٣٣، ٨، ١٥.

ومن المائدة : ٢، ٤٢، ١٠٦. ومن الأنفال : ٦٥. ومن البرائة : ٤١. ومن النور : ٣، ٥٨.

ومن الأحزاب : ٥٢. و من المجادلة : ١٢. و من الممتحنة : ١١. ومن المزمل : ٢).

فهذه إحدى وعشرين آية منسوخة على خلاف فى بعضها.

والأصح فى آية الإستيذان والقسمة عدم النسخ فصارت تسع عشرة ويضم اليها من البقرة : ١١٥، فتمت عشرون. فهذا على رأى السيوطى فى الإتقان.

وقال الدهلوى رحمه الله - بعد عد هذه الآيات : وللفقير فى أكثر تلك الآيات نظر.

ثم قال آخراً : وعلى ما حررنا لا يتعين النسخ إلا فى خمس آيات، وهىَ : آية الوصية فى سورة البقرة. وآية الأنفال : ٦٥. و آية الاحزاب ٤٢، وآية المجادلة ١٢، وآية المزمل : ٢.

أقول : اذا كان باب التأويل الصحيح واسعاً وليس لنا تسليم استيصال الآية من جميع الأحكام و بقاءِ تلاوتها مجردة وكذا نفرق بين النسخ

والتخفيف فليست هذه الخمس أيضاً من الآيات المنسوخة من كل وجه.

ولا يلزم علينا إنكار وقوع النسخ في القرآن. بل نقول: النسخ باعتبار معنى وحكم والبقاء - أي عدم النسخ - باعتبار معنى آخر وحكم آخر، كما سنوضحه إن شاء الله تعالىٰ في مقام التفسير.

الفصل الثالث: في بيان شروط النسخ ودليل معرفته

إعلم أن كلام العلماءِ مع اقتران الدليل العقلي يدل على أن النسخ الشرعي مشروط بشروط.

الأول: ليس في القرآن ناسخ إلا والمنسوخ قبله في الترتيب النزولي وان كان بعده في الترتيب الوضعي، كما قيل في آية عدة الوفاة في البقرة وآية عدم تحليل النساءِ للنبي صلى الله عليه و سلم في سورة الأحزاب. وهذا اذا فسر على طريق عامة المفسرين.

والشرط الثاني: قال ابن الحصار: إنما يرجع في النسخ إلى نقل صريح صحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أو عن صحابي يقول: آية كذا نسخت آية كذا. قال: وقد يحكم به عند وجود التعارض المقطوع به من علم التاريخ ليعرف المتقدم والمتأخر في النزول.

قال: ولا يعتمد قول عوام المفسرين في النسخ، بل ولا اجتهاد المجتهدين من غير نقل صحيح ولا معارضة بينة، لأن النسخ يتضمن رفع حكم وإثبات حكم تقرر في عهده صلى الله عليه وسلم. والمعتمد فيه النقل والتاريخ دون الرأي والإجتهاد.

قال: والناس في هذا بين طرفي نقيض فمن قائل لا يقبل في النسخ أخبار الآحاد العدول.

ومن متساهل يكتفي فيه بقول مفسر أو مجتهد.

والصواب خلاف قولهما.

والشرط الثالث : أنه لا يقع النسخ إلا فى الأمر والنهى. وأما الأخبار فلا يقع النسخ فيها الا بشرط أن يتضمن الأمر والنهى. مثل آية الأنفال : إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون (الانفال : ٦٥) نسختها الآية التالية عند من يعم النسخ التخفيف.

فهذه الآية وان كانت جملة خبرية ولكن تتضمن الأمر بمعاندة الواحد مع العشرة فى القتال. ومثل آية النحل : و من ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكراً. اذا أريد بالسكر خمر فهى منسوخة بآية تحريم الخمر مع أنها جملة خبرية ولكن تتضمنت الأمر.

والشرط الرابع : أن يوجد الناسخ فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم.

وأما بعد موته صلى الله عليه وسلم واستقرار الشريعة فاجمعت الأمة انه لا نسخ. وهذا ظاهر بين.

والشرط الخامس : أن يكون نسخ النص بالنص لا بالقياس، بل من شروط صحة القياس : أن يخالف نصاً، نعم مساواة النصين فى القطعية مسألة طويلة مذكورة فى الكتب الطويلة فى بيان أنواع النسخ.

ثم اعلم : أن لمعرفة النسخ طرقا ودلائل :

منها : أن يكون فى اللفظ ما يدل عليه. كقوله عليه السلام : كنت نهيتكم عن زيارة القبور، ألا فزوروها. ونهيتكم عن الأشربة إلا فى ظروف الأدم فاشربوا فى كل وعاء غير أن لا تشربوا مسكراً.

ومنها : أن يذكر الراوى التاريخ للنزول وكان المنسوخ معلوماً قبله.

ومنها : أن تجمع الأمة على حكم أنه منسوخ وأن ناسخه متقدم.

وهذا الباب مبسوط فى أصول الفقه.

وفى هذا كفاية والله الموفق للهداية.

الفصل الرابع : أنواع النسخ وكونه فى سور القرآن

اعلم أولاً : أن سور القرآن العظيم تنقسم بحسب ما دخله النسخ ومالم يدخله الى أربعة أقسام :

أحدها : ما ليس فيه ناسخ ولا منسوخ.

وهى ثلث وأربعون سورة. وهى الفاتحة ثم يوسف ثم يس ثم الحجرات ثم الرحمن ثم الحديد ثم الصف ثم الجمعة ثم التحريم ثم الملك ثم القلم ثم الحاقة ثم نوح ثم الجن ثم المرسلات ثم النبأ ثم النازعات ثم الإنفطار ثم المطففين ثم الإنشاق ثم البروج ثم الفجر ثم البلد ثم الشمس ثم الليل ثم الضحى ثم الإنشراح ثم القدر ثم البينة ثم الزلزال ثم العاديات ثم القارعة ثم التكاثر ثم الهمزة ثم الفيل ثم قريش ثم الماعون ثم الكوثر ثم النصر ثم تبت ثم الاخلاص ثم العلق ثم الناس.

وهذه السور تنقسم الى ماليس فيه أمر ولا نهى، وإلىٰ ما فيه نهى لا أمر وما فيه أمر لانهى.

وثانيها : ما فيه ناسخ وليس فيه منسوخ. وهى ست سور الفتح والحشر والمنافقون والتغابن والطلاق والأعلىٰ.

وثالثها : مافيها منسوخ وليس فيه ناسخ وهو تسعة وثلثون الانعام والاعراف ويونس وهود والرعد والنحل والإسراء والكهف وطه والمؤمنون والنمل والقصص والعنكبوت والروم ولقمان وأل السجدة وفاطر والصّٰفّٰت وص والزمر وحم السجدة والزخرف والقيامة والدهر وعبس والطارق والغاشية والتين والكافرون.

ورابعها : ما اجتمع فيه الناسخ والمنسوخ.

وهى ستة وعشرون : البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والانفال والتوبة ابراهيم ومريم والأنبياء والحج والمؤمنون والنور والفرقان والشعراء

والاحزاب وسبأ وحم المؤمن وحم الشورى والذاريات والطور والواقعة والمجادلة والممتحنة والمزمل والتكوير والعصر.

وهذا التنويع إنما هو عند القائلين بالمعنى الأعم للنسخ.

ثم اعلم ثانياً : أن النسخ فى القرآن على ثلثة أضرب :

الأول : ما نسخت تلاوته وبقى حكمه فيعمل به اذا تلقته الأمة بالقبول وثبت عن الرسول المقبول صلى الله عليه وسلم.

والمثال المشهور له آية الرجم التى تتلىٰ فى سورة الأحزاب فنسخت تلاوته ولكن بقى حكمها.

وكذا ما رواه مسلم فى صحيحه فى كتاب الزكوة عن أبى موسى الأشعرى - رضى الله عنه - إنا كنا نقرأ سورة كنا نشبهها فى الطول والشدة ببرائة فأنسيتها غير أني أحفظ منها : لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى ثالثاً ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب.

والحكمة فى هذا النوع إظهار مقدار طاعة هذه الأمة فى المسارعة إلىٰ تعميل الحكم من غير استفصال طريق الثبوت، كما سارع الخليل إلىٰ ذبح ولده بالمنام وان كان أدنى من طريق الوحى.

والضرب الثانى : مانسخ حكمه وبقى تلاوته.

وقد سبق بيان عدد هذا الضرب على سبيل الاختلاف فى التعداد.

والحكمة فى هذا النوع من وجهين :

أحدها : أن القرآن كما يتلىٰ ليعرف منه الحكم والعمل به فيتلىٰ لكونه كلام الله تعالىٰ فيثاب عليه.

وثانيهما : أن النسخ غالباً يكون للتخفيف فأبقيت التلاوة تذكيراً بالنعمة ورفع المشقة.

وأقول : إن بقاء التلاوة لإثبات حكم آخر من تلك الآية وان كان

منسوخاً عنها حكم واحد لعدم خلو الآية عن الأحكام بالكلية.

والضرب الثالث: ما نسخ حكمه وتلاوته كلاهما فلا تجوز تلاوته من حيث القرآن ولا يعمل به كآية التحريم الرضاعى بعشر رضعات فنسخن بخمس ثم نسخها ثانياً بالرضعات الثلث ثم ثالثا (وهذا على قول الحنفية) بمطلق الإرضاع فى قوله تعالىٰ: وأمهاتكم اللاتى أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة من غير ذكر العدد.

الفصل الخامس: فى بيان الفرق بين النسخ والإنساءِ والبدأ:

أنكر اليهود عن النسخ فى كتب الله جهلاً منهم بأنه بدأ مع أنهم معاندون فى هذا الإنكار. قال النحاس: والفرق بن النسخ والبدأ أن النسخ تحويل العبادة من شئ إلى شئ قد كان حلالا فيحرم أو كان حراماً فيحلل.

وأما البدأ فهو ترك ما عزم عليه كالذى رأى الرأى ثم يبدو له. كقولك امض إلىٰ فلان اليوم ثم تقول: لا تمض اليه فيبدو لك العدول عن القول الأول.

وكذلك اذا قلت أزرع كذا فى هذه السنة ثم قلت: لا تفعل فهو البدأ.

وهذا يلحق البشر لنقصان آرائهم وعقولهم. وأما النسخ فهو إمضاء الأمر إلىٰ مدة لمنافع وحكم ثم بعد مضى مدة لا يناسب هذا الأمر فيبدل كما أن الحكيم الحاذق يعالج مريضاً فى زمن الشتاءِ بالأدوية المناسبة لهذا الموسم ثم يبدل الأدوية وطريق المعالجة فى زمن الصيف مناسباً لهذا الموسم.

وأما الفرق بين النسخ والإنساءِ الواردين فى آية سورة البقرة:

﴿ ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها او مثلها ﴾

[البقرة: ١٠٦] فمن وجوه:

الأول: أن النسخ هو التبديل تلاوةً أو حكماً أو جميعاً. والإنساء تركها على حالها بلا تبديل.

والثاني: النسخ هو التبديل بالطريق المذكور سابقاً. والإنساء الإذهاب عن القلوب بأن لا تبقى في الحفظ. وقد وقع هذا في الصحابة وأما وقوعه للنبي صلى الله عليه وسلم ففيه اختلاف والأصح هو الجواز.

والثالث: النسخ إزالة الحكم سواء بقي اللفظ أولا، والإنساء بالعكس أي إزالة التلاوة وبقي الحكم أم لا.

والرابع: النسخ الإذهاب الى بدل الحكم السابق. والإنساء الإذهاب لا إلىٰ بدل.

والخامس: النسخ الرفع والإزالة بعد الإنزال. والإنساء التاخير في الإنزال أو في النسخ. وعلى هذا الأخير الانساء من المهموز الا أن يخفف بالحذف فافهم.

* * * * * *

البحث السادس : مسألة إرتباط السور والآيات

وفيه فصلان :

الفصل الأول : ضرورة التناسب والإرتباط وأهميتهما.

إعلم أولاً : أن المناسبة علم شريف تحزر به العقول ويعرف به قدر القائل فيما يقول وهو أمر معقول اذا عرض على العقول تلقته بالقبول ومرجعها الى معنى ما رابط عام أو خاص عقلي أو حسي أو خيالي أو التلازم بعلاقة السببية والعلية والمعلولية والتنظير والمضادة وغيرها كما سيأتي.

وفائدته جعل أجزاءِ الجملة بعضها أخذا باعناق بعض فيقوى بذلك الإرتباط ويصير التاليف حاله حال البناءِ المحكم المتلائم الأجزاءِ.

وقد قل اعتناء المفسرين بهذا النوع لدقته.

وقال الإمام فخر الدين الرازي رحمه الله : أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط. وقال بعض الأئمة : من محاسن الكلام أن يرتبط بعضه ببعض لئلا يكون منقطعا.

وقال القاضي أبو بكر بن العربي في سراج المريدين :

إرتباط آي القرآن بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة متسقة المعاني منتظمة المباني علم عظيم.

وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام المتوفى سنة ٦٦٠ هـ :

المناسبة علم حسن ولكن يشترط في حسن ارتباط الكلام أن يقع في أمر متحد مرتبط أوله بآخره.

وقال الشيخ أبو الحسن الشهراباني : أول من أظهر ببغداد علم المناسبة ولم نكن سمعناه من غيره : هو الشيخ الإمام أبو بكر النيسابوري المتوفى سنة ٣٢٤ هـ وكان غزير العلم في الشريعة والأدب. وكان يقول على الكرسي :

اذا قرئ عليه آية : لم جعلت هذه الآية بجنب هذه الآية. وما الحكمة في جعل هذه السورة إلى جنب هذه السورة. وكان يزرى على علماءِ بغداد لعدم علمهم بالمناسبة.

ثم اعلم : ان العلماء الأعلام قد ألفوا في هذا الشان تاليفات.

منها : البرهان في مناسبة ترتيب سور القرآن، للعلامة أبى جعفر بن زبير شيخ أبي حيان.

ومنها : نظم الدرر في تناسب الآى والسور، للشيخ برهان الدين البقاعي المتوفى سنة : ٨٨٥ هـ كتاب كبير في نحو اثنين وعشرين مجلداً.

ومنها : أسرار التنزيل وتناسق الدرر في تناسب السور كلاهما للشيخ المفسر السيوطي

والإمام فخر الدين الرازى قد أكثر في تفسيره الكبير من ذكر التناسب بين الآيات.

ومنها : تفسير جواهر القرآن في اللغة الأردوية للشيخ غلام اللّٰه خان الفنجابى مشتمل على التناسب والروابط.

ومنها : سمط الدرر في ربط الآيات والسور : للشيخ العلامة المفسر محمد طاهر الفنج فيرى.

وألفت في هذا الباب كتاباً في اللغة الأفغانية سميته بـ (الدرر المنظومات في ربط السور والآيات). وتُرجم الى اللغة الفارسية ثم صنفت كتاب (توجيه الناظرين الى مقاصد الكتاب المبين) باللغة العربية وهو الآن أكثر ترويجاً واستعمالاً.

وهذا الذى ذكرته يدل ضرورةً على أهمية الربط بالطريق الإنى.

وأما الدليل بالطريق اللمى فهو ترتيب القرآن ترتيباً حسنا رائقاً معجباً معجزاً.

وجه دلالته أن ترتيب الآيات توقيفي اجماعاً.

قال السيوطي في الإتقان (١/ ٢١١): الإجماع والنصوص المترادفة على أن ترتيب الآيات توقيفي لا شبهة في ذلك. أما الإجماع فنقله غير واحد منهم الزركشي في البرهان وأبو جعفر بن الزبير وعبارته: ترتيب الآيات في سورها واقع بتوقيفه صلى الله عليه وسلم وأمره من غير خلاف في هذا بين المسلمين.

وأما النصوص فكثيرة ساقها السيوطي في الإتقان.

وأما ترتيب السور ففيه أقوال: هل هو توقيفي بلا استثناء أو هو باجتهاد الصحابة أو هو توقيفي إلا سورة الأنفال والبرائة. والقول الأول أصح وأقرب.

قال أبو بكر بن الأنباري: أنزل الله القرآن كله إلى سماءِ الدنيا ثم فرقه في بضع وعشرين سنة فكانت السورة تنزل لأمر يحدث والآية جواباً لمستخبر ويوقف جبرئيل النبي صلى الله عليه وسلم على موضع الآية والسورة فانساق السور كانسياق الآيات والحروف كله عن النبي صلى الله عليه وسلم فمن قدم سورة أو أخرها فقد أفسد نظم القرآن.

وقال الكرماني في البرهان: ترتيب السور هكذا هو عند الله في اللوح المحفوظ على هذا الترتيب وعليه كان صلى الله عليه وسلم يعرض على جبرئيل كل سنة ما كان يجتمع عنده منه وعرضه عليه في السنة التي توفي فيها مرتين.

وقال الطيبي: أنزل القرآن أولاً جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى سماءِ الدنيا ثم نزل مفرقاً على حسب المصالح ثم أثبت في المصاحف على التاليف والنظم المثبت في اللوح المحفوظ.

وقال البيهقي في المدخل: كان القرآن على عهد النبي صلى الله عليه وسلم مرتبا سوره وآياته على هذا الترتيب إلا الأنفال وبرائة لحديث عثمان

رضى الله عنه.

وقال ابن الحصار: ترتيب السور و وضع الآيات مواضعها إنما كان بالوحى.

وقال ابن حجر: ترتيب بعض السور على بعضها أو معظمها لايمتنع أن يكون توقيفياً و أما الإجتهاد فى زمان عثمان رضى الله عنه فى ترتيب الانفال و برائة فيمكن أن يكون على وفق التوقيف مع عدم علم لهم بالتوقيف والدلائل المثبتة لهذا القول ساقها الزركشى فى البرهان والسيوطى فى التحبير و الإتقان فانظرها إن شئت.

ولما ثبت أن الترتيب توقيفى فهو من جانب الحكيم المطلق وفعل الحكيم لا يخلو عن الحكمة. وبيان تلك الحكمة يستلزم التناسب والإرتباط. فالبحث عن الربط وعن المناسبة يرجع إلى إظهار الحكمة الإلهية فى الآيات والسور وهو أمر واجب فهمه وعلمه.

ثم هنا سوال مشهور: وهو أن الأيات على حسب الوقائع المتفرقة تنزيلاً فكيف يكون فيما بينهما التناسب. والجواب: أنها على حسب الوقائع تنزيلاً وعلى حسب الحكمة ترتيباً ولا منافاة بينهما. فالمصحف على وفق ما فى الكتاب المكنون مرتبة سوره كلها وآياته بالتوقيف.

الفصل الثانى: فى طرق ارتباط الآيات والسور

أما ارتباط الآيات ففيها طريقان:

الطريق الأول: طريق أكثر أصحاب التفاسير وهو ارتباط كل آية بما قبلها فاذة حتى تكون السورة كحلق سلسلة واحدة متعلقة كل واحدة بالأخرى.

وتفصيله: أن الآية لا تخلو إما أن يظهر ارتباطها بالآية السابقة مثل كون الثانية تاكيداً أو صفة لما قبلها أو بدلا عنه أو علة ودليلًا لما قبلها. فهذا لا

كلام فيه. وإما أن لا يظهر الارتباط بأن تكون كل جملة مستقلة عن الأخرى فلا تخلو إما أن تكون الثانية معطوفة على الآية الأولىٰ أو غير معطوفة فان كانت معطوفة فلابد أن تكون بينهما جهة جامعة أو علاقة المضادة بينهما مثل ذكر الرحمة بعد العذاب وبالعكس. وعادة القرآن أن يذكر البشارة مع التخويف وكل واحدة منهما كاف للارتباط.

وإن لم تكن معطوفة على ما قبلها فحينئذٍ لا بد من دعامة تؤذن باتصال الكلام وهى قرائن معنوية وهذا مزج معنوى كما أن الأول مزج لفظى.

ثم للمزج المعنوى أسباب: أحدها: التنظير فان الحاق النظير بالنظير من دأب العقلاءِ.

وثانيها: المضادة مثل ذكر الكفرة بعد أهل الإيمان وبالعكس بلا عطف.

وثالثها: الإستطراد كقوله تعالىٰ: يا بنى آدم قد أنزلنا عليكم لباساً يوارى سوآتكم وريشاً ولباس التقوى ذلك خير (الاعراف: ٢٦).

لما ذكر سابقاً بدو السوآت وخصف الورق عليها فذكر فى هذه الآية امتنان اللباس على بنى آدم استطراداً لما سبق.

ومن الإستطراد الانتقال من حديث الى آخر تنشيطاً للسامع مثل قوله تعالىٰ فى سورة ص بعد ذكر الأنبياءِ: هذا ذكر وان للمتقين لحسن مآب (ص: ٤٩).

فان هذا القرآن نوع من الذكر لما انتهى ذكر الأنبياءِ أراد أن يذكر نوعاً آخر من الذكر وهو ذكر الجنة وأهلها.

والثانى من طريقى التناسب: طريق مشائخنا الكرام. وهو جمع جميع آيات سورة واحدة على دعوى واحد لتلك السورة بأن تكون بعض الآيات دلائل لاثبات الدعوى وبعضها تخويفاً لمنكرى الدعوى وبعضها بشارة لمؤمنى الدعوىٰ وهكذا. فتكون السورة كالمجموع الواحد والآيات فى ما

بينها مثل الإخوة والأخوات لأب واحد.

وهذا أسهل الطريقين لأنه لا يحتاج إلىٰ تكلف ارتباط كل آية بما قبلها.

أقول : لو حصل لواحد كلا الطريقين لذاق طعم معانى القرآن واستقر قلبه بفصاحة القرآن وبلاغته وحسن تقريره وبيانه. فلا بد لمن أراد هذا الإستقرار والإطمينان أن يجتهد كل الجهد فى تحصيل كلا الطريقين. وهذا موجود فى كتابى الدرر المنظومات فى ربط السور والآيات. وتوجيه الناظرين.

وأما ارتباط السور فى ما بينها فهو على نوعين :

الأول : الإرتباط الذاتى والكلى. أى مناسبة دعوى سورة متأخرة لدعوى سورة متقدمة أو كون سورة لاحقة مشتملة على الدلائل أو التشجيع والتسلية لدعوى السورة السابقة. وهذا النوع جعلناه أصلا فى كتاب الدرر المنظومات.

والنوع الثانى : الإرتباط الجزئى. وله طرق مختلفة متنوعة.

الأول : مناسبة فاتحة سورة لخاتمة سورة أخرى. مثل سورة الحديد بعد سورة الواقعة.

والثانى : مناسبة فاتحة سورة لاحقة لفاتحة سورة سابقة مثل سورة الكهف بعد سورة الإسراءِ.

والثالث : ارتباط بعض آيات سورة متأخرة لبعض آيات سورة متقدمة بالإجمال والتفصيل أو الاطلاق والتقييد ونحوها. وهذا قد ذكرت نبذاً خاصا منه فى صدر كل سورة فى كتابى (الدرر المنظومات والتوجيه). وهذا النوع يظهر لمن يتدبر فى آيات كل من السورتين المتعانقتين ويتأمل فى مضامينهما.

******

البحث السابع : مسألة الصفات

******

والمراد به الصفات التى استدل بها المجسمة لإثبات الجسم لله تعالىٰ وهم الطاغية الباغية. وأنكر عنها الجهمية معتذرين بالنجاة عن القول بالجسمية وهم أيضاً الضالون المضلون المعتدون، أجارنا الله تعالىٰ عن وساوس كلا الفريقين وعن دسائسهما.

ونحن فى هذا الشان متمسكون بعقيدة السلف الصالح رحمهم الله تعالىٰ. بل لانميل إلى التاويلات التى تفضى إلى توثيق الجهمية.

فأولاً : نتلو من آيات الصفات.

وثانياً نذكر فيها عقيدة الأسلاف الثقات.

وثالثاً : نحكى بعض التاويلات مع مافيها من الشتات للرد عليها بالعبارات.

الآيات القرآنية الكريمة

١ - تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك (المائدة: ١١٦).

٢ - ويحذركم الله نفسه (آل عمران : ٢٨).

٣ - يريدون وجهه (الانعام : ٥٢).

٤ - إنما نطعمكم لوجه الله (الدهر : ٩).

٥ - أينما تولوا فثم وجه الله (البقرة : ١١٥).

٦ - كل شئ هالك الاوجهه (القصص : ٨٨).

٧ - ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام (الرحمن : ٢٧).

٨ - ولتصنع على عينى (طه : ٣٩).

٩ - تجرى باعيننا جزاء لمن كان كفر (القمر : ١٤).

١٠ - لما خلقت بيدى (ص : ٧٥).

١١ - يد الله فوق أيديهم (الفتح : ١٠).

١٢ - وأن الفضل بيد الله (الحديد : ٢٩).

١٣ - والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه (الزمر : ٦٧).

١٤ - يوم يكشف عن ساق ويدعون الى السجود (القلم : ٤٢).

١٥ - يا حسرتى على ما فرطت فى جنب الله (الزمر : ٥٦).

١٦ - اذا سألك عبادى عنى فانى قريب (البقرة : ١٨٦).

١٧ - ونحن أقرب اليه من حبل الوريد (ق : ٦٦).

١٨ - وهو القاهر فوق عباده (الانعام : ١٨).

١٩ - يخافون ربهم من فوقهم (النحل : ٥٠).

٢٠ - وانا فوقهم قاهرون (الاعراف : ١٢٧).

٢١ - وجاء ربك والملك صفا صفا (الفجر : ٢٢).

٢٢ - أو يأتى ربك (الانعام : ١٥٨).

٢٣ - هل ينظرون الا أن يأتيهم الله فى ظلل من الغمام (البقرة : ٢١٠).

٢٤ - وهو معكم أينما كنتم (المجادلة والحديد : ٤).

٢٥ - ثم استوى الى السماء (البقرة : ٢٩).

٢٦ - الرحمن على العرش استوى (طه : ٥) وذكر فى سبع آيات.

٢٧ - اليه يصعد الكلم الطيب (الفاطر : ١٠).

ففى هذه الآيات بالترتيب توصيف الله تعالىٰ : بالنفس والوجه والعين واليد واليمين والساق والجنب والقرب والفوقية والمجئ والإتيان والمعية والإستواء.

وأمـا الأحـاديـث فـى هـذا البـاب فـأكثر من أن تحصى وفيها سوى هذه صـفـات أخـرى. فهـذه تسـمى متشابهات من حيث الكيفيات وأنا لاندرى حـقـيـقـتهـا وما يليق بشانه تعالىٰ وان كانت معانيها ظاهرة. فمن هذه الحيثية محكمات.

******

عقيدة الأسلاف الصالحين فى صفات رب العالمين

إعتقادهم فى شان الصفات بين التشبيه والتعطيل والتجسيم والتجهيم. وإجراؤها على الظاهر بما يليق بشانه تعالىٰ من غير اشتغال بتحصيل الكيفية والسؤال عنها.

١ - قول أم سلمة (أم المؤمنين) رضى الله تعالىٰ عنها فى قوله تعالىٰ: الرحمن على العرش استوىٰ، قالت: الكيف غير معقول والإستواء غير مجهول والإقرار به من الإيمان والجحود به كفر) رواه الحافظ الذهبى فى كتاب العلو وابن المنذر واللالكائى فى السنة (٣/٣٩٧) وغيرهم بأسانيد صحاح (فتح المجيد: ٥١٦).

٢ - وقول ربيعة بن عبد الرحمن أنه سئل عن قوله: الرحمن على العرش استوىٰ، فقال: الإستواء غير مجهول والكيف غير معقول ومن الله تعالىٰ الرحمن الرسالة وعلى الرسول الإبلاغ المبين وعلينا التصديق (رواه اللالكائى باسناد سفيان بن عيينة (فتح المجيد ص: ٥١٤) والإتقان للسيوطى (٣/١٤).

٣ - قول عبد الله بن المبارك يقول: نعرف ربنا بأنه فوق سبع سمواته على الغرش استوىٰ بائن من خلقه ولا نقول كما قالت الجهمية (رواه الدارمى والحاكم والبيهقى).

٤ - قول الإمام مالك - لما سئل عن هذه الآية فقال -: الكيف غير معقول والإستواء غير مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة (الاتقان: ٣/١٥).

٥ - قول الإمام الترمذى: المذهب فى هذا عند أهل العلم من الأئمة مثل

سفيان الثوري ومالك وابن المبارك وابن عيينة ووكيع وغيرهم أنهم قالوا: نروي هذه الأحاديث كما جائت ونؤمن بها ولا يقال: كيف ولانفسر ولا نتوهم (الإتقان: ١٥/٣).

٦ - قول الحافظ الذهبي أول وقت سمعت مقالة من أنكر أن الله فوق عرشه هو الجعد بن درهم وكذلك أنكر جميع الصفات، وقتله خالد بن عبد الله القسري وقصته مشهورة فأخذ هذه المقالة عنه الجهم بن صفوان أمام الجهمية فاظهرها واحتج لها بالشبهات وكان ذلك في آخر عصر التابعين فأنكر مقالته أئمة ذلك العصر مثل الأوزاعي وأبي حنيفة ومالك والليث بن سعد والثوري وحماد بن زيد وجماد بن سلمة وابن المبارك ومن بعدهم من أئمة الهدى فقال الأوزاعي بسنده الى أبي بكر البيهقي: كنا والتابعون متوافرون نقول: إن الله فوق عرشه ونؤمن بما وردت به السنة من صفاته. اخرجه البيهقي في الصفات (٤٠٨) فتح المجيد: ٥١٦).

٧ - قول المفسر ابن جرير الطبري: وأولى المعاني بقوله جل ثناؤه: ثم استوى إلى السماءِ علا عليهن وارتفع فدبرهن بقدرته وخلقهن سبع سموات والعجب ممن أنكر المعنى المفهوم من كلام العرب في تأويل قول الله تعالىٰ: ثم استوى إلى السماءِ الذي هو بمعنى العلو والإرتفاع هرباً عند نفسه من ان يلزمه بزعمه اذا تأوله بمعناه المفهوم كذلك أن يكون انما علا وارتفع بعد أن كان تحتها إلى أن تأوله بالمجهول من تأويله المستنكر (وساق الكلام)

(تفسير ابن جرير: ١٥٠/١).

٨ - قول ابن صلاح: على هذه الطريقة مضى صدر الأمة وساداتها وإياها اختار أئمة الفقهاءِ وقاداتها وإليها دعا أئمة الحديث وأعلامه ولا أحد من المتكلمين من أصحابنا يصرف عنها يأباها (الإتقان: ١٥/٣)

٩ - قول إمام الحرمين بعد أن رجع عن القول بالتاويل فقال في الرسالة

النظامية : الذى نرتضيه دينا وندين الله به عقلاً إتباع سلف الأمة فانهم درجوا على ترك التعرض لمعانيها (الإتقان : ١٥/٣).

١٠ - قول الحافظ ابن حجر : وقال الشيخ شهاب الدين السهروردى فى كتاب العقيدة له : أخبر الله تعالىٰ فى كتابه وثبت عن رسوله الاستواء والنزول والنفس واليد والعين فلا يتصرف فيها بتشبيه ولا تعطيل اذ لولا اخبار الله تعالىٰ ورسوله ما تجاسر عقل أن يحوم حول ذلك الحمى.

قال الطيبى : هذا هو المذهب المعتمد. وبه يقول السلف الصالح.

وقال غيره : لم ينقل عن النبى صلى الله عليه وسلم ولا عن أحد من أصحابه من طريق صحيح التصريح بوجوب التأويل فى شئ من ذلك ولا المنع من ذكره ومن المحال أن يأمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم بتبليغ ما أنزل الله من ربه وينزل عليه اليوم أكملت لكم دينكم ثم يترك هذا الباب فلا يميز ما يجوز نسبته اليه تعالىٰ مما لا يجوز مع حضه على التبليغ عنه بقوله : فليبلغ الشاهد الغائب حتى نقلوا أقواله وأفعاله وأحواله وصفاته ومافعل بحضرته. فدل على أنهم اتفقوا على الإيمان بها على الوجه الذى أراده الله منها ووجب تنزيهه عن مشابهة المخلوقات بقوله تعالىٰ : ليس كمثله شئ فمن أوجب خلاف ذلك بعدهم فقد خالف سبيلهم (فتح البارى شرح البخارى : ٣٩٠/١٣).

١١ - قول الحافظ المفسر ابن كثير فى تفسير قوله تعالىٰ : وما قدروا الله حق قدره الآية : و قد وردت أحاديث كثيرة متعلقة بهذه الآية الكريمة و الطريق فيها وفى أمثالها مذهب السلف وهو إمرارها كما جائت من غير تكييف ولا تحريف (تفسير ابن كثير : ٦٢/٤).

١٢ - قول الإمام أبى حنيفة رحمه الله وله يد ووجه ونفس فما ذكر الله تعالىٰ فى القرآن من ذكر الوجه واليد والنفس فهو له تعالىٰ صفات بلا كيف.

ولا يقال (فى مقام التأويل) قدرته ونعمته لأن فيه إبطال الصفة وهو قول أهل القدر والإعتزال (الفقه الأكبر مع شرحه لعلى القارى : ٤٤).

١٣ - قول الإمام السيوطى : وجمهور أهل السنة منهم السلف وأهل الحديث على الإيمان بها وتفويض معناها المراد منها إلى الله تعالىٰ ولا نفسرها مع تنزيهنا له عن حقيقتها (الاتقان : ٣/١٤).

١٤ - قول الشيخ ابن قيم الجوزية نثراً ونظماً : قال : نقول فيها ما قاله ربنا تبارك وتعالىٰ وما قاله نبينا صلى الله عليه وسلم نصف الله تعالىٰ بما وصف به نفسه وبما وصف به رسوله من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تشبيه ولا تمثيل بل نثبت له سبحانه ما أثبته لنفسه من الأسماءِ والصفات وننفى عنه النقائص والعيوب ومشابهة المخلوقات إثباتا بلا تمثيل وتنزيها بلا تعطيل فمن شبه الله تعالىٰ بخلقه فقد كفر، ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر، وليس ما وصف الله به نفسه أو ما وصفه به رسوله تشبيهاً فالمشبه يعبد صنماً، والمعطل يعبد عدماً، والموحد يعبد إلهاً واحداً صمداً، ليس كمثله شئ وهو السميع البصير. والكلام فى الصفات كالكلام فى الذات، فكما أنا نثبت ذاتاً لا تشبه الذوات فكذلك نقول فى صفاته إنها لاتشبه الصفات (القصيدة النونية : ٦).

قال فى موضع آخر :

ما دلنى أحد عليه هناكم ❊ كلا ولا بشر إليه هدانى

إلا طوائف بالحديث تمسكت ❊ تعزى مذاهبها إلى القرآن

قالوا الذى نبغيه فوق عباده ❊ فوق السماءِ وفوق كل مكان

وهو الذى حقا على العرش استوى ❊ لكنه استولىٰ على الأكوان

(القصيدة ص :٢٥).

ولقد أتانا عشر أنواع من ❊ المنقول فى فوقية الرحمن

مـع مثلهـا أيضـاً تـزيـد بـواحـد ✽ هـا نـحـن نسـردهـا بلا كتمـان
منـيـا استـواء الـرب فوق العرش في ✽ سبـع أتـت فـي مـحـكـم الـقـرآن
فـالـمـرسـلـون جـميعهم مع كتبهم ✽ قـد صـرحـوا بـالـفـوق للـرحمن
وحـكـى لـنـا إجماعهم شيخ الورى ✽ والـديـن عبـد الـقـادر الـجيلانـي
وأبـو الـولـيـد الـمـالـكي أيضا حكى ✽ اجـمـاعـهـم أعـنـي ابن رشد الثاني
وانـظـر كـلام إمـامـنـا هـو مـالك ✽ قـد صـح عنـه قـول ذي اتـقـان
فـي الإستـواءِ بـأنـه الـمـعلوم لكن ✽ كـيـفـه خـاف علـىٰ الأذهـان
وكـذا قـال الشـافـعي حكـاه عنـه ✽ البيهـقـي وشيـخـه الـربـاني
حـقـاً قـضى الله الـخلافة ربنـا ✽ فـوق السـمـاءِ لا صـدق الـعبدان
وكـذلك الـنـعـمـان قـال وبعـده ✽ يـعقـوب والالـفـاظ لـلـنـعمان
مـن لـم يـقـر أن الله فوق العـرش لا ✽ يـخـفـى عـليـه هواجس الأذهـان
فهـو الـذي لا شك فـي تـكـفيره ✽ لله دركَ مـن إمـام زمـان
هـذا الـذي فـي الـفقه الأكبر عندهم ✽ ولـه شـروح عـدة لبيـان
وانـظـر مـقـالة أحـمـد ونـصوصـه ✽ فـي ذلك تـلـقـاهـا بـلا إحسـان
فـجـميعهـا قـد صـرحـوا بعـلـوه ✽ وبـالإستـواءِ والـفـوق لـلـرحمٰن

القصيدة النونية: ٦٨، ٦٩).

فهـذه مـن مـقـالات السلف وأئـمة الهـدى. وهـذه المقالة مذهب شيخ الإسلام ابـن تيـمية رحمه الله تعالىٰ ولكن الحساد الحفاة طعنوا عليه بأنه من الـمجسمة الكفرة، وتبعهم أهل الباطل في كل زمان حتى في زماننا حمد الله الداجوي (واتباعه) في كتابه البصائر لمنكري التوسل بأهل المقابر. أفتى علی شيخ الإسلام بالفتاوى القبيحة المستبشعة وحكم عليه بأنه كان مباح الدم. أجارنا الله تعالىٰ من شرور هذه اللئام ومطاعن الأنام إلى آخر الأيام.

✽✽✽✽✽✽

نقل بعض التاويلات فى تلك الصفات

إعلم أن المتأولين فى هذه الصفات فريقان :

الأول : من أنكر عن هذه الصفات بالتاويلات وهم المعطلة الجهمية المنكرون عن صفات الله تعالىٰ وهذا هو التوحيد عندهم فهم تركوا الكتاب والسنة واتباع سلف الأمة واخترعوا من أنفسهم عقيدة باطلة غمة.

والثانى منهما : الخلف من أهل السنة لاينكرُون عن صفات الله تعالىٰ بل الصفات عندهم ثابتة مثل ما ثبت عند السلف الصالح. ولكنهم قالوا بإرادة اللازم مع إرادة الملزوم كما نذكر بعد. فهذا الفريق لا نحكم بخروجهم عن أهل السنة ولكن قولهم هذا يجر إلىٰ التجهم والإعتزال. ومع هذا فالراجح والمختار ما قاله السلف الصالح.

والآن ننقل بعض تلك التاويلات على ما نقل الإمام السيوطى فى كتابه مع الجرح عليها. ونحن نلخصها :

قال : ذكر ما وقفت عليه من تأويلات الآيات المذكورة على طريقة أهل السنة :

من ذلك صفة الإستواءِ وفى تأويلها وجوه كثير :

الأول عن ابن عباس برواية الكلبى ومقاتل وهما واهيان ضعيفان فى التفسير : أن استوى بمعنى استقر.

نقول : هذا أيضاً يحتاج إلى التأويل لإشعاره بالجسمية كما لا يخفى.

الثانى : استوى بمعنى استولىٰ.

ورد بوجهين : الأول : أنه تعالىٰ مستولٍ على الكونين والجنة والنار وأهلهما فأى فائدةٍ فى تخصيص العرش ؟

والثانى : أن الإستيلاء إنما يكون بعد قهر وغلبة والله تعالىٰ منزه عن

ذلك.

أخرج اللالكائي في السنة عن ابن الأعرابي أنه سئل عن معنى استوى. فقال: هو على عرشه كما أخبر، فقيل: يا أبا عبد الله معناه استولى، قال: أسكت، لايقال: استوىٰ على الشئ إلا اذا كان له مضاداً فاذا غلب أحدهما قيل: استولىٰ.

الثالث: استوى بمعنى صعد، قاله أبو عبيد.

ورد بأن هذا أيضاً يحتاج إلى التاويل كما هو الظاهر.

الرابع: أن الكلام تم عند قوله: الرحمن على العرش. ثم أبتدأ بقوله: استوىٰ له ما في السموات وما في الأرض.

ورد بأنه يزيل الآية عن نظمها ومرادها.

الخامس: استوى بمعنى عمد وقصد إلى خلق العرش و السموات.

ورد بأنه لو صح فإنما يصح في تعديته بإلىٰ كما في قوله:

ثم استوى إلى السماءِ.

السادس: قال ابن اللبان الدمشقي المتوفى سنة ٧٤١ هـ في كتاب زد المتشابهات إلى معاني الآيات المحكمات: استوىٰ بمعنى قام بالعدل.

أقول: فلا وجه لذكر العرش على التخصيص.

السابع: قال الشعراني: استوى أتم خلقه على العرش.

أقول: هو يستلزم تأخر خلق العرش عن خلق السموات وهو خلاف المنصوص.

الثامن: قال الزمخشري: كناية عن الملك.

وفيه أيضاً: أن هذا ينافي تخصيص العرش.

ومن ذلك النفس وجه بأنه على سبيل المشاكلة والمراد به الغيب لأنه مستتر كالنفس. وهذا في آية المائدة: تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في

نفسك (١١٦) وفي قوله : ويحذركم الله نفسه (آل عمران : ٢٨) وجه بأن المراد به عقوبته تعالىٰ.

ولكن هذا ليس إلا تشتت في التوجيه.

والأصل ماقال السهيلى : بأن النفس عبارة عن حقيقة الوجود دون معنى زائد.

ومن ذلك الوجه : يؤول بالذات مرةً، وبالرضاءِ أخرى في قوله تعالىٰ : إنما نطعمكم لوجه الله. وبالجهة في قوله تعالىٰ : فثم وجه الله أي جهته التي أمر الله تعالىٰ بالتوجه إليها.

وهذا ليس إلا اتباع الارادات والتشتت في العبارات.

ومن ذلك العين كثيراً ما يؤول بالحفظ في قوله تعالىٰ : ولتصنع على عيني (طه : ٣٩).

وبحكم آيتي التي أوحيتها إلى أمك.

وأبعد من قال : إن العين حقيقة في الإدراك ومجاز في عضو الابصار.

ومن ذلك اليد مؤولة بالقدرة واليدين مؤولة بصفة الفضل وصفة العدل .

قال الإمام البغوي في قوله تعالىٰ : بيديّ (التثنية) دليل على أنها ليست بمعنى القدرة والنعمة لأنها لا تثنى وإنما هما صفتان من صفات ذاته. نعم القدرة تلزم اليد. ولكن هي هي.

ومن ذلك الساق مؤولة بالشدة وعظم الأمر كما يقال : قامت الحرب على ساقٍ. وقد تؤول بساق العرش.

أقول : في الحديث ما يدل على أنها ساق الرحمن. فما هذا التأويل بمقابلته.

ومن ذلك الجنب في قوله تعالىٰ : على ما فرطت في جنب الله : يؤول بالطاعة والحق.

لأن التفريط إنما يقع فى الطاعة والحق دون الجنب المعهود. وهذا أنسب لوجود القرينة أى لفظ فرطت.

ومن ذلك لفظ فوق: يؤول بزيادة هذا اللفظ وبكونه بمعنى على مرة وبمعنى العلو الرتبى فقط. ولكن الحق: أن المراد به العلو من جهة. وليس المراد العلو المكانى المستلزم للجسمية.

ومن ذلك صفة المجئ فى قوله تعالىٰ: وجاء ربك.

يؤول بحذف المضاف أى أمره. والحمل على المجئ اللائق بشانه تعالىٰ أمر بلا تكلف ولا تعسف.

ومن ذلك صفة المعية فى قوله تعالىٰ: وهو معكم أينما كنتم. يؤول المعية بالعلم والقدرة والنصرة. ولكن فى تفسير المظهرى: قلت: بل معية غير متكيفة يتضح على العارفين. ولا يدرك كنهه غير أحسن الخالقين

(تفسير المظهرى: ١/١٥٢).

فهذه أمثلة التأويلات ذكرها الخلف فى كتبهم.

ولكن لم يوجد فى السلف مثل هذه التكلفات.

نعم! فى الصفات التى تدل على النقص فى شانه تعالى لا محالة من التأويل عند السلف أيضاً كما قال الإمام الترمذى فى حديث طويل فيه قوله عليه السلام والذى نفس محمد بيده لو أنكم دليتم بحبل الى الأرض السفلىٰ لهبط على الله تعالىٰ. ثم قرأ هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهوبكل شئ عليم. قرائة رسول الله صلى الله عليه وسلم الآية تدل على أنه أراد الهبط على علم الله تعالىٰ وقدرته وسلطانه وعلم الله تعالىٰ وقدرته وسلطانه فى كل مكان وهو على العرش كما وصف نفسه فى كتابه القرآن الكريم انتهى.

ففى هذا الحديث كانت شائبة نقص بأنه تعالىٰ تحت الأرض السفلىٰ فوجب التأويل.

أيضاً : كان هذا الحديث مخالفاً عن ظاهر القرآن الدال على فوقيته تعالىٰ على العرش، فلذا أول في جامع الترمذي.

الأربعينات

هذه منقولة عن الشيخ محمد طاهر رحمه الله تعالىٰ.

و عندي يسمى بالمربعات أو الأرباع.

لايصير الرجل بصيراً بالقرآن :

١ - حتى يعلم أربعاً : تفسير القرآن بالقرآن وبالسنة وبأقوال الصحابة وبأقوال التابعين.

٢ - كأربع فهم المعاني الشرعية من اللغوية ومقاصد السور وأسباب النزول والناسخ والمنسوخ.

٣ - لأربع : التوحيد، والنبوة، وصدق الكتاب، والإيمان بالآخرة.

٤ - ويمدها بأربع : الجهاد. والإنفاق. والآداب. والتنظيم.

٥ - ليرد بها أربعاً : المشركين. واليهود. والنصارىٰ. والمنافقين.

٦ - كأربع الأقسام للشرك الإعتقادي. وفي العلم. وفي التصرف. وفي الدعاء. وفي العبادة.

٧ - توجد في أربع : من المشركين بالكواكب. وبالعباد. وبالملائكة. وبالجن.

٨ - ويوضح المقاصد بأربع : القصص. والأمثال. والشبهات. وأحوال المشركين.

٩ - ويحذر من أربع : الكفر. والنفاق. والشرك. والإفتراءِ.

١٠ - كأربع : التحريم لغير الله. والنذر لغير الله. وتحليل ما حرم.

والتشبه بالأمكنة المقدسة.

١١ - وأربع : الإنكار من التوحيد. ومن المعجزات . وإخراج الرسل. والإستهزاء بالرسل

١٢ - ويجتنب من أربع : المداهنة. وكتمان الحق. وتركِ العمل. والتحريف.

١٣ - لئلا يبتلى بأربع : الزجر. والتخويف الدنيوى. والتخويف الأخروى. وختم القلب.

١٤ - كأربع : اتباع الهوىٰ. والإستدلال بعمل الآباءِ. واتباع الظن. والقياس الفاسد.

١٥ - فاذا إمتحن بأربع : ملامة الأحباءِ. وطعن الجهال. وحسد العلماءِ. وشماتة الأعداءِ، أو الأقارب. والأمراءِ. والعلماءِ السوءِ. والرهبان.

١٦ - كأربع : السب. والإيذاءِ. وأنواع الإفتراءِ. ومكر الكبراءِ.

١٧ - وتمسك بأربع : الإحسان مع الناس. وترك الفحشاءِ. والأمر بالمعروف. والنهى عن المنكر.

١٨ - أكرمه بأربع : البشارة الدنيوية. والبشارة الأخروية. والإنابة إلى الله تعالىٰ. وربط القلب.

١٩ - كأربع : التشجيع. والإستقامة. والنصرة. والمعية الخاصة.

٢٠ - وهانت عليه أربع : إيثار النفس. وإيثار الأموال. والهجرة إلى الله تعالىٰ. والمقاطعة عن الأعداءِ.

٢١ - كأربع : التزهيد فى الدنيا. والإطمينان فى السراءِ والضراءِ. وكلمة الحق عند الأمراءِ. والآداب عند الإبتلاءِ.

٢٢ - ويدخل فى أربع : أى النبيين والصديقين. والشهداءِ. والصالحين.

٢٣ - ويفوز بأربع : يدعى عظيماً فى ملكوت السموات. والدرجة

العليا. وينظر كفاحاً إلى رب العلىٰ. فى جنة المأوى.

تـم بفضل الله تعالىٰ وحسن توفيقه ما أردت من تاليف الأصول التفسيرية بـالـقـدر الـضرورى على الوجه الأسهل، فما كان فى هذا من نقص فهو منى. وما كان حقاً وصواباً فمن الله تعالىٰ.

الـلهـم اصلح نياتنا وإراداتنا واجعل هذه المجموعة مقبولة لديك ومجابة لـلـنـاس بـلـبيك ونـافـعة مـفـيـدة مسهلة لطالبى مطالب القرآن العظيم بوسيلة انعامك واحسانك العميم فقط.

ألف هـذا الـكتـاب الـعبـد الـفـقير إلى الله تعالىٰ: عبد السلام غفر الله له ولوالديه وأحسن إليهما وإليه.

فرغت من تسويده فى الليلة الخامسة من رجب سنة: ١٤٠٦ هـ.

******

دفع الشبهات عن مسئلة الصفات

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبى بعده، وعلىٰ آله وأصحابه الذين أوفوا وعده وعهده أما بعد :

فإني كنت ذكرت مسألة الصفات فى آخر كتابى (تنشيط الأذهان) على سبيل الإختصار. وهذا حين كانت المسألة مما تنفر آذان الأكثرين عن سماعها وتحرج صدور الغافلين عن علمها وبيانها فى منطقتنا خاصة. فلذا اكتفيت فى ذلك الوقت بالطريقة التى تقرب هذه المسألة إلى الأذهان وكنت أردت منذ مدة أن أكتب على هذه المسألة رسالة بالتفصيل ولكن لكثرة مشاغل الدعوة والدروس ما وجدت الفرصة لتنفيذ هذا المراد وما تشاؤن إلا أن يشاء الله.

ولكن منذ سمعت عن بعض الإخوة المستعجلين المتجاهلين شبهات حول المسألة المكتوبة فى هذا الكتاب فلذا أذكر تلك الشبهات مع الأجوبة والتوجيهات كالتتمة لهذا المبحث.

الشبهة الأولى :

الواردة علىٰ قولى : فهذه تسمى متشابهات آه.

وهى أن الحق أن الصفات الواردة فى تلك الآيات محكمات ليست بمتشابهات.

. **والجواب :** أن قولى وان كانت معانيها ظاهرة صريح بأنها محكمات باعتبار المعانى الحقيقية ولكنها متشابهات باعتبار الكيفية المناسبة لشان الله تعالىٰ ومرادى من لفظ (حقيقتها) كيفياتها فهى محكمات من وجه ومتشابهات من وجه آخر. ولا منافاة لأن المتشابه هنا باعتبار خفاءِ كيفياتها وهذا من وجوه التشابه. وكثير من أهل العلم أطلق عليها بأنها محكمات من

جهة المعاني الظاهرة الحقيقية ومتشابهات باعتبار الكيفية المرادة على أني ذكرت بعد ذلك عبارات السلف الصالحين التي تدل صريحاً على اختيارنا عقيدة السلف الصالح.

الشبهة الثانية:

الواردة على قولي: فهذا الفريق لا يخرج عن أهل السنة آه.

وهي أن هؤلاءِ بسبب التأويل في الصفات كيف يستحقون بأنهم من أهل السنة.

والجواب: أني ذكرت صريحاً أن هؤلاءِ لايحبون التأويل ولا يرجحونه قائلين بما اعتقد به السلف الصالح ولكن أجازوا التأويل لدفع الشغب عن الجهلة بأنهم يسمون أهل السنة - السلف الصالح وأتباعهم - المجسمة فهؤلاءِ من المتأخرين ماتركوا عقيدة السلف من إرادة المعاني الحقيقية من غير تشبيه ولا تحريف، نعم! خالفوا عنهم في تجويز التأويل فهذا لا يقدح في شانهم إلا قليلاً. وكيف مع أن منهم العلماء المحدثون والمفسرون مثل الإمام النووي وبعده كثيرون.

الشبهة الثالثة:

اذا كانت التاويلات مخالفة عن مسلك السلف الصالح فلأي وجهٍ ذكرت.

والجواب ظاهر: لأني نقلت مع كل تاويل الجرح عليه بالإختصار، ففيه إشارة إلى أن القول بالتاويل مما لا يناسب بالكلام الذي هو في أعلى مراتب الفصاحة والبلاغة.

الشبهة الرابعة: الواردة على قولي: ولكن في تفسير المظهري: بل معية غير متكيفة آه. بأن هذا القول يخالف عن السلف القائلين بالمعية باعتبار القدرة والعلم والنصرة وكذا كيف يحال على المظهري وهو ماتريدي؟

والجواب أولاً: أني ما نقلت قوله لترجيحه على قول السلف الصالح، بل

إشارة الىٰ توجيه آخر لدفع التعارض الظاهر بين الإستواءِ علىٰ العرش وبين المعية ولا حرج في ذكر التوجيهات العديدة فى كلام مع ترجيح بعضها على بعض. وثانياً : إن نقل التوجيه الذى بسببه لايستلزم الإنكار عن الإستواءِ على العرش لا يتعجب منه وان كان نقلاً عن ماتريدى.

الشبهة الخامسة :

الواردة على نقل رواية الإمام الترمذى لتجويز التأويل الذى لا بد منه بأن هذه الرواية ضعيفة، فكيف يستدل بها لتجويز التأويل ؟

والجواب : نعم هذه الرواية اسنادها ضعيف كما ذكر الشيخ الألبانى فى التعليق على مشكاة المصابيح ولكن ما حققت الأمر فى ذلك الوقت من تصحيح وتضعيف بل كنت أردت تجويز التأويل الذى منقول عن السلف لأنه ليس كل تأويل ممنوعاً، بل التأويل كما ذكر شيخ الاسلام ابن تيمية على معان : الأول :

الحقيقة التى يرجع الكلام اليها، كما فى قوله تعالىٰ : هذا تأويل رؤياى.

والثانى : تفسير الكلام سواء وافق الظاهر أم لا .

وهذا الكلام يجرى فى تفسير ابن جرير الطبرى يقول : تأويل الآية ويعنى تفسيرها . فالتاويل بهذين المعنيين جائز عند السلف الصالح. وهو التاويل المحمود.

والثالث : صرف اللفظ عن المعنى الحقيقى الى المعنى المجازى لقرينة مزعومة أو ظاهرة . فالتاويل بهذا المعنى مذموم فى صفات الله تعالىٰ بل لا يوجد المجاز فى آيات الصفات قطعاً وألبتة.

فتاويل المعية بالقدرة والعلم والنصرة أو تاويل الهبوط على الله بكونه على قدرته وعلمه وسلطانه عند السلف تأويل محمود، لأن المرجع فى الأمور الدينية الكتاب والسنة هو فهم السلف الصالح أعنى الصحابة والتابعين.

رضى الله عنهم ورحمهم أجمعين.

هذا ما كان من التوجيهات الضرورية لدفع الشبهات الواردة وإن شاء الله أألف فى هذه المسألة كتاباً لدفع الشبهات والتاويلات ولإثبات مسلك السلف الصالح ودمغ مذهب الماتريدية والجهمية والمعتزلة وأسأل الله أن يوفقنى لإتمام هذه الإرادة لوجهه وهو الموفق والمعين.

****

فهرس العناوين

****